

مترائنا

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

تأليف

جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأنابكي

٨١٣ - ٨٧٤ هـ

الجزء الثامن.

نسخة ممتهرة عن طبعة دار الكتب
مع استدراقات وفهارس جامعة

وزارة الثقافة والارشاد القومي
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وصحّابته والمسلمين

الجزء الخامس

من كتاب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة

ذكر ولاية الملك الأشرف خليل على مصر

- هو السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجى، جلس على تخت الملك يوم وفاة أبيه فى يوم الأحد سابع ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة . وكان والده قلاوون قد سلّطه فى حياته بعد موت أخيه الملك الصالح على بن قلاوون فى سنة سبع وثمانين وستمائة، والمُعْتَدُّ به جلوسه الآن على تخت الملك بعد موت أبيه . وجَدَّ له الأمراء والجنود الحلف فى يوم الاثنين ثامن ذى القعدة المذكور . وطلب من القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر تقليده، فأخرجته إليه مكتوباً بغير علامة الملك المنصور، وكان

- (١) ذكر صاحب تاريخ الدول والملوك فى حوادث سنة ٦٨٩ هـ روايتين أخريين أولاهما أنه جلس على تخت السلطنة يوم الاثنين ثامن ذى القعدة الشهر المذكور . وثانيتهما أنه استقر الأمر لملك الأشرف عاشر المحرم سنة تسعين وستمائة . (٢) راجع صفحة ٣٢٠ فى ترجمة قلاوون فى الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) يقال قلده أمر كذا إذا وليته إياه، ومعناه الأصطلاحي ما يكتب عن السلطان لأرباب السيوف والأفلام وغيرهم . ومعناه هنا العهد . (انظر صبح الأعشى ج ١١ ص ١٠١ وما بعدها . وانظر نص هذا العهد فى المراجع نفسه ج ١٠ ص ١٦٦ . وانظر التعريف بالمصطلح الشريف لابن فضل الله العمري ص ٨٤ وما بعدها) .

أَبْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ قَدْ قَدَّمَهُ إِلَيْهِ لِيَعْلَمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرْضَ، وَتَقَدَّمَ طَلَبُ الْأَشْرَفِ وَتَكَرَّرَ؛
وَأَبْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ يُقَدِّمُهُ إِلَى الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ، وَالْمَنْصُورُ يَمْتَنِعُ إِلَى أَنْ قَالَ لَهُ :
يَا فَتَحَ الدِّينَ، أَنَا مَا أَوْلَى خَلِيلًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ ! وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْمَلِكَ الْمَنْصُورَ قَلَاوُونَ
كَانَ قَدْ نَدِمَ عَلَى تَوَلِيَّتِهِ السُّلْطَنَةَ مِنْ بَعْدِهِ . فَلَمَّا رَأَى الْأَشْرَفُ التَّقْلِيدَ بِلا عِلَامَةٍ ،
قَالَ : يَا فَتَحَ الدِّينَ، السُّلْطَانُ آمَتَنَعَ أَنْ يُعْطِنِي وَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ ! وَرَمَى التَّقْلِيدَ مِنْ
يَدِهِ وَتَمَّ أَمْرُهُ ، وَرَتَّبَ أُمُورَ الدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَكَتَبَ بِسُلْطَنَتِهِ إِلَى الْأَقْطَارِ، وَأَرْسَلَ
الْخَلْعَ إِلَى التَّوَابِ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَةِ .

وَهُوَ السُّلْطَانُ الثَّامِنُ مِنْ مُلُوكِ التُّرْكِ وَأَوْلَادِهِمْ . ثُمَّ خَلَعَ عَلَى أَرْبَابِ وَظَائِفِهِ
بِمِصْرَ، وَالَّذِينَ خَلَعَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَعْيَانِ : الْأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ بَيْدَرُ الْمَنْصُورِيِّ نَائِبُ
السُّلْطَنَةِ بِالدِّيَارِ الْمَصْرِيَّةِ ، وَوَزِيرُهُ وَمُدَبِّرُ مَمْلَكَتِهِ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ السَّلْمُوسِ
الدَّمَشْقِيِّ، وَهُوَ فِي الْحِجَازِ الشَّرِيفِ . وَعَلَى بَقِيَّةِ أَرْبَابِ وَظَائِفِهِ عَلَى الْعَادَةِ وَالتَّوَابِ
بِالْبِلَادِ الشَّامِيَةِ يَوْمَ ذَلِكَ . فَكَانَ نَائِبُهُ بِدَمَشْقَ وَمَا أُضِيفَ إِلَيْهَا مِنَ الشَّامِ الْأَمِيرُ
حُسَامُ الدِّينِ لِأَجِينِ الْمَنْصُورِيِّ . وَنَائِبُ السُّلْطَنَةِ بِالْمَمَالِكِ الْحَلِيبَةِ وَمَا أُضِيفَ إِلَيْهَا
الْأَمِيرُ شَمْسُ الدِّينِ قَرَأَ سُنُقُرُ الْمَنْصُورِيِّ . وَنَائِبُ الْفَتْوحَاتِ السَّاحِلِيَّةِ وَالْأَعْمَالِ
الطَّرَابُلسِيَّةِ وَالْقِلَاعِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةِ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَلْبَانَ السَّلَحْدَارِ الْمَعْرُوفُ بِالطَّبَّاحِيِّ .
وَنَائِبُهُ بِالكَرْكِ وَالشُّوبُكِ وَمَا أُضِيفَ إِلَى ذَلِكَ الْأَمِيرُ رُكْنُ الدِّينِ يَسْبَرْسُ الدَّوَادَارِ
الْمَنْصُورِيِّ ، صَاحِبُ التَّارِيخِ الْمَعْرُوفِ « بَتَارِيخُ بَيْبَرْسِ الدَّوَادَارِ » . وَصَاحِبُ حِمَاةِ

- (١) هُوَ الَّذِي قَتَلَ الْأَشْرَفَ سَنَةَ ٦٩٣ هـ وَقَتْلُهُ كَتَبْنَا فِي الْيَوْمِ الثَّانِي ، كَمَا سَأَلْنَا ذِكْرَهُ فِي السَّنَةِ
الْمَذْكُورَةِ . (٢) هُوَ الَّذِي وَلِيَ مِصْرَ سَنَةَ ٦٩٦ هـ بَعْدَ كَتَبْنَا ، وَقَتْلُ سَنَةِ ٦٩٨ هـ كَمَا سَأَلْنَا ذِكْرَهُ
فِي هَذَا الْجُزْءِ . (٣) رَاجِعِ الْخَاشِيَةَ رَقْمَ ٣ ص ١٨٧ مِنَ الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .
(٤) سَيَذْكُرُهُ الْمُؤَلَّفُ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٥٧٠٠ هـ .
(٥) سَيَذْكُرُهُ الْمُؤَلَّفُ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٥٧٢٥ هـ .

والمعزة الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور محمد الأيوبي . والذين هم تحت طاعته من الملوك صاحب مكة المشرفة الشريف نجم الدين أبو يحيى محمد بن إدريس بن علي بن قتادة الحسني ، وصاحب اليمن الملك المظفر شمس الدين يوسف ابن عمر ، فهؤلاء الذين أرسل إليهم بالخلع والتقاليد . انتهى .

- ولما رنحت قدم الملك الأشرف هذا في الملك أخذ وأعطى وأمر ونهى ؛
وفرق الأموال وقبض على جماعة من حواشي والده ، وصادرهم على ما يأتي ذكره .
ولما استهلّت سنة تسعين وثمانية أخذ الملك الأشرف في تجهيزه إلى السفر^(١) للبلاد الشامية ، وإتمام ما كان قصده والده من حصار عكا ، وأرسل إلى البلاد الشامية وجمع العساكر وعمل آلات الحصار ، وجمع الصنائع إلى أن تم أمره ،
خرج بعساكره من الديار المصرية في ثالث شهر ربيع الأول من سنة تسعين^(٢) المذكورة ، وسار حتى نازل عكا في يوم الخميس رابع شهر ربيع الآخر ، وبواقفه خامس نيسان^(٣) ، فاجتمع عنده على عكا من الأمم ما لا يحصى كثرة . وكان المطوعة أكثر من الجند ومن في الخدمة . ونصب عليها المجانيق البكار الفرنجية خمسة عشر متجنيقا ، منها ما يرمى بقطار دمشق وأكبر ، ومنها دونه . وأما المجانيق الشيطانية

- ١٥ (١) في الأصلين : « الشريف نجم الدين محمد بن شيعة الحسني » وهو خطأ ، صوابه ما أثبتناه .
(راجع عيون التواريخ ، وجواهر السلوك في الخلفاء والملوك لمحمد بن إبراهيم الجزري ، والنهج السديد) .
(٢) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٤ هـ . (٣) يريد أنه أخذ في التجهيز للسفر للبلاد الشامية الخ . (٤) نيسان : هو الشهر السابع من شهور البربان وهو ثلاثون يوما ،
وابتدأه في اليوم السادس من برمودة من شهور القبط وينتهي في اليوم الخامس من شمس وبواقفه لمبريل من شهور الروم (عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٣٨٢) .
٢٠ (٥) المجانيق جمع متجنيق ، وهو آلة من خشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف وفيه كفة المنجنيق التي يعمل فيها الحجر ، يجذب حتى ترفع أساطله على أعاليه ، ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذي فيه الكفة فيخرج الحجر منه فإصاب شيئا إلا أهلكه (صبح الأعشى ج ٢ ص ١٣٧) .

وغيرها فكثيرة، وتَقَبَّ عِدَّةُ نَقُوبٍ . وأنجَدَ أَهْلَ عَكَّا صَاحِبُ قُبْرُسَ بِنَفْسِهِ وَفِي لَيْلَةٍ قَدُومِهِ عَلَيْهِمْ أَشْعَلُوا نِيرَانًا عَظِيمَةً لَمْ يَرْمُلْهَا فَرَحًا بِهِ ، وَأَقَامَ عِنْدَهُمْ قَرِيبَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، ثُمَّ عَادَ عِنْدَ مَا شَاهَدَ انْحِلَالَ أَمْرِهِمْ وَعِظَمَ مَا دَهَمَهُمْ . وَلَمْ يَزَلِ الْحِصَارُ عَلَيْهَا وَالْجُدُّ فِي أَمْرِ قَاتِلِهَا إِلَى أَنْ انْخَلَّتْ عِزَائِمُ مَنْ بِهَا وَضَعُفَ أَمْرُهُمْ وَاخْتَلَفَتْ كَلِمَتُهُمْ . هَذَا وَالْحِصَارُ عَمَالٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ ، وَأَسْتَشْهِدُ عَلَيْهَا جَمَاعَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

فَلَمَّا كَانَ سَبْعُ يَوْمٍ الْجُمُعَةِ سَابِعِ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى رَكِبَ السُّلْطَانُ وَالْعَسَاكِرُ وَزَحَفُوا عَلَيْهَا قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، وَضَرَبُوا الْكُوسَاتِ فَكَانَ لَهَا أَصْوَاتٌ مَهُولَةٌ وَحِشٌّ عَظِيمٌ مُزْجِعٌ ، فَحَالَ مِلَاصَقَةُ الْعَسْكَرِ لَهَا وَلِلْأَسْوَارِ هَرَبُ الْفَرَنْجِ وَمَلَكَتِ الْمَدِينَةَ بِالسَّيْفِ ، وَلَمْ تَمِضْ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ الْمَذْكُورِ إِلَّا وَقَدْ آسَتُوا الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهَا وَدَخَلُوهَا ؛ وَطَلَبَ الْفَرَنْجُ الْبَحْرَ فَتَبِعَتْهُمْ الْعَسَاكِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ تَقْتُلُ وَتَأْسِرُ فَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ ؛ وَنُيِّبَ مَا وَجَدَ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالذَّخَائِرِ وَالسَّلَاحِ وَعَمِلَ الْأَسْرُ وَالْقَتْلُ فِي جَمِيعِ أَهْلِهَا ، وَعَصَى الدِّيَوِيَّةُ وَالْإِسْبِتَارُ ^(٣) وَأَسْتَرِ الْأَرْمَنُ فِي أَرْبَعَةِ أَبْرَاجٍ شَوَاقِقَ فِي وَسْطِ الْبَلَدِ فَخَصِرُوا فِيهَا .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ السَّبْتِ ثَامِنِ عَشَرَ الشَّهْرِ ، وَهُوَ ثَانِي يَوْمِ فَتْحِ الْمَدِينَةِ ، قَصَدَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجُنْدِ وَغَيْرِهِمُ الدَّارَ وَالْبَرْجَ الَّذِي فِيهِ الدِّيَوِيَّةُ فَطَلَبُوا الْأَمَانَ فَأَقْنَمَهُمُ السُّلْطَانُ وَسَيَّرَهُمْ صَنْجَقًا ، فَأَخَذُوهُ وَوَقَعُوهُ عَلَى بُرْجِهِمْ وَفَتَحُوا الْبَابَ ، فَطَلَعَ إِلَيْهِمْ جَمَاعَةٌ

(١) فِي عِيُونِ التَّوَارِيخِ وَجَوَاهِرِ السُّلُوكِ : « وَأَمَّا عَكَّا فَانْهَمَ نَصَبُوا عَلَيْهَا اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنْجَنِيقًا مَا بَيْنَ أَفْرَنْجِيَّةٍ وَشَيْطَانِيَّةٍ . وَفِي السُّلُوكِ لِلْقُرَيْزِيِّ : « وَعَدَّتْهَا اثْنَانِ وَتَسْعُونَ مِنْجَنِيقًا » .

(٢) رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٢ ص ٣٢٨ مِنَ الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .

(٣) رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٣ ص ٣٣ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ ، وَالْحَاشِيَةَ رَقْمَ ١ ص ٣١٦ مِنَ الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ . (٤) رَاجِعِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ٢ ص ٣٣ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .

(٥) فِي الْأَصْلَيْنِ : « تَاسِعِ عَشَرَ » . وَمَا أَتَيْنَاهُ عَنْمَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ لِلزُّوْلَفِ قَرِيبًا وَالتَّوْفِيقَاتِ الْإِلَهَامِيَّةِ .

- كثيرة من الجند وغيرهم، فلما صاروا عندهم تعرض بعض الجند والعوام للنهب، ومدوا أيديهم إلى من عندهم من النساء والأصاغر، ففلق الفرنج الأبواب ووضعوا فيهم السيف، فقتلوا جماعة من المسلمين، ورموا الصنجق وتمسكوا بالعصيان وعاد الحصار عليهم. وفي اليوم المذكور نزل من كان يبرج الإسبتار الأرمن بالأمان فاقنهم السلطان على أنفسهم وحريمهم على يد الأمير زين الدين كُتُبغا المنصوري، وتم القتال على برج الديوية ومن عنده إلى يوم الأحد التاسع عشر من جمادى الأولى طلب الديوية ومن بقي في الأبراج الأمان، فاقنهم السلطان على أنفسهم وحريمهم على أن يتوجهوا حيث شاءوا. فلما خرجوا قتلوا منهم فوق الألفين وأسروا مثلهم، وساقوا إلى باب الدهليز النساء والصبيان، وكان من جملة حتى السلطان عليهم مع ما صدر منهم أن الأمير أقبغا المنصوري أحد أمراء الشام كان طلع إليهم في جملة من طلع فامسكوه وقتلوه، وعزقبوا ما عندهم من الخيول، وأذهبوا ما أمكنهم إذهابه؛ فتراد الحق عليهم. وأخذ الجند وغيرهم من السبي والمكاسب ما لا يحصى.
- ولما علم من بقي منهم ما جرى على إخوانهم تمسكوا بالعصيان، وأمتنعوا من قبول الأمان وقاتلوا أشد قتال، وأختطفوا خمسة نفر من المسلمين ورموهم من أعلى البرج فسلم منهم نفر واحد ومات الأربعة. ثم في يوم الثلاثاء ثامن عشرين جمادى المذكورة أخذ البرج الذي تأخر بعبكا، وأنزل من فيه بالأمان، وكان قد غلق من سائر جهاته. فلما نزلوا منه وحولوا معظم ما فيه سقط على جماعة من المسلمين المتفرجين ومن قصد النهب فهلكوا عن آحرم. ثم بعد ذلك عزل السلطان النساء والصبيان

(١) في الأصلين: «التاسع والعشرين». ونصحيحه عما تقدم ذكره قريبا.

(٢) في الأصلين: «طلب الديوية الأمان ومن بقي من الأبراج الأمان».

(٣) في الأصلين: «ثامن عشر». ونصحيحه عما تقدم ذكره للؤلؤ.

ناحيةً وضربَ رِقَابَ الرجال أجمعين وكانوا خلائق كثيرة . والعجبُ أن الله سبحانه وتعالى قدَّرَ فَتَحَ عَكَا في مثل اليوم الذي أخذها الفرنج فيه ، ومثل الساعة التي أخذوها فيها ، فإنَّ الفرنج كانوا استولوا على عَكَا في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة [سنة سبع وثمانين وخمسمائة] في الساعة الثالثة من النهار ، وأمنوا مَنْ كان بها من المسلمين ثم قتلوهمْ غَدْرًا ، وقدَّرَ الله تعالى أن المسلمين استرجعوها منهم في هذه المدة يوم الجمعة في الساعة الثالثة من النهار ، ووافق السابِعَ عشرَ من جُمادى الأولى ، وأمنهم السلطان ثم قتلهم كما فعل الفرنج بالمسلمين ، فأنتقم الله تعالى من عاقبتهم .

وكان السلطان عند منازلته عَكَا قد جهَّز جماعة من الجند مقدَّمهم الأمير علم الدين سَنَجَر الصَّوَابِي الجاشنكير إلى صُور لحفظ الطُّرُق وتعزف الأخبار ، وأمره بمضايقة صُور . فبينما هو في ذلك لم يشعر إلا بمراكب المنهزمين من عَكَا قد وافت الميناء التي لصُور ، فخال بينها وبين الميناء ؛ فطأَب أهل صُور الأمان فأمنهم على أنفسهم وأموالهم ويُسمَّوا صُور فأجبيوا إلى ذلك ، فتسلَّمتها . وصُور من أجل الأماكن ومن الحصون المنيعة ، ولم يفتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيُّوب فيما فَتَحَ من الساحل ، بل كان صلاح الدين كما فتح مكانا وأمنهم وصلَّهم إلى صُور هذه الحصانتها ومنعتُها ، فالق الله تعالى في قلوب أهلها الرُّعْبَ حتَّى سلَّموها من غير قتال ولا مُنازلة ، ولا كان الملك الأشرف في نفسه شيء من أمرها البتة . وعند ما تسلَّمتها جهَّز إليها من أحرِبها وهدم أسرارها وأبنيتها ، وثقل من رُخاها وأقاضها شيء كثير . ولما تيسر أخذ صُور على هذه الصورة قَوَّى عزمُ الملك

(١) في الأصلين : « سابع عشرين » . وتصحيحه عن جواهر السلوك وتاريخ سلاطين المماليك

والتوقيعات الإلhamية . (٢) زيادة عن تاريخ سلاطين المماليك وجواهر السلوك .

(٣) في الأصلين : « السابِعَ والعشرين » . والتصحيح عن المصادر المتقدمة .

- الأشرف على أخذ غيرها . ولما كان الملك الأشرف محاصراً عكا استدعى الأمير حسام الدين لاجين المنصوري نائب الشام ، وهو الذي تسلطن بعد ذلك حسب ما يأتي ذكره ، والأمير ركن الدين بيبرس المعروف بطقصو في ليلة الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى إلى الخيم وأمسكهما وقيدهما ، وجهزهما في بكرة نهار الاثنين إلى قلعة صفد ، ومنها إلى قلعة الجبل . وكان تقدم قبل ذلك بستة أيام مسك الأمير سنجر المعروف بأبي نخرص وجهزه إلى الديار المصرية محتاطاً عليه . ثم استقر الملك الأشرف بالأمير علم الدين سنجر الشجاعى المنصوري في نيابة الشام عوضاً عن الأمير لاجين المذكور . وعند ما أمسك الأشرف هذين الأميرين الكبيرين حصل للناس قلق شديد وخشوا من حدوث أمر يكون سبباً لتنفيس الخناق عن أهل عكا ، فكفى الله تعالى ذلك .
- ثم أمسك الأشرف الأمير علم الدين أيدغدغى الإلدكرى^(٢) نائب صفد وما معها لأمر^(٣) ١٠ تقمه عليه وصادره ، وجعل مكانه الأمير علاء الدين أيدكين الصالحى العمادى ، وأضاف إليه مع ولاية صفد عكا وما استجد من الفتوحات الأشرفية . ثم لما فرغ^(٤) الأشرف من مصادرة أيدكين المذكور ولآه برصفد عوضاً عن علم الدين سنجر الصوابى . ثم استدعى الملك الأشرف الأمير بيبرس الدوادار المنصوري الخطائى^(٥) ١٥ المؤرخ نائب الكرك وعزله ، وولى عوضه الأمير آقوش الأشرفى . ثم رحل الملك الأشرف عن عكا في بكرة نهار الاثنين خامس جمادى الآخرة ، ودخل دمشق يوم الاثنين ثانى

(١) سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٦٩٣ هـ . (٢) في الأصل الآثر: « علاء الدين » .

(٣) هو أيدكين بن عبد الله الصالحى العمادى الأمير علاء الدين . استنابه الملك الأشرف على صفد ومات بها سنة ٦٩٠ هـ . (عن المنهل الصافى وتاريخ الاسلام وجواهر السلوك) .

(٤) هذه العبارة تخالف ما ذكره أن الأشرف خليلاً قبض على علم الدين أيدغدغى وولى مكانه أيدكين هذا .

(٥) هو آقوش بن عبد الله الأشرفى الأمير جمال الدين نائب الكرك . أمه من ممالك الملك

الأشرف خليل بن قلاوون . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٣٦ هـ .

عشره بعد أن زينت له دمشق غاية الزينة، وعملت القباب بالشوارع من قريب المصلى^(١) إلى الباب الجديد، وحصل من الاحتفال لقدمه ما لا يوصف، ودخل وبين يديه الأسرى من الفرنج تحتهم الخيول وفي أرجلهم القيود، ومنهم الحامل من سناجق الفرنج المنكسة، وفيهم من حمل رُحماً عليه من رؤوس قتلى الفرنج؛ فكان لقدمه يوم عظيم. وأقام الأشرف بدمشق إلى فجر نهار الأربعاء تاسع عشر شهر رجب. وعاد إلى الديار المصرية فدخلها يوم الاثنين تاسع شعبان؛ فأحتفل أيضا أهل مصر لملاقاته احتفالا عظيما أضعاف احتفال أهل دمشق، وعند دخوله إلى مصر أطلق رُسل صاحب عكا الذين كانوا معوقين بالقاهرة. ثم إن الأمير علم الدين سنجر الشجاعى نائب الشام فتح صيدا بعد حصار كبير بالأمان في يوم السبت خامس عشر شهر رجب. ولما أخذت هذه البلاد في هذه السنة أمر السلطان أن تُحزَّب قلعة جبيل وأسوارها بحيث يليقها بالأرض فخربت أصلا؛ ثم أخذت عثيث^(٢) بعد شهر.

وأما أهل أنطوطوس لما بلغهم أخذ هذه القلاع عزموا على الهرب، فجزد الأمير سيف الدين بلبان الطبايحى عسكريا، فلما أحاطوا بها ليلة الخميس خامس شعبان

١٥ (١) المراد بالمصلى: مصلى العيد بدمشق. (٢) الباب الجديد، هو الآن (القرن التاسع الهجرى) خاص بالقلعة، وهو الذى أحدثه الأتراك في دولتهم ثم صحفته العوام بالهديد (عن نزعة الأنام في محاسن الشام ص ٢٧٠). (٣) عثيث، كانت ميناء على ساحل فلسطين بين حيفا ووطنطورة. وشهرة عثيث في التاريخ القديم ترجع لعهد الحروب الصليبية. ففي سنة ٥٨٣ هـ = ١١٨٧ م سقطت في يد صلاح الدين. وفي سنة ٦٩٠ هـ = ١٢٩١ م فتحها الأشرف خليل بن قلاوون. وفي سنة ٨٠٣ هـ = ١٤٠٠ م كانت كورة ذات قرى متسعة في آخر حدود المملكة الصغدية. وهى الآن محلة لما تبقى فلاح يسكنونها ويعملون في معامل الملح فيها.

(انظر ياقوت وصبح الأعشى ومختصره وجغرافية فلسطين الحديثة لحسين روى).

ركبوا البحر وهرّبوا إلى جزيرة أرواد^(١) ، وهى بالقرب منها ، فندب إليها السعديّ بما كان أحضره من المراكب والشوانى فأخّلوها . وكان فتح هذه المدن الست في ستة شهور .

- ثم رسم الملك الأشرف بالقبض على الأمير علم الدين سنجر الدوادار ؛ فقبض عليه في شهر رمضان ، وجُهِزَ إلى الديار المصرية بعد أن أُحيط على جميع موجوده ، ثم أفرج الملك الأشرف على جماعة من الأمراء ممن كان قبض عليهم وحبسهم . وهم : الأمير لاجين المنصوريّ الذى تسلطن بعد ذلك ، وبيبرس طَقْصُو الناصريّ ، وسُنْقُرُ الأشقر الصالحى ، وبدر الدين بَيْسَرى الشمسى ، وسُنْقُرُ الطويل المنصوريّ ، وبدر الدين خضر بن جودى القيمريّ . وفي شهر رمضان سنة تسعين وستمائة المذكورة أنعم السلطان الملك الأشرف على علم الدين سنجر المنصوريّ .
- المعروف بأرجواش خُبْزاً وخَلَعَ عليه وأُعيد إلى ولاية قلعة دمشق . ثم طلب الملك الأشرف قاضى القُدس بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة إلى الديار المصرية وولاه قضاءها بعد عزل قاضى القضاة تقي الدين ابن بنت الأعز . وأستمر الملك الأشرف بالديار المصرية إلى أن تجهز وخرج منها قاصداً البلاد الشامية في يوم السبت ثامن شهر ربيع الآخر من سنة إحدى وتسعين وستمائة ، وسار حتى دخل دِمَشْقَ في يوم السبت سادس جمادى الأولى . وفي ثامن جمادى الأولى أحضر السلطان الأموال وأنفق في جميع العساكر المصرية والشامية . ووصل الملك المظفر تقي الدين صاحب

(١) جزيرة أرواد جزيرة صغيرة في الجهة الشمالية من طرابلس الشام على بعد خمسين كيلو مترا وفي الجنوب الغربي من أنطربطوس ، على بعد ثلاثة كيلو مترات . طولها ٨٠٠ متر وعرضها ٥٠٠ متر ، وفيها ٨١٠ بيت يسكنها ٤٠٥٣ نسمة تقريباً معظمهم مسلمون ، يمتنون الملاحة واستخراج الاسفنج من البحر .

(٢) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٧٣٣ . (٣) هو تقي الدين عبد الرحمن ابن تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٦٩٥ .

حمّة لتلقى الملك الأشرف فالتقاءه فزاد السلطان في إكرامه ، وأستعرض الجيوش عليه
وأمر بتسفيرهم فقام الملك المظفر المذكور . ثم توجه الملك الأشرف من دمشق
بجميع العساكر فاصداً حلب ، فوصلها في ثامن عشرين جمادى الأولى ، ثم خرج منها
ونزل على قلعة الروم بعساكره وحاصرها إلى أن آفتحتها بالسيف عنوة في يوم السبت
٥ حادى عشر شهر رجب ، وكتب البشائر إلى الأقطار بأخذها . ثم عاد السلطان إلى
دمشق وترك بقلعة الروم الشجاعى وعساكر الشام ليعمروا ما آتهدم منها في الحصار .
وكان دخول السلطان إلى دمشق في يوم الثلاثاء ، تاسع عشر شعبان بعد أن عزل
الأمير قرا سنقر المنصورى عن نيابة حلب بالأمير بدبان الطباخى ، وولى عوضاً عن
الطباخى فى الفتوحات طغريل الإيغانى . ولما كان السلطان بدمشق عمل عسكره
١٠ التوروز كعادتهم بالديار المصرية ، وعظم ذلك على أهل دمشق لعدم عادتهم بذلك .
وفى يوم الجمعة ثامن عشرين شهر رمضان قبض السلطان على الأمير شمس الدين
سنقر الأشقر ، وعلى الأمير ركن الدين طقّصو ، وهرب الأمير حسام الدين لاجين
المنصورى ونادوا عليه بدمشق : من أحضره فله ألف دينار ، ومن أخفاه شق .
ثم ركب الملك الأشرف ومعايكة فى طلب لاجين المذكور ، وأصبح يوم العيد
١٥ والسلطان فى البرية مهجج ، وكانوا يعملوا السباط بكارى العادة فى الأعياد ، وأطلعوا
المنبر إلى الميدان الأخضر وطلع الخطيب موفق الدين فصلى فى الميدان بالعوام ،
وعاد السلطان بعد صلاة العصر إلى دمشق ، ولم يقع لاجين على خبر . ثم سار الملك
الأشرف طقّصو وسنقر الأشقر تحت الحوطة إلى الديار المصرية . وأما لاجين
فإن العرب أمسكوه وأحضروه إلى الملك الأشرف فأرسله الملك الأشرف مقيداً

٢٠ (١) هو موفق الدين محمد ابن عز الدين محمد بن عبد المعى بن جيش بن أبى المكارم الفضل (عن

إلى مصر . وفي سادس شوال وتى السلطان الأمير عز الدين أيك الحموي نيابة دمشق عوضاً عن الشجاعي .

- ثم خرج الأشرف من دمشق قاصداً الديار المصرية في ليلة الثلاثاء عاشر شوال ، وكان قد رسم الأشرف لأهل الأسواق بدمشق وظاهرها أن كل صاحب حانوت يأخذ بيده شمعاً ويخرج إلى ظاهر البلد ، وعند ركوب السلطان يشعلها ؛ فبات أكثر أهل البلد بظاهر دمشق لأجل [الوقدوا] القرعة ^(١) ! فلما كان الثلث الأخير من الليل ركب السلطان وأشعلت الناس الشموع ، فكان أول الشمع من باب النصر وآخر الوقيد عند مسجد القدم ^(٢) ، لأن وإلى دمشق كان قد رتبهم من أول الليل ، فكانت ليلة عظيمة لم ير مثلها . وسافر السلطان حتى دخل الديار المصرية يوم الأربعاء ثاني ذى القعدة من باب النصر وخرج من باب زويلة ، واحتفل أهل مصر لدخوله احتفالاً عظيماً ، وكان يوم دخوله يوماً مشهوداً . ولما أن طلع السلطان إلى قلعة الجبل أنعم على الأمير قرا سنقر المنصوري المعزول عن نيابة حلب بإمرة مائة فارس بديار مصر . ثم أفرج عن الأمير حسام الدين لاجين المنصوري وأعطاه أيضاً خمسمائة فارس بديار مصر ، وسببه أن السلطان عاقب سنقر الأشقر وركن الدين طقصو فاعترفوا أنهم كانوا يريدون قتله ، وأن لاجين لم يكن معهم ولا كان له اطلاع على الباطن فخنقهم وأفرج عن لاجين بعد ما كان وضع الوتر في حلقه لخنقه ، فضمته خشداه الأمير بدر الدين بيسدرا المنصوري نائب السلطان ، وعلم الدين سنجر الشجاعي وغيرهما .

(١) زيادة عن جواهر السلوك .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٢٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

قلت وُسُتَقَرَّ الأشقر هو الذي كان تسلطن بدمشق في أوائل سلطنة الملك المنصور قلاوون، ووقع له معه تلك الأمور المذكورة في عدة أماكن . وأما لاجين هذا فهو الذي تسلطن بعد ذلك وتلقب بالملك المنصور حسب ما يأتي ذكره . وكلنا ذكرنا من حيثئذ لاجين فهو المنصور ولا حاجة للتعريف به بعد ذلك . ثم إنهم أخرجوا الأمراء المخنقين وسأموهم إلى أهاليهم ، وكان السلطان خنق معهما ثلاثة أمراء أخرجوا جميع ودُفِنُوا ؛ ثم غزى السلطان جماعة أخرى ، وقيل إن ذلك كان في مستهل سنة اثنتين وتسعين وستائة . واستمر السلطان بمصر إلى أن تجهز وخرج منها إلى الشام في جمادى الأولى من سنة اثنتين وتسعين وستائة المذكورة ، وسار حتى دخل دمشق في يوم الأحد تاسع جمادى الآخرة ؛ ونزل بالقصر الأَبَاق من الميدان الأخضر .^(١)

ولما استقر ركابه بدمشق شرع في تجهيز العساكر إلى بلاد سِيس والغارة عليها ، فوصل رُسل صاحب سِيس بطلب الصلح ورضا السلطان عليه ، ومهما طلب منه من القلاع والمال أعطاه وشفّع الأمراء في صاحب سِيس ، وأتفق الحال على أن يتسلم نواب السلطان من صاحب سِيس ثلاث قلاع ، وهى : بهسنا ومرعش وتل حمدون ففرح الناس بذلك ، لأنه كان على المسلمين من بهسنا^(٢) ومرعش^(٣) وتل حمدون^(٤) ففرح الناس بذلك ، لأنه كان على المسلمين من بهسنا^(٥)

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٧٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٣٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) بهسنا : قلعة في شمالى حلب على نحو أربع مراحل منها . قال في تقويم البلدان : هى قلعة حصينة مرتفعة لا ترام حصانة . ثم قال : وهى بلدة واسعة كثيرة الخير والخصب وهى فى الغرب والشمال من عنتاب ، وبينهما مسيرة يومين ، وبينها وبين سِيس نحو ستة أيام (عن صبح الأعشى رابع ص ١٢١) . (٤) مرعش : مدينة فى النغور بين الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق فى وسطها حصن عليه سور يعرف بالمروانى ، بناء مروان بن محمد الشهير بمروان الحمار . (عن معجم البلدان لياقوت) . (٥) تل حمدون : قلعة حصينة ببلاد الأرمن لها سور جيد حصة البناء ، وهى على تل عال ولما رُبض وبساتين ونهر يجرى عليها ، وهى على القرب من جيجان على بعض مرحلة فى جهة الجنوب عنه ، وبين تل حمدون وبين سِيس نحو مرحلتين . (عن تقويم البلدان لأبى الفدا إسماعيل وراجع صبح الأعشى ج ٤ ص ١٣٦) .

- أدّى عظيم . وأقام السلطان بدمشق إلى مستهل شهر رجب توجه منها، وصحبته
عسكر الشام والأمراء وبعض عساكر مصر . وأما الضعفاء من عسكر مصر فأعطاهم
السلطان دستورا بعودتهم إلى الديار المصرية . وسار السلطان حتى وصل إلى
خِمْص، ثم توجه منها إلى سَئِية مظهرًا أنه متوجه إلى ضيافة الأمير حُسام الدين
مُهَنَّا بن عيسى بن مُهَنَّا أمير آل فضل ، وكان خروج السلطان من دِمَشق في ثاني
شهر رجب، فلما كان بكرة يوم الأحد سابع شهر رجب وصل الأمير لاجين وصحبته
مُهَنَّا إلى دِمَشق وهو مقبوض عليه ، أمسكه السلطان لما آتقت الضيافة وولى
غَوْضَه شخصًا من أولاد عمه، وهو الأمير محمد بن علي بن حُدَيْقَة . وفي بقية النهار وصل
السلطان إلى دِمَشق، ورسم للأمير بَيْدَرًا أن يأخذ بقية العساكر ويتوجه إلى مصر،
وأن يركب تحت الصناجق عَوْضَ السلطان وبقي السلطان مع خواصه بدمشق
بعدهم ثلاثة أيام، ثم خرج من دِمَشق [في يوم السبت ثالث عشر رجب] وعاد إلى
جهة الديار المصرية في العَشر الأخير من شهر رجب من سنة آئنتين وتسعين وستمائة؛
ثم إن السلطان أمر الأمير عز الدين أَيْبَك الحَمَوِيّ الأفرم أمير جَانْدَار نائب الشام
أن يسافر إلى الشوبك ويحزب قلعته، فكلمه الأفرم في بقائها فأتتهه ، وسافر من
يومه، وتوجه الأفرم إلى الشوبك وأخربها غير القلعة . وكان ذلك غاية ما يكون
من الخطأ وسوء التدبير ، وكان أخرب قبل ذلك أيضًا عِدَّة أما كن بقلعة الجبل،

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٩ من الجزء الثاني من هذه الطبعة . (٢) زيادة عن
جواهر السلوك ، وتاريخ الدول والملوك ، وتاريخ سلاطين المماليك . (٣) أمير جاندار ؛
مركب من جان (أي روح ونفس) ومن دار (أي جارس وحافظ) . والمتولى إمرة جاندار يستأذن على
دخول الأمراء للخدمة ويدخل أمامهم إلى الديوان (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٠ والألفاظ الفارسية
المصرية) .

وبقلعة دِمَشْقَ أيضاً أنْخَرِبَ عِدَّةَ قاعات ومباني هائلة . وأما قِلاع السواحل فأخرب غالبها، وكان يقصد ذلك لمعنى يَحْطُرُ بباله .

ثم في العشرين من ذى الحجة نَصَبَ السلطان ظاهر القاهرة خارج باب النصر القَبْقَ ، وصفا ذلك أن يُنْصَبَ صارٍ طويلٌ وَيُعْمَلُ على رأسه قرعةٌ من ذَهَبٍ أو فضةٍ وَيُجْعَلُ في القرعة طَيْرٌ حَمَامٌ ، ثم يَأْتِي الرامي بالنشاب وهو سائقٌ فرسه ويرمي عليه ، فَنَ أَصَابَ القرعة وطير الحمام خُلِيعَ عليه خلعة تليق به ، ثم يأخذ القرعة . وكان ذلك بسبب طهور أُنحى الملك الأشرف ؛ وهو الملك الناصر محمد بن قلاوون . وطهور ابن أخيه الأمير مظفر الدين موسى ابن الملك الصالح علاء الدين على بن قلاوون ، فأحتفل السلطان لطهورهما وعَمِلَ مُهِمًّا عَظِيمًا . وكان الطهور في يوم الاثنين تانى عشرين ذى الحجة . وعندما طهروهم رَمَوْا الأمراء الذهب لأجل النقوط ؛ فإن كان الأمير أميراً مائة فارس رَمَى مائة دينار ، وإن كان أميراً خمسين فارساً رَمَى خمسين ديناراً، وقِسْ على ذلك سائر الأمراء ؛ ورَمَى حتى مُقْتَمُوا الحلقة والأجناد ، جُمِعَ من ذلك شئ كثير ؛ وهو آخر فرح عَمَلِهِ الأشرف هذا .

ثم بعد قَرَاغِ المهْمِ بِمَدَّةِ يسيرة ، نزل السلطان الملك الأشرف المذكور من قلعة الجبل متوجهاً إلى الصَّيْدِ في تانى المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة وُحْبِبَتْه وزيره صاحب شمس الدين بن السَّلُوسِ ، ونائب سلطنته الأمير بدر الدين بَيْدَرًا وجميع الأمراء ، فلما وصل إلى الطَّرَانَةِ فارقه وزيره ابن السَّلُوسِ المذكور وتوجه إلى الإسكندرية .

(١) الطرانة ، هى من البلاد المصرية القديمة ، اسمها المصرى : « طرنوت » والرومى « طرنوتيس » .
وسماها العرب : « الطرانة » . وهى اليوم قرية صغيرة واقعة على الشاطئ الغربى لفرع النيل الغربى (فرج رشيد) ضمن قرى مركز كوم حمادة بمديرية البحيرة جنوبى محطة كفر داود وعلى بعد ثلاثة كيلو مترات منها .

- وأما السلطان فإنه نزل بالحمات لأجل الصيد^(١)، وأقام إلى يوم السبت ثاني عشر المحرم . فلما كان قرب العصر وهو بارض تروجة حضر إليه الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة ومعه جماعة كثيرة من الأمراء ؛ وكان السلطان بكرة النهار قد أمره أن يأخذ المسكر والدهليز ويمشي عوضه تحت الصناجق وأن يتقدمه ، ويتقى السلطان يتصيد وحده بقية يومه ويعود العشية إلى الدهليز، فتوجه بيدرا على ذلك ؛
- وأخذ السلطان الملك الأشرف يتصيد ومعه شخص واحد يقال له شهاب الدين [أحمد بن] الأشل أمير شكار^(٢) وبينما السلطان في ذلك أتاه هؤلاء : بيدرا ورفقته ، فانكر السلطان مجيئهم ، وكان في وسط السلطان بند حرير وليس معه بمجة لأجل الصيد ، وكان أول من أبدره الأمير بيدرا فضربه بالسيف ضربة قطع بها يده مع كتفه ، فغاء الأمير حسام الدين لاجين ، وهو الذي تسلم بعد ذلك بمدة ، وقال لبيدرا : يا نحس ! من يريد ملك مصر والشام تكون هذه ضربته ! ثم ضربه على كتفه فخأها ، ووقع السلطان على الأرض ، فغاء بعدهما الأمير بهادر رأس توبة^(٣) ، وأخذ السيف وحده في دبره وأطلقه من حلقه ، وبقي يحيى واحد من الأمراء بعد
- (١) الحامات ، ذكر ابن إياس في كتابه تاريخ مصر (ص ١٢٦ ج ١) : أن الملك الأشرف حليلا خرج من القاهرة في ثالث المحرم سنة ٦٩٣ هـ وتوجه إلى جهة البحيرة للتنزه فلما وصل هناك ضرب خياله في مكان يعرف بالحمات وهو غربي تروجة فأقام هناك سبعة .
- (٢) وأقول : إن هذا المكان لا يزال يعرف إلى اليوم باسم كوم الحمام ويقع غربي كوم تروجة على بعد أربع كيلومترات منه بأراضى ناحية زاوية صقر بمركز أبي المطاير بمديرية البحيرة .
- (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .
- (٤) نكتة عن تاريخ سلاطين المماليك ص ٢٥ ، وما سيذكره المؤلف في هذه الترجمة بعد قليل .
- (٥) راجع الحاشية رقم ٥ ص ١٨٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
- (٦) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
- (٧) رأس توبة ، وظن من وظائف أرباب السيوف في الدولة الأيوبية وما بعدها ، وموضوعها الحكم على المماليك السلطانية والأخذ على أيديهم ، وقد جرت العادة أن يكونوا أربعة أمراء : واحد مقدم ألف ، وثلاثة طبلخاناه (من صبح الأعشى ج ٤ ص ١٨) .

واحد وَيُظْهِرُونَ مَا فِي أَنْفُسِهِمْ مِنْهُ : ثُمَّ تَرَكَوه فِي مَكَانِهِ وَأَنْضَمُوا عَلَى الْأَمِيرِ بَيْدَرًا
وَحَلَفُوا لَهُ ، وَأَخَذُوهُ تَحْتَ الصَّنَاجِقِ وَرَكَبُوا سَائِرِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ طَالِبِينَ الْقَاهِرَةَ .
وَقِيلَ فِي قَتْلِهِ وَجْهُ آخَرٍ .

قال القُطْبُ الْيُونَنِيُّ : « وَمَا حَكَى لِي الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بْنِ الْحَفَّادِ :
كَيْفَ كَانَ قَتْلُ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ خَلِيلٍ ؟ قال : سألت الأمير شهاب الدين
أحمد بن الأَشَلَّ أمير شِكَارِ السُّلْطَانِ ، كَيْفَ كَانَ قَتْلُ السُّلْطَانِ الْأَشْرَفِ ؟ فقال [أَبْنُ]
الْأَشَلَّ : بعد رحيل الدَّهْلِيزِ (يعني مدورة السُّلْطَانِ والعساكر) جاء إِلَيْهِ الْخَبْرُ أَنَّ
بَرْوَجَةَ طَيَّرًا كَثِيرًا ، فقال السُّلْطَانُ : إِمِشْ بِنَا حَتَّى نَسِيَقَ الْخَاصِيكَةَ ^(١) ، فَرَكَبْنَا
وَسِرْنَا ، فَأَرَيْنَا طَيَّرًا كَثِيرًا فرماه السُّلْطَانُ بِالْبُنْدُقِ ، فأصرع شَيْئًا كَثِيرًا ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَتْهُ
إِلَى وقال : أَنَا جِيعَانٌ ، فَهَلْ مَعَكَ شَيْءٌ تُطْعَمُنِي ؟ فقلت : والله مَا مَعِيَ سِوَى
فَرْوَجَةٍ وَرَغِيفِ خُبْزٍ ، قَدْ آذَنْتُهُ لِنَفْسِي فِي صَوْلَتِي ^(٢) ، فقال لِي : نَاوِلْنِي إِيَّاهُ ، فَأَخَذَهُ
وَأَكَلَهُ جَمِيعَهُ ، ثُمَّ قَالَ لِي : أَمِسْ لِي فَرَسِي حَتَّى أَنْزِلَ وَأُرِيقَ الْمَاءَ ، فقلت له :
مَا فِيهَا حِيلَةٌ ! أَنْتَ رَاكِبٌ حِصَانًا وَأَنَا رَاكِبٌ حِجْرَةً وَمَا يَنْتَفِقُوا ، فقال لِي : أَنْزِلْ
أَنْتَ وَأَرْكَبْ خَلْفِي وَأَرْكَبُ أَنَا الْحِجْرَةَ الَّتِي لَكَ ، وَالْحِجْرَةَ مَعَ الْحِصَانِ تَقِفْ ، قَالَ :
فَنَزَلْتُ وَنَاوَلْتُهُ بِلَحَامِ الْحِجْرَةِ ، ثُمَّ إِنِّي رَكِبْتُ خَلْفَهُ ، ثُمَّ إِنَّ السُّلْطَانَ نَزَلَ وَقَعَدَ يُرِيقُ
الْمَاءَ ، وَشَرَعَ يُؤَلِّغُ بِذِكْرِهِ وَيُمَازِحُنِي ، ثُمَّ قَامَ وَرَكِبَ حِصَانَهُ وَمَسَّكَ لِي الْحِجْرَةَ ،
ثُمَّ إِنِّي رَكِبْتُ . فَبَيْنَمَا أَنَا وَإِيَّاهُ تَتَحَدَّثُ وَإِذَا بُعْبَارٌ عَظِيمٌ قَدْ نَارَ وَهُوَ قَاصِدٌ نَحْوَنَا ،
فَقَالَ لِي السُّلْطَانُ : سُبْحٌ وَآكِشَفٌ لِي خَبَرُ هَذَا الْبُعْبَارِ ، قَالَ : فَسَقْتُ ، وَإِذَا الْأَمِيرُ

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٧٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٢) يريد جوعان ، وصف من الجوع . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٧٨ من الجزء السابع

من هذه الطبعة . (٤) يريد بها الأثني من الخيل . وفي لسان العرب : « الجمر الفرس الأثني

لم يدخلوا فيه الماء ، لأنه أسم لا يشركها فيه المذكور » .

يدير الدين بيدرًا والأمراء معه ، فسألته عن سبب مجيئهم فلم يردوا على جواباً ولا ألتفتوا إلى كلامي ، وساقوا على حالهم حتى قربوا من السلطان ، فكان أول من أبتدره بيدرًا بالضربة قطع بها يده وتمم الباقي قتله . انتهى .

- وأما أمر بيدرًا فإنه لما قتل السلطان بايع الأمراء بيدرًا بالسلطنة ولقبوه بالملك الأوحده وبات تلك الليلة ، فإن قتل الأشرف كان بين الظهر والعصر .
- وأصبح ثاني يومه سار بيدرًا بالعساكر إلى نحو الديار المصرية ، وبينما بيدرًا سائر يعساكره وإذا بقبار عظيم قد علا وملا الجوّ وقرب منه ، وإذا بطُلب عظيم فيه نحو ألف وخمسمائة فارس من الخاصية الأشرفية ، ومعهم الأمير زين الدين كتبغا ، وهو الذي تسلطن بعد ذلك بمدة على ما يأتي ذكره . والأمير حسام الدين الأستادار طالين بيسدرا بدم أستاذهم السلطان الملك الأشرف خليل المذكور وأخذ الثأر منه ومن أصحابه . وكان ذلك بالطرانة في يوم الأحد أول النهار ، فإكان غير ساعة إلا وألتقوا ، وكان بيدرًا لما رآهم صف من معه من أصحابه للقتال ، فصدموه الأشرفية صدمة صادقة وحملوا عليه حملة واحدة فزقوا شمله ، وهرب أكثر من كان معه ، فحينئذ أحاطوا ببيدرًا وقبضوا عليه وحزوا رأسه ، وقيل : إنهم قطعوا يده قبل أن يحزوا رأسه ، كما قطعت يد أستاذهم الملك الأشرف بضربة السيف ، ولما حزوا رأسه حملوه على رُح وسيروه إلى القاهرة ، فطافوا به ثم عادوا نحو القاهرة حتى وصلوا برالجيزة ، فلم يمتكنهم الأمير علم الدين سنجر الشجاعى من التعديّة إلى بر مصر ، لأن السلطان الملك الأشرف كان قد تركه في القلعة عند سفره نائب السلطنة بها ، فلم يلتفتوا إليه وأرادوا التعديّة ، فأمر الشجاعى المراكب والشوانى فعدت إلى بر القاهرة ، وبقى العسكر والأمراء على جانب البحر مقيمين حتى مشى بينهم الرُّسل على أن يمتكنهم الشجاعى من العبور حتى يقيموا عيوض السلطان أخاه الملك

الناصر محمد بن قلاوون وهو صغير، تسكيناً لما وقع وإجماداً للفتنة، فأجلسوه على تخت الملك بقلعة الجبل في رابع عشر المحرم من سنة ثلاث وتسعين وستمائة المذكورة، وأن يكون نائب السلطنة الأمير زين الدين كاتباً، والوزير الأمير علم الدين سنجر الشجاعي، وحسام الدين أستاذ الدار أتاك العساكر .

قلت : وساق الشيخ قطب الدين اليونيني واقعة الملك الأشرف هذا وقتله وقتل بيدراً باطول من هذا؛ قال الشيخ قطب الدين :

« وحكى لي الأمير سيف الدين بن المحفدّار أمير جاندّار قال : كان السلطان الملك الأشرف قد أفقّذني في أوّل النهار إلى الأمير بدر الدين بيدراً يأمره أن يأخذ العساكر ويسير بهم ، فلما جئت إليه وقلت له : السلطان يأمرك أن تسير الساعة تحت الصناجق بالأمراء والعساكر ، قال : فنقر في بيدراً ، ثم قال : السمع والطاعة ؛ قال : ورأيت في وجهه أثر القيظ والحنق وقال : ولم يستعجلني ! فظهر في وجهه شيء ما كنت أعهدّه منه ؛ ثم أتى تركته ومشيتُ حملتُ الزردخانا^(١) والثقل الذي لي وسيرتُ ، فبينما أنا سائرٌ أنا ورفيقي الأمير صارم الدين القحري وركن الدين أمير جاندّار عند المساء ، وإذا بنجاب سائر ، فسألتُ عن السلطان أين تركته ؟ فقال : طول الله أعماركم فيه ؛ فبينما نحن متحيرون في أمره ، وإذا بالسناجق التي للسلطان قد لاحت وقربت والأمراء تحتها ، والأمير بدر الدين بيدراً بينهم وهم مخدقون به ؛ قال : بفتحنا وسلمنا عليه ، فقال له الأمير ركن الدين بيبرس أمير جاندّار : ياخونّد ، هذا الذي فعلته كان بمشورة الأمراء ؟ قال : نعم ، إنما قتلته بمشورتهم وحضورهم ،

(١) الزردخانا (السلاح خانا) : ومعناها بيت الزرد لما فيها من الدروع الزرد ، وتشتمل على أنواع السلاح من السيوف والقصا الدرية والنشاب والرماح والدروع وغيرها (راجع صبح الأعشى ج ٤ ص ١١) .

وها هم كلهم حاضرون ، وكان من جملة مَنْ هو حاضر الأمير حُسام الدين لاجين المنصوري ، والأمير شمس الدين قَاسَمُقر المنصوري ، والأمير بدر الدين بَيْسَرِي ، وأكثر الأمراء سائقون معه ؛ قال : ثم إنَّ بَيْدَرًا شرع يُعَدِّدُ سِيَّاتَ السلطان وَخَازِيَه وَمَنَاحِسَه وإِهْمَالَه أمورَ المسلمين وأسْتِهْزَاءَه بالأمراء وممالك أبيه ووزارته لأبْنِ السَّلْمُوس ؛ قال : ثم إنه سألنا هل رأيتم الأمير زَيْن الدين كَتَبُغَا ؟ فقلنا له : لا ، فقال بعض الأمراء : ياخَوْنَد ، هل كان عنده عِلْمٌ بالقضية ؟ فقال : نعم ، وهو أول من أشار بهذا الأمر .

فلما كان ثاني يوم وإذا بالأميرين : زَيْن الدين كَتَبُغَا وحُسام الدين أستاذ الدار قد جاءوا في طُلب كبير فيه ممالك السلطان الملك الأشرف نحو من أَلْفَيْ فارس وفيهم جماعة من العسكر والحلقة ، فالتقَوْه بالطرانة يوم الأحد أول النهار . ثم ساق قطب الدين في أمر الواقعة نحوًا مما ذكرناه من أمر بَيْدَرَا وغيره ، إلى أن قال : وتفترق جمع الأمير بَيْدَرَا . قال آبن المحفِّدار : فلما رأينا مالنا بهم طاقة ألتجأنا إلى جبل هناك شمالي ، وأختلطنا بذلك الطُّلب الذي فيه كَتَبُغَا ، ورأينا بعض أصحابنا ، فقال [لنا] : ^(١) شُدُّوا بالجملة مناديلكم في رقابكم إلى تحت آباطكم ، فهي الإشارة بيننا وإلا قتلوكم أو سلبوكم ، فعملنا مناديلنا في رقابنا إلى تحت آباطنا ، وكان ذلك سبب سلامتنا ، فحصل لنا به نفع كثير من جهة الأمير زَيْن الدين كَتَبُغَا ومن ^(٢) السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وسلمت بذلك أنفسنا وأتقأنا [وأهلونا] وأموالنا ؛ ثم ظهر لهم أننا لم يكن لنا في باطن القضية عِلْمٌ . قال : وسرنا إلى قلعة

(١) في الأصلين : « واذا بالأمير » . وتصحيحه عن جواهر السلوك . (٢) في جواهر

السلوك : « إلى جبل هناك عال » . (٣) زيادة عن جواهر السلوك وتاريخ الإسلام .

(٤) في الأصلين : « فقلنا » . وما أثبتناه عن جواهر السلوك وتاريخ سلاطين الممالك .

(٥) زيادة عن جواهر السلوك .

الجليل . وذكَرَ سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون حسب ما نذكره في ترجمته إن شاء الله تعالى فيما يأتي .

قال : ولما كان يوم خامس عشرين المحرم أُخِضِرَ إلى قلعة الجبل أميران وهما سيف الدين بهادر رأس نوبة وجمال الدين آقوش الموصلى الحاجب ، فحين حضروا اجتمعوا الأشرفية عليهم فضرَبوا رِقابهم وعلقوا رأس بهادر على باب داره الملاصقة لمشهد الحسين بالقاهرة . وبهادر هذا هو الذى حط السيف في دُبر الملك الأشرف بعد قتله وأخرجه من حلقه . ثم أخذوا جنته وجنة آقوش وأحرقوها في قَيْن جبر . وأما الأمير حسام الدين لاجين المنصورى ، والأمير شمس الدين قرأ سُنقر فأتتهما أخفيا ولم يظهر لهما خبر ، ولا وقع لهما على أثر . ثم أحضر المماليك الأشرفية سبعة أمراء ، وهم : سيف الدين نُوغِيَه ، وسيف الدين أَلِنَاق ، وعلاء الدين أَلْطُنْبَغَا الجمدار ، وشمس الدين سُنقر مملوك لاجين ، وحُسام الدين طُرُنْطَاى الساقى ، ومحمد خَواجَا ، وسيف الدين أَرُوس في يوم الاثنين خامس صفر إلى قلعة الجبل ، فلما رآهم السلطان الملك الناصر محمد أمر بقطع أيديهم أولاً ، وبعد ذلك يُسَمَّرُونَ على الجمال وأن تُعَلَّقَ أيديهم في حُلوقهم ففعل ذلك ، ورأسُ بَيْدَرَا أيضاً على رُحْ يطاف به معهم بمصر

(١) في جواهر السلوك : « وفي خامس عشر المحرم حضر ... الخ » . (٢) دارسيف الدين بهادر ، بما أن هذه الدار كانت ملاصقة لمشهد الحسين فلا بد أنها دخلت ضمن مبانى جامع سيدنا الحسين الحالى ، لأن كل ما كان مجاوراً للمشهد من الجهات البحرية والغربية والقبلية دخل في المسجد . وأما الجهة الشرقية ففيها الطريق . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) في جواهر السلوك وتاريخ آبن الوردى : « آق سنقر » . (٥) في الأصلين : « محمد حجا » . وما أثبتناه عن تاريخ سلاطين المماليك وجواهر السلوك وتاريخ آبن الوردى وعقد الجمان . (٦) مصر ، المقصود بها مصر القديمة التى كانت تعرف بالقسطاط ، وهى اليوم أحد الأقسام الإدارية بمحافظة مصر (القاهرة) .

والقاهرة ، وبقوا على هذه الحالة إلى أن ماتوا ، وكل من مات منهم سلم إلى أهله
والجميع دفنهم بالقرافة .

قلت : وقريب مما وقع ليبدرا هذا وأصحابه أوائل ألفاظ المقالة الخامسة عشرة
من « كتاب أطباق الذهب » للشيخ الإمام الرباني شرف الدين عبد المؤمن الأصفهاني
المعروف بشؤروزة^(١) ، وهي قوله :

« من الناس من يَسْتِطِيبُ رُكُوبَ الأخطار ، وورودَ التَّيار ، ولُحُوقَ العار
والشَّار ، ويستحبَّ وقدَّ النار ، وعقدَ الزَّنار ، لأجل الدينار ؛ ويستلذَّ سفَّ الرِّماد ،
ونقلَ السَّاد ، وطىَّ البلاد ، لأجل الأولاد ؛ ويصير على نَسفِ الجبال ، وتتف
السَّبال^(٢) ، لشهوة المبال ؛ ويدلَّ الإيمان بالكفر^(٣) ، ويخفر الجبال بالظفر^(٤) ، للدناير الصُّفرة ؛
ويلج ماضيئى الأسود^(٥) ، للدراهم السود ؛ لا يكره صداعا ، [إذا نال كُواعا] ؛ ويلقى
النوائب بقلب صابر ؛ فى هوى الشيخ أبى جابر^(٦) ؛ ويأبى العزَّ طبيعة ، ويرى الذَّلَّ
شريعة ؛ وإن رُزِقَ لعيعة^(٧) ، يراها صنعة ، يؤمُّ رأسه وترشُّ أضرأسه ؛ وإن أُعْطِيَ
درهما ، يراه مرهما .

ومن الناس من يختار العفاف ، ويعافُ الإسفاف ؛ يدعُ الطعام طأويا ، ويدّر
الشراب صاديا ، ويرى المال رائحا غاديا ؛ يترك الدنيا لطلابها ، ويطرَح الحيفة
لكلاهما ؛ لا يسترزق لثام الناس ، ويقنع بالخبز الناس ؛ يكره المَن والأذى ، ويعافُ

(١) فى الأصلين : « المعروف بشؤروه » . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٩٩ من الجزء السابع من
هذه الطبعة . (٢) السبال : الشوارب وطرف الحية . (٣) لعله ويدل بالإيمان الكفر .
(٤) فى الأصلين : « ماضغ » بالإفراد . وما أثبتناه عن أطباق الذهب . (٥) تكملة عن
أطباق الذهب . (٦) أبو جابر : كنية الخبز . (٧) اللعيعة : خبز الجاورس (حب
معروف يؤكل) عن شرح القاموس . (٨) فى الأصلين : « الخبز الياس » . وما أثبتناه عن
أطباق الذهب . والناس من نس اللحم والخبز : ييس .

الماء على القَدَى ؛ إن أثَرَى جعل موجوده معدوما ، وإن أقوى حَسِبَ قَفَّارَه
مَادُومًا ؛ جَوَّفَ خال ، وثوب بال ، ومجد عال ؛ ووجه مُصَفَّرٌ ، عليه قُرْبٌ وثوبٌ
أَسْمَالٌ ، وراءه عِزٌّ [و] جَمَالٌ ؛ وَعَقِبٌ مشقوق ، وذيلٌ مفتوق ، يجره قِي
مغبوق . شعر :

لله تحت قِبابِ العِزِّ طائفةٌ * أخفاهمُ في رِداءِ الفقرِ إجلالا
همُ السلاطينُ في أطمارِ مَسْكَنَةٍ * اسْتَعْبَدُوا من ملوك الأرض أقبالا
غبرٌ ملائسهم شُمٌّ معاطسهم * جَرُّوا على فَلَكَ الخضرِ أذبالا
هذى المتأقِبُ لا ثوبان من عَدِنٍ * خِيطًا قِيصًا فصَارَا بعدُ أَسْمَالا
هذى المكارمُ لا قَعْبَان من لَبَنِ * شَيْبًا بِمَاءٍ فَعَادَا بعدُ أَبْوالا

هم الذين جُلبُوا بُرَاءً من التَّكُفِّ ، « يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنَاءَ من التَّعَفُّفِ » . انتهى
ما ذكرناه من المقالة الخامسة عشرة وإن كنا نخرجنا عن المقصود من كون غالبها من
غير ما نحن فيه ، غير أننا لم نأذكرها بتمامها هنا إلا لغرابتها . انتهى .

ولما مات الملك الأشرف خليل هذا ، وتمَّ أمرُ أخيه الملك الناصر محمد
في السلطنة ، استقرَّ الأمير زين الدين كَثْبُفًا المنصوري نائب السلطنة ، ومنجَر
الشجاعى مدبر الملكة وأتابك العساكر ، وبقية الأمور تأتى فى أول سلطنة الملك
الناصر محمد بن قلاوون بأوضح من هذا

ولما قُتِلَ الملك الأشرف خليل المذكور بَقِيَ مُلْكٌ إلى أن نَحْرَجَ وَإِلَى تَرْوِجَةٍ
من بعد قتله بيومين ، ومعه أهل تَرْوِجَةٍ ، وأخذوه وغسلوه وكفَنُوهُ وجعلوه فى تابوتٍ

(١) أقوى : افتقر . (٢) فى الأصلين : « وقلب بال » . وما أثبتناه عن أطباق الذهب .

(٣) يقال : ثياب عذنيات أى كريمة .

في دار الوالى إلى أن سَيَرُوا من القاهرة الأمير سعد الدين كوجبَا الناصرى إلى مَصْرعه ،
فاخذَه في تابوت ووصل به إلى القاهرة تَحْمِر يوم الخميس ثانى عشر من صفر ، فدفن
في تربة والدته بجوار أخيه الملك الصالح على بن قلاوون — رحمهما الله تعالى —
ورثاه ابن حبيب بقصيدة ، أولها :

تَبَّ لأقوام تمالك رَقهم * فتكُّوا ومارَّقوا لحالة مُشرِف
واقفوه غَدْرًا ثم صالوا جملة * بالْمُشرِف على المليك الأشرف
واقى شهيدًا نحو رَوْضات الرِّضا * يَخْشال بين مُزهر ومُزخرف
ومضى يقول لقائلنيسه تربصوا * ببنى وبينكم عِراض الموقِف

(١) يستفاد مما ذكره المؤلف أن جنة الأشرف بقيت في تروجة حول أربعين يومًا ، وأنه دفن
في تربة والدته بجوار أخيه الملك الصالح على بن قلاوون ، ولكن ابن إياس ذكر في كتاب تاريخ
مصر (ص ١٢٧ ج ١) : أن الملك الأشرف خليلًا بعد قتله بين مطروحا في البرية ثلاثة أيام ، وقد أكلت
القطاب جثته إلى أن حل ما بين منها أي دمر الفخري والى تروجة على جمل وأق به إلى القاهرة ففصلوه
وكفنوه وصلوا عليه ودفنوه في مدرسته التي بالقاهرة بالقرب من مزار السيدة فقيصة رضى الله عنها ، وذكر
المقريزى في خطه عند الكلام على سلطة الملك الأشرف خليل (ص ٢٣٩ ج ٢) : أنه بعد قتله حل
إلى القاهرة ودفن بمدرسته الأشرقية . وذكر ابن دقاق (ص ١٢٤ ج ٤) : أن المدرسة الأشرقية والتربة
بها بالقرب من المشهد النفيسى عمرها الملك الأشرف خليل ابن الملك المنصور قلاوون ورتب بها دروسا
للقضاة ورتب بها مقرئين وخدبايا التربة . وأما المؤلف فلم يذكر هذه المدرسة ضمن ما ذكر من منشآت
الملك الأشرف خليل .

وبالبحث تبين لى (١) أن هذه المدرسة لا يزال موجودا منها القبة وفيها قبر منشئا ، وتعرف اليوم
باسم قبة الأشراف أو تربة الأشراف بشوارع الأشراف بالقاهرة بالقرب من المشهد النفيسى من الجهة الشمالية
منه ، ولانخفاض أرض هذه التربة عن منسوب الأرض المحيطة بها قد أقامت إدارة حفظ الآثار العربية
حولها حاجلا مرتفعا لمنع تهليل الأتربة عليها . (٢) ظاهر في الكتابة المنقوشة بأعلى الحائط القبلى أسفل
القبة من الخارج أن هذه القبة أمر بإنشائها الملك الأشرف خليل ابن الملك المنصور قلاوون في شهور
سنة ٦٨٧ هـ . ويستفاد من هذا أنه أنشأها وقت أن كان وليا لعمه أبيه ، ثم أتم عمارتها وزخرفها بعد أن
صار ملكا ، ولذلك كتب جميع ألقابه الملكية بأعلى حوائطها من الخارج ولم يثبت تاريخ الفراغ من عمارتها
بل أثبت تاريخ تأسيسها وهو سنة ٦٨٧ هـ . (٣) أن الملك الأشرف خليلًا دفن تحت هذه القبة ، وليس
بتربة والدته كما ذكر المؤلف بديل أن قبره لا يزال موجودا تحت هذه القبة المشهورة إلى اليوم بتربة
الأشراف ، ويؤيد ذلك رواية كل من ابن دقاق والمقريزى وابن إياس السابق ذكرها .

وقال التُّوَيُّرِيُّ في تاريخه : كان ملكاً مَهِيئاً شجاعاً مِقْدَاماً جَسُوراً جَوَاداً كَرِيماً بالمال ، أَتَفَقَ على الجِيش في هذه الثلاث سنين ثلاث نفقات : الأولى في أول جلوسه في السلطنة من مال طُرُنْطَاي ، والثانية عند توجُّهه إلى عكا ، والثالثة عند توجُّهه إلى قلعة الروم . انتهى كلام التُّوَيُّرِيِّ باختصار .

وقال الشيخ صلاح الدين خليل بن أَيْبَك الصَّفْدِيُّ في تاريخه : « وكان قبل ولاية الملك الأشرف يُؤخذ عند باب الجابية بِدَمَشْق عن كلِّ حِمْل خمسة دراهم مَكْساً ، فأول ما تسلطن وَرَدَتْ إلى دمشق مساعمةٌ بِإِسقاط هذا ، وبين سطور المرسوم بقلم العَلَّامة بخطه : لِنَسْقُطَ عن رعايانا هذه الظُّلَّامة ، وَيُسْتَجَلَبَ لنا الدعاء من الخاصَّة والعامة » . انتهى كلام الصَّفْدِيِّ :

وقال الحافظ أبو عبدالله الذَّهَبِيُّ في تاريخه ، بعد أن ساق من أحواله قطعةً جيِّدة ، فقال : « ولو طالت أَيَّامُهُ أو حَيَّاتُهُ لأخذ العراق وغيرها ، فإنه كان بَطَلاً شجاعاً مِقْدَاماً مَهِيئاً على الهمة يملأ العين وَيَرْجُفُ القلب ، رأيتُهُ مرَّات ، وكان صَحْحاً سَمِيناً كبير الوجه بديع الجمال مُستدير الخيبة ، على وجهه رَوْنَقُ الحُسْن وهِيئَةُ السلطنة ، وكان إلى جوده وبَذْلِهِ الأموال في أغراضه المنتهى . وكان مَخَوِّفَ السُّطُوَّة ، شديد الوطأة ، قوى البطش ، تخافه الملوك في أمصارها ، والوحوش العاديَّة في آجامها . أباد جماعةً من كبار الدولة . وكان منهمكاً في اللذات ، لا يعبأ بالتحرز لنفسه لفرط شجاعته ، ولم أحسبه بلغ ثلاثين سنة ، ولعلَّ الله عزَّ وجلَّ قد

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٨٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٢) في الأصلين : « والوحوش القارة » . والتصحيح عن تاريخ الإسلام للذهبي والمنهل الصافي .

(٣) في الأصلين : « منهمكاً على » .

عفا عنه وأوجب له الجنة لكثرة جهاده ، وإنكائه في الكفار . انتهى كلام
الذهبي باختصار .

قلت : وكان الأشرف مُفْرِط الشجاعة والإقدام ، وجمهور الناس على أنه
أشجع ملوك الترك قديماً وحديثاً بلا مدافعة ، ثم من بعده الملك الناصر فرج ابن
الملك الظاهر برقوق ، وشهرتهما في ذلك تُغني عن الإطناب في ذكرهما .

وكانت مدة مملكة الأشرف هذا على مصر ثلاث سنين وشهرين وخمسة أيام ،
لأن وفاة والده كانت في يوم السبت سادس ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة .
وجلس الأشرف المذكور على تخت الملك في صبيحة دُفِن والده في يوم الاثنين ثامن
ذى القعدة ، وقيل في يوم السبت ثاني عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة .
اتهى .

١٠

وقال الشيخ قُطْب الدين البُونِينِيّ : ومات (يعنى الملك الأشرف) شهيدا مظلوما
فإن جميع مَنْ وافق على قتله كان قد أحسن إليه ومناه وأعطاه وخوله ، وأعطاهم
ضياءاً بالشام ، ولم تتجدد في زمانه مظلمة ، ولا استجدة ضمان مكس ، وكان يُحِبُّ
الشام وأهله ، وكذلك أهل الشام كانوا يحبونه — رحمه الله تعالى وعفا عنه — .

١٥



السنة الأولى من سلطنة الملك الأشرف صلاح الدين خليل على مصر وهى
سنة تسعين وستمائة . على أنه حكم من الماضية من يوم الاثنين ثامن ذى القعدة
إلى آخرها . انتهى .

٢٠

(١) تقدم في أول الترجمة ص ٣ أنه جلس على تخت الملك يوم وفاة أبيه في يوم الأحد سابع
ذى القعدة سنة تسع وثمانين وستمائة . (٢) في الأصلين هنا « في يوم السبت تاسع عشر المحرم »
وقصحه عما تقدم ص ١٧ ويوافقه ما في تاريخ سلاطين المماليك وجواهر السلوك وتاريخ الاسلام .

فيها (أعنى سنة تسعين وثمانية) تُوِّفَ الشيخ عزَّ الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن طَرْخَان الأنصارى - السُّوَيْدِي - الطبيب المشهور، وهو من ولد سعد بن مُعَاذ الأَوْسِي - رضى الله عنه - كان قد تفرد في آخر عمره بمعرفة الطب، وكان له مشاركة جيِّدة في العربية والتاريخ، واجتمع بأكابر الأطباء وأفاضل الحكماء، مثل المُهَذَّب ^(٦) عبد الرحيم بن علي - الدُّخْوَار وغيره، وقرأ علم الأدب على جماعة من العلماء، وكان له نظمٌ جيِّد . من ذلك قوله في خِصَاب الحَقِيَّة :

لَوَّانَ تَغْيِرُ لَوْنِ شَيْئِي * يُعِيدُ مَا فَاتَ مِنْ شَبَابِي

لَمَّا وَفَى لِي بِمَا تَلَايَ * رُوِيَ مِنْ كُفَّةِ الْخِصَابِ ^(٧)

قلت : و يُعْجِنِي قَوْلُ الشَّيْخِ صَفِيِّ - الدين عبد العزيز الحَلِّي - في هذا المعنى :

قَالُوا أَخْضَبَ الشَّيْبَ فَقُلْتُ أَقْصُرُوا * فَإِنَّ قَصْدَ الصَّدَقِ مِنْ شَيْئِي

فَكَيْفَ أَرْضَى بَعْدَ ذَا أَتَيْ * أَوَّلَ مَا أَكْذَبَ فِي لِحْيَتِي

غيره في المعنى :

يَا خَاضِبَ الْحَيَّةِ مَا تَسْتَحْيِ * تُعَانِدُ الرَّحْمَنَ فِي خِلْقَتِهِ

أَقْبَحُ شَيْءٍ قِيلَ بَيْنَ الْوَرَى * أَنْ يَكْذِبَ الْإِنْسَانُ فِي لِحْيَتِهِ ^(٨)

ومن شعر عزَّ الدين صاحب الترجمة [مواليا] :

الْبَدْرُ وَالسَّعْدُ ذَا شَبَّكَ وَذَا نَجْمِكَ * وَالْقَدُّ وَالْفَهْظُ ذَا رَحْمِكَ وَذَا سَهْمِكَ

وَالْبَغْضُ وَالْحُبُّ ذَا قِسْمِي وَذَا قِسْمِكَ * وَالْمِسْكُ وَالْحُسْنُ ذَا خَالِكَ وَذَا عَمِّكَ

(١) السويدي نسبة للسويداء قرية بحوران كان أبوه تاجرا بها . (انظر تاريخ الاسلام للذهبي) .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٧٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) هو عبد العزيز بن سرايا بن علي بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر بن أبي العز بن سرايا المعروف

بصبي الدين الحلي الناظم الشاعر عصره . سبَّحَ المولف وفاته سنة ٥٧٤٩ هـ . وفي المنهل الصافي

وفوات الوفيات لأبن شاكر : توفي سنة ٥٧٥٠ هـ . وفي الدرر الكامنة أنه توفي سنة ٥٧٥٢ هـ .

(٤) زيادة عن المنهل الصافي وعيون التواريخ .

وفيها تُوُفِّيَ ملك التَّارِ أَرْغُونُ بْنُ أَبْنَا بْنِ هَوْلَا كُوَ عَظِيمُ التَّارِ وَمَلِكُهُمْ ، قِيلَ :
إِنَّهُ أُغْتِيلَ بِالسَّمِّ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ مَاتَ خَتَفَ أَنْفَهُ ، وَأَتَمَّهُمُ التَّرْكُ الْيَهُودَ بِقَتْلِهِ فَسَالُوا
طَلِيمَ بِالسِّيُوفِ فَقَتَلُوهُمْ وَنَهَبُوا أَمْوَالَهُمْ ، وَأَخْتَلَفَتْ كَلِمَةُ التَّارِ فِيمَنْ يُقِيمُونَهُ بَعْدَهُ
فِي الْمُلْكِ ، فَالَتِ طَائِفَةٌ إِلَى يَدَيْهِ وَلَمْ يُوَافِقُوا [عَلَى] كَيْخَتُو^(١) ، فَرَحَلَ كَيْخَتُو إِلَى الرُّومِ .
وَكَانَ أَرْغُونُ هَذَا قَدْ عَظُمَ أَمْرُهُ عِنْدَ التَّارِ بَعْدَ قَتْلِ عَمِّهِ أَحْمَدَ ، وَرَحِمَتْ قَدَمُهُ
فِي الْمُلْكِ ، وَكَانَ شَهْمًا شَجَاعًا مَقْدَامًا ، حَسَنَ الصُّورَةِ ، سَفَا كَاللِّدْمَاءِ ، شَدِيدَ الْوَطَاةِ .

وفيها تُوُفِّيَ الشَّيْخُ عَفِيفُ الدِّينِ أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ
أَبْنِ يَسَّ الْعَايِدِيِّ ثُمَّ الْكَوْفِيِّ ثُمَّ التَّلِيسَانِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْعَفِيفِ التَّلِيسَانِيِّ ، الصُّوفِيِّ
الشَّاعِرِ الْمَشْهُورِ ، كَانَ فَاضِلًا وَيَدْعَى الْعِرْفَانَ ، وَيَتَكَلَّمُ فِي ذَلِكَ عَلَى أَصْطِلَاحِ الْقَوْمِ .
قال الشيخ قطب الدين : « ورأيت جماعة ينسبونه إلى رقة الدين ، وتُوُفِّيَ
وقد جاوز الثمانين سنة من العمر ، وكان حسن العشرة كريم الأخلاق له حرمة
ووجاهة ، وخدم في عدة جهات . »

- (١) في الأصلين : « يذرا » . وتصحيحه عن جواهر السلوك وعيون التواريخ وتاريخ سلاطين
الممالك . (٢) هو كيختون أبنا بن هولكو ملك التار قتله ابن أخيه يدوسنة ٦٩٣ هـ .
(٣) هو أحمد بن هلاكوفان بن تولفان بن
جنكوفان ، تقدمت وفاته سنة ٦٨٣ هـ . (٤) التليسان : نسبة إلى تليسان ، قاعدة مملكة
المغرب الأوسط في القرون الوسطى ، وقد كانت تشمل هذه المملكة الجزائر بمحدودها الحالية اليوم ودار ملك
بنو عبد الواد من زقانة من قبائل البربر . وظلت إلى أواخر القرن الثامن من الهجرة . وهي الآن مدينة
عظيمة ببلاد الجزائر على بعد ٦٨ ميلا من وهران في الجنوب الغربي منها . وهي محطة عظيمة للقوافل بين
الجزائر ومراكش ، وعدد سكانها قريب من أربعين ألفا منهم خمسة آلاف أوروبيين . (انظر صبح الأعشى
ج ٥ ص ١٤٩ ، وج ٧ ص ٣٨٥ ومعجم لينكوت الانجليزي للبدان) . (٥) في الأصلين هنا :
« وقد جاوز الستين سنة » . وتصحيحه عما ساق في ذكره لتؤلف فيمن نقل وفاتهم عن الذهبي في هذه السنة .
ونص عبارة الذهبي قلعا عن المترجم له : « مولدى سنة عشروسمائة » . وأيضا ما في جواهر السلوك :
« موله الشيخ عفيف الدين ... في عشروسمائة » .

قلت : وقد تقدّم ذكر ولده الأديب الظريف ^(١) شمس الدين محمد أنه مات
في حياة والده العفيف هذا . انتهى .

وكان العفيف المذكور من الشعراء المجيدين وله ديوان شعر كبير . ومن شعره :
يشكو إلى أردافه خَصْرُهُ * لوتسمع الأمواج شَكْوَى الْفَرِيقِ
بَارِدْفَه رِقَى عَلَى خَصْرِيهِ * فَإِنَّهُ حُمِّلَ مَا لَا يُطِيقُ
وله :

إِنْ كَانَ قَتْلِي فِي الْهَوَى يَتَعَيَّنُ * يَا قَاتِلِي فَبَسِيفِ جَفْنِكَ أَهْوُنُ
حَسْبِي وَحَسْبُكَ أَنْ تَكُونَ مَدَامَعِي * غُسْلِي فِي ثَوْبِ السَّقَامِ أَكْفَنُ
عَجَبًا لِحَلَّتْكَ وَرْدَةٌ فِي بَانِيَةٍ * وَالْبَانَ فَوْقَ الْعُصْنِ مَا لَا يُمَكِّنُ
أَدْنَتْهُ لِي سِنَّةُ الْكَرَى فَلَتَمَّتْهُ * حَتَّى تَبَدَّلَ بِالشَّقِيقِ السَّوْسَنُ
وَوَرَدَتْ كَوَثَرَتُغْرِهِ لِحَسْبَتِي * فِي جَنَّةٍ مِنْ وَجْنَتِهِ أَسْكُنُ
مَا رَاعَنِي إِلَّا بِلَالُ الْخَالِ قَوْ * قِ الْخَلْدِ فِي صُبْحِ الْجَيْنِ يُؤَدِّنُ
قلت : وهذا مأخوذ من قول الحاجرِي ^(٢) من قصيدة :

أَقَامَ بِلَالُ الْخَالِ فِي صَحْنِ خَدِّهِ * يُرَاقِبُ مِنْ لَأَلَاءِ غُرَّتِهِ الْفَجْرَ

ومنه أيضا أخذ الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة المصري ^(٣) قوله :

وَأَنْظُرُ إِلَى الْخَالِ فَوْقَ الثَّغْرِدُونِ لَمَّى * تَجِدُ بِلَالًا يُرَاعِي الصَّبْحَ فِي السَّحْرِ

(١) تقدّمت وفاته سنة ٦٨٨ هـ . (٢) رواية المثل الصافي :

* ... فَبَسِيفِ لِحَفْظِكَ ... *

(٣) رواية المثل الصافي وعيون التواريخ وفوات الوفيات :

* وَالْوَرْدَ فَوْقَ الْبَانِ مَا لَا يُمَكِّنُ *

(٤) هو عيسى بن سنجر بن بهرام بن جبريل بن نحاس تكين . تقدّمت وفاته سنة ٦٣٢ هـ .

(٥) هو جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن الحسن بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن

محمد ابن الخطيب أبي يحيى عبد الرحيم المعروف بابن نباتة ، حيدّ كره المؤلف في حوادث سنة ٧٦٨ هـ .

قلت : وقد سبق إلى هذا المعنى أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز بقوله ^(١) :

أسفر ضوء الصبح من وجهه * فقام خال الخلد فيه بلائ
كأما الحال على خده * ساعة فجير في زمان الوصال

قلت وقد أستوعبنا من ذكر العفيف هذا في ترجمته في تاريخنا « المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي » نبذة كبيرة فليتنظر هناك .

وفيها توفي الشيخ الإمام العلامة فقيه الشام تاج الدين أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم بن سباع بن ضياء الفزاري البدرى المصرى الأصل الدمشقى الشافعى المعروف بالفركاح . ولد في شهر ربيع الأول سنة أربع وعشرين وستمائة .

قال الصفدى : تفقه في صغره على الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ تقي الدين بن الصلاح ، وبرع في المذهب وهو شاب ، وجلس للاشتغال وله بضع عشر سنة ، ودرس في سنة ثمان وأربعين ، وكتب في الفتاوى وقد أكل الثلاثين . ولما قدم النوى من بلده أحضره ليشغل عليه ، فعمل همه وبعث به إلى مدرّس الرواحية ليصح له بها بيت ويرتق بمعلومها . وكانت الفتاوى تأتيه من الأقطار .

- (١) هو أمير المؤمنين أبو العباس عبد الله ابن الخليفة المعتز بالله محمد ابن الخليفة المتوكل على الله جعفر ابن الخليفة المعتصم محمد ابن الخليفة هارون الرشيد . تقدمت وفاته سنة ٢٩٦ هـ .
- (٢) الفركاح لفة من فرج الرجل اذا تابعد ما بين إتيه . (٣) هو عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن بن محمد بن المذهب السلى الدمشقى الشافعى . تقدمت وفاته سنة ٦٦٠ هـ . (٤) هو أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى أبو العصر الكردى الشهرزورى الشافعى تقي الدين . تقدمت وفاته سنة ٦٤٣ هـ . (٥) هو محي الدين يحيى بن شرف ابن مرى بن حسن بن حسين بن محمد النوى . تقدمت وفاته سنة ٦٧٦ هـ . (٦) الرواحية تقع شرق مسجد ابن عروة بالجامع الأموى ولصيقة جيرون وغربى الدولة وقبل السيفية الحنبلية ، بانها زكى الدين بن رواحة الحموى التاجر الفنى الممدل المتوفى سنة ٦٢٢ هـ . درس بها جماعة من علماء الشافعية . قال المؤرخون : إن زكى الدين بن رواحة بنى بحلب مدرسة للشافعية وبدمشق مثلها داخل باب الفرايس وقب عليها أوقافا حسنة وأصبحت المدرسة الرواحية الآن دارا (عن خطط الشام لحضرة كرد على ج ٦ ص ٨١) .

وإذا سافر لزيارة القدس يترأى أهل البرّ على ضيافته ، وكان أكبر من الشيخ محي الدين النَوَوِيّ بسبع سنين ، وهو أفقه نفساً وأذكى وأقوى مناظرةً من الشيخ محي الدين بكثير ، وقيل إنه كان يقول : إيش قال النَوَوِيّ في مزملته ! (يعنى عن الروضة ^(١١)) ، قال : وكان الشيخ عزّ الدين بن عبد السلام يُسميه « الدَّوَيْك » لحسن بحثه . انتهى كلام الصَفَدِيّ باختصار .

ومن شعرة ما كتبه لزين الدين عبد الملك بن العجمي مُلغِزاً في اسم يَدْرَا .
يا سَيِّداً ملأ الآفاق قاطبةً * بكلّ فنٍّ من الألفاظ مُبتَكِرِ
ما أَسْمُ سُمِّاه بَدْرٌ وهو مُشْتَمِلٌ * عليه في اللفظ إن حَقَّقْتَ في النظرِ
وإن تكن مسقطاً ثانيه مُقْتَصِراً * عليه في الحذف أخصى واحدَ البدر
وله [أيضاً دو بيت ^(٣)]

ما أطيبَ ما كنتُ من الوجد لَقِيْتُ * إذ أصبح بالحبيب صباً وأُيِّت
واليوم صحا قلبي من سكرته * ما أعيرف في الغرام من أين أُتِيت ^(٤)

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى مُسنِدُ العالم نَفَرُ الدين عليّ بن البخاريّ المقدسيّ في ربيع الآخر ، وله خمس وتسعون سنة . والمعمر شهاب الدين غازي بن أبي الفضل [بن عبد الوهاب أبو محمد] الحلاويّ في صفر .

(١) هي روضة الطالبين وعمدة المفتين في فقه الشافعية . تأليف الإمام أبي زكريا محي الدين النَوَوِيّ ، وهو كتاب حليل في عدة أجزاء مخطوطة بأوقاف مختلفة موجودة بدار الكتب المصرية .
(٢) هو زين الدين أبو المظفر عبد الملك بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحسن بن عبد الرحمن بن طاهر الحلبيّ ابن العجمي . تقدمت وفاته سنة ٦٧٤ هـ .
(٣) زيادة عن المثل الصافي وعميون التواريخ وفوات الوفيات . (٤) رواية عميون التواريخ * ما أعلم في الغرام من أين دُهِيت *
(٥) في تاريخ الذهبي : « وعاش أربعاً وتسعين سنة وثلاثة أشهر » . (٦) زيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .

ونفر الدين عمر بن يحيى الكرنخي في شهر ربيع الآخر، وله إحدى وتسعون سنة. والعلامة
 تاج الدين عبد الرحمن بن إبراهيم بن سبّاح الفزّاري الشافعي في جمادى الآخرة،
 وله ست وستون سنة. والشيخ العفيف التلمساني الشاعر سليمان بن علي^(١)
 في رجب، وله ثمانون سنة. والمقرئ شهاب الدين محمد بن عبد الخالق بن مظهر^(٢)
 في رجب. والقاضي شمس الدين عبد الواسع بن عبد الكافي الأبهري في شوال. ^(٣)
 والمسند نجم الدين يوسف بن يعقوب بن محمد [بن علي] بن المجاور في ذي القعدة.
 والمسند شمس الدين محمد بن [عبد] المؤمن بن أبي الفتح الصالحى في ذي الحجة،
 وهو آثر من سمع من الكندي^(٤). والإمام شمس الدين أحمد بن عبد الله بن الزبير
 الخابوري خطيب حلب في المحرم.

- § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وثلاث أصابع. مبلغ ١٠
 الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع أصابع.



السنة الثانية من ولاية الملك الأشرف خليل على مصر، وهي سنة إحدى
 وتسعين وستمائة.

- ١٥ فيها في يوم الجمعة رابع عشرين صفر ظهر بقلعة الجبل حريق عظيم في بعض
 خزان الخاّص، وأتلف شيئا عظيما من الذخائر والنقائس والكتب وغيرها.

- (١) في الأصلين هنا: «وله تسع وستون سنة». وتصحيحه عما تقدم ذكره للؤلؤ وتاريخ
 الإسلام للذهبي. (٢) الأبهري: نسبة إلى أبهر، مدينة مشهورة بين قزوين وهمدان وزنجان
 (عن معجم البلدان لياقوت). (٣) تكملة عن تاريخ الإسلام وعيون النوارخ وعقد الجمان.
 (٤) تكملة عن تاريخ الإسلام وشدرات الذهب وعقد الجمان. (٥) هو زيد بن الحسن
 آبن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير تاج الدين أبو اليمن الكندي. تخلصت
 وقاته سنة ٦١٣ هـ.

- وفيه توفى صاحب تاج الدين أحمد بن [المولى ^(١)] شرف الدين سعيد ابن شمس الدين محمد بن الأثير الحلبي الكاتب المنشي . وأولاد ابن الأثير هؤلاء غير بنى الأثير الموصليين . وكان تاج الدين هذا بارعا فاضلا معظما في الدول باشر الإنشاء بدمشق ثم بمصر للملك الظاهر بيبرس ، ثم لتلك المنصور قلاوون ، وكان له نظم وثر ولكلامه رونق وطلاوة . ومن عجيب ما أتفق أن الأمير عز الدين أيدمر السناني النجفي الدوادار أنشد تاج الدين المذكور عند قدومه إلى القاهرة في الأيام الظاهرية أول اجتماعه به ، ولم يكن يعلم اسمه ولا أسم أبيه ، قول الشاعر :
- كانت مسألة الرُكبان تُخبرني * عن أحمد بن سعيد أحسن الخبر
حتى ألتقينا فلا والله ما سمعت * أذني بأحسن مما قد رأي بصري
- فقال له تاج الدين : يا مولانا، أتعرف أحمد بن سعيد؟ فقال : لا ، فقال : المملوك أحمد بن سعيد . ولم يزل تاج الدين هذا يترقى إلى أن ولي كتابة السر بمصر بعد موت فتح الدين محمد بن عبد الظاهر الآتي ذكره . ولما ولي كتابة السر سافر مع السلطان إلى الديار المصرية فأدركه أجله فمات بغزة ودُفن هناك ؛ وولى بعده كتابة السر ابنه عماد الدين إسماعيل مدة إلى أن عُزل بشرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله العمري ^(٢) . وكان تاج الدين فاضلا نبلا ، وله يد في النظم والنثر . ومن شعره القصيدة التي أولها :
- أَتُنِّي أباديك التي لو تصوّرت * محاسنها كانت من الأنجم الزهر

(١) زيادة عن تاريخ الإسلام . (٢) غزة : مدينة قديمة في جنوب فلسطين تبعد عن ساحل البحر الأبيض المتوسط ٣ كيلو مترات وبها مساجد كثيرة ، ومن آثارها الجامع العمري وصرح هاشم بن عبد مناف . وفيها ولد الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وكانت فيما مضى أهم محطة للقوافل بين مصر والشام (انظر جغرافية فلسطين لحسين روصي ص ١٠٥ وقاموس الأمانة والبقاع لعل بك بهجت وقاموس لينكوت الانجليزي الجغرافي) . (٣) سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٩ هـ . (٤) هو شرف الدين عبد الوهاب بن فضل الله بن مجلى بن دبحان بن خلف القرشي العمري . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧١٧ هـ . (٥) أورد صاحب جواهر السلوك من هذه القصيدة نحواً من أحد عشر بيتاً .

- وفيهما توفي القاضي فتح الدين محمد بن القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر
 ابن تشوان بن عبيد الظاهر الجندائي^(١) الروحي المصري المعروف بابن عبد الظاهر
 صاحب ديوان الإنشاء ومؤتمن المملكة بالديار المصرية . مولده بالقاهرة في سنة
 ثمان وثلاثين وستمائة وسمع الحديث وتفقه ومهر في الإنشاء، وساد في الدولة المنصورية
 قلاوون برأيه وعقله وحسن سياسته، وتقدم على والده فكان والده من جملة الجماعة
 الذين يصرّفهم أمره ونبيه . وقد تقدم ذكره في ترجمة الملك المنصور قلاوون
 والتعريف بحاله . ومن شعر فتح الدين المذكور لما توجه إلى دمشق بحجة السلطان
 وحصل له تَوَكُّعٌ فكتب إلى والده يقول :

- إن شئت تبصرني وتُبصر حالي * قابل إذا هبّ النسيمُ قبولا
 ١٠ تلقاء مثل رِقَّةٍ ونَحَافَةٍ * ولاجل قلبك لا أقول عَيْلا
 فهو الرسول إليك مني ليتي * كنتُ اتَّخَذْتُ مع الرسول سبيلا

وله :

- دُو قَوَامٍ يَحُورُ مِنْهُ أَعْدَالُ * كم طَعِنَ به من العُشَاقي
 سَلَبَ الْقَضْبِ لَيْتَهَا فَهِيَ غِيظًا * واقفات تشكوه بالأوراق
 ١٥ قلت : وأجاد شمس الدين محمد بن العفيف في هذا المعنى حيث قال :
 قَدُّهُ حَازَ أَعْدَالًا * فَلَهُ تَتَكُّ وَنُسْكُ
 سَلَبَ الْأَغْصَانِ لَيْتَا * فَهِيَ بِالْأَوْرَاقِ تَشْكُو

(١) الروحي نسبة إلى روح بن زنباع . قال الجندائي : ومنهم أي من سعد بن من جذام بنو عبد الظاهر
 المعروفون . قال في ممالك الأبصار : رأيته يعني محي الدين بن عبد الظاهر ، والده المترجم ، ينسب نفسه إلى
 روح بن زنباع وزنباع من جذام . (راجع نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي صاحب صبح
 ٢٠ الأعيان طبع بغداد سنة ١٣٣٥ هـ ص ٢٣٧) . (٢) رواية تاريخ الإسلام وجواهر السلوك :
 * إن شئت تنظرون وتبصر حالي *

الذين ذكر الذهب وفاتهم في هذه السنة، قال : وفيها توفى سيف الدين
عبد الرحمن بن محفوظ الرُّسَيْنِي^(١) في المحرم . وخطيب دِمَشْق زَيْن الدين عمر بن مَكِّي
الوَيْكَلِي^(٢) في ربيع الأول . والمقرئ رَضَى الدين جعفر بن القاسم [المعروف بآ] بن
دُبُوقَا الرُّبَيْعِي^(٣) في رجب . والعدل علاء الدين علي بن أبي بكر بن أبي الفتح بن محفوظ^(٤)
[بن الحسن] بن صَصْرَى الضرير في شعبان . والموقعان : سعد الدين [سعد الله]^(٥)
أَبْن مَرْوَانَ الْفَارِقِي ، وفتح الدين محمد بن محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر .
§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم سبع أذرع وست عشرة إصبعا .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا سواء .



السنة الثالثة من ولاية الملك الأشرف خليل على مصر، وهي سنة اثنتين
وتسعين ومائة .

فيها حصل ببلاد غزّة والزملة وقاقون والكرك زلزلة عظيمة ، وكان معظم
تأثيرها بالكرك بحيث أنهدم ثلاثة أبراج من قلعتها ، وبُنيان كثير من دورها وأما كتبها .
وكانت الزلزلة المذكورة في صفر .

- ١٥ (١) الرُّسَيْنِي : نسبة إلى رأس عين ، قرية بفلسطين . (٢) يريد به ويكل بيت دمشق .
(٣) الزيادة عن عقد الجمان وتاريخ الإسلام . (٤) زيادة عن تاريخ الإسلام .
(٥) زيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعيون التواريخ . (٦) الرملة : مدينة
إسلامية بناها سليمان بن عبد الملك في خلافة أبيه عبد الملك ، وسُميت الرملة لقلبة الرمل عليها . وكانت في العصور
الوسطى قصبة فلسطين وهي الآن مركز قضاء باسمها وهي واقعة في الجنوب الغربي من باغا على خط سكة الحديد
على بعد ٢٢ ميلا من القدس . مبانيها من الحجر وطرقها ضيقة ومبانيها غير وفيرة . وأشهر حاصلاتها الحبوب
والفواكه والزيتون ومسجدها الجامع كان كنيسة بناها الصليبيون ودير اللاتين بها فيه الفرفة التي بات فيها
نابليون ليلة مروره بجيشه في فلسطين ، وفي غربها مقام النبي صالح وبقربه المشذة التي بناها قلاوون ،
وفيها معامل الصابون ومعايير استخراج الزيت ويزيد سكانها عن ٨ آلاف نسمة منهم ألقان من
الصارى . (صبح الأعشى راجع ص ٩٩ وجغرافية فلسطين لحسين روضي ص ١٠٠ والقاموس الجغرافي
الانجليزي للينكوت) . (٧) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
٢٥ (٨) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

- وفيهما كانت وفاة الأمير الكبير شمس الدين سُقْرَيْن عبد الله العَلَّائِيّ ، ثم الصالحِيّ - النَجْمِيّ - المعروف بالأشقر ، كان من كبار الأمراء مَنْ تَمَلَّك الشام في أوائل سلطنة الملك المنصور قلاوون ودعا لنفسه وتلقّب « بالملك الكامل » وخطب له على منابر الشام ، وضرب الدرهم والدينار بأسمه . وقد أَوْصَحْنَا من أمره بُدَّةٌ كَبِيرَةٌ في عدّة مواضع من ترجمة الملك المنصور قلاوون وغيره . ووقع له مع الملك المنصور أمورٌ أسفرت بعد سنين على أنه دخل تحت طاعته ، وصار من جملة أكابر أمرائه . وَاِسْتَمَرَ سُقْرُ على ذلك إلى أن مات الملك المنصور قلاوون ولَمَّا بعده آتَنُ الملك الأشرف خليل صاحب الترجمة ، قَبِضَ عليه في هذه السنة وَخَنَقَهُ وَخَنَقَ معه جماعة من الأمراء لأمرٍ اقْتَضَاهُ رأيُهُ . والأمراء الذين قُتِلُوا معه مثل : الأمير ركن الدين طُقُقُصُو الناصريّ ، وجرمك الناصريّ - وبلبان الهارونيّ ؛ وكان معهم الأمير حُسام الدين لاجين المنصوريّ - الذي تسلطن بعد ذلك ، فوضع السلطان الوترَ في رقبته لخنقه فانقطع الوترُ ؛ فقال لاجين : يا خَوْنَدُ ، إيش ذنبي ! مالى ذنب إلا أن طُقُقُصُو حَمَوِى وأنا أَطَلَقَ بنته ، فَرَقُوا له خُشْدَاشِيَتُهُ لأمرٍ سَبَقَ في علم الله وقبَلُوا الأرض وسألوا السلطان فيه ، وَصَمِنَهُ خُشْدَاشُهُ الأمير بدر الدين بَيَدَرًا نائب السلطنة ، فأطلقه السلطان وأعادَه إلى رتبته ، وأَخَذَ سُقْرُ الأشقر هذا ودُفِنَ بالقرافة . وكان سنقر المذكور ١٥ أميرًا شجاعًا مِقْدَامًا كريمًا حَسَنَ السياسة مُهابًا جليلًا معظَّمًا في الدُول ، وَخُوطِبَ بالسلطنة سنين عديدة إلى أن ضَعُفَ أمره ونَزَلَ من قلعة صِهْيُونِ بالأمان ، وَقَدِمَ على الملك المنصور قلاوون فأكرمه قلاوون ، ودام على ذلك إلى أن مات . وكان سُقْرُ شجاعًا أَشَقَرُ عَظْلَ الْبَدَنِ جَهَوْرِيّ الصوت مَلِيح الشكل . رحمه الله تعالى .

وفيها تُوفِّي الشيخ الصالح القدوة المعتقد شيخ الشام أبو إسحاق إبراهيم ابن
الشيخ السيد العارف أبي محمد عبد الله الأرموي^(١) بزأوته بجبل قاسيون بعد الظهر
وكانت جنازته مشهودة ، رحمه الله .

وفيها تُوفِّي صاحب محي الدين عبد الله بن رشيد الدين عبد الظاهر بن نَسْوَان
• ابن عبد الظاهر السَّعْدِي المَوْعَّع كاتب الإنشاء بالديار المصرية . وقد تقدّم ذكر
ولده القاضي فتح الدين في السنة الماضية . كان محي الدين هذا من سادات
الكتاب ورؤسائهم وقضلائهم . ومولده في سنة عشرين وستمائة بالقاهرة ، ومات
يوم الأربعاء ثالث شهر رجب ودُفِن بالقرافة بترابته التي أنشأها . وهو صاحب النظم
الرائق والنثر الفائق . ومن شعره قوله :

يا قاتلي يُجَفِّون^(٢) * قَتِيلُهَا ليس يُقْبَرُ
إن صبروا عنك قلبي * فهو القَتِيلُ المَصْبَرُ

وله وأجاد إلى الغاية :

نَسَبَ الناسَ لِلْهَامَةِ حُرْنًا * وأراها في الشَّجْوِ لَيْسَتْ هُنَاكَ
خَضَبَتْ كَفَّهَا وَطَوَّقَتْ الْحَبِي * مَدَّ وَغَنَتْ وما الحَزِينُ كَذَلِكَ

وله مُضْمَنًا :

لقد قال كعبُ في النبي قصيدة * وقلنا عسى في مدحه ننتشارك
فإن شِئَلْنَا بِالْجَوَائِزِ رَحْمَةً * كَرَحْمَةِ كعب فهو كَعْبٌ مبارك

(١) الأرموي : نسبة إلى أرمية ، وهي مدينة عظيمة قديمة بأذربيجان . وفي تاريخ الإسلام وتاريخ
الدول والملوك : « أبو إسحاق بن الأرمي ويقال الأرموي » . (٢) ربة ابن عبد الظاهر ،
يستفاد مما ذكره ابن الزيات في كتاب الكواكب السيارة أن هذه التربة كانت بالقرافة الكبرى ، وضرر يمكن
تعيين موقعها الآن لاندثارها من زمن قديم . وأما القرافة الكبرى فكانها اليوم أرض نضراء لابناء فيها ولا ترب
بين مصر القديمة وجبالة الإمام الليث . (٣) في عيون التواريخ : * يا تاتلي يا حاطل * .

وله :

سَلَفْتُنَا عَلَى الْعُقُولِ السُّلَافَةَ • فَتَقَاضَتْ دِيُونَهَا بِلَطَافَةٍ
ضَيَّفْتُنَا بِالنَّشْرِ وَالْبَشْرِ وَالْيُسْرِ • بِرِ الْأَهْكَذَا تَكُونُ الضِّيَافَةُ
وَقَدْ سَقْنَا مِنْ تَرْجُمَتِهِ فِي تَارِيخِنَا « الْمَنْهَلُ الصَّافِي » عِدَّةً أُخْرَ غَيْرَ هَؤُلَاءِ
المقطعات .

- وفيهما تُوِّفَى الأمير علم الدين سَنَجَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْحَلَبِيِّ ، الأمير الكبير أحدُ الموصوفين
بالشجاعة والإقدام ، وقد شهيدَ عِدَّةَ حُرُوبٍ ، وله مواقف مشهورة مع العدو .
وكان أبيضَ الرأس واليَمَةِ من أبناء الثمانين ، وكان ولي نيابة دمشق في آخر سنة
ثمان وخمسين وستمائة . ولما تسلطن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس لم يبايعه سَنَجَرُ
هذا ودعا لنفسه وحلف الأُمراء وتسلطن بدمشق ولُقِّبَ « بالملك المجاهد » ، فلم يتم
له ذلك حسب ما تقدم ذكره في أول ترجمة الملك الظاهر بيبرس ، وقبضَ الظاهر
عليه وحبسَه مدة سنين إلى أن مات . وتسلطن بعده ولدهُ الملك السعيد أفرج عنه
وأمره ، فدام على ذلك إلى أن تسلطن الملك المنصور قلاوون ، وخرج عليه الأمير
سُنْقُرُ الْأَشْقَرُ الْمُقَدَّمُ ذكره وتسلطن بدمشق ، ندب المنصورُ لحربه علم الدين سَنَجَرَ
هذا ، وأضاف إليه العساكر المصرية ، فخرج إليه وقاتله وكسره وأخرجه من
دمشق ، ثم عاد إلى الديار المصرية ، فأنعم عليه المنصور قلاوون بأشياء كثيرة ،
ثم خانه وقبضَ عليه وحبسَه إلى أن مات . فلما تسلطن ولده الملك الأشرف خليل
أفرج عنه وأكرمَه ورفع منزلته . وكان سبب مسك قلاوون له أنه لما كسر مستقر
الأشقر عظم في أعين الناس ولهج بعض الناس بتسميته « بالملك المجاهد » كما كان
تلقب أولا لما ادعى السلطنة ، فبادره قلاوون وقبضَ عليه . وكان سَنَجَرُ هذا
من بقايا الأُمراء الصالحية النجمية ، رحمه الله تعالى .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى الشيخ الزاهد إبراهيم
 ابن العارف الشيخ عبد الله الأرموي في المحرم . وكال الدين أحمد بن محمد النصيبي
 الحلبي في المحرم . والمقرئ جمال الدين إبراهيم بن داود الفاضلي في أول جمادى
 الأولى . والإمام القدوة تقي الدين إبراهيم بن علي بن الواسطي الحنبلي في جمادى
 الآخرة ، وله تسعون سنة . والسيف علي بن الرضى عبد الرحمن المقدسي في شوال .
 والمحذث التقي عبيد [بن محمد بن عباس] الإسعري . وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم
 ابن ترجم المصري راوى الترمذي .^(١)

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ست أذرع وعشر أصابع . مبلغ
 الزيادة سبع عشرة ذراعا وأثنتا عشرة إصبعا . انتهت ترجمة الملك الأشرف خليل .

(١) التكملة عن تاريخ الاسلام ، وشفوات الذهب ، والمشتبه في أسماء الرجال .

(٢) هو محمد بن عيسى الترمذي ، مصنف الجامع والعلل والشاغل وغيرها فقدمت وفاته سنة ٨٢٧٩ .

ذكر سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الأولى على مصر

- هو السلطان الملك الناصر أبو الفتوح ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الصالحى - النجمى - الألفى - سلطان الديار المصرية وابن سلطانها ، مولده بالقاهرة في سنة أربع وثمانين وستمائة بقلعة الجبل ، ووالده الملك المنصور قلاوون يحاصر حصن المرقب^(١) ، وجلس على تخت الملك بعد قتل أخيه الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون في يوم الاثنين رابع عشر المحرم ، وقبل يوم الثلاثاء حامس عشر المحرم ، من سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، لأن الملك الأشرف قُتِلَ بِرُوحَةٍ^(٢) في يوم السبت ثانى عشر المحرم وقُتِلَ قاتله الأمير بدر الدين بیدرا في يوم الأحد ثالث عشر المحرم ، ثم اتفقوا على سلطنة الملك الناصر محمد هذا عوضاً عن أخيه ، فتم له ذلك .
- فتكون سلطنته في أحد اليومين المذكورين تخميناً لما وقع في ذلك من الاختلاف بين المؤرخين . انتهى .

- والملك الناصر هذا هو السلطان التاسع من ملوك الترك بالديار المصرية ، ولما استقر في السلطنة رتبوا الأمير زين الدين كتبغا المنصورى نائب السلطنة بالديار المصرية عوضاً عن بیدرا ، والأمير علم الدين سنجر الشجاعى وزيراً ومدبراً للملكة وأتابك العساكر ، ثم قبضوا على جماعة من قتلة الملك الأشرف خليل حسب ما تقدم ذكره ، وتم ذلك ودام إلى العشرين من صفر . فبلغ الأمير زين الدين كتبغا أن الأمير علم الدين

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

سَنَجَرَ الشجاعى يريد الوثوب عليه وقبضه وقتله . وكان الذى أخبره بذلك سيف الدين قنقغ^(١) التتارى ، وأعلمه بما فى باطن الشجاعى ؛ والسبب فى اطلاعه على ما فى باطن الشجاعى أن هذا قنقغ هاجر من بلاد التتار فى زمن الملك الظاهر بيبرس ، وأقام بمصر وأقطع فى الحلقة فرزقه الله تعالى اثنى عشر ولداً كلهم ذكور، منهم : ستة أولاد فى خدمة الملك الأشرف ، وخمسة فى خدمة الشجاعى ، وواحد منهم صغير ، وجميع أولاده شبابٌ ملاحٌ من أجل الناس صورة . وكان لقنقغ هذا منزلة عظيمة عند الشجاعى وكلته مسموعة ، وشفاعته مقبولة ؛ وله اطلاع على أمور الدولة بسبب أولاده ، فلم بما دبره الشجاعى ، فغلمته الجنيسية حتى أعلم الأمير كتبغا على ما فى باطن الشجاعى ؛ فأحترز كتبغا على نفسه وأعلم الأمراء بالخبر ، وكان الأمراء كارهين الشجاعى . فلما كان يوم الخميس ثمانى عشرين صفر ركب الأمير كتبغا إلى سوق الخيل فنزل إليه من القلعة أمير يقال له البندقدارى^(٢) وقال له من قبل الشجاعى : أين حسام الدين لاجين المنصورى ؟ أحضره الساعة ؛ فقال له كتبغا : ما هو عندى ، وكان لاجين من يوم قُتِلَ الأشرف قد اختفى ، والممالك الأشرقية قد أعياهم أمره

(١) فى الأصلين : « قنقغ » . وفى تاريخ ملاطين الممالك : « قنقر » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ وجواهر السلوك وتاريخ الدول والملوك لابن الفرات . (٢) فى الأصلين : « على اطلاع » . وما أثبتناه عن جواهر السلوك . (٣) سوق الخيل ، أشار المقرئ فى خطه إلى هذا السوق عند الكلام على القطائع (ص ٣١٣ ج ١) وعلى قصر بلغا الجياوى (ص ٧١ ج ٢) ، وعلى صفة القلعة (ص ٢٠٤ ج ٢) وأشار إليه أيضا صاحب النجوم الزاهرة فى حوادث سنة ٧٣٢ هـ . عند ما أراد الملك الناصر محمد بن قلاوون أن يعهد بالسلطنة إلى ابنه أتوك . ويستفاد من كل ماورد فى هذه المواضع أن سوق الخيل هذا كان واقفاً تحت قلعة الجبل فى الجهة التى كانت تعرف قديماً بالرميلة ، والآن بالمنشية بقسم الخليفة بالقاهرة . ومكانه اليوم المنطقة الواقعة بميدان محمد على وصلاح الدين ، و يدخل فيها الجزء الشمالى الغربى من حديقة المنشية ؛ وتحد هذه المنطقة من الشرق بياق حديقة المنشية ومن الغرب بديوان قسم الخليفة وما فى امتداد وجهته الشرقية إلى الشمال حتى تصل إلى الحديقة الصغيرة المستديرة الواقعة شرق جامع السلطان حسن . (٤) هو علم الدين سنجر بن عبد الله التركى البندقدارى أحد الأمراء الأكابر بالديار المصرية (عن عقد الجمان وتاريخ الدول والملوك) .

من كثرة التفتيش عليه ، فقال له البندقدارى : بلى ، لا حين عندك ، ثم مَدَّ يده إلى سيفه ليضربه به ، فجَدَّب سيف الدين بَلْبَانَ الأزرق مملوك كَتَبًا سيفه وعلا به البندقدارى من ورائه وضربه ضربة حل بها كتفه ويده ، ثم إنهم تَكَارَوا عليه وأزَلَوْه عن فرسه وذبحوه ، وهم مَمَالِيك كَتَبًا . وذلك في وسط سُوْق الخِبل ، ومال غالب العسكر من الأُمراء والمُقَدَّمين وأَجْنَادِ الحلقة والتَّيَّارِ والأَكْرَادِ إلى كَتَبًا . وأنضمُّوا عليه ، ومالت البرُجَّةُ وبعض الخَاصِكةِ إلى سَنَجَرِ الشَّجَاعِي ، لأنَّ الشَّجَاعِي كان اتَّفَقَ فيهم في الباطن في يوم واحد ثمانين ألف دينار ، واتَّفَقَ معهم أيضًا أن كلَّ من جاء برأس أمير كان له إقطاعه ، وكان الاتِّفاق معهم أنه في يوم الخميس وقت المَوَكِّبِ لما يَطْلُعُ الأميرُ كَتَبًا إلى القلعة ويمْدُوا السَّطَاطَ يُمَسِّكُ هو

- ١٠ (١) في الأصلين : «وعلى البندقدارى» . وتصحيحه عن تاريخ سلاطين الممالك وجواهر السلوك .
- (٢) الممالك البرجية : في أواسط القرن الثالث عشر للبلاد أكتسح التار أواسط آسيا وأندفوا إلى الجهة الغربية منها ففزوا بلاد العجم والعراق فنشئت قبائل القبشاق عن أوطانها بسبب أجنياح المغول لبلادهم ، ولقد انتهر سلطان مصر الملك الصالح الأيوبي الفرصة واشترى منهم الألوف على سبيل الرِّق وقربهم دونت الأكراد الذين كانوا دعايم جند ، فبنى لهم النكاث في جزيرة الروسة المواجهة للقاهرة وسماهم : «الممالك البحرية» أو جند الحلقة لأنهم كانوا دائما يحيطون بالسلطان في غدراته وروحانه ، ورتب لهم دروسا عن كيفية إدارة البلاد والجلود ، وظن أن فيهم العناد والقوة لتأييد سلطان أسرته من بعده ، لكن الحوادث جرت على غير ما قدر حيث فتلوا أبنة الملك المعظم توران شاه وانتزعوا الملك من الأسرة الأيوبية جملة . ولما ملك منهم سيف الدين قلاوون سنة ١٢٧٩م = ٦٧٨هـ . عمل كيده الملك الصالح في استجلاب اللاظ والروس والجرس وأفرد لهم في القلعة أبراجا وسماهم «الممالك البرجية» .
- ٢٠ وبلغت عدتهم على عهده ٣٧٠٠ مملوك وعمل منهم أوشاقية وجندارية وسلاحدارية وظن كما ظن سيده الصالح أنهم يكونون عدة لأولاده من بعده ، لكن الأيام كشفت عن خطئه في هذا الاجتهاد أيضا فلم ينج من أولاده النامية الملكيين من القتل أو الخلع إلا قلاوون نفسه . وأسئلت البرجية على الملك . وكان أول من تسلطن منهم الملك الظاهر برقوق سنة ١٣٨٢م = ٧٨٤هـ . تغلب على الصغير الملك الصالح زين الدين حاجي أخى الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون . وقد أشفت مصر في عهد البرجية على الخراب حتى سقطت جملة في أيدي التتاريين سنة ١٥١٧م = ٩٢٣هـ . فتكون مدة حكمهم ١٣٥ سنة
- ٢٥ تقريبا . (انظر خطط المقرئ ج ٢ ص ٢٤٢ — ٢٤٤ . وانظر خطط على باشا مبارك ج ١ ص ٤٠ وما بعدها . وانظر ولاية بيروت ج ٢ ص ١٤٢ وما بعدها) .

ومن آتق معه من الأمراء يقبضون عليهم . فاستعجل البندقدارى و نزل إلى سوق الخليل وفعل ما ذكرناه .

ولما وقع ذلك تحقق الأمراء صحة ما نقل إليهم الأمير زين الدين كتبنا عن الشجاعي ، فاجتمع في الحال الأمراء عند كتبنا بسوق الخليل وركبت التار جميعهم وجماعة من الشهرزورية والأكراد وجماعة من الحلقة كراهية منهم في الشجاعي ، وخرج الشجاعي بمن معه إلى باب القلعة ، فإن إقامته كانت بالقلعة وأمر بضرب الكوسات^(١) فضربت ، وبقى يطلب أن يطلع إليه أحد من الأمراء والمقدمين فلم يجبه أحد ، وكان قد أخرج صحنه الذهب في الضرر وبقى كل من جاء إليه يعطيه صرة ، فلم يجر إليه إلا أناس قليلون ما لهم مرتبة . وشرع كتبنا ومن معه في حصار القلعة وقطعوا عنها الماء وبقي ذلك اليوم محاصرين . فلما كان ثاني يوم نزلت البرجية من القلعة على حية وتلاقوا مع كتبنا وعساكره وصدموه صدمة كسروه فيها كسرة شنيعة وهزموه إلى بئر البيضاء^(٢) ، وتوجه كتبنا إلى جهة بليس ، فلما سمعوا باقي الأمراء بذلك

(١) الكوسات : الطبول الصغار فارسية معربة ، وهي صنوجات من نحاس تشبه الترس الصغير ، يثق بأحدها على الأخرى يقع مخصوص ويتول ذلك الكوسى ، وهي من رسوم الملك وآلاته في العصور الوسطى . قال الظاهري في زبدة كشف الممالك : كانت عدة الطليخانات التي تدق على باب السلطان تتألف من أربعين حلامن الكوسات وأربعة طبول وهول (فارسية معناها الطبل الكبير) وأربعة زمور (وهي الزمارة) وعشرين فقيرا (البوق) ، وكانت عدة أمراء الطليخانات أربعين أميراً ويخدم كلا منهم أربعون مملوكاً . وكانت إمرة الطليخاناء من الرتب العسكرية لضرب الآلات .

(٢) عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٩ و ١٣ : وزبدة كشف الممالك لخليل بن شاهين الظاهري ص ١١٣ و ١٢٥ قاموس استنجاس الفارسي الانجليزى وهامش تاريخ بيروت للأب لويس شيخو ص ٦٠ . (٢) بئر البيضاء : يستفاد مما ورد في صبح الأعشى عند الكلام على مراكر البربد ، وعلى الطريق بين القاهرة وغزة (ج ١٤ ص ٣٧٦) : أن هذه البئر كانت واقعة بين بلدن الخانكة وبليس . وباليبحث عن موقعها تبين لى أن مكانها اليوم عزبة أبى حبيب الواقعة في حوض البيضاء بأراضي ناحية الزوامل بمركز بليس ، ولا يزال اسم البيضاء المنسوب إليه هذه البئر يطلق على الحوض المذكور . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٤٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

ركب الأمير بدر الدين بَيسَرَى المنصوري والأمير بدر الدين بَكْتاش الفَخْرِي أمير سلاح وبقية العساكر المصرية، وتوجهت الجميع إلى نُصرة الأمير كَتَبْغا وأصحابه، وقاتلوا المماليك الرجية حتى كسروهم وردوهم إلى أن أدخلوهم إلى قلعة الجبل، ثم جدوا في حصار القلعة ومن فيها، وعاد الأمير كَتَبْغا وقد قوى عَصْدُهُ بِخُشْدِاشِيته والأمرءاء، ودام الحصار على القلعة إلى أن طلعت الست خَوْنَد والددة السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى أعلى السور وكنتمهم بأن قالت لهم: إيش هو غرضكم حتى إننا نفعله لكم؟ فقالوا: مالنا غرض إلا مسك الشجاعى وإخماد الفتنة، ونحن لو بقيت بنت عمياء من بنات أستاذنا الملك المنصور قلاوون كنا ممالكها لا سيما ولده الملك الناصر محمد حاضر وفيه كفاية. فلما علمت ذلك رجعت وأتفتت مع الأمير حسام الدين لاجين أستاذ الدار، وغلقوا باب القلعة من القلعة وهي التي عليها المعتمد، وبقي الشجاعى بداره بالقلعة محصوراً. فلما رآه أصحابه أنه في أئمنس حال شرعوا في النزول إلى عند الأمير كَتَبْغا، فبقي جمع الشجاعى يَقِل وجمع كَتَبْغا يكثر إلى يوم السبت رابع عشرين صفر صَجِر الشجاعى وطلب الأمان فلم يوافقوه الأمرءاء، وطلع وقت صلاة الظهر بعض الأمرءاء وجماعة من الخاصكية وفيهم آقوش المنصوري إلى عند الشجاعى

(١) يستفاد مما ورد في كتاب صبح الأعشى عند الكلام على القلعة (ص ٣٧٢ ج ٢): أن باب القلعة كان واقعا في أحد الأسوار الداخلية الواقعة في القسم الشمالى الشرقى من مباني قلعة الجبل، وكان السور الذى فيه هذا الباب يفصل بين الساحة التى كانت خلف باب القلعة العمومى وبين الدور السلطانية، وكانت هذه الساحة يجلس بها الأمرءاء حتى يؤذن لهم بالدخول. ويستفاد مما ذكره المقرئى في خطه عند الكلام على باب القلعة (ص ٢١٢ ج ٢) أنه عرف بذلك لأنه كان هناك قلعة (برج مرتفع) بناها الملك الظاهر بيبرس ثم هدمها الملك المنصور قلاوون في سنة ٥٦٨٥ هـ. وبني مكانها فية ثم هدمها الملك الناصر محمد ابن قلاوون وجده باب القلعة على ما هو عليه الآن أى في زمن المقرئى وعمل له بابا ثانيا.

وبالبحث تبين لى أن هذين البابين قد اندثرا بسبب إزالة السور الذى كان فيه البابان المذكوران.

(٢) في جواهر الملوك وتاريخ سلاطين المماليك: « وقت صلاة العصر ».

(٣) كذا في المنهل الصافى وتاريخ سلاطين المماليك وقد ورد كذلك غير مرة بما تقدم. وفي الاصلين

هنا: « الآقوشى المنصورى ».

يطلبونه إلى عند السلطان وإلى والدته ^(١) [في] صورة أنهم يريدون يستشيرونه فيما يعملون ، فمشى معهم قليلا وتكاثروا عليه المحاليل وجاء آقوش من ورائه وضربه بالسيف ضربة قطع بها يده ، ثم بادره بضربة ثانية أبرى بها رأسه عن جسده ، وأخذوا رأسه في الحال ورفعوه على سور القلعة ، ثم عادوا ونزلوا ^(٢) [به] إلى كَتَبًا ودُقُوا البشائر وفتحوا باب القلعة ، وأخذوا رأس الشجاعى وجعلوه على رمح وأعطوه للشاعلية فجبوا عليه مصر والقاهرة ، فحصل المشاعلية مالا كثيرا لبغض الناس قاطبة في الشجاعى ؛ فقليل : إنهم كانوا يأخذون الرأس من المشاعلية ويدخلونه بينهم فتضربه النسوة بالمداسات لما في نفوسهم منه . وسبب ذلك ما كان أشتمل عليه من الظلم ومصادراته للعالم وتنوعه في الظلم والعسف حسب ما يأتى ذكره في الوفيات بأوسع من هذا . وأغلقت القاهرة خمسة أيام إلى أن طلع كَتَبًا إلى القلعة في يوم الثلاثاء سابع عشرين صفر ودُقَّت البشائر وفتحت الأبواب وجُددت الأيمان واليهود للملك الناصر محمد بن قلاوون وأن يكون الأمير كتبغا نائب السلطنة .

ولما تم ذلك قبض كتبغا على جماعة من الخاصكية والبرجية المتفقين مع الشجاعى ، ثم أفرج عن جماعة من الأمراء كان قبض عليهم في المنجم ، وهم : الأمير ركن الدين يسبرس الجاشنكير الذى تسلطن بعد ذلك على ما يأتى ذكره ، والأمير سيف الدين برلئى ، والأمير القامى ^(٤) وسيف الدين قبجق المنصورى ^(٥) ، والأمير بدر الدين

(١) زيادة عن جواهر السلوك وتاريخ سلاطين المحاليل .

(٢) زيادة عن جواهر السلوك والمنهل الصافى وتاريخ سلاطين المحاليل .

(٣) فى الأصلين : « وجددت العين » . وما أثبتناه عن المنهل الصافى وتاريخ سلاطين المحاليل .

(٤) هكذا فى الأصلين . وفى جواهر السلوك : « القانى » بالنون . وقد أطلنا البحث عن هذين الاسمين فى المصادر التى تحت أيدينا فلم نثر على شئ . يقر بنا إلى الصواب فيما .

(٥) هو الأمير سيف الدين قبجق بن عبد الله المنصورى . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٨٧١ .

عبد الله ، والأمير سيف الدين بُورى ^(١) [السلاح دار] والأمير زين الدين عمر ،
والأمير سيف الدين قُرْمَشِي ^(٢) ، والأمير علاء الدين مُغلطاي المسعودي وغيرهم . وأخذ
الأمير زين الدين كَتَبًا وأعطى في الملك وأنفرد بتدبير الأمر ومشي مع الملك الناصر
محمد مَشِي المملوك مع أستاذه .

- ثم بعث بتقليد نائب الشام على عادته ، وهو الأمير أَيْك الحموي . ثم بعد ذلك
نزل السلطان الملك الناصر محمد من قلعة الجبل في مَوَكِب هائل بأبهة السلطنة ،
وتوجه إلى ظاهر القاهرة ثم عاد وشق القاهرة ، ودخل من باب النصر وخرج
من باب زويلة عائداً إلى القلعة ، والأمراء مُشاة بين يديه حتى الأمير كَتَبًا ، وكان
ذلك في يوم الأحد رابع عشرين شهر رجب . ولما كان سابع عشرين شهر رمضان
ظهر الأمير حُسام الدين لاجين المنصوري من أخفافه وأجتمع بالأمير كَتَبًا خفية ،

- (١) في الأصلين : « برى » والتصحيح والزيادة عن تاريخ الدول والملوك وابن إياس .
(٢) في تاريخ الدول والملوك : « والأمير ركن الدين » . (٣) في الأصلين : « ترشي » .
وما أئتمناه عن تاريخ الدول والملوك وجواهر السلوك وابن إياس . (٤) راجع الحاشية رقم ٣
ص ٣٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٥) يستفاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام
على باب زويلة (ج ١ ص ٣٨٠) : أن باب زويلة القديم عند ما وضع القائم جوهر مدينة القاهرة
كان عبارة عن بابين متلاصقين بجوار المسجد المعروف بسام بن نوح ، يعرفان بباب القوس وقد زال هذا
الباب ولم يبق له أثر . ولما أراد أمير الجيوش بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر الفاطمي توسيع مدينة
القاهرة القديمة نقل سودها القبلى إلى جهة الجنوب وبني باب زويلة الحالي سنة ٥٤٨ هـ = سنة ١٠٩٩ م ،
ورفع أبراجه . وبالبحت تبين أن باب القوس المذكور مكانه اليوم يقع في عرض شارع المعز لدين الله
(شارع المتاخية سابقا) تجاه زاوية سام بن نوح ، وفي عرض شارع المنجدين تجاه هذه الزاوية ، وفي شمال
باب زويلة الحالي وعلى بعد ١٣٥ متراً من عتبة . ولما أنشأ الملك المؤيد شيخ المحمدي جامعهم الحالي
داخل باب زويلة في سنة ٨١٩ هـ . هدم الجزء العلوي من بدنى الباب المذكور (أبراجه) ، وأقام منار
الجامع فوقهما . ولا يزال باب زويلة موجوداً إلى اليوم على رأس شارع المعز لدين الله الذي يوصل بين
هذا الباب وبين باب الفتوح . والعامه يسمون باب زويلة بوابة المتولى ، لأن متولى حبة القاهرة
في الزمن الماضي كان يجلس بهذا الباب لتحصيل العوائد والرسوم من أصحاب الأملاك ومن التجار ،
والظفر فيا يمرض عليه يوماً من قضاي المخالفات والفصل فيها . (٦) في الأصلين : « رابع عشر »
وتصحيحه عن جواهر السلوك والتوقيفات الإلهامية .

فَتَكَلَّمَ كَتَبًا فِي أَمْرِهِ مَعَ الْأَمْرَاءِ ، فَاتَّفَقُوا عَلَى إِظْهَارِ أَمْرِهِ لِمَا رَأَوْا فِي ذَلِكَ مِنْ إِصْلَاحِ الْحَالِ ، فَطِيبَ كَتَبًا خَاطِرَ الْأَمِيرِ حُسَامِ الدِّينِ لَاجِينٍ وَوَعَدَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي أَمْرِهِ مَعَ السُّلْطَانِ وَالْمَمَالِكِ الْأَشْرَفِيَّةِ . وَلَا زَالَ كَتَبًا بِالسُّلْطَانِ وَالْحَاشِيَةِ حَتَّى رَضَاهُمْ عَلَيْهِ وَطِيبَ قُلُوبُهُمْ إِلَى أَنْ كَانَ يَوْمَ عِيدِ الْفَطْرِ ، ظَهَرَ حُسَامُ الدِّينِ لَاجِينٍ مِنْ دَارِ كَتَبًا ، وَحَضَرَ السَّمَاطُ وَقَبْلَ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ ، فَنَقَلَ عَلَيْهِ السُّلْطَانُ وَطِيبَ قَلْبَهُ ، وَلَمْ يَعْاتِبْهُ بِمَا فَعَلَ مَعَ أَخِيهِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ خَلِيلٍ مِرَاعَاةَ خَاطِرِ كَتَبًا . ثُمَّ خَلَعَ عَلَيْهِ الْأَمِيرُ كَتَبًا أَيْضًا ، وَحَمَلَتْ إِلَيْهِ الْهَدَايَا وَالتَّحَفُ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَغَيْرِهِمْ ، كُلُّ ذَلِكَ لِأَجْلِ خَاطِرِ كَتَبًا . وَأَصْطَلَحَتْ أَيْضًا مَعَهُ الْمَمَالِكُ الْأَشْرَفِيَّةُ عَلَى مَا فِي نَفْسِهِمْ مِنْ قَتْلِ أَسْنَادِهِمْ بِأَمْرِ كَتَبًا لَهُمْ وَالْحَاحَهِ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ حَتَّى قَبِلُوا كَلَامَهُ . وَكَانَتْ مَكْفَاةَ لَاجِينٍ لَكَتَبًا بَعْدَ هَذَا الْإِحْسَانِ كُلَّهُ بِأَنْ دَبَّرَ عَلَيْهِ حَتَّى أَخَذَ الْمَلِكُ مِنْهُ وَتَسَلَّطَنَ بِغَوْضِهِ عَلَى مَا يَأْتِي ذِكْرُهُ وَبَيَانُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

ثُمَّ خَلَعَ السُّلْطَانُ عَلَى الصَّاحِبِ تَاجِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّاحِبِ نَخْرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ الصَّاحِبِ بَهَاءِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ حِجْنَا بِأَسْتَقْرَارِهِ فِي الْوِزَارَةِ بِالْأَمْرِ الْمَصْرِيَّةِ .

ثُمَّ أَسْتَهْلَتْ سَنَةُ أَرْبَعٍ وَتَسْعِينَ وَسِتِّمِائَةٍ وَالْخَلِيفَةُ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو الْقَاسِمِ أَحْمَدُ . وَسُلْطَانُ مِصْرٍ وَالشَّامِ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدُ بْنُ قِلَافُونَ ، وَمَدَبَّرُ مَمْلَكَتِهِ الْأَمِيرُ كَتَبًا الْمَنْصُورِيُّ . وَلَمَّا كَانَ عَاشِرُ الْمُحَرَّمِ نَارَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمَمَالِكِ الْأَشْرَفِيَّةِ خَلِيلٍ فِي اللَّيْلِ بِمِصْرٍ وَالْقَاهِرَةِ وَعَمِلُوا عَمَلًا قَبِيحًا وَفَتَحُوا أَسْوَاقَ السِّلَاحِ بِالْقَاهِرَةِ بَعْدَ حَرِيقِ بَابِ السَّعَادَةِ ، وَأَخَذُوا خَيْلَ السُّلْطَانِ وَنَحَرُوا نَامُوسَ الْمَلِكِ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ بِسَبَبِ

(١) سِيَرُكَهُ الْمُؤَلَّفُ فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٥٧٠٧ هـ . (٢) هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ سَلِيمٍ الْوَزِيرُ الصَّاحِبُ

نَخْرِ الدِّينِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٦٦٨ هـ . (عَنِ الْمُهَلِّ الصَّافِي) . (٣) تَقَدَّمَ وَفَاتَهُ

سَنَةَ ٦٧٧ هـ . (٤) هُوَ بَذَاةُ بَابِ سَعَادَةِ أَحَدِ أَبْوَابِ الْقَاهِرَةِ الْقَدِيمَةِ وَكَانَ فِي سُورِهَا الْفَرَقِيُّ .

رَاجِعِ الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ٥ ص ٢٨٠ مِنَ الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ .

- ظهور الأمير حسام الدين لاجين وعدم قتله ؛ فإنه كان ممن باشر قتل أستاذهم الملك الأشرف خليل ، فقام الأمير كَتَبُغَا ورعاه ، وأيضا قد بلغهم خَلْعُ أنى أستاذهم الملك الناصر محمد بن قلاوون من السلطنة وسلطنة كَتَبُغَا فترادفت وحشنتهم وترادفت عليهم الأمور ، فأَتَفَقُوا ووثبوا فلم يُنْجِ أمرهم . فلما أصبح الصباح قبض عليهم الأمير كَتَبُغَا وقطع أيدي بعضهم وأرجلهم وكحل البعض وقطع أَلْسِنَةَ آخرين وصلب جماعة منهم على باب زويلة ؛ ثم فرق بقيّة الممالك على الأمراء والمقدمين ، وكانوا فوق الثلاثمائة نفر وهرب الباقون ؛ فطلب الأمير زَيْن الدين كَتَبُغَا الخليفة والقضاة والأمراء وتكلّم معهم في عدم أهلية الملك الناصر محمد للسلطنة لصغر سنّه ، وأن الأمور لا بدّ لها من رجل كامل تخافه الجند والرعية وتقف عند أوامره ونواهيهِ .
- كَلَّ ذلك كان بتدبير لاجين فإنه لما خرج من إخفائه علم أن الممالك الأشرافية لا بدّ لهم من أخذ نار أستاذهم منه . وأيضا أنه علم أن الملك الناصر محمد متى ترعرع وكبر لا يُبْقِيهِ لكونه كان ممن قتل أخاه الملك الأشرف خليلا ، فلما تحقق ذلك أخذ يُحَسِّنُ للأمير كَتَبُغَا السلطنة وخَلَعَ ابن أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون وسلطنته ، وكَتَبُغَا يمتنع من ذلك فلا زال به لاجين حتّى حدّره وأخافه عاقبة ذلك ، وقال له :
- متى كبر الملك الناصر لا يُبْقِيكَ البتّة ، ولا يُبْقِي أَحَدًا ممن تَعَامَل على قتل أخيه الملك الأشرف ، وأن هؤلاء الأشرافية ما دام الملك الناصر محمد في المُلْك شوكتهم قائمة ، والمصلحة خَلَعُ وسلطنتك . قال كَتَبُغَا إلى كلامه ، غير أنه أهمل الأمر وأخذ في تدبير ذلك على مهل . فلما وقع من الأشرافية ما وقع وتب وطالب الخليفة والقضاة حسب ما ذكرناه . ولما حضر الخليفة والقضاة وآتفق رأى الأمراء والجند على خَلْعُ السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون من الملك وسلطنة كَتَبُغَا هذا عِوَضَهُ ؛ فوقع ذلك وخَلَعَ الملك الناصر محمد من السلطنة وتسلم كَتَبُغَا وجلس على تخت الملك

في يوم خلع الملك الناصر ، وهو يوم الخميس ثاني عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة بعد واقعة الممالك الأشرقية ببومين ، وأدخل الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى الدور بالقلعة ، وأمره كتبًا بالأيّركب ولا يظهر . وكان عمره يوم خُلع نحو العشر سنين . وكانت مدة سلطته في هذه المرة الأولى سنة واحدة إلا ثلاثة أيام أو أقل . ويأتي بقية ترجمته في سلطته الثانية والثالثة إن شاء الله تعالى .



السنة الأولى^(١) من سلطنة الملك الناصر محمد الأولى على مصر على أنه لم يكن له من السلطنة فيها إلا مجرد الاسم فقط ، وإنما كان الأمر أولًا للأمير علم الدين سنجار الشجاعى ثم للأمير كتبًا المنصورى ، وهى سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، على أن الأشرف قُتل في أوائلها في المحرم حسب ما تقدّم ذكره .

فيها توفى صاحب نحر الدين أبو العباس إبراهيم بن لقمان بن أحمد بن محمد الشيبانى الإسعردى ثم المصرى ، رئيس الموقّعين بالديار المصرية ، ثم الوزير بها ولى الوزارة مرتين ، وكان مشكور السيرة قليل الظلم كثير العدل والإحسان للرعية . وفى أيام وزارته سعى في إبطال مظالم كثيرة ، وكان يتولى الوزارة بجماعة الإنشاء^(٢) ، وعند ما يعزلونه من الوزارة يُصبح يأخذ غلامه الحرمدان خلقه ، ويروح يقعد في ديوان الإنشاء وكأنه ما تغيّر عليه شيء ، وكان أصله من العدن من بلاد إسعرد وتدرّب في الإنشاء بالصاحب بهاء الدين زهير حتى برّع في الإنشاء وغيره .

- (١) يريد المؤلف السنة التى حكم فيها ، فانه لم يحكم في هذه السلطنة إلا هذه السنة .
 (٢) الجلمكية : كلمة فارسية ، معناها الراتب المربوط لشهرا أو أكثر (عن القاموس الانجليزي الفارسى لاستنجاس) .
 (٣) الحرمدان : كلمة فارسية ، مركبة من كلمتين : الحرم ودان ، ومعناها حقبة السفر أو شظية السفر (عن استنجاس) .
 (٤) في المجلد السابق وتاريخ الدول والملوك : « بن المدن » .
 (٥) هو أبو الفضل وأبو العلا بهاء الدين زهير بن محمد بن على بن يحيى بن الحسن ابن جعفر المهلبى . تقدمت وفاته سنة ٦٥٦ هـ .

قال الذهبي^(١) : رأيت شيخا بعمامة صغيرة وقد حدث عن ابن رواح وكتب عنه البرزالي^(٢) والطلبة . انتهى . وكان ابن لقمان المذكور فاضلاً ناظماً ناثراً مترسلاً ، ومات بالقاهرة في جمادى الآخرة ودفن بالقرافة . ومن شعره :

كن كيف شئت فأتني بك مُفرِّم * راضٍ بما فعل الهوى المتحكم
ولئن كتمتُ عن الوشاة صباي * بك فالجوانح بالهوى تستكم
أشتاق من أهوى وأعجب أنني * أشتاق من هو في الفؤاد مخيم
يا من يصد عن المحب تدللاً * وإذا بكى وجداً غدا يتبسم
أسكتك القلب الذي أحرقت * فحذار من نار به تستمر

- وفيهما قبيل الأمير علم الدين سنجر بن عبد الله الشجاعى المنصورى ، كان من ممالك الملك المنصور قلاوون ، وترقى حتى ولى شد الدواوين ، ثم الوزارة بالديار المصرية فى أوائل دولة الناصر ، وساءت سيرته وكثر ظلمه ، ثم ولى نيابة دمشق فتلطف بأهلها وقتل شره ، ودام بها سنين إلى أن عُزل بالأمير عز الدين أيبك الحموى ، وقدم إلى القاهرة . وكان موكبه يضاهى موكب السلطان من التجميل ، ومع ظلمه كان له ميل لأهل العلم وتعظيم الإسلام ، وهو الذى كان مُشدَّ عمارة البيمارستان المنصورى^(٣) بين القصرين فتممه فى مدة يسيرة ، ونهض بهذا العمل العظيم وفرغ منه فى أيام قليلة ، وكان يستعمل فيه الصنائع والفُحول بالبندق حتى لا يفوته من هو بعيد عنه فى أعلى سقالة كان . ويقال إنه يوما وقع بعض الفُحول من أعلى السقالة بجنبه فمات ، فما أكثر سنجر هذا ولا تغير من مكانه وأمر بدفنه . ثم عمل الوزارة أيضا

(١) هو أبو محمد عبد الوهاب بن طاهر بن علي بن فوح بن رواح رشيد الدين الاسكندرانى المالكي تقدمت .
وفاته سنة ٦٤٨ هـ فيمن ذكر الذهبي وفاتهم . (٢) البرزالي ، هو علم الدين أبو محمد القاسم بن محمد بن يوسف بن محمد الإشبلى الأصل الدمشقي الشافعي . سبكر المؤلف وفاته سنة ٥٧٣٩ هـ .
(٣) راجع الحاشية رقم ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٤) المسمى الآن شارع المعز لدين الله .

في أوائل دولة الناصر محمد بن قلاوون أكثر من شهر حسب ما تقدم ذكره، وحديثه نفسه بما فوق الوزارة، فكان في ذلك حَتْفُه وقتلُه حسب ما ذكرناه في أول ترجمة الملك الناصر هذا، وفرح أهل مصر بقتله فرحاً زائداً حتى إنه لما طافت المشاعلية برأسه على بيوت الكتّاب القبط بَلَفَتْ اللَّطْمَةُ على وجهه بالمداس نصفاً، والبؤلة عليه درهما، وحصلوا المشاعلية جُملاً من ذلك .

قلت : وهذا غلط فاحش من المشاعلية، قاتلهم الله ! لو كان من الظلم ما كان هو خير من الأقباط النصارى . ولما كان على نيابة دِمَشْق وسع مَيدَانُهَا أيام الملك الأشرف، فقال الأديب علاء الدين الوداعى^(١١) في ذلك :

عَلِمَ الْأَمِيرُ بَأَتِ سُلْطَانِ الْوَرَى * يَأْتِي دِمَشْقَ وَيُطْلِقُ الْأَمْوَالَ

فَلَا جُلْ ذَا قَدْ زَادَ فِي مَيدَانِهَا * لِتَكُونَ أَوْسَعَ لِلْجُودِ مَجَالَا

قال الصلاح الصفدى : أخبرنى من لفظه شهاب الدين بن فضل الله قال أخبرنى والدى عن قاضى القضاة نجم الدين أبى الشيخ شمس الدين شيخ الجبل قال : كنت ليلة نائماً فاستيقظتُ وكان من أنبى وأنا أحفظُ كَأَمَّا قَدْ أُشْدِتْ ذَلِكَ :

عِنْدَ الشَّجَاعِي أَنْوَاعٌ مُتَوَعَّةٌ * مِنْ الْعَذَابِ فَلَا تَرْحَمُهُ بِاللَّهِ

لَمْ تُغْنِ عَنْهُ ذُنُوبٌ قَدْ تَحْمِلُهَا * مِنْ الْعِبَادِ وَلَا مَالٌ وَلَا جَاهٌ

قال : ثم جاءنا الخبر بقتله بعد أيام قلائل فكانت قتلته في تلك الليلة التى أُشْدِتْ فيها الشر . انتهى .

قلت : وهذا من الغرائب . وقد ذكرنا من أحوال سَنَجَرِ هذا في تاريخنا المنهل الصافى نبذة كبيرة كونه كتاب تراجم وليس للإطنباب لهؤلاء هنا محل . انتهى .

(١) هو علاء الدين على بن المظفر بن إبراهيم بن عمر بن زيد الوداعى الأديب البارع أبو الحسن الكندى المعروف بكتّاب أبى وداعة . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧١٦ هـ . (٢) هو القاضى الإمام البارع الكاتب المؤرخ الملقب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن القاضى محيى الدين يحيى بن فضل الله بن الجبل ابن دجنان القرشى المدنى المسمى الدمشقى الشافى . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٧٤٩ هـ .

وفيهما توفى قتيلا الملك كَيْخْتُو ملك التتار قتله ابن أخيه ^(١) بَيْدُو .

قلت : وهنا نكتة غريبة لم يقطن إليها أحد من مؤرخي تلك الأيام ، وهي أن سلطان الديار المصرية الملك الأشرف خليل بن قلاوون قتله نائبه الأمير بَيْدَرَا ، وملك التتار كَيْخْتُو هذا أيضا قتله ابن أخيه ^(٢) بَيْدَرَا ، وكلاهما في سنة واحدة ، وذلك في الشرق وهذا في الغرب . انتهى .

وملك بعد كَيْخْتُو بيدو المذكور الذي قتله .

قلت : وكذلك وقع للأشرف خليل ، فإن بيدرا ملك بعده يوما واحدا وتلقب بالملك الأوحده . وعلى كل حال فإنهما تشابها أيضا . انتهى . وكان بَيْدُو الذي ولي أمر التتار يميل إلى دين النصرانية ، وقيل إنه تنصر ، لعنه الله ، ووقع له مع الملك غازان أمور يطول شرحها .

وفيهما قُتِل الوزير صاحب شمس الدين محمد بن عثمان بن أبي الرجاء التُّونُجِيّ - الدمشقي - التاجر المعروف بآبن السُّلْعُوس . قال الشيخ صلاح الدين الصَّفْدِي : كان في شببته يسافر بالتجارة ، وكان أشقر سميًا أبيض معتدل القامة فصيح العبارة حلو المنطق وافر الهبة كامل الأدوات خليقا للوزارة تام الخبرة زائد الإعجاب عظيم التباهي ، وكان جارا للصاحب تقي الدين ^(٣) البيهقي ، فصاحبه ورأى فيه الكفاءة فاخذ له حَسْبَةً دمشقية ، ثم توجه إلى مصر وتوكل لللك الأشرف خليل في دولة أبيه ، بخرى عليه نكبة من السلطان فشجع فيه مخدومه الأشرف خليل ، وأطلقه من الاعتقال ، ورجع فتملك الأشرف في غيبته . وكان محبا له فكتب إليه بين الأسطر : يا شقيرا ، يا وجه الخير ، قدم السير . فلما قديم وزره . وكان إذا ركب تمشي الأمراء الكبار في خدمته . انتهى .

- ٢٠ (١) راجع ما كتبه عن هذا الاسم في الحاشية رقم ١ ص ٢٩ من هذا الجزء . (٢) ذكر المؤلف هذه النكتة على روايته لا على ما أثبتناه . (٣) في الأصلين : « ابن المنيع » . وتصحيحه عن تاريخ الاسلام ويعون النوارنج وشذرات الذهب والوافى بالوفيات للصفدي . وهو تقي الدين البيهقي صاحب الكبير أبو البقاء توبة بن علي بن مهاجر الكريقي عرف بالبيهقي . سيذكره المؤلف سنة ٦٩٨ هـ .

قلت : وكان في أيام وزارته يقف الشجاعى المقدم ذكره في خدمته ، فلما قُتِلَ مخدمه الملك الأشرف وهو بالإسكندرية قديم القاهرة فُطِّلِبَ إلى القلعة فأنزله الشجاعى من القلعة ماشياً ، ثم سلمه من الغد إلى عدوه الأمير بهاء الدين قراقوش^(١) [الظاهرى] مشد الصُّحبة ، قيل : إنه ضربه ألفاً ومائة مِرْقَعة ، ثم تداوله المسعودى^(٢) وغيره وأخذ منه أموالاً كثيرة ، ولا زال تحت العقوبة حتى مات في صفر . ولما تولى الوزارة كتب إليه بعض أحبائه من الشام يُحذِّره من الشجاعى :

تَبَّهْ يا وزيرَ الأرض واعلم * بأنك قد وطئتَ على الأفاعي
وكن بالله معتصماً فإنى * أخاف عليك من نهش الشجاعى

فبلغ الشجاعى ، فلما جرى ما جرى طلب أقاربه وأصحابه وصادرهم ، فقيل له :
١٠ عن النازم ، فقال : لا أؤذيه فإنه نصحه في وما آتصح . وقد أوضحنا أمره في المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافى بأطول من هذا . انتهى .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى المقرئ شمس الدين محمد بن عبد العزيز الدِّمَاطى بِدِمَشْق في صفر . وقاضى القضاء شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن خليل الخوِّى^(٣) . والسلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن قلاوون ، فتكوا به في المحترم . ونائبه بَيدراً قُتِلَ من الغد . ووزيره الصاحب شمس الدين محمد بن عثمان بن السلُّوس هَلَكَ تحت العذاب .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع . مبلغ الزيادة خمس عشرة ذراعاً وسبع أصابع . وثبت إلى سادس عشر توت .

٢٠ (١) زيادة عن تاريخ سلاطين المماليك . (٢) هو الأمير بهاء الدين المسعودى مشد مصر (عن المنهل الصافي) في ترجمة ابن السلوس المذكور . (٣) نسبة إلى خوى ، مدينة بأذربيجان (عن لب الباب ومعجم البلدان لياقوت وصبح الأعشى ج ٤ ص ٣٥٩) .

ذكر سلطنة الملك العادل زين الدين كتبغا على مصر

- هو السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا بن عبد الله المنصورى التركى المغلى سلطان الديار المصرية؛ جلس على تخت الملك بعد أن خلع ابن أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون في يوم الخميس ثانى عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة باتفاق الأمراء على سلطنته. وهو السلطان العاشر من ملوك الترك بالديار المصرية، وأصله من التتار من سبي وقعة حمص الأولى^(١) التى كانت في سنة تسع وخمسين وستمائة؛ فأخذه الملك المنصور قلاوون وأدبه ثم أعتقه؛ وجعله من جملة مماليكه، ورقاه حتى صار من أكابر أمرائه، واستمر على ذلك في الدولة الأشرفية خليل بن قلاوون إلى أن قُتل، وتسلطن أخوه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ثلاث وتسعين وأقام الناصر في الملك إلى سنة أربع وتسعين ووقع الاتفاق على خلعه وسلطنة كتبغا هذا، فتسلطن وتلقب بالملك العادل، وسنة يوم ذاك نحو الأربعين سنة، وقيل خمسين سنة. وقد تقدم سبب خلع الملك الناصر محمد وسلطنة كتبغا هذا في آخر ترجمة الملك الناصر محمد فلا حاجة في الإعادة.

- وقال الشيخ شمس الدين بن الجزرى قال: حكى لى الشيخ أبو الكرم النضرانى الكاتب، قال: لما فتح هولاكو حلب بالسيف ودمشق بالأمان طلب هولاكو بصير الدين الطوسى^(٢) وكان في صحبته، وقال له: أكتب أسماء مقدمى عسكرى، وأبصر أيهم يملك مصر، ويقعد على تخت الملك بها حتى أقدمه؟ قال: فحسب

(١) راجع ص ١٠٦ — ١٠٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٢) في يوم الخميس

الثانى عشر من المحرم من هذه السنة كما تقدم في صفحة ٥٠ من هذا الجزء . (٣) هو نصير الدين

الطوسى خواجه محمد بن الحسن أبو عبد الله . تقدمت وفاته فحين نقل المؤلف وظائفهم عن الدهى سنة ٦٧٢هـ .

نَصِير الدِّين [أسماء] ^(١)المقدمين؛ فما ظهر له من الأسماء أَسْمُ مَنْ يَمْلِك الديار المصرية غير أَسْمُ كَتْبُفًا ^(٢). وكان كَتْبُفًا صَهِرْ هولاكو، فقدمه على العساكر فتوجه بهم كَتْبُفًا فآنكسر على عين جالوت ^(٣)، فتعجب هولاكو من هذه الواقعة وظن أن نصير الدين قد غلط في حسابه ^(٤). وكان كَتْبُفًا هذا من جملة مَنْ كان في عسكر هولاكو من التتار ممن لا يُؤْبَهُ إليه من الأصاغر، وكَسَبَ فلاوون في الواقعة؛ فكان بين المدة نحو من خمس وثلاثين سنة، حتى قدر الله تعالى بما قدر من سلطنة كَتْبُفًا هذا. انتهى.

ولما تم أمر كَتْبُفًا في الملك وتسلطن مدَّ سِمَاطاً عظيماً وأحضر جميع الأمراء والمقدمين والعسكر وأكلوا السَّماط، ثم تقدموا وقبلوا الأرض ثم قبلوا يده وهنَّوْهُ بالسلطنة، وخطَّ على الأمير حُسام الدين لاجين وولاه نيابة السلطنة بالديار المصرية، وولَّى عَزَّ الدين الأقرم أمير جَانْدَار، والأمير سيف الدين بهادر حاجب الحُجَّاب؛ ثم خلع على جميع الأمراء والمقدمين ومن له عادة بلبس الخلع ^(٥) عند تولية الملك كما جرت العادة. وفي يوم الخميس تاسع عشر المحرم ركب جميع الأمراء والمقدمين

(١) زيادة عن جواهر السلوك وتاريخ سلاطين الممالك. (٢) تقدمت وفاة كَتْبُفًا هذا سنة ٦٥٨ هـ. (٣) عين جالوت: قرية صغيرة بين نابلس وبيسان، استولى عليها الروم مدة ثم استنفذها منهم صلاح الدين في سنة ٥٧٩ هـ = ١١٨٣ م. ثم اشتهرت بالموقعة الفاصلة بين التتار والمصريين؛ وقد كانت الهزيمة فيها على التتار الذين أزمعوا اكتساح مصر والشام بعد أن ذكروا صرح الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦ هـ = ١٢٥٨ م. فقد شئت المظفر قطز فيها شلهم في سنة ٦٥٨ هـ = ١٢٦٠ م كما تقدم ذكر ذلك في ترجمة المظفر قطز ص ٧٥ — ٨٠ من الجزء السابع من هذه الطبعة، ولا تزال هذه القرية بقية إلى اليوم باسم جالود وهي قرية صغيرة من قضاء نابلس لا يتجاوز سكانها مائة وخمسين نفساً. (انظر ياقوت وجغرافية فلسطين). (٤) ورد في جواهر السلوك وتاريخ سلاطين الممالك بعد كلمة «عين جالوت» العبارة الآتية: «وفاتهم أنهم ما حسبوا في أي وقت يملك هذا الاسم ولا المدة، فله الحمد والمدة الذي كان هذا الاسم من ملوك الإسلام، فكان بين المدة نحو من خمس وثلاثين سنة». (٥) زيادة عن جواهر السلوك.

وجميع من خلع عليه وآتوا إلى سوق الخيل وترجلوا وقبلوا الأرض، ثم كَتَبَ بِسُلْطَنَةِ
الملك العادل إلى البلاد الشامية وغيرها . وزُيِّنَت مصر والقاهرة لسلطنته .

ولما كان يوم الأربعاء مستهل شهر ربيع الأول ركب السلطان الملك العادل
كَتَبًا بِأَمْرِ السُلْطَنَةِ وَشِعَارِ الْمَلِكِ مِنْ قَلْعَةِ الْجَبَلِ وَتَزَلَّ وَسَارَ إِلَى ظَاهِرِ الْقَاهِرَةِ
نَحْوُ قُبَّةِ النُّصْرِ، وَعَادَ مِنْ بَابِ النُّصْرِ وَشَقَّ الْقَاهِرَةَ حَتَّى خَرَجَ مِنْ بَابِ رُؤَيْلَةَ عَائِدًا
إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ، كَمَا جَرَتْ الْعَادَةُ بِرُكُوبِ الْمُلُوكِ . وَلَمْ تَطُلْ مَدَّةُ سُلْطَنَتِهِ حَتَّى وَقَعَ
الْغَلَاءُ وَالْفَنَاءُ بِالْأَيَّامِ الْمَصْرِيَّةِ وَأَعْمَالُهَا، ثُمَّ أَنْتَشَرَ ذَلِكَ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ جَمِيعُهَا فِي شَوَّالٍ
مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ ، وَأَرْفَعَ سِعْرُ الْقَمْحِ حَتَّى بَاعَ كُلُّ إِرْدَبٍ بِمِائَةِ وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا بَعْدَ
أَنْ كَانَ بِخَمْسَةِ وَعِشْرِينَ دِرْهَمًا الْإِرْدَبُ، وَهَذَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، وَأَمَّا فِي السَّنَةِ الْآتِيَةِ
الَّتِي هِيَ سَنَةُ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَسِمِائَةِ فَوْضَلَ سِعْرِ الْقَمْحِ إِلَى مِائَةِ وَسِتِينَ دِرْهَمًا الْإِرْدَبُ .
وَأَمَّا الْمَوْتُ فَإِنَّهُ فَشَا بِالْقَاهِرَةِ وَكَثُرَ ، فَأَحْصَى مَنْ مَاتَ بِهَا وَثَبَّتَ اسْمُهُ فِي دِيْوَانِ
[الْمَوَارِيثِ] فِي ذِي الْحِجَّةِ قَبْلُغُوا سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفًا وَخَمْسِمِائَةً . وَهَذَا سِوَى مَنْ لَمْ يَرِدْ
اسْمُهُ فِي دِيْوَانِ الْمَوَارِيثِ مِنَ الْغُرَبَاءِ وَالْفُقَرَاءِ وَمَنْ لَمْ يُطْلَقْ مِنَ الدِّيْوَانِ . وَرَحَلَ
جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ عَنْهَا إِلَى الْأَقْطَارِ مِنْ عِظَمِ الْغَلَاءِ وَتَحَلُّجِ أَمْرِ الدِّيَارِ
الْمِصْرِيَّةِ . وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ حَجَّ الْأَمِيرُ أُنْسُ بْنُ الْمَلِكِ الْعَادِلِ كَتَبًا صَاحِبَ التَّرْجُمَةِ ،
وَحَجَّتْ مَعَهُ وَالِدَتُهُ وَأَكْثَرُ حَرَمِ السُّلْطَانِ ، وَحَجَّ بِسَبَبِهِمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنْ نِسَاءِ الْأَمْرَاءِ

(١) راجع الحاشية ١ ص ٤٢ من هذا الجزء . (٢) في الأصلين : « ربيع الآخر » .

وتصحيحه عن جواهر السلوك والتوقيعات الإلهامية . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من
الجزء السابع من هذه الطبعة . (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة .

(٥) في تاريخ سلاطين المماليك : « فوصل سعر القمح إلى مائة وثمانين درهما الإردب » .

(٦) الزيادة عن جواهر السلوك وتاريخ سلاطين المماليك وما ساقى ذكره في السطر التالي .

(٧) في الأصلين : « وتخلل » .

بجمل زائد، وحصل بهم رفق كبير لأهل مكة والمدينة والمجاورين، وشكرت سيرة ولد السلطان أنس المذكور وبذل شيئاً كثيراً لصاحب مكة .

ثم استهلّت سنة خمس وتسعين وستمائة وخليفة المسلمين الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد الهاشمي البغدادى العباسي . وسلطان الديار المصرية والبلاد الشامية والشمالية والقراتية والساحلية الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري . ووزيره صاحب نخر الدين عمر ابن الشيخ مجد الدين بن الخليلي . ونائب السلطنة بالديار المصرية الأمير حسام الدين لاجين المنصوري . وصاحب مكة، شرفها الله تعالى، الشريف نجم الدين أبو نعيم محمد الحسني المتكى . وصاحب المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، عز الدين جمّاز بن شيعة الحسني . وصاحب اليمن محمد الدين عمر ابن الملك المظفر شمس الدين يوسف ابن الملك المنصور عمر [بن علي] بن رسول . وصاحب حماة بالبلاد الشامية الملك المظفر تقي الدين محمود ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقي الدين محمود [ابن الملك المنصور محمد بن تقي الدين عمر] بن شاهنشاه بن أيوب . وصاحب ماريدين [الملك السعيد شمس الدين داود ابن] الملك المظفر نخر الدين ألي أرسلان ابن الملك السعيد شمس الدين قرأ أرسلان بن أرتق الأرتقي . وصاحب الروم السلطان غياث الدين مسعود ابن السلطان عز الدين [كيككوس] ابن السلطان

- (١) في الأصلين : « أبو نعيم سعد » . وما أثبتناه عن جواهر السلوك وعيون التواريخ .
 (٢) تكملة عن المصدرين المتقدمين . (٣) التكملة عما تقدم ذكره للوف سنة ٦٨٣ هـ .
 (٤) في الأصلين : « ابن شادي » . وتصحيحه عن الحاشية رقم ٢ ص ١٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة وما تقدم للوف في غير موضع . (٥) التكملة عن جواهر السلوك وعيون التواريخ وتاريخ سلاطين المالك . (٦) في الأصلين : « مجير الدين » . والتصحيح عن المصادر المتقدمة .
 (٧) الزيادة عما تقدم ذكره في الحاشية رقم ٦ ص ١٦ و ص ٢٠٠ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

غياث الدين كيخسرو بن سلجوق السلجوقي . وملك التتار غازان ويقال قازان ،
وكلاهما يصح معناه ، وأسمه الحقيقي محمود بن أرغون بن أبقا بن هولاكو ، وهو مظهر
الإسلام وشعائر الإيمان . ونائب دمشق الأمير عز الدين أيبك الحموي المنصوري .
وكان الموافق لأول هذه السنة عاشر بابه أحد شهور القبط المسما بالرومي^(١)
تشرين الأول .

وقال الشيخ قطب الدين اليونيني : وفي العشر الأول من المحرم حكى جماعة
كثيرة من أهل دمشق واستفاض ذلك في دمشق وكثر الحديث فيه عن قاضي جبة^(٢)
أعسال ، وهي قرية من قرى دمشق ، أنه تكلم ثور بقرية من قرى جبة أعسال ،
وملخصها : أن الثور خرج مع صبي يشرب ماء من هناك فلما فرغ حمد الله تعالى فتعجب
الصبي ! وحكى لسيده مالك الثور فشك في قوله ، وحضر في اليوم الثاني بنفسه ،
فلما شرب الثور حمد الله تعالى ؛ ثم في اليوم الثالث حضر جماعة وسموه بحمد الله
تعالى ؛ فكلّمه بعضهم فقال الثور : « إن الله كان كتب على الأمة سبع سنين
جذباً ، ولكن بشفاعتي النبي صلى الله عليه وسلم أبدلها بالخصب ، وذكر أن النبي
صلى الله عليه وسلم أمره بتبليغ ذلك ، وقال الثور : يا رسول الله ما علامة صدقي
عندهم ؟ قال : أن يموت عقيب الإخبار . قال الحاكى لذلك : ثم تقدّم الثور
على مكان عال فسقط ميتاً ، فأخذ الناس من شعره للتبرك ، وكفن ودُفن . انتهى .
قلت : وهذه الحكاية غريبة الوقوع والحاكى لها ثقة حجة ، وقد قال : إنه
استفاض ذلك بدمشق . انتهى .

(١) في التوفيقات الإلهامية أن أول سنة ٦٩٥ هـ يوافق ١٣ هاتور سنة ١٠١٢ قبطية .

(٢) وافق المؤلف على هذه التسمية صاحب جواهر السلوك وصاحب تاريخ الدول والملوك . وسمّاها

ياقوت « جبة عسيل » بالتصغير وقال : إنها ناحية بين دمشق وبلبك تشتمل على عدة قرى .

وأما أمر الديار المصرية فإنه عظم أمر الغلاء بها حتى أكل بعضهم الميتات والكلاب، ومات خلق كثير بالجوع. والحكايات في ذلك كثيرة، وانتشر الغلاء شرقاً وغرباً. وبينما السلطان الملك العادل كتباً فيما هو فيه من أمر الغلاء ورد عليه الخبر في صفر بأنه قد وصل إلى الرّجبة^(١) عسكر كثير نحو عشرة آلاف بيت من عسكر بيدو ملك التتار طالبين الدخول في الإسلام خوفاً من السلطان غازان، ومقدمهم أمير أسمه طرغاي^(٢)، وهو زوج بنت هولاكو، فرسم الملك العادل إلى الأمير علم الدين سنجر [الدواداري^(٣)] بأن يسافر من دمشق إلى الرّجبة حتى يتلقاهم، فخرج إليهم، ثم خرج بعده الأمير سنقر الأعسر شاذ دواوين دمشق، ثم ندب الملك العادل أيضاً الأمير قرا سنقر المنصوري^(٤) بالخروج من القاهرة، فخرج حتى وصل إلى دمشق لتلقى المذكورين، ورسم له أن يحضر معه في عودته إلى مصر جماعة من أعيانهم، فوصل قرا سنقر إلى دمشق وخرج لتلقيهم، ثم عاد إلى دمشق في يوم الاثنين ثالث عشرين شهر ربيع الأول، ومعه من أعيانهم مائة فارس وثلاثة عشر فارساً، وفرح الناس بهم وبإسلامهم وأنزلهم بالقصر الأبلق من الميدان.

وأما الأمير علم الدين سنجر الدواداري فبقى مع الباقيين، وهم فوق عشرة آلاف ما بين رجل كبير وكهل وصغير وأمرأة ومعهم ماشية كثيرة ورخت عظيم، وأقام قرا سنقر بهم أياماً، ثم سافر بهم إلى جهة الديار المصرية، وقدموا القاهرة في آخر شهر ربيع الآخر، فأكرمهم السلطان الملك العادل كتباً ورتب لهم الرواتب.

- (١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٢٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة. (٢) في الأصلين: «قرطاي». وما أتيته عن تاريخ الدول والملوك وتاريخ سلاطين المماليك. (٣) زيادة عن جواهر السالك وتاريخ سلاطين المماليك وتاريخ الدول والملوك وما سياتي بعد قليل. (٤) هوشم الدين سنقر بن عبد الله الأعسر الوزير. سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٥٧٠٩. (٥) هوسيف الدين قرا سنقر بن عبد الله المنصوري. سيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٧٢٧. (٦) الرخت: كلمة فارسية تفيد جملة معان: منها البضائع والماشية والخليل والعدة والرباش (عن قاموس استنجاس).

ثمّ بدأ الملك العادل كتبغا السفر إلى البلاد الشامية لأمرٍ مقدّر اقتضاه رأيه، وأخذ في تجهيز عساكره وتبنيًا للسفر، وخرج بجميع عساكره وأمرائه وخاصّيته في يوم السبت سابع عشر شوال وسار حتى دخل دمشق، في يوم السبت خامس عشر ذى القعدة وخامس ساعة من النهار المذكور ودخل دمشق والأمير بدر الدين بيسرى حامل الجُترة على رأسه، ونائب سلطنته الأمير حسام الدين لاجين المنصوري ماشيًا بين يديه، ووزيره صاحب نغر الدين بن الخليلي، واحتفل أهل دمشق لقدمه وزيّنت المدينة وفرح الناس به.

ولما دخل الملك العادل إلى دمشق وأقام بها أيامًا عزّل عنها نائبها الأمير عز الدين أيّك الحموي، وولّى عوضه في نيابة دمشق مملوكه الأمير سيف الدين أغزلوا العادلي وعمره نحو من اثنتين وثلاثين سنة، وأنعم على الأمير عز الدين أيّك الحموي بجُزّ أغزلوا بمصر، وخرجًا من عند السلطان وعليهما الخلع، هذا متولّ وهذا منفصل. ثم سافر السلطان الملك العادل من دمشق في ثاني عشر ذى الحجة بأكثر العسكر المصري وبقية جيش الشام إلى جهة قرية جوسية، وهي ضيعة اشتراها له صاحب شهاب الدين الحنفى فتوجّه إليها، ثم سافر منها في تاسع عشر ذى الحجة إلى حصص ونزل عند البحّرة بالمرج بعد ما أقام في البرية أيامًا لأجل الصيد، وحضر

- (١) الجُترة: الخفّة وهي قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب على أعلاها طائر من فضة مطليّة بالذهب تحمل على رأس الملك في العيدين، وهي من بقايا الدولة الفاطمية، فارسية معربة. وضبطت بالعبارة في صبح الأعشى (بكر الجيم). وفي الأنفاظ الفارسية المعربة ضبط بالقلم ففتح الجيم (راجع صبح الأعشى ج ٤ ص ٨٧ و ٨٨). (٢) هو صاحب الوزر نغر الدين عمر ابن الشيخ مجد الدين عبد العزيز ابن الحسن بن الحسين الخليلي. سيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٧١١ هـ. (٣) هكذا ورد في الأصلين هنا وفيما سيذكره المؤلف عند وفاته سنة ٥٧١٩ هـ، والمنهل الصافي. وفي جواهر السلوك وتاريخ سلاطين المماليك وعيون النوارنج: «غزلوا» بالعين والراء. وهو أغزلوا بن عبد الله العادلي نائب الشام. (٤) جوسية: قرية من قرى حمص على ستة فراسخ منها من جهة دمشق، فيها عيون تنقى أكثر ضياعها. (عن معجم البلدان لياقوت). (٥) يراد به المرج الذي تحت حصن الأكراد، وراجع ١٤٢ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

إليه تَرَابُ البلاد الحلبية جميعها؛ ثم عاد إلى دمشق ودخلها بن معه من العساكر
صَحْأ نهار الأربعاء ثاني المحرم من سنة ست وتسعين وستمائة . وأقام بِدِمَشْق إلى يوم
الجمعة رابع المحرم ركب السلطان الملك العادل المذكور بخواصه وأمرائه إلى الجامع
لصلاة الجمعة فحضر وصلى بالمقصورة؛ وأخذ من الناس قَصَصَهُمْ حتى إنه رأى
شخصاً بيده قصّة فقَدَمَ إليه بنفسه خُطُوات وأخذها منه؛ ولما جلس الملك العادل
للصلاة بالمقصورة جلس عن يمينه الملك المظفر تقي الدين محمود صاحب حمّاء، وتحت
بدرُ الدِّين أمير سلاح، ثم من تحته نائب دمشق أغرلو العادل؛ وعن يسار السلطان
الشيخ حسن بن الحريري وأخواه، ثم نائب السلطنة لاجين المنصوري، ثم تحته
نائب دمشق الأمير عز الدين أيك الحموي (أعنى الذي عُزل عن نيابة دمشق)،
ثم من تحته الأمير بدر الدين بيسرى، ثم قرا سُتَقَرُّ المنصوري، ثم الحاج بهادر حاجب
النجّاب؛ ثم الأمراء على مراتبهم ميمنة وميسرة .

فلما آنقضت الصلاة خرج من الجامع والأمراء بين يديه والناس يتهللون بالدعاء
له ، وأحبه أهل دِمَشْق وشكرت سيرته ، ومُحَدَّتْ طريقتَه . ثم في يوم الخميس
سابع عشر المحرم أمسك السلطان الأمير أسندمر وقيدته وحبسهُ بالقلعة . وفي يوم
الاثنين حادى عشرين المحرم عزل السلطان الأمير شمس الدين سُتَقَرُّ الأعسر عن
شد دواوين دمشق ورسم له بالسفر صحبة السلطان إلى مصر ، وولى عوضه
فتح الدين ابن صبرة .

(١) هو بدر الدين بكاش بن عبد الله الفخرى النجمي أمير سلاح مقدم العساكر المصرية في غزو
سويس . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٧٠٦ . (٢) هو الشيخ حسن بن علي بن منصور الحريري .
سيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٦٩٧ . (٣) هو الحاج بهادر بن عبد الله المنصوري سيف الدين الحلبي .
سيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٧١٠ . (٤) هو أسندمر بن عبد الله الكرعي سيف الدين . توفي
سنة ٥٧٢١ كما في الدرر الكامنة . وفي هامشها والمهل الصافي أنه توفي سنة ٥٧١١ . (٥) في المهمل
الصافي في ترجمة ستقر الأعسر : « وعزله بفتح الدين بن صورة » ولم تقف عليه في مصدر آخر .

ولما كان بكرة يوم الاثنين المذكور خرج السلطان الملك العادل من دمشق بعساكره وجيوشه نحو الديار المصرية ، وسار حتى نزل بالجئون^(١) بالقرب من وادي حمة^(٢) في بكرة يوم الاثنين ثامن عشرين المحرم من سنة ست وتسعين ، وكان الأمير حسام الدين لاجين المنصوري نائب السلطنة قد آتفق مع الأمراء على الوثوب على السلطان الملك العادل كتبغاً هذا والفتك به ، فلم يقدر عليه لعظم شوكته ، فديرأساً .
 آخر وهو أنه أبداً أولاً بالقبض على الأميرين : بتخاص وبكتوت الأزرق العادليين ، وكانا شهمين شجاعين عزيزين عند أستاذهما الملك العادل المذكور ، فركب لاجين بمن وافقه من الأمراء على حين غفلة وقبض على الأميرين المذكورين وقتلهما في الحال ، وقصد تخيم السلطان فمنعه بعض مماليك السلطان قليلا وعوقوه عن الوصول إلى الملك العادل . وكان العادل لما بلغه هذا الأمر علم أنه لا قبل له على قتال لاجين لعلمه بمن وافقه من الأمراء وغيرهم وخاف على نفسه ، وركب من خيل النوبة فرساً تسمى حمامة وساق لقلّة سعده ولزوال ملكه راجعاً إلى الشام ، ولو أقام بجيحه لم يقدر لاجين على قتاله وأخذه ، فما شاء الله كان ! وساق حتى وصل إلى دمشق يوم الأربعاء آخر المحرم قرب العصر ، ومعه أربعة أونحسة من

- ١٠ (١) الجئون : قرية فلسطينية في قضاء جينين ، يبلغ عدد سكانها ٤٠٠ نفس . قال ياقوت في معجمه : بين الجئون وطبرية عشرون ميلاً وإلى الرملة أربعون ميلاً . وفي الجئون الصخرة المدورة في وسط المدينة وعليها قبة زعموا أنها مسجد إبراهيم عليه السلام وتحت الصخرة عين غزيرة الماء ، وذكروا أن إبراهيم دخل المدينة في وقت مسيره إلى مصر ومعه غنم له ، وكانت المدينة قليلة الماء ، فسألوا إبراهيم أن يرشح لهم لقلّة الماء فيقال إنه ضرب بعصاه هذه الصخرة فخرج منها ماء كثير فاقمع على أهل المدينة ، فيقال إن بساينهم وقرام تسق من هذا الماء ، والصخرة قائمة إلى اليوم (أي يوم وفاة ياقوت سنة ٨٢٦هـ) . (انظر معجمه ج ٤ ص ٣٥١ وجغرافية فلسطين لحسين روصي) .
- ٢٠ (٢) حمة : قرية من أعمال جينين ، ورد ذكرها في التعريف لابن فضل الله العمري ص ١٩٢ . وفي صبح الأعشى ج ١٤ ص ٣٧٩ أنها مركز من مراكز البريد بين قاقون وجينين ، ولا تزال القرية موجودة إلى اليوم في قضاء جينين على مرحلة منها في الجنوب الغربي . يقارب سكانها المائتين . ووادي حمة المضاف إليها معروف إلى اليوم يقع ما بين الجئون وحمة غربي جينين . (انظر خريطة قضاء جينين في جغرافية فلسطين لحسين روصي ص ٧٤) .
- ٢٥ (٣) في الأصلين : « لا قبل له به على ... » بزيادة " به " .

خواصه . وكان وصل إلى دمشق يوم الأربعاء آخر المحرم أول النهار أمير شكار
السلطان ، وأخبر نائب الشام بصورة الحال وهو مجروح ، فتهيا نائب الشام الأمير
أغزلو العادل^(١) واستعد وأحضر أمراء الشام عند السلطان ورسم بالاحتياط على
تواب الأمير حسام الدين لاجين وعلى حواصله بدمشق ، ونديم الملك العادل على
ما فعله مع لاجين هذا من الخير والمدافعة عنه ، من كونه كان أحد من أعانه على
قتل الأشرف ، وعلى أنه ولّاه نيابة السلطنة ، وفي الجملة أنه ندم حيث لا ينفعه
الندم ! وعلى رأى من قال : ” أشبعتم سباً وفازوا بالإيل ” ومثله أيضاً قول القائل :
مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا * وَفَازَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ

ثم إن الملك العادل طلب قاضي قضاة دمشق بدر الدين^(٢) بن جماعة فخصرين
يدى السلطان هو وقاضي القضاة حسام الدين الحنفى ، وحضرا عند الملك العادل
تخليف الأمراء والمقدمين وتجديد المواثيق منهم ، ووعدهم وطيب قلوبهم .

وأما الأمير حسام الدين لاجين فإنه استولى على دهليز السلطان والخزائن
والحراس والعساكر من غير ممانع ، وتسلم في الطريق ولقب بالملك المنصور حسام
الدين لاجين ، وتوجه إلى نحو الديار المصرية وملكها وتم أمره ، وخطب له بمصر
وأعمالها والقدس والساحل جميعه .

وأما الملك العادل فإنه أقام بقلعة دمشق هذه الأيام كلها لا يخرج منها ، وأمر
جماعة بدمشق ، وأطلق بعض المكوس بها ، وقُرئ بذلك توقيع يوم الجمعة سادس عشر
صفر بعد صلاة الجمعة بالجامع . وبينما هو في ذلك ورد الخبر على أهل دمشق بأن

(١) هو بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الحموي الكافي . سيذكر المؤلف زبانه

سنة ٥٧٣٣ . (٢) هو حسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن بن أنوشروان قاضي القضاة

الحنفى . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٦٩٩ هـ .

- مدينة صَفَد زُيِّنَتْ لسلطنة لاجين ودُقَّ بها البشائر ، وكذلك نابُلس والكَرَّك .
 فلما بلغ الملك العادل ذلك جهَّز جماعة من عسكر دِمَشق مقدَّمهم الأمير طُقُصُبا
 الناصريّ بكشف هذا الأمر وتحقيق الخبر ، فتوجَّهوا يوم الخميس ثاني عشرين صفر
 فعلموا بعد خروجهم في النهار المذكور بدخول الملك المنصور لاجين إلى مصر
 وسلطته ، فرجعوا وعلموا عدم الفائدة في توجَّههم . ثم في العُد من يوم الجمعة
 ثالث عشرين صفر ظهر الأمر بدمشق وأنكشف الحال وجوهر الملك العادل كَتَبُعا
 بذلك ، وبلغه أنه لمَّا وصل العسكر إلى غَزَّة رَكِب الأمير حسام الدين لاجين في دَسَتْ
 السلطنة ، وحَمَلَ اليَسْرَى على رأسه الجُتْر وحلقوا له ، ونُعِت بالملك المنصور .
 ثم في يوم السبت رابع عشرين صفر وصل إلى دمشق الأمير بُحْكُنْ ومعه جماعة
 من الأمراء كانوا مجزدين إلى الرُّحبة ، فلم يدخلوا دمشق بل توجَّهوا إلى جهة مَيْدَان
 الحصا ، وأعلن الأمير بُحْكُنْ أمر الملك المنصور لاجين ، وعَلِم جيش دِمَشق بذلك ،
 فخرج إليه طائفة بعد طائفة ، وكان قبل ذلك قد توجَّه أميران من أكابر أمراء
 دمشق إلى جهة الديار المصرية . فلما تحقق الملك العادل كَتَبُعا بذلك وعَلِم انحلال
 أمره وزوال دولته بالكلية أذعن بالطاعة لأمراء دِمَشق ، وقال لهم : الملك المنصور
 لاجين خُشْدائِي وأنا في خدمته وطاعته ، وحضر الأمير سيف الدين جاغان الحُسامي
 إلى قلعة دمشق إلى عند الملك العادل كَتَبُعا ، فقال له كَتَبُعا : أنا أجلس في مكان
 بالقلعة حتَّى نُكاتب السلطان ونعتمد على ما يرُسَم به . فلما رأى الأمراء منه ذلك
 تفزقوا وتوجَّهوا إلى باب المَيْدَان وحاقوا بالملك المنصور لاجين وأرسلوا البريد إلى
 القاهرة بذلك ، ثم احتفظوا بالقلعة وبالملك العادل كَتَبُعا ، وليس عسكر دِمَشق آلة
 الحرب وسُيروا عاقبة نهار السبت بظاهر دمشق وحول القلعة ، والناس في هَرَج

(١) هو سيف الدين بكحكن بن عبد الله المنصوري توفي سنة ٧٣٩ هـ في المنهل الصافي .

وأخباط وأقوال مختلفة، وأبواب دمشق مغلقة سوى باب النصر^(١)، وباب القلعة
مغلق فُتِحَ منه خَوْخَتُهُ، واجتمع العامة والناس من باب القلعة إلى باب النصر
وظاهر البلد حتى سقط منهم جماعة كثيرة في الخندق فسلم جماعة وهلك دون العشرة،
وأمسى الناس يوم السبت وقد أعلن بآسم الملك المنصور لاجين لا يُخْفَى أحد
ذلك، وشُرع [وقت العصر^(٢) في] دَقَّ البشائر بالقلعة . ثم في سَحَرِ يوم الأحد ذَكَرَهُ
المؤذنون بجامع دمشق، وتلوا قوله تعالى : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ ...) إلى آخرها .
وأظهروا آسم المنصور والدعاء له ، ثم ذكره قارئ المصحف بعد صلاة الصبح
بمقصورة جامع دمشق ، ودَقَّتْ البشائر على أبواب جميع أمراء دمشق دَقًّا مُرْجَاً ،
وأظهروا الفرح والسرور وأمر بترين أسواق البلد جميعها فزُيِّنَتْ مدينةُ دمشق ،
وفُتِحَتْ دكاكين دمشق وأسواقها واشتغلوا بمعايشهم ، وتعجب الناس من تسليم
الملك العادل كُتْبَةً الأَمْرِ إلى الملك المنصور لاجين على هذا الوجه الهين من غير قتال
ولا حرب مع ما كان معه من الأمراء والجنود ، ولو لم يكن معه إلا مملوكه الأمير
أَغْزَلُو العادلي نائب الشام لكفاه ذلك . على أن الملك المنصور لاجين كان أرسل
في الباطن عدة مطالعٍ لأمراء دمشق وأهلها وأستال غالب أهل دمشق ،
فما أحوجه الملك العادل كُتْبَةً لشيء من ذلك بل سلم له الأَمْرَ على هذا الوجه الذي
ذكرناه . خذلان من الله تعالى .

وأما الأمير سيف الدين أغزَلُو العادلي مملوك الملك العادل كُتْبَةً نائب الشام
لمَّا رأى ما وقع من أستاذة لم يسهه إلا الإذعان للملك المنصور وأظهر الفرح به

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٣٠٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

(٢) زيادة عن جواهر السلوك .

وخلف له . وقال : الملك المنصور لاجين — نصره الله — هو الذى كان عيّن لنيابة دمشق ، وأستاذى الملك العادل كتبنا آستصغرنى فأنا نائيه . ثم سافر هو والأمير جاغان الحسامى إلى نحو الديار المصرية .

- وأما لاجين فإنه تسلطن يوم الجمعة عاشر صفر وركب يوم الخميس سادس عشر صفر وشق القاهرة وتم أمره . وأما الملك العادل كتبنا هذا فإنه آستمر بقلعة دمشق إلى أن عاد الأمير جاغان المنصورى الحسامى إلى دمشق في يوم الاثنين حادى عشر شهر ربيع الأول ، وطلع من الغد إلى قلعة دمشق ومعه الأمير الكبير حسام الدين الظاهرى أستاذ الدار في الدولة المنصورية والأشرفية ، والأمير سيف الدين كُحْنُ ، وحضر قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة قاضى دمشق ودخلوا الجميع إلى الملك العادل كتبنا ، فتكلم معهم كلاماً كثيراً بحيث إنه طال المجلس كالعاب عليهم ، ثم إنه حلف يمينا طويلة يقول في أولها : أقول وأنا كتبنا المنصورى ، ويكرّر اسم الله تعالى في الحلف مرّة بعد مرّة ، أنه يرضى بالمكان الذى عينه له السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين ولا يكاتب ولا يسارر ، وأنه تحت الطاعة ، وأنه خلّع نفسه من الملك وأشياء كثيرة من هذا التّؤدج ، ثم خرجوا من عنده . وكان المكان الذى عينه له الملك المنصور لاجين قلعة صرّخد ، ولم يعين المكان المذكور في اليمن . ثم ولّى الملك المنصور نيابة الشام للأمير قُبُجُق المنصورى وعزّل أغزُلوا العادلى ، فدخل قبجق إلى دمشق في يوم السبت سادس عشر شهر ربيع الأول ، وتجهّز الملك العادل كتبنا وخرج من قلعة دمشق بأولاده وعباله ومماليكه

(١) في أحلا الأصلين : « يوم الاثنين » . والتصحيح عن جواهر السلوك وتاريخ سلاطين

(١) وتوجّه إلى صَرْخُد في ليلة الثلاثاء تاسع عشر شهر ربيع الأول المذكور، وجرّدوا معه جماعة من الجيش نحو مائتي فارس إلى أن أوصلوه إلى صَرْخُد . فكانت مدة سلطنة الملك العادل كَتَبًا هذا على مصر سنتين وثمانية وعشرين يوما ، وقيل سبعة عشر يوما ، وتسلمن من بعده الملك المنصور حُسام الدين لاجين حسب ما تقدّم ذكره . ثم كتب له الملك المنصور حُسام الدين لاجين تقليدًا بِنِيَابَةِ صَرْخُد ، فقَبِلَ الملك العادل ذلك وباشِر نِيَابَةِ صَرْخُد سنين إلى أن نقله السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سلطته الثانية من نِيَابَةِ صَرْخُد إلى نِيَابَةِ حَمّاه . وصار من جملة نَوَابِ السلطنة ، وُكِّبَ له عن السلطان كما يُكْتَبَ لأمثاله من النَوَابِ ، وسافر في التجاريد في خدمة نَوَابِ دمشق وحضر الجهاد ؛ ولم يزل على نِيَابَةِ حَمّاه حتى مات بها في ليلة الجمعة يوم عيد الأضحى وهو في سنّ الكهولة . ودُفِنَ بِحَمّاه ، ثم نُقِلَ منها ودُفِنَ بترابته التي أنشأها بِسَفْحِ جَبَلِ قَاسِيُونِ دِمَشْقَ غَرْبِي الرِّبَاطِ الناصري ، وله عليها أوقاف . وكان مَلِكًا حَيًّا دِينًا عَاقِلًا عادلا سَلِيمَ الباطن شجاعًا متواضعًا ، وكان يُحِبُّ الفقهاء والعلماء والصلحاء ويكرمهم إكرامًا زائدًا ، وكان أَسْمَرَ اللون قصيرا دقيق الصدر قصير العُنُق ، وكان له لَحْيَةٌ صَغِيرَةٌ في حَنَكِهِ ، أُسِرَ صَغِيرًا من عسكر هولاكو . وكان لَمَّا ولى سلطنة مصر والشام تشاءم الناس به ، وهو أن النيل قد بلغ في تلك السنة ست عشرة ذراعًا ثم هَبَطَ من ليلته فَشِرِقَتِ البلاد وأعقبه غلاءٌ عظيم حتى أكل الناس الميتة . وقد تقدّم ذكر ذلك في أوّل ترجمته . ومات الملك العادل

(١) في الأصلين : « سابع عشر » . والتصحيح عن جواهر السلوك وتاريخ سلاطين المماليك

والتوقيفات الإلهامية . (٢) كانت وفاته ليلة الجمعة يوم عيد الأضحى سنة ٧٠٢ هـ في مدة ولاية

الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية كما سيذكره المؤلف في السنة المذكورة . ٢٠

كَتَبْنَا المذكور بعد أن طال مرضه وأسترخى حتى لم يبق له حركة . وترك عدة أولاد .
وتولى نيابة حماة بعده الأمير بختاخس المنصوري نُقِلَ إليها من نيابة الشوبك . وقد
تقدم التعريف بأحوال كَتَبْنَا هذا في أوائل ترجمته وفي غيرها فيما مرّ ذكره . وأمر
كَتَبْنَا هذا هو نخرق العادة من كونه كان ولي سلطنة مصر أكثر من سنتين وصار له
شوكة وممالك وحاشية ، ثم يُخلع ويصير من جملة نواب السلطان بالبلاد الشامية ؛
فهذا شيء لم يقع لغيره من الملوك . وأعجب من هذا أنه لما قُتل الملك المنصور لاجين
وتخبر أمراء مصر فيمن يؤاونه السلطنة من بعده لم يتعزّض أحد لذكره ولا رُفِّحَ
للعود البتّة حتى احتاجوا الأمراء وبعثوا خلف الملك الناصر محمد بن قلاوون من
الكرك ، وأتوا به وسلطنوه .

- ١٠ قلت : وما أظنّ أن القلوب نفّرت منه إلا لِمَا رَأَوْه من دُنْيٍ همته عند ما خلع
من السلطنة وتسليمه للامر من غير قتال ولا ممانعة ، وكان يُمكنه أن يدافع بكلّ ما تصل
القُدرة إليه ولو ذهبت رُوجه عزيزة غير ذليلة ، وما أحسن قول عبد المطلب جدّ
نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلم وأُسمه شَيْبَةُ الحمد :

لنا نفوسٌ لنيل المجد عاشقةٌ * وإن تسَلّت أسَلَنّاها على الأسَلِ

- ١٥ لا يترلُّ المجدُ إلّا في منازلنا * كالنوم ليس له مأوى سوى المقلّ

وقول عترة أيضاً :

أروم من المعالي متهاها * ولا أرضى بمنزلة دينيه

فإما أن أشال على العوالى * وإما أن تَوَسِدنى المنيّه

ويعجبنى المقالة الثامنة عشرة من تأليف العلامة شرف الدين عبد المؤمن بن هبة الله

- ٢٠ الأصفهاني المعروف بِشَوْرُوّة فإن أوائلها تُقارب ما نحن فيه ، وهي :

رُتْبَةُ الشَّرَفِ ، لَا تُتَالُ بِاللُّزْفِ ؛ وَالسَّعَادَةُ أَمْرٌ لَا يُدْرِكُ ، إِلَّا بِعَيْشٍ يُفْرَكُ ، وَطِيبُ
يُتْرَكُ ؛ وَنَوْمٌ يُطْرَدُ ، وَصَوْمٌ يُسْرَدُ ؛ وَسُرُورٌ عَازِبٌ ، وَهَمٌّ لَا زَبْ ؛ وَمَنْ عَدَّقَ الْمَعَالَى
أَلْفَ النَّعَمِ ، وَمَنْ طَلَبَ اللَّائِي رَكِبَ الْيَمَّ ؛ وَمَنْ قَنَصَ الْحَيَاتَانَ وَرَدَّ النِّهْرَ ، وَمَنْ
خَطَبَ الْحَصَانَ نَقَدَ الْمُنْهَرِ ؛ كَلَّا أَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْمَعَالَى ! إِنَّ السَّحُوقَ جَبَّارٌ وَأَنْتَ
قَاعِدٌ ، وَالْفَيْلَقُ جَرَّارٌ وَأَنْتَ وَاحِدٌ ؛ الْعَقْلُ يُنَادِيكَ وَأَنْتَ أَصْلَحُ ، وَيُدْنِيكَ وَيَحْوُلُ
بَيْنَكَ الْبَرْزَخُ ؛ لَقَدْ أَرَفَ الرَّحِيلُ فَاسْتَفِدَّ جَهْدَكَ ، وَأَكْثَبَ الصَّيْدُ فَضْمَرَ فَهْدَكَ ؛
فَالْحَنَرُ يَتَرَصَّدُ الْإِتْهَارَ ، وَالْحَاظِمُ يُبَيِّئُ أَسْبَابَ الْجِلْهَارِ ؛ تَجَرَّعَ مَرَارَةَ النَّوَابِ فِي أَيَّامِ
مَعْدُودِهِ ، لَحَلَاوَةَ مَعْهُودِهِ غَيْرَ مَحْدُودِهِ ؛ وَإِنَّمَا هِيَ نَحْنَةُ بَائِدِهِ ، تَتَلَوُّهَا فَائِدُهُ ؛ وَكَرْبَةُ نَافِدِهِ ،
بَعْدَهَا نِعْمَةٌ خَالِدُهُ ، [وَغَنِيمَةٌ بَارِدُهُ] ؛ فَلَا تَكْرَهَنَّ صَبْرًا أَوْ صَابًا ، يَغْسِلُ عَنْكَ أَوْ صَابًا ؛
وَلَا تَتَسَرَّبَنَّ وَرْدًا يُعْقِبُكَ سَقَامًا ، وَلَا تَسْمَنَّ وَرْدًا يُورِثُكَ زُكَامًا ؛ [مَا أَلَيْنَ الرَّيْحَانَ
لَوْلَا وَخَزُ الْبَهْمَى ، وَمَا أَطْيَبَ الْمَسَادِي لَوْلَا حِمَّةُ الْحِمَى] ؛ فَلَا تَهْوَأَنَّ مَرَارَاتُ ذَاقِهَا
عُصْبِهِ ، إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَهْدِيَهُمْ بَهَا ؛ وَلَا تَرْوِقَنَّ حَلَاوَاتُ نَالِهَا فَرْقَهُ ، إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ
لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا . انتهى .

- (١) في الأصلين : « لَا تُتَالُ إِلَّا بِاللُّزْفِ » . وفي إحدى النسخ المخطوطة من أطباق الذهب :
« لَا تُتَالُ بِاللُّزْفِ » . وما أثبتناه عن كثير من النسخ المخطوطة والمطبوعة . (٢) يفرك : يفيض
ويزهد فيه ، والمراد أن الشرف لا ينال إلا بعد جهد و بعد الزهد في الدعة وخفض العيش .
(٣) يسرد : يتابع . (٤) عازب : بعيد . (٥) هم لازب : مقيم لا يبرح .
(٦) في الأصلين : « الْحَصَانُ » . وتصحيحه عن أطباق الذهب المطبوع والمخطوط .
(٧) كذا في الأصلين وإحدى النسخ المخطوطة . وفي باقي النسخ المخطوطة والمطبوعة : « ومن
خطب الحسن » بالسین . (٨) السحوق : النخلة الطويلة ، والجبار من النخل ما طال وقامت
اليده . (٩) يقال : فيلق جرار أي جيش ثقيل السير لكثيرته . (١٠) الأصلح : الأصم .
(١١) أكثب الصيد : دنا منه . (١٢) النكلة عن سائر النسخ المطبوعة والمخطوطة من
أطباق الذهب . (١٣) الصاب : عصارة شجر مر . (١٤) أوصابا : جمع وصب ،
وهو التعب . (١٥) نكلة عن النسخ المطبوعة والمخطوطة من أطباق الذهب . (١٦) البهي :
اسم نبات . (١٧) الحمة (بالتخفيف) : اسم كل شيء واسع أو يلدغ .



السنة الأولى من سلطنة الملك العادل كَتَبْنَا المنصوري على مصر ، وهي سنة أربع وتسعين وستمائة .

- كان فيها الغلاء العظيم بسائر البلاد ولا سيما مصر والشام ، وكان بمصر مع الغلاء وباء عظيم أيضا وقاسى الناس شدايد في هذه السنة وأستسقى الناس بمصر من عظم الغلاء والفناء .

وفيهما أسلم ملك التتار غازان وأسلم غالب جنده وعساكره ، على ما حكى الشيخ علم الدين البرزالي .

- وفيهما توفى السلطان الملك المظفر شمس الدين أبو المحاسن يوسف ابن السلطان الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول التُّرْكُمَانِي الأصيل الغَسَّانِي صاحب بلاد اليمن ، مات في شهر رجب بقلعة تَعَزُّ من بلاد اليمن ، وقيل : أَسَمَ رسول محمد ابن هارون بن أبي الفتح بن نوحى بن رُسْتَمَ من ذرية جبلة بن الأيهم ، قيل : إن رسولاً جَدَّ هؤلاء ملوك اليمن كان أنضم لبعض الخلفاء العباسية ، فاختصه بالرسالة إلى الشام وغيرها فعرف برَسُول ، وغلب عليه ذلك . ثم أنتقل من العراق إلى الشام ثم إلى مصر ، وخدم هو وأولاده بعض بنى أيوب ، وهو مع ذلك له حاشية وخدم .
- ولما أرسل السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب أخاه الملك المعظم توران شاه

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٥١ من هذا الجزء . (٢) تعز : مصيف صاحب اليمن (يعنى من أولاد رسول هذا) ، وهى حصن في الجبال مطل على التهام وأراضى زيد . وفوقها منزه يقال له مهلة ، قد ساق له صاحب اليمن المياه من الجبال التى فوقها ، وبنى فيها أبنية عظيمة في غاية الحسن في وسط بستان هناك (عن صبح الأعشى ج ٥ ص ٨) . ضبطت في معجم البلدان (بفتح التاء وكسر العين) . وفى صبح الأعشى عن تقويم البلدان (بكسر التاء والعين) . وفى دائرة المعارف الإسلامية أن سكانها نحو ٢٣ ألف نسمة .

إلى اليمن أرسل الملك المنصور عمر^(١) والد صاحب الترجمة معه كالوزير له وأستحلفه على المناصحة، فسار معه إلى اليمن . فلما ملك الملك المسعود أقيس ابن الملك الكامل محمد بن أبي بكر بن أيوب اليمن بعد ثوران شاه قزب عمر المذكور وزاد في تعظيمه وولاه الحصون ، ثم ولاه مكة المشرفة ورتب معه ثلثائة فارس ، وحصل بينه وبين صاحب مكة حسن بن قتادة وقعة أنكسر فيها حسن ودخل المنصور مكة وأستولى عليها ، وعمر بها المسجد الذي أعتمرت منه عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها في سنة تسع عشرة وستائة ، ثم عمر في ولايته لمكة أيضا دار أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه في زقاق الحجر سنة ثلاث وعشرين وستائة ، ثم أستتابه الملك المسعود على اليمن لما توجه إلى الديار المصرية ، وأستتاب على صنعاء أخاه بدر الدين حسن بن علي

- (١) في الأصلين : « أرسل حفيده الملك المنصور عمر » فكلية : « حفيده » مقحمة . وما أثبتناه عن المنهل الصافي في ترجمة عمر بن علي بن رسول . (٢) مسجد عائشة ، بنى هذا المسجد بالتعميم الذي هو بعيد عن أيام حة الحرم ، وكان يسمى مسجد الهليلجة لشجرة كانت هناك قديما . وهو المكان الذي أرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم أم المؤمنين عائشة مع أخيها رضي الله عنهما لتعمره . وقد كان آخر من جدد هذا المسجد هو السلطان محمود سنة ١٠١١ هجرية . (عن معجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٨٧٩ . وراجع كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام للنهروالي (ص ٤٥٤) . وكتاب في منزل الوحي لحضرة صاحب المعالي الدكتور محمد حسين هيكل باشا وزير المعارف (ص ٢٦٥) . (٣) دار أبي بكر الصديق ، في كتاب أخبار مكة للأزرقي أن هذه الدار تقع في خط بنى نوح ، وفيها بيت أبي بكر رضي الله عنه الذي دخله عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو على ذلك البناء إلى اليوم ومنه خرج النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى ثور مهاجرا ، وفي نزول الوحي (ص ٢١٩) : أن هذه الدار تقع بجوار البازان المجرور من عين زبيدة بالمسفلة ، وهي مقفلة اليوم لا يدخلها أحد ولست أدرى مبلغ ما في نسبة هذه الدار إلى الصديق من صحة . (٤) زقاق الحجر ، هو أحد أزقة مكة ، به رباطان أحدهما رباط ابراهيم بن محمد الأصباني ، والثاني رباط السيدة أم الحسين بنت قاضي مكة شهاب الدين الطبري (راجع كتاب المتنقي في أخبار أم القرى ص ١١٢) وراجع كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام فيما كتب عن الحجر (ص ٤٤٦) . (٥) صنعاء : قصبة اليمن وأكبر مدينة عربية في جنوب جزيرة العرب ، ميناؤه الجديدة على بعد ١٠٠ ميل منها في الشمال الشرق ، وهي مسورة بسور عال وغنية بالمناجد المنيفة والحامات العامة وخانات المسافرين ، وأهم تجارتها في البن وقشره وصناعتها الحامية يدوية أشهرها صناعة السلاح والمصاغ والعبي والحرير ، وسكانها نحو ٥٠ ألف نسمة . جاء في معجم ياقوت وتقويم البلدان أن صنعاء أعظم مدينة باليمن وأجلها تشبه دمشق لكثرة فواكهها وتدفق مياهها ، ولها قصص وأخبار وقد نسب إليها جماعة كثيرة من أهل العلم . وانظر قاموس لبيبكوت الجغرافى .

- ابن رَسُول . ولما عاد الملك المسعود إلى اليمن قبض على نور الدين هذا وعلى أخيه بدر الدين حسن المذكور وعلى أخيه نخر الدين وعلى شرف الدين موسى تَخَوُّفاً منهم لما ظهر من نجابتهم في غيبتة ، وأرسلهم إلى الديار المصرية محتفظاً بهم خلا نور الدين عمر (أعنى الملك المنصور) فإنه أطلقه من يومه لأنه كان يأنس إليه ، ثم استحلفه وجعله أتاك عسكره ؛ ثم استنابه الملك المسعود ثانياً لما توجه إلى مصر ، وقال له :
 ٥ إن مت فانت أولى بالملك من إخوتي لخدمتك لى ، وإن عشت فانت على حالك ، وإياك أن تترك أحداً من أهلى يدخل اليمن ، ولو جاءك الملك الكامل . ثم سار الملك المسعود إلى مكة فمات بها . فلما بلغ الملك المنصور ذلك استولى على ممالك اليمن بعد أمور وخطوب ، وأستوسق له الأمر ، فكانت مدة مملكته باليمن نيفاً على عشرين سنة . ومات بها في ليلة السبت تاسع ذى القعدة سنة (١) سبع وأربعين وستمائة ، وملك بعده أبنه الملك المظفر يوسف هذا ، وهو ثانى سلطان من بنى رسول باليمن ؛ وأقام الملك المظفر هذا فى الملك نحواً من ست وأربعين سنة . وكان ملكاً عادلاً عفيفاً عن أموال الرعية ، حسن السيرة كثير العدل ، وملك بعده ولده الأكبر الملك الأشرف محمد الدين عمر فلم يمكث الأشرف بعد أبيه إلا سنة ومات ، وملك
 ١٠ أخوه الملك المؤيد هزبر الدين داود . ومات الملك المظفر هذا مسموماً ستمه بعض جواريه . ومات وقد جاوز الثمانين . وخلف من الأولاد الملك الأشرف الذى ولى بعده ، والمؤيد داود والواثق [إبراهيم] والمسعود [تاج الدين حسن] والمنصور [أيوب] . انتهى .

- (١) هذه رواية الأصلين والمنهل الصافى . وفى جواهر السلوك أنه مات مقتولا سنة ٦٥١ هـ .
 (٢) فى الأصلين هنا : « نجم الدين » . وتصحيحه عما سيذكره المؤلف سنة وفاته ٦٩٦ هـ .
 ٢٠ جواهر السلوك وتاريخ الدول والملوك . (٣) كذا فى الأصلين هنا . وذكر المؤلف فى سنة وفاته ٦٩٦ هـ : أنه مكث فى الملك دولا السنين . وفى جواهر السلوك : « وبنى الأشرف فى المملكة سنة وخمسة أشهر » .
 (٤) سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٧٢١ هـ . (٥) التكملة عن جواهر السلوك .

وفيهما تُوفِّي العلامة جمال الدين أبو غانم محمد ابن صاحب كمال الدين أبي القاسم
عمر بن أحمد بن هبة الله بن أحمد بن أبي جرادة الحلبي الحنفى المعروف بأبي العديم .
مات بمدينة حمّة ، وكان إماماً فاضلاً بارعاً من بيت غلم ورياسة .

وفيهما قُتِل الأمير عساف ابن الأمير أحمد بن حُجّى أمير العرب من آل مِرّى ،
وكان أبوه أكبر عُمر بن آل برمك ، وكان يدعى أنه من نسل البرامكة من العباسة .
أخت هارون الرشيد . وقد ذكرنا ذلك في وفاة أبيه الأمير شهاب الدين أحمد .

وفيهما تُوفِّي الأمير بدر الدين بَكْتُوت بن عبد الله الفاريسى الأتابكى ، كان من
خيار الأمراء وأكابرهم وأحسنهم سيرة .

وفيهما تُوفِّي شيخ الحجاز وعالمه الشيخ مُحِب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد بن
أبي بكر بن محمد بن إبراهيم الطبري المكي الشافعى فقيه الحرم بمكة — شرفها
الله تعالى — ومفتيه ، ومولده في سنة أربع عشرة وستمائة بمكة . وكانت وفاته
في ذى القعدة . وقال البرزالي^(٢) : « وُلِدَ بِمَكَّةَ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ
جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةِ خَمْسِ عَشْرَةٍ وَسِتْمِائَةٍ » .

قلت : ونشأ بمكة وطلب العلم وسمع الكثير ورحل البلاد .
وقال جمال الدين الإسنائى^(١) : « إِنَّهُ تَفَقَّهَ بِقُوصٍ عَلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ^(٥)
الْقَشِيرِ » . انتهى .

(١) في الأصلين : « الأمر غسان » . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام وعيون التواريخ وجواهر
السلوك . (٢) في تاريخ الإسلام : « وتوفى في جمادى الآخرة » . (٣) راجع الحاشية
رقم ٢ ص ٥١ من هذا الجزء . (٤) هو جمال الدين أبو محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن
عمر بن علي بن إبراهيم القرشى الأموى الأسنوى المصرى الشافعى . سيذكره المؤلف في - وادث
سنة ٧٧٢ هـ . (٥) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
(٦) هو مجد الدين علي بن وهب بن مطيع بن دقيق العيد القشيري . تقدمت وفاته سنة ٦٩٨ هـ فبين
نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبي .

وذَكَرَ نَحْوَ ذَلِكَ الْقُطْبُ الْحَلَبِيُّ^(١) فِي تَارِيخِ مِصْرَ ، وَحَدَّثَ وَنَحَرَ لِنَفْسِهِ
أَحَادِيثَ عَوَالِي .

قال أَبُو حَيَّانَ : إِنَّهُ وَقَعَ لَهُ وَهْمٌ فَاحْشٌ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ وَهُوَ التَّسَاعِي ، وَهُوَ
إِسْقَاطُ رَجُلٍ مِنَ الْإِسْنَادِ حَتَّى صَارَ لَهُ الْحَدِيثُ تُسَاعِيًّا فِي ظَنِّهِ . انْتَهَى .

- قلت : وَقَدْ آسَتَوْعِنَا سَمَاعَاتِهِ وَمُصَنَّفَاتِهِ وَمَشَائِخِهِ فِي تَرْجُمَتِهِ مِنْ تَارِيخِنَا الْمُنْهَلِ
الضَّافِي ، وَالْمُسْتَوْفَى بَعْدَ الْوَاوِي مُسْتَوْفَاةٌ فِي الْكُتَابِ الْمَذْكُورِ . وَكَانَ لَهُ يَدٌ فِي النِّظَمِ ،
فَمِنْ ذَلِكَ قَصِيدَتُهُ الْحَائِيَّةُ :

مَا لِي طَرَفُ عَنِ الْجَمَالِ بَرَّاحُ * وَلِقَلْبِي بِهِ غِذَا وَرَوَّاحُ
كُلُّ مَعْنَى يُلُوحُ فِي كُلِّ حُسْنٍ * لِي إِلَيْهِ تَقَلُّبٌ وَأَرْتِيَّاحُ

ومنها :

فِيهِمْ يُعْشَقُ الْجَمَالُ وَيُهْوَى * وَيَشُوقُ الْحَيَّ وَيُهْوَى الْمِلَاحُ
وَبِهِمْ يَغْدُبُ الْغَرَامُ وَيَحْلُو * وَيَطِيبُ النَّشَاءُ وَالْإِمْتِدَاحُ
لَا تَلُمُ يَا خَلِيَّ قَلْبِي فِيهِمْ * مَا عَلَى مَنْ هَوَى الْمِلَاحَ جُنَاحُ
وَتَمِجْ قَلْبِي وَتَمِجْ طَرَفِي إِلَى كَم * بِكُمْ الْحُبُّ وَالْمَوَى فَضَاحُ
صَاحِ عَرَجٍ عَلَى الْعَقِيْقِ وَبَلَّغْ * وَقِبَابٍ فِيهَا الْوُجُوهُ الصَّبَاحُ

والقصيدة طويلة كلها على هذا المنوال .

وفِيهَا تُوتَى سُلْطَانُ إِفْرِيقِيَّةٍ وَأَبْنُ سُلْطَانِهَا وَأَخُو سُلْطَانِهَا عُمَرُ بْنُ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى
ابْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْحِشْتَايِ الْمَلْقَبِ بِالْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ وَالْمُؤَيَّدِ بِهِ ، وَوَلِيُّ سُلْطَنَةِ

(١) هو قطب الدين عبد الكريم بن عبد النور بن منير الحلبي الحافظ المقرئ المجيد ثم المصري مفيد

الديار المصرية . سيذكر المألف وفاته سنة ٥٧٣٥ هـ . (٢) هو أمير الدين محمد بن يوسف بن

علي بن يوسف بن حيان المقرئ الجليلي الأندلسي أبو حيان . سيذكره المؤلف سنة ٥٧٤٥ هـ .

(٣) المحتاق : نسبة إلى هتالة قبيلة من البربر بالقرب .

تُوئِسَ بعد وفاة أخيه إبراهيم فيما أَظُنُّ ، وَقَتْلَ الدِّعْيِ^(٢) الذي كان غلب عليها ، وملَّك البلاد ودام في الملَّك إلى أن مات في ذى الحجة . وكان عَهْدَ لولده عبد الله بالملَّك ، فلَمَّا أَحْتَضَرَ أشار عليه الشيخ أبو محمد المَرْجَانِي بأن يَحْلُغَهُ لِصِغَرِ سِنِّه نَحْلُغَهُ ، ووَلَّى وَلَدَ الوائِقِ محمد بن يحيى بن محمد الملقَّب بأبي عَصِيدَةَ الآتِي ذَكَرَ وفاته في سنة تسع وسبعماية . وكان المستنصر هذا مَلِكًا عادلا حسن السيرة وفيه خِبرة ونَهْضة وكفاية ودين وشجاعة وإقدام . رحمه الله تعالى .

الذين ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوُوِّى الزَّاهِدُ التُّنُذُوَةُ أبو الرجال بن مِرَى بَنَيْنَ في المحزَم . وعَزَّ الدِّينَ أبو بكر محفُوظ بن معتوق التَّاجِرَ أبن البُزُورِي في صَفَر . والإمام عَزَّ الدِّينَ أحمد بن إبراهيم بن الفاروقِي في ذى الحجة .

- ١٠ (١) تونس ، قال ياقوت : مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل البحر ، عمرت من أنقاض قرطاجنة ، وهي على ميلين منها ولها ميناء على البحر في شرقها ، وهي الآن قصبة بلاد إفريقية (ص ٧٩٧ وما بعدها ج ١) . وذكر ابن حوقل في المسالك والممالك (ص ٤٩-٥٠) : أنها مدينة أزيلية ، كان اسمها في قديم الزمان : « ترشيش » . فلما أخذت فيها المسلمون البنيان واستحدثوا البساتين والحيطان سميت تونس . ونقلت دائرة المعارف للبستاني في (ص ٢٧٢ ج ٦) عن ابن ديار : أن مدينة تونس أحدثت بعد الثمانين للهجرة ، وكان يطلق عليها اسم القيروان تعظيما لها ، وكانت قاعدة إفريقية وحضرة السلاطين من الخلفاء الحفصيين ، ومهاجري أهل الأقطار من الأندلس والمغرب وغيرها ، ويقال لها تونس الخضراء . لكثرة زيتونها ولم يكن لها ذكر مع القيروان . وإنما ابتدأت في الزيادة لما سكن فيها الأغلب . وذكر المرحوم علي بك هجيت في قاموس الأمكنة والبقاع : أنها الآن قصبة بلاد تونس . واقعة على خليج صغير (في البحر الأبيض المتوسط) ولها ميناء تسمى لا جوليت . (٢) هو أحمد بن مرزوق الدعي
- ٢٠ سَمَّكَ تونس الذي قدم من طرابلس وزعم أنه ابن الوائِقِ أبي زكريا يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن عمر المختار ، وقتل إبراهيم أخا صاحب الترجمة . توفي سنة ٦٨٣ هـ (عن المنهل الصافي وتاريخ الإسلام والسلوك لأقريري) . (٣) في الأصلين : « الرميحي » . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام للذهبي وجواهر السلوك والمنهل الصافي . وهو عبد الله بن محمد أبو محمد القرشي التونسي المعروف بالمرجاني . توفي سنة ٦٩٩ هـ (عن المنهل الصافي وشذرات الذهب وتاريخ الإسلام) . (٤) منين : قرية في جبل سنير من أعمال الشام (عن معجم البلدان لياقوت) . وفي لب الباب : قرية بدهشق .
- ٢٥ (٥) البزوري : نسبة إلى بيع البزور (عن لب الباب) . (٦) في الأصلين : « الفاروق » وهو محريف . وتصحيحه عن المشتبه في أسماء الرجال للذهبي وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب . والفاروق : نسبة إلى فاروق من قرى واسط .

وصاحب اليمن الملك المظفر يوسف بن عمر في رجب ، وكانت دولته بضعا وأربعين سنة . وشيخ الحجاز حُبَّ الدين الطَّبري^(١) . وأبو الفهم أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الحُسَيْنِي النقيب في المحرم . والعلامة تاج الدين أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن المطهر بن أبي عَصْرُون التيمي مدرّس الشامية الصغرى في ربيع الأول . ومحبي الدين عبد الرحيم بن عبد المنعم [بن خلف بن عبد المنعم] بن الدِّمِيرِي في المحرم ، وله تسعون سنة . والزاهد القدوة شرف الدين محمد بن عبد الملك اليُونِنِي المعروف بالأرزوني . والزاهد المقرئ شرف الدين محمود بن محمد النَّاذِي^(٢) بقايسون في رجب . والعلامة زين الدين [أبو البركات] المنجَّاب بن عثمان بن أسعد

- (١) لم يرد هذا الاسم في وفيات الذهبي في هذه السنة والذي ورد فيه اسم يقرب منه وهو : « أبو الفهم بن أحمد بن أبي الفهم بن يحيى بن إبراهيم النلسي » . ومثله في شذرات الذهب .
- (٢) في الأصلين : « محم الدين » . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام وجواهر السلوك وشذرات الذهب . وقد ذكرت هذه المصادر أنه توفي سنة ٦٩٩ هـ . (٣) في الأصلين : « ابن المطهر » . والتصحيح عن المصادر المتقدمة . (٤) الشامية الصغرى هي الجوانية وتقع : قبل الجارستان الوري من إنشاء ست الشام ، وقد درس بها من عطاء الشامية ابن الصلاح . قال ابن حلكان في ترجمته : إن الملك الأشرف ابن الملك العادل س أيوب لما بنى دار الحديث بدمشق فوَّض تدريسها إليه ، ثم تولى تدريس مدرسة ست الشام ومرد خاتون بنت أيوب ، وهي شقيقة شمس الدولة توران شاه بن أيوب وقد بنت هذه المدرسة كما بنت المدرسة الأخرى بظاهر دمشق ، وبها قبرها وقبر أخيها المذكور ، وزوجها ناصر الدين بن أسد الدين شيركوه صاحب حمص ، فكان يقوم بوظائف الجهات الثلاث ... وقد حُرِّب هذه المدرسة ولم يبق فيها سوى بابها وواجهتها الجبرية واتخذت دارا « عن خطط الشام لكرد علي ح ٦ ص ٨١ - ٨٢ » . (٥) النكلة عن تاريخ الإسلام . (٦) في الأصلين : « ابن عبد الله » : وهو خطأ والتصحيح عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وجواهر السلوك ، وقد ذكرته هذه المصادر في وفيات سنة ٦٩٥ هـ الآية . (٧) في الأصلين : « الأرزوي » . وفي شذرات الذهب : « الأزروني » . وما أئبناه عن تاريخ الإسلام وجواهر السلوك . (٨) في أحد الأصلين : « البادني » بالذال والخاء . وفي الأصل الآخر : « البادني » بالذال والنون وكلاما تحريف . والتصحيح عن شذرات الذهب وتاريخ الإسلام . والتأذي : نسبة إلى تأذف ، وهي قرية قرب حلب (عن معجم البلدان لياقوت وشذرات الذهب ولب الباب) . (٩) في الأصلين : « زين الدين بن المنجا » . والزيادة والتصحيح عن شذرات الذهب والسلوك وتاريخ الإسلام .

أبن المنجا الحنبلي^(١) في شعبان، وله خمس وستون سنة . وقاضى القضاة شرف الدين الحسن بن عبد الله بن الشيخ أبي عمر المقدسي^(٢) الحنبلي . وناصر الدين نصر الله بن محمد بن عيَّاش الحدَّاد في شوال . والعدل كمال الدين عبد الله بن محمد [بن نصر]^(٣) أبن قوام في ذى القعدة . وأبو الغنائم بن محاسن الكفراني . والمقرئ موفق الدين محمد بن أبي العلاء [محمد بن علي] بعلبك^(٤) في ذى الحجة . والمقرئ أبو القاسم عبد الرحمن ابن عبد الحليم سُحُنُون^(٥) المالكي في شوال بالإسكندرية . والعلامة صاحب محي الدين محمد بن يعقوب [بن إبراهيم بن هبة الله بن طارق بن سالم] بن النحاس الحلبي الحنفى في آخر السنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ذراع وأصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وسبع عشرة لمصبا . وكان الوفاء في سادس أيام النسي .



السنة الثانية من ولاية الملك العادل كَتَبَهَا المنصوري على مصر، وهي سنة خمس وتسعين وستمائة .

(١) الكلمة عن تاريخ الإسلام وجواهر السلوك . (٢) زيادة من تاريخ الإسلام وغاية النهاية . (٣) بعلبك : مدينة سورية تقع على أكمة منخفضة في السفح الشرق لجبل لبنان على بعد ٦٥ كيلومترا في الشمال الغربى من مدينة دمشق . وقد اشتهرت بعلبك بها كلها العظيمة المشيدة بالحجارة الهائلة والعمد الشاححة . فتحها العرب في عهد الخليفة عمر بقيادة أبي عبيدة سنة ٥١٦ ≈ ٦٣٧ م ، ولها شهرة عظيمة في التاريخ الإسلامى . قال ياقوت : بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وبها أبنية عجبة وآثار عظيمة على أساطين رخام لا نظير لها في الدنيا وهى ذات أسوار ، ولها قلعة حصينة عظيمة البناء بها أشجار وأنهار وأعين كثيرة الخير . وهى على طرف وادى بردى والبساتين متصلة من هناك إلى دمشق وهى بلد حسن كثير المنازل والخصب . وقال صاحب تاريخ سوريا : والقرية الحالية ذات مائة بيت مجتمعة بأحدى زوايا المدينة القديمة وهى قائمة لأن تقصدها السياح لمشاهدة ها كلها ولا يكاد يزىد سكانها على ألفى نسمة (انظر قاموس الأمكنة والباقع ومعجم البلدان لياقوت) . (٤) ضبط في شرح القاموس بضم السين ، قال : ونقل فتح سبه . (٥) كلمة من تاريخ الإسلام وعقد الجمان .

فيها كان الغلاء العظيم بسائر البلاد، ولاسيما مصر والشام، وكان بمصر مع الغلاء وباءً عظيم أيضاً، وقامى الناس شداً في هذه السنة والماضية .

وفيها ولي قضاء الديار المصرية الشيخ تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب ابن دقيق العيد بعد وفاة قاضي القضاة تقي الدين عبد الرحمن بن بنت الأعز .

- وفيها توفى الملك السعيد شمس الدين إيلغازي ابن الملك المظفر [نور الدين قرا أرسلان] ابن الملك السعيد صاحب ماردن الأرتقي، ودُفن بتربة جدّه أرتق، وتولى بعده سلطنة ماردن أخوه الملك المنصور نجم الدين غازي . وكان مدة مملكة الملك السعيد هذا على ماردن دون الثلاث سنين . وكان جواداً عادلاً حسن السيرة ، رحمه الله تعالى .

- ١٠ وفيها توفى الأمير بدر الدين بيليك بن عبد الله المحسني المعروف بأبي شامة بالقاهرة، وكان من أعيان الأمراء وأكابرهم ، رحمه الله .

وفيها توفى الأسعد بن السيد القبطي الأسلمي الكاتب مستوفي الديار المصرية والبلاد الشامية والجيش جميعها المعروف بالمعز الديواني المشهور، وكان معروفاً بالأمانة والخير، وكان نصرانياً ثم أسلم في دولة السلطان الملك الأشرف خليل ابن قلاوون .

١٥

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي — رحمه الله — : حَكَّى لي القاضي شهاب الدين محمود رحمه الله قال : لما مَرِضَ المذكور توجَّهنا إليه نعوذ فوجدناه ضعيفاً إلى الغاية، وقد وضعوا عنده أنواعاً من الحلي والمصاغ المجوهر والعقود

(١) سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٥٧٠٢ هـ (٢) في المنهل الصافي : «نجم الدين» .

٢٠ ولم تعرّض باقي المصادر التي تحت يدينا لذكر لقبه . (٣) زيادة عن عيون التواريخ وجواهر

السلوك وعقد الجمان والمنهل الصافي وتاريخ الدول والملوك . (٤) في الأصلين : «الديوان» .

وفيها العنبر الفائق وأنواع من الطيب . ثم إنه قال : ارفعوا هذا عني ، وأسّر إلى خادم
كلاماً ، فضى وأتى بحق ففتحه وأقبل يشمه وقنّا من عنده ثم إنه مات ، فسألنا ذلك
الخادم فيما بعد : ما كان في ذلك الحق ؟ قال : شجرة من آست الراهب القلاني -
الذي كان له كذا كذا سنة ما لمس الماء ولا قربه . قال فأنشدت :

ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم * إلا وفي يده من تنبها عود

٥

وفيها توفى الأمير عز الدين أيك بن عبد الله الأفرم الكبير أمير جاندار الملك
الظاهر والملك السعيد والملك المنصور قلاوون . فلما تسلطن الملك الأشرف خليل
ابن قلاوون حبسه ، وبعد قتل الأشرف خليل أخرجه أخوه الملك الناصر محمد
ابن قلاوون وأعادته إلى مكاتبه ثم استقر في أيام الملك العادل كتباً على حاله إلى أن
مات بالقاهرة في يوم السبت سابع شهر ربيع الأول^(١) .

١٠

قال القطب اليونيني : حكى لي الأمير سيف الدين بن المحفّدار قال : أوصى
الأفرم عند موته أنه إذا توفى يأخذون خيله يلبسونها أنخرمالها من العدة ، وكذلك
جميع مماليكه وعلماؤه يلبسونهم عدة الحرب ، وأن تضرب نوبة الطبلخاناه خلف
جنازته ، كما كان يطلع إلى القرأة ، وألا يقلب له سنجق ولا يكسر له رُح ، ففعلوا
أولاده ما أمر به ما خلا الطبلخاناه ، فإن نائب السلطنة حسام الدين لاچين منعهم
من ذلك ، وكانت جنازته حفلة حضرها السلطان ومن دونه . وكان ديناً من
وسائط الأخيار وأر باب المعروف . وكان يقال : إنه يدخل عليه من أملاكه
وضماناته وإقطاعاته كل يوم ألف دينار خارج عن الغلال .

١٥

(١) في تاريخ الدول والملوك وجواهر السلوك : « توفى في يوم الأربعاء سادس عشرين صفر

سنة ٦٩٥ هـ . وفي تاريخ الإسلام للذهبي : « صلبنا عليه في ثالث عشر ربيع الآخر بدمشق صلاة العائيب
يوم الجمعة ومات بالقاهرة » .

٢٠

قلت : وهذا مستفاض بين الناس . وقصة أولاده لما احتاجوا مع كثرة هذا المال إلى السؤال مشهورة . يقال إنه كان له ثمن^(١) الديار المصرية ، وهو صاحب الرباط^(٢) والجسر على بركة الحبش خارج القاهرة^(٣) .

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي : « كنت بالقاهرة وقد وقف أولاده وشكا عليهم أرباب الديون إلى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فقال السلطان : يا بَشْتَك ، هؤلاء أولاد الأفرم الكبير صاحب الأملاك والأموال ، أبصر كيف حالهم ! وما سببه إلا أن أباهم وكلهم^(٤) على أملاكهم^(٥) فما بقيت ، وأنا لأجل ذلك لا أذخر لأولادي ملكاً ولا مالا » . انتهى كلام الصفدي .

قلت : والعجيب أنه كان قليل الظلم كثير الخير ، وغالب ما حصله من نوع المتاجر والمزروعات والمستاجرات ، ومع هذا احتاج أولاده وذريته إلى السؤال .

(١) رباط الأفرم : ذكر المقرئ (ص ٤٣٠ ج ٢) : أن هذا الرباط بسفح الجرف الذي عليه الرصد ، وهو يشرف على بركة الحبش ، وكان من أحسن منزهات أهل مصر . أنشأ الأمير عز الدين أيك الأفرم ، ورتب فيه صوفية وشيخاً وإماماً ، وجعل فيه منبراً يخطب عليه وقت صلاة الجمعة والعيدين وقرروهم معالم من أوقاف أرصد هالم ، وذلك في سنة ٦٦٣ هـ .

وبالبحث عن مكان هذا الرباط تبين لي أنه قد اندثر . ومكانه اليوم أرض فضاء بالجبهة الشرقية من محطة الساحل القبل بسكة حديد حلوان الواقعة تجاه سكن ناحية أثر التي من الجهة الشرقية بسفح جبل الرصد الذي يعرف اليوم باسم جبل إصطبل عز بالقاهرة .

(٢) جسر الأفرم ، ذكر المقرئ (ص ١٦٥ ج ٢) : أن هذا الجسر بظاهر مدينة مصر (مصر القديمة) فيما بين المدرسة المعزية وبين رباط الآثار النبوية . وأقول : إن المدرسة المعزية هي التي تعرف اليوم بجامع عابدى بك الشهير بجامع الشيخ رويس ، وإن رباط الآثار هو الذى يعرف اليوم بجامع أثر التي بناحية أثر التي جنوبي مصر القديمة ، فيكون الجسر الذى أنشأه الأفرم هو جسر النيل الحالى في المسافة بين جامع عابدى بك بمصر القديمة وبين ناحية أثر التي . (٣) راجع الاستدراكات ص ٣٨١ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) هو الأمير سيف الدين بشتك بن عبد الله الناصر أحد عمالِك الملك الناصر محمد بن قلاوون . وقد ضبطه المؤلف في المثل الصافي بالعبارة فقال : (بفتح الباء الموحدة من تحت وترقيقها وسكون الشين المعجمة وبعد تاء مثناة من فوق مفتوحة) . ومعناه بالغة التركية خمسة لا غير . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٤٢ هـ . (٥) في الأصلين : « أنكلهم » .

وفيهما تُوفِّي قاضي القضاة بالديار المصرية ورئيسها تقي الدين أبو القاسم عبد الرحمن ابن قاضي القضاة تاج الدين أبي محمد عبد الوهاب ابن القاضي الأعزى أبي القاسم خلف [بن محمود] بن بدر العلّامي الشافعي المصري المعروف بأبن بنت الأعزى . مات يوم الخميس سادس عشر جمادى الأولى ودُفن عند والده بالقرافة في تربتهم وهو في الكهولة . وكان فقيها بارعا شاعرا خيرا دينيا متواضعا كريما ، تفقه على والده وعلى ابن عبد السلام ، وتولّى الوزارة والقضاء ومشيخة الشيوخ ، وأضيف اليه تدريس الصلاحية والشريفية بالقاهرة والمشهد الحسيني وخطابة الجامع الأزهر ، وأمّتحن محنة شديدة في أول الدولة الأشرفية وعُيِّل على إتلافه بالكلية ، وذلك بسعاية الوزير ابن السلّوس الدمشقي . وقد آستوعبنا أمره في المنهل الصافي ، ثم أعيد إلى القضاء بعد وفاة الأشرف ، فلم تطل أيامه ومات .

- (١) تكملة عما تقدّم ذكره للؤلّف في حوادث سنة ٦٦٥ هـ وجواهر السلوك . (٢) العلّامي (تخفيف اللام) : نسبة الى قبيلة من لخم (عن المنهل الصافي وتاريخ الإسلام) . (٣) هي المدرسة الصلاحية التي كانت بجوار قبة الإمام الشافعي ، وراجع الحاشية رقم ٥ ص ٥٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة . وفي المنهل الصافي : « وأضيف اليه تدريس الصلاحية » وقد تقدّم الكلام عليها أيضا في الحاشية رقم ١ ص ٣٤١ من الجزء السادس المذكور . (٤) الشريفة بالقاهرة ، ذكر المقرئ (ص ٣٧٣ ج ٢) : أن المدرسة الشريفة يدرب كرامة على رأس حارة الجودرية من القاهرة ، أنشأها الأمير الشريف نحر الدين أبو نصر إسماعيل بن حصن الدولة نحر العرب ثعلب بن جعفر الجعفري الزيني أمير الحاج وأحد أمراء مصر في الدولة الأيوبية ، وتم بناء هذه المدرسة في سنة ٦١٢ هـ وهي من مدارس الفقهاء الشافعية . وبالبحث الدقيق عن مكان هذه المدرسة تبين لي أنها هي التي تعرف اليوم بجامع بيرس الخياط بأول شارع الجودرية بقسم الدرب الأحمر بالقاهرة ، وعرفت باسم بيرس المذكور لأنه عمّرها في سنة ٩٢١ هـ (عن كتاب تاريخ مصر لابن إياس ص ٤٧٧ ج ٤) . وذكر على مبارك باشا في الخطط التوفيقية : أن هذه المدرسة أنشأها بيرس الخياط في سنة ٦٦٢ هـ أي في القرن السابع الهجري ، وهذا خطأ لأن بيرس الذي عمر هذه المدرسة كان من أهل القرن العاشر ، وكان من أقارب السلطان فنصوه النوري وكان خياطا خاصا به ، وقتل معه في واقعة مرج دابق في سنة ٩٢٢ هـ (عن كتاب تاريخ مصر لابن إياس ص ٥١ ج ٣) . (٥) يقصد المؤلف مدرسة صلاح الدين التي كانت بجوار المشهد الحسيني . وراجع الحاشية رقم ١ ص ٥٥ من الجزء السادس من هذه الطبعة . وفي المنهل الصافي : « والمشهد النفيسي » وقد سبق الكلام عليه أيضا في الحاشية رقم ٢ ص ٣٧٨ من الجزء المذكور .

ولما حج القاضي تقي الدين هذا وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم أنشد عند الحجرة
[النبوية ^(١)] قصيدته التي مطلعها :

الناس بين مُرَجَّزٍ وَمُقَصِّدٍ * وَمَطْوَلٍ فِي مَدْحِهِ وَمُجَوِّدٍ
وَمُخَبَّرٍ عَمَّنْ رَوَى وَمَعْبَرٍ * عَمَّا رَأَاهُ مِنَ الْعَلَا وَالسُّودِ

وفيها توفى الشيخ الإمام الأديب البارع الْمُفْتَنُ سراج الدين أبو حفص عمر بن محمد
ابن الحسين المصري المعروف بالسراج الوزاق الشاعر المشهور . مولده في العشر
الأخير من شوال سنة خمس عشرة وستمائة ، ومات في جمادى الأولى من هذه
السنة ودُفِنَ بالقرافة . وكان إماماً فاضلاً أديباً كثيراً متصرفاً في فنون البلاغة ،
وهو شاعر مصر في زمانه بلا مدافعة . ومن شعره :

فِي خَدِّهِ ضَلَّ عِلْمُ النَّاسِ وَأَخْتَلَفُوا * أَلَلِّشَقَائِقُ أُمِّ الْبُورْدِ نَسَبُهُ
فَذَاكَ بِالْحَالِ يَقْضِي لِلشَّقِيقِ وَذَا * دَلِيلُهُ أَنَّ مَاءَ الْوَرْدِ رِبْقَتُهُ

وله :

كَمْ قَطَعَ الْجُودُ مِنْ لِسَانٍ * قَلْدَ مَنْ تَغْلَمُهُ النُّحُورَا
فَهَإِنَا شَاعِرٌ سِرَاجٌ * فَأَقْطَعُ لِسَانِي أَيْدِكَ نُورَا

وله :

لَا تَحْجُبِ الطِّيفَ إِنِّي عَنْهُ مَحْجُوبٌ * لَمْ يَبْقَ مِنِّي لِقَرَطِ السَّقَمِ مَطْلُوبٌ
وَلَا تَشَقِّ بِأَيْنِي إِنْ مَوَّعِدُهُ * بَانَ أَعِيشَ لِلْقِيَا الطِّيفِ مَكْذُوبٌ
هَذَا وَخَدُّكَ مَخْضُوبٌ بِسَاكُلِهِ * دَمْعٌ يَفِضُّ عَلَى خَدَيَّ مَخْضُوبٌ
وَلَيْسَ لِلْوَرْدِ فِي التَّشْبِيهِ رُبْتُه * وَإِنَّمَا ذَاكَ مِنْ مَعْنَاهُ تَقْرِيبٌ

(١) زيادة عن المثل الصافي . (٢) في المثل الصافي ونغات الوفيات والوفاء بالوفيات

الصفدي . « عمر بن محمد بن حسن » .

وما عِدَارُكَ رِيحَانًا كَمَا زَعَمُوا * فَاتِ الرِّيحَيْنِ ذَاكَ الْحَسَنُ وَالطَّيِّبُ^(١)
 تَأْوِدُ الْغُصْنَ مُهْتَرًا فَاَنْبَاءَنَا * أَتَ الَّذِي فِيكَ خُلِقَ فِيهِ مَكْسُوبُ
 يَا قَاسِيَ الْقَلْبِ لَوْ أَعْدَاهُ رِقَّتُهُ * جَسْمٌ مِّنَ الْمَاءِ بِالْأُلْحَازِ مَشْرُوبُ
 أُرْحَتَ سَمِيِّ وَفِي حُبِّكَ مِنْ عَذْلِي * إِذْ أَنْتَ حَبَّ إِلَى الْعُدَالِ مَحْبُوبُ
 . وكان السَّراج أشقرَ أزرَقَ العين . وفي ذلك يقول عن نفسه :

وَمَنْ رَأَى وَالْجِمَارُ مَرَّتِي * وَزُرْقِي لِلرُّومِ عِرْقٌ قَدْ ضَرَبَ
 قَالَ وَقَدْ أَبْصَرُ وَجْهِي مُقْبَلًا * لَا فَارِسَ الْخَيْلِ وَلَا وَجْهَ الْعَرَبِ

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأربع أصابع .
 مبلغ الزيادة ثمانى عشرة دراعا وإصبع . وكان الوفاء في رابع عشرين^(٢) توت .

١٠ (١) في المثل الصافي : « فاق » بالقف . (٢) في الأصل الآخر : « في رابع عشرين
 مدري » . وقد رجعتنا إلى درر التيجان وكثر الدرر فوجدنا أنهما لم يذكرنا وفاء النيل في هذه السنة .

ذكر سلطنة الملك المنصور لاجين على مصر

- هو السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين بن عبد الله المنصوري - سلطان الديار المصرية ، تسلطن بعد خلع الملك العادل كَتَبُا المنصوري كما تقدّم ذكره في يوم الجمعة عاشر صفر من سنة ست وتسعين وثمانية . وأصل لاجين هذا مملوك لملك المنصور قلاوون اشتراه وربّاه وأعتقه ورقاه إلى أن جعله من جملة ممالئكه ، فلما تسلطن أمره وجعله نائباً بقلعة دمشق . فلما خرج الأمير سيف الدين سنقر الأشقر عن طاعة الملك المنصور قلاوون وتسلطن بدمشق وتلقب بالملك الكامل ومَلَكَ قلعة دمشق قبض على لاجين هذا وحبسه مدّة إلى أن آنكر سنقر الأشقر ومَلَكَ الأمير علم الدين سنجر الحلبي دمشق أخرجه من محبسه ، ودام لاجين بدمشق إلى أن ورد مرسوم الملك المنصور قلاوون باستقرار لاجين هذا في نيابة دمشق دفعة واحدة ، فوليا ودام بها إحدى عشرة سنة إلى أن عزّله الملك الأشرف خليل بن قلاوون بالشجاعى . ثم قبض عليه ثم أطلقه بعد أشهر ، ثم قبض عليه ثانياً مع جماعة أمراء ، وهم : الأمير سنقر الأشقر المقدم ذكره الذى كان تسلطن بدمشق وتلقب بالملك الكامل . والأمير ركن الدين طقّصو الناصرى - حولاجين هذا . والأمير سيف الدين جرّمك الناصرى . والأمير بلبان الهارونى وغيرهم ، نَحَنَقُوا الجميع وما بقى غير لاجين هذا ، فقدموه ووضعوا الوتر فى حلقه وجذب الوتر فأقطع ، وكان الملك الأشرف حاضراً فقال لاجين : يا خوند ، إيش لى ذنب ! ما لى ذنب إلا أن صهرى طقّصوها هو قد هلك ، وأنا أطلق أبنته ، فرق له خُشْدَاشِيَّتُهُ وقبلوا الأرض وسألوا السلطان فيه ، وضمّينوه فأطلقه وخلع عليه وأعطاه إمرة مائة فارس بالديار المصرية وجعله سِلَاحَ دَار .

قلت : (يعني جعله أمير سلاح) فإت أمير سلاح هو الذى بناول السلطان السلاح وغيره . قلت : لله در المتنبي حيث يقول :

لا تَخْدَعَنَّكَ مِنْ عُدُوكَ دَمْعَةٌ * وَأَرْحَمَ شَبَابِكَ مِنْ عَدُوِّ تَرَحُّمٍ
لا يَسْلَمَ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى * حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ

- وذلك أن لاجين لما خرج من الحبس وصار من جملة الأمراء خاف على نفسه ،
وَاتَّفَقَ مع الأمير يَدْرَا نائِب السلطنة وغيره على قتل الأشرف حتى تم لهم ذلك حسب
ما تقدم ذكره في ترجمة الملك الأشرف . ثم آخفى لاجين أشهرها إلى أن أصلح أمره
الأمير كَتَبْغا وأخرجه وخلَعَ عليه الملك الناصر محمد بن قلاوون كما تقدم وجعله على
عادته . كُلُّ ذَلِكَ بِسَفَارَةِ الْأَمِيرِ كَتَبْغا ^(١) . ثم لما تسلطن كتبغا جعله نائِب سلطنته
بل قِسم مملكته ، وأَسْمَرَ لاجين على ذلك حتى سافر الملك العادل كتبغا إلى البلاد
الشامية وأصلح أمورها وعاد إلى نحو الديار المصرية ، وسار حتى نَزَلَ بِمَنْزِلَةِ الْجُبُونِ ^(٢) ،
اتَّفَقَ لاجين هذا مع جماعة من أكابر الأمراء على قتل الملك العادل كتبغا ووثبوا عليه
بِالْمَنْزِلَةِ الْمَذْكُورَةِ ، وقتلوا الأميرين : [سيف الدين] ^(٣) بتخاص وبكُنُوت الأزرَق العادليين ،
وكانا من أكابر ممالك الملك العادل كتبغا وأمرائه ، وأختبَطَ العسكر وبلغَ الملك
العادل كتبغا ذلك ففاز بنفسه ، وركب في خمسة من خواصه وتوجّه إلى دمشق .
١٥ وقد حكينا ذلك كله في ترجمة كتبغا . فاستولى عند ذلك لاجين على الخزان

(١) في الأصل الآخر : « باشفاق الأمير كتبغا » .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٦٣ من هذا الجزء .

(٣) زيادة عن جواهر السلوك وتاريخ سلاطين الممالك .

- والدهليز وبرك السلطنة^(١) ، وساق الجميع أمامه إلى مدينة غزة^(٢) . وبابوه الأمراء بالسلطنة بعد شروط آشتروطها الأمراء عليه حسب ما يأتي ذكرها في محله . وسار الجميع إلى نحو الديار المصرية حتى دخلوها وملكوا القلعة بغير مدافع ، وجلس لاجين هذا على كرسي الملكة في يوم الجمعة المقدم ذكره . وتم أمره وخلع على الأمراء بعدة وظائف ، وهم : الأمير شمس الدين قرأسنقر المنصوري بناية السلطنة بالديار المصرية عوضاً عن نفسه . وخلع على الأمير قبجق المنصوري بناية الشام عوضاً عن الأمير أغزلوا العادلي . وعلى عدة أمراء أخر . ثم ركب الملك المنصور لاجين بعد ذلك من قلعة الجبل في يوم الاثنين العشرين من^(٣) صفر بأبهة السلطنة وعليه الخليفة ، وخرج إلى ظاهر القاهرة إلى جهة قبة النصر ، ثم عاد من باب النصر وشق القاهرة إلى أن خرج من باب زويلة ، والأمراء والعساكر بين يديه ؛ وحمل الأمير بدر الدين يسرى الجتر على رأسه وطلع إلى القلعة . وخلع أيضاً على الأمراء وأرباب الوظائف على العادة . واستمر في السلطنة وحسنت سيرته ، وبأمر الأمور بنفسه وأحبته الناس لولاملوكه منكوتمر ، فإنه كان صبيامذموم السيرة . ولما

- (١) البرك : لفظ فارسي معناه الثوب المصنوع من وبر الجمال ثم أصبح في كتب المؤرخين المسلمين لفظاً اصطلاحياً يطلق على أمتعة المسافرين أو مهمات الجيش . قال ابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠ هـ في الكامل : « أخذ ما تختلف من مال ودواب وبرك » . وقال في موضع آخر : « بيع ماله وبركه » . وقال الفخرى في الآداب السلطانية : « كتب السلطان سنجر سنة ٥١٢ هـ إلى قائده مسعود بعد قتاله المسترشد العباسي وهزيمته إيابه : « أن يتلافى الحال معه وان يرد عليه أمواله وان يجعل له من الختم والبرك والأسباب أعظم وأجل مما ذهب منه ويعيده إلى بغداد على أتم حال » انظر ص ٣٥٠ طبع أوروبا . وفي المنهل الصافي : « كان له ثروة زائدة ومال جزيل وسلاح عظيم وبرك هائل » . وفي ابن يأس : « منهب من برك العسكر والسلاح » . انظر القاموس الفارسي الانجليزي لاستينجاس وانظر قاموس دوزي وانظر كتر مير أول ص ٢٥٣ .
- (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٤ من هذا الجزء . (٣) ضبط في المنهل الصافي (بألف مهموزة وبعدها غين معجمة مكسورة وزاي ساكنة ولام مضومة وواو ساكنة ، وقال إن معنى أغزلوا باللغة التركية : له فم) . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

كان يوم الثلاثاء منتصف ذى القعدة من سنة ست وتسعين وستمائة قبض السلطان الملك المنصور لاجين على الأمير شمس الدين قرأ سُتْقِر المنصوري نائب السلطنة وحبسَه ، وولى مملوكه مَنكُوتُمَر المذكور نيابة السلطنة عوضَه ، فعظم ذلك على أكابر الأمراء في الباطن . ثم بعد أيام ركب السلطان الملك المنصور لاجين ولعب الكرة بالميدان فتقنطر به الفرس فوق من عليه وتهشم جميع بدنه وأنكسرت يده وبعض أضلاعه ووهن عظمه وضعفت حركته ، وبقي يُعلم عنه مملوكه ونائبه سيف الدين مَنكُوتُمَر وأيس من نفسه . كل ذلك والأمراء راضون بما يفعله مَنكُوتُمَر لأجل خاطره إلى أن من الله تعالى عليه بالعافية وركب ، ولما ركب زُيِّنَت له القاهرة ومصر والبلاد الشامية لعافيته ، وفرح الناس بعافيته فرحا شديدا خصوصا الحرافيش .
فإنه لما ركب بعد عافيته قال له واحد من الحرافشة : يا قاضي الذهب ، بالله أرنى يدك ، فرفق إليه يده وهو ماسك المقرعة وضرب بها رقبة الحصان الذى تحته . وكان ركو به فى حادى عشرين صفر من سنة سبع وتسعين وستمائة . ولما كان لعب الكرة وكجا به فرسه ووقع وأنكسرت يده قال فيه الأديب شمس الدين محمد [المعروف بآبن البياعة] :^(١)

حَوَيْتَ بَطْشًا وإحسانًا ومعرفة * وليس يحمل هذا كله الفرس ١٥

ولما تعافى الملك المنصور لاجين قال فيه شمس الدين المذكور نثرًا وهو : أسفر نقر صباحه عن نحيب القمر الزاهر ، وبطش الأسد الكاسر ، وجود البحر الزاخر ، فياله يوما

(١) الميدان : المقصود به الميدان الظاهري بالقاهرة ، لأنه هو الذى كان معدا للعب الكرة والسباق فى ذلك الوقت . راجع ما كتب عليه فى الحاشية رقم ٣ ص ١٦٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٢) يظهر أن المراد بهم هنا سفلة الناس وقد كانوا يطلقون على فئة خاصة وقد تردد اسمهم كثيرا فى المؤلفات العربية مثل السلوك للقرنيزى وخططه وابن قاضي شعبة فى الاعلام . بتاريخ أهل الاسلام وغيرهما . وقسا سنظهر على مباركة باشا ان قرية الحرافشة إحدى قرى مديرية جرجا انما سميت بهذا الاسم لذلك . راجع كترميز ج ٢ ص ١٩٥ — ١٩٧ ، والخطط التوفيقية ج ١٠ ص ٧٢ (٣) الزيادة عن جواهر السلوك وتاريخ سلاطين المسالك .

نال به الإسلام على شرفه شرفاً ، وأخذ كل مسلم من السرور العام طَرَفًا ، فقلت
كل النفوس سرورا ، وزيدت قلوب المؤمنين وأبصارهم ثباتًا ونورا . ثم أنشد
أبياتا منها :

فمضِرُّ والشام كل الخير عمهما * وكلُّ قُطْرِ عَلت فيه التباشيرُ
فالكون مبهجٌ والخلق مُبْتِمٍ * والخير متصلٌ والدين مجبورُ
ومنها :

وكيف لا وعدُّ الدين مُنْكَسِرُ * بالله والملك المنصورُ منصورُ
والشرك قد مات رُعبًا حيث صاح به التوحيد هذا حسام الدين مشهورُ

- ثم بعد ذلك بَمَدَّة قبض السلطان على الأمير بدر الدين بَيْسَرِي ، وأحاط على جميع
موجوده في سادس شهر ربيع الآخر . ثم جهز السلطان الملك المنصور العساكر إلى
١٠ البلاد الشامية لَغْزْوِ سَيْس وغيرها ، وعليهم الأمير علم الدين سَنَجَر الدَّوَادَارِي وغيره
من الأمراء ، وسارت العساكر من الديار المصرية إلى البلاد الشامية ، وفتحت
تل حمدون وتل بَاشِر وقلعة مَرَعَش^(١) ، وجاء الأمير علم الدين سَنَجَر الدَّوَادَارِي حَاجِرًا
في رجله عطله عن الركوب في أيام الحصار . وأستشهد الأمير علم الدين سَنَجَر
المعروف بَطُقْصَبَا ، وجرح جماعة كثيرة من العسكر والأمراء . ثم إن الملك المنصور
١٥ قبض على الأمير عَزَّ الدين أَيْبَك الحموي المعزول عن نيابة دمشق قبل تاريخه بَمَدَّة

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٣٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية

رقم ٥ ص ١٤ من هذا الجزء . (٣) تل بَاشِر : حصن في شمال سوريا على نهر الساجور بقرب
عينتاب على بعد يومين من حلب . قال ياقوت في معجم البلدان : وأهلها نصارى أرمس ولها رُبض وأسواق
وقال ابن الشحنة : وشرب أهلها جيعا من نهر الساجور وهو نهر أصله من عينتاب ويجتمع إليه عيون
٢٠ آخر من بلاد تل بَاشِر ثم ينتهي إلى الفرات ويصب فيه . انظر مرآة الاطلاع لصفي الدين ص ٢١٠
وانظر صبح الأعشى رابع ص ١٢٧ وانظر أبا الفدا ص ٢٣٢ وانظر الدر المنثور لابن الشحنة ص ١٦٩
(٤) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٤ من هذا الجزء .

سنتين وعلى الأمير سنقر شاه الظاهري لأمر بلغه عنهما . ثم في أواخر صفر أخرج السلطان الملك المنصور لاجين الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية إلى الكرك ليقيم بها ، وفي خدمته الأمير جمال الدين آقوش أستاذ دار الملك المنصور ، فنزل الملك الناصر محمد بجواشيه من قلعة الجبل ، وسافر حتى وصل إلى الكرك .

ثم بدا للسلطان الملك المنصور هذا أن يعمل الروك بالديار المصرية وهو الروك الحسامي . فلما كان يوم سادس جمادى الأولى من سنة سبع وتسعين وستمائة أبتدأ عمل الروك والشروع فيه في إقطاعات الأمراء وأخباز الحلقة والأجناد وجميع

(١) الروك ، يستفاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على الروك الناصري (٨٧ ج ١) : أن الروك كلمة قطعية قد اُصطلح على استعمالها للقيام بعملية قياس الأرض وحصرها في مجالات وتبينها أي تقدير درجة خصوبة تربتها لتقدير الخراج عليها . ويقولون : راك البلاد ويروكها . ويقابل الروك في الوقت الحاضر عمليتنا فك الزمام وتصديل الضرائب . (٢) في الأصلين : « من سنة ست وتسعين » . وتصحيحه عما سيذكره المؤلف بعد قليل وعن السلوك للمقرئ والمنهل الصافي . وفي جواهر السلوك : « وفي سادس عشر جمادى الأولى يوم السبت كان ابتداء الروك من سنة سبع وتسعين وستمائة » . (٣) الإقطاعات ، يستفاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على ذكر ديوان العساكر والجيوش (ص ٩١ ج ١) ، وعلى ذكر القطاعات والإقطاعات (ص ٩٥ ج ١) : أن الإقطاعات هي ما تقطع أي ما يعطى من الأراضي الخراجية للأمراء ولجنده وغيرهم لاستغلالها ودفع الخراج عنها ، ويقال لمن تعطى لهم الإقطاعات « المقطعون » .

وفي عهد الحكم النجاشي في مصر عرفت الإقطاعات باسم : « الالتزامات » ، ويقال لمن تعطى لهم « الملتزمون » . وقد أبطلت طريقة الالتزام في عهد محمد علي باشا وإلى مصر وأعيدت الأقطان إلى الحكومة فأمرت بإعطائها للزارعين الواضعي اليد عليها لأجل فلاحتها واستغلالها ودفع الضريبة الخراجية عنها . وكانت جميع الأراضي الخراجية ملكا للحكومة بحكم الشريعة وليس لأحد حق الملكية في شيء منها وكان المقطعون أو الملتزمون أو الفلاحون يضعون يدهم عليها لمجرد فلاحتها والانتفاع بغلاتها ودفع الخراج عنها . وفي سنة ١٢٨٨ هـ = ١٨٧١ م صدرت لأئمة المقابلة ، وهي تصرح بأن من يدفع المقابلة (وهي مال الأرض عن مدة ست سنوات مقدما) على الأقطان الخراجية يجوز له تملكها والتصرف فيها بجميع أنواع التصرفات العقارية .

وفي سنة ١٣٠٩ هـ = ١٨٩١ م صدر أمر عال بتحويل حق الملكية الصريحة في الأقطان الخراجية التي لم تدفع عنها المقابلة أسوة بأزباب الأقطان التي دفعت عنها المقابلة بتأجيرها أو جزء منها . وبناء على هذا الأمر أصبحت جميع الأقطان الخراجية ملكا صريحا لأربابها ، وليست كما كانت من قبل ملكا للحكومة . وواضعو اليد عليها لا يملكون فيها إلا منفعتها .

- عجبا كرا الديار المصرية ، واستمروا في عمله إلى يوم الاثنين ثامن شهر رجب من سنة سبع وتسعين وستمائة ، وفُرقت المِثالات على الأمراء والمقدمين . وفي اليوم العاشر شمرع نائب السلطنة الأمير سيف الدين منكوتمر في تفرقة المِثالات على الحلقة والبحرية وممالك السلطان وغير ذلك ، فكان كل من وقع له مثال لا سبيل له إلى المراجعة فيه ، فن الجند من ساعد ومنهم من شقي ، وأُفرد للخاص أعمال الجيزة بتمامها وكاملها ، ونواحى الصَّفقة الإنفجحية وتغردمياط والإسكندرية ونواحى مُعينة من البلاد القبليّة والبحرية ، وعين لمنكوتمر من النواحى ما اختاره لنفسه وأصحابه ، وكان الحكم في التعيين لدواوين منكوتمر ، والاختيار لهم في التفرقة . وكان الذى باشر هذا الرُّوك وعمله من الأمراء الأمير بدر الدين بيليك الفارسى الحاجب والأمير بهاء الدين قراقوش الطواشى الظاهرى .

- (١) يظهر من هذا أن مدة عمل الرُّوك ثمانية وخمسون يوما ، وقد وافق المؤلف في روايته هذه صاحب جواهر السلوك ويعون التواريخ والسلوك وابن إياس . وسيدكر المؤلف بعد أسطر رواية نقلها عن الصفدى وهي أن مدة عمل الرُّوك كانت ثمانية أشهر . وقد ذكر هذه الرواية أيضا في كتابه المنهل الصافى .
- (٢) المِثالات ، يستفاد مما ذكره المقرئ في خططه عند الكلام على الرُّوك الناصرى (ص ٨٧ ج ١) : أن المِثالات جمع مفردة مثال ، وهو عبارة عن ورقة أى وثيقة رسمية تصدر من ديوان الخراج إلى كل جندي أو مملوك مينا بها مقدار ما خصه بالفدان من الأرض الزراعية التى يستغلها وحدودها وأسم الإقليم والقرية والقبيلة أى الحوض الكائن فيها الأرض التى خصصت له .
- (٣) يريد خاص السلطان وسكر
- هذه العبارة في ص ٩٣ . (٤) هى التى تعرف اليوم بمديرية الجيزة بمصر . (٥) الصَّفقة الإنفجحية : هى بلاد القسم الواقع شرق النيل من بلاد مديرية الجيزة ، وكانت تعرف بالأعمال الإطفجحية ، نسبة إلى بلدة إطفج التى كانت قاعدة لها ، ثم عرفت باسم مركز إطفج . ومن سنة ١٨٩٨ عرفت باسم مركز الصف أحد مراكز مديرية الجيزة بمصر . (٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .
- (٧) الإسكندرية ، هى من أقدم التفرق المصرية ، أنشأها إسكندر الأكبر المقدونى سنة ٣٣١ ق م . وهى اليوم من أكبر وأشهر موانئ البحر الأبيض المتوسط ، والمدينة الكبرى الثانية في مصر بعد القاهرة وتاريخها طويل ليس هنا موضع ، وشهرتها تفنى عن وصفها . (٨) فى الأصلين : « البك » .
- وفى آرن إياس : « إيليك » بالباء الموحدة بعد اللام . وفى تاريخ سلاطين المسالك : « إيليك » وما أثبتناه عن السلوك وما سأتى للألف بعد قليل . (٩) هكذا فى الأصلين وتاريخ سلاطين المسالك . وفى السلوك للقرئى : « بهاء الدين آقوش الظاهرى المعروف بالبريدى » .

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى : وكان مدة عمل الرُّوك ثمانية أشهر إلا أياماً قلائل . ثم تقنطر السلطان الملك المنصور لاجين عن فرسه في لعب الكرة . انتهى كلام الصفدى .

وقال القطب اليوناني : حَكى بعض كُتَّاب الجيش بالديار المصرية في سنة سبعمائة قال لى : أخذم في ديوان الجيش بالديار المصرية أربعين سنة ، قال : والديار المصرية أربعة وعشرون قيراطا ، منها : أربعة قراريط للسلطان ولِمَا يُطْلِقُه وللْكُفِّ والرواتب وغير ذلك ، ومنها عشرة للأمراء والإطلاقات والزيادات ، ومنها عشرة قراريط للمُخَلِّعة . قال : وذكروا للسلطان وَلَمْ يَكُونُوا أَنَّهُمْ يَكْفُونُ الأمراء والجند بأحد عشر قيراطا ، ^(١) يستخدم عليها حلقة بمقدار الجيش ، فشرعوا في ذلك وطلبونا وطلبوا الكُتَّاب الجياد في هذه الصَّناعة ، فكفينا الأمراء والجند بعشرة قراريط ، وزدنا الذين تَصَرَّروا قيراطا فبقى تسعة ، فاتفق قتل السلطان ومَنْ كُونُوا . وكان في قلوب الأمراء من ذلك همٌ عظيم ، فأنتم على كل أمير ببلد وبلدين من تلك التسعة قراريط ، وبقي الجيش ضعيفا ليس له قوة . وكانت التسعة قراريط التي بقيت خيرا من الأحد عشر قيراطا المَقْطعة .

قلت : يعنى أن هذا خارج عن الأربعة قراريط التي هى برسم السلطان خاصة . انتهى .

وقيل في الرُّوك وجه آخر ؛ قال : لما كان في ذى الحجة سنة سبع وتسعين وستمئة قصد السلطان الملك المنصور حُسام الدين لاجين المنصورى أن يروك البلاد المصرية وينظر في أمور عساكر مصر ، فتقدم التاج الطويل مُستوفى الدولة

٢٠ (١) في الأصلين : « بعشرة قراريط » . وما أثبتناه عن جواهر السلوك وخطط المقرئ والسلوك له . (٢) هو تاج الدين عبد الرحمن الطويل مستوفى الدولة (عن السلوك للقرئى) .

يجمع الدواوين لَعَمَلْ أوراق بعبرة إقطاع الأمراء والجند وقانون البلاد، ونَدَب الأمير بهاء الدين قراقوش الظاهري والأمير بدر الدين بيليك الفارسي الحاجب ، بجمع سائر الكُتَاب لذلك ؛ وأخذوا في عَمَلِه فلم يُحْكَمُوا الْعَمَلْ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى الإقطاعات الثقيلة المتحصلة من إقطاعات الأمراء والجند، وأبدلوها بإقطاعات دونها في العبدة والمتحصّل ، وأصلَحُوا ما كان من الإقطاعات ضعيفا ، وأُفِرِدَ للعسكر بأجمعه أربعة عشر قيراطا ، وللسلطان أربعة قواريط ، وأُرْصِدَ لِمَنْ عِشَاءَ يَتَضَرَّرُ مِنَ الْأَمْراء والجند ويشكو قِلَّةَ المتحصّل قيراطان ، قَمَّ بِذَلِكَ عَشْرُونَ قِيرَاطًا . وَقُتِلَ الْمَلِك المنصور لاجين ولم يَسْتَحْدِمْ أَحَدًا وَأُوقِفَ بِرِسْمِ عِسْكَرٍ أُخْرٍ يَسْتَجِدُّ أَرْبَعَةَ قَوَارِيطَ . وَأُفِرِدَ لِنَاحِصِ السُّلْطَانِ الْحِيزِيَّةِ وَالْإِتِفِيجِيَّةِ وَمَنْقُلُوطْ وَهُوَ الْكُومُ الْأَحْمَرُ وَمَرْجِ (١١)

- ١٠ (١) العبدة ، يستفاد مما ورد في المخطط المقرزية عند الكلام على قبالات أراضى مصر (ص ٨١ ج ١) ، وعلى الزرك الناصري (ص ٨٧ ج ١) : أن العبدة كلمة اصطلاحية معناها « مقدار المساحة » وقد تطلق على مقدار ما يكون في حيازة كل شخص من الأرض ، كما تطلق على مقدار مساحة ألبان كل ناحية أو إقليم . وبقابل ذلك في وقتنا الحاضر عبارة مساحة أو زمام ناحية كذا أو مديرية كذا .
- (٢) منقلوط ، هي من البلاد المصرية القديمة ، واقعة على الشاطئ الغربي للنيل ، وهي اليوم من المدن الشهيرة بالوجه القبلي ، وقاعدة مركز منقلوط أحد مراكز مديرية أسيوط ، ولها محطة باسمها على السكة الحديدية . (٣) هو ، هي من البلاد المصرية القديمة ، ذكرها ياقوت في معجمه (بضم أولها) ويقال لها هو الحمراء : بلدة أزلية بالصعيد بالجانب الغربي للنيل دون قوص ، يضاف إليها كورة . وأسمها الروى « ديسوبوليس أنو » وأنو أى العليا . وهي اليوم إحدى قرى مركز نجع حمادى بمديرية قنا وأقرب محطة بالسكة الحديدية إليها محطة نجع حمادى . (٤) الكوم الأحمر ، هي من البلاد المصرية القديمة واقعة غرب النيل ، وهي اليوم إحدى قرى مركز نجع حمادى بمديرية قنا وأقرب محطة بالسكة الحديدية إليها محطة فرشوط حيث تقع في جنوبها . (٥) مرج بن هميم ، ورد في معجم البلدان لياقوت أن هذا المرج شرق النيل بصعيد مصر . وفي الطالع السعيد للأدقوى بأن أرض أفير ، وهي مرج بن هميم ، تقع بين جبل طوخ من الشمال وقرية أخليصام في الجنوب . وبالبحت تبين لى أن موقع هذا المرج المنطقة التى تشمل بلاد أولاد يحيى بحرى بمركز جرجا ، وأولاد يحيى قبلى ، ومراة شرقا ، وأولاد طوق وأولاد سالم والكشح والنعاميش وأولاد خلف وأخليم من بلاد مركز البلينا ، وكلها شرق النيل بمديرية جرجا .
- ٢٥

بنى هُيَمٌ وَحَرَجَةٌ سَمَطًا ، وَاتَفَوْا (أَدْفُو) بِأَعْمَالِ قُوصٍ وَإِسْكَندَرِيَّةٍ وَدِيَمِيَّاتٍ ،
وَأُفْرِدَ لِمَنْكُوتُمْرَ مَمْلُوكُهُ نَائِبُ السُّلْطَانَةِ مِنَ الْجَهْمَاتِ مَا لَمْ يَكُنْ لِنَائِبٍ قَبْلَهُ ،
وَهُوَ عِبْرَةٌ نِيَفٌ عَنْ مِائَةِ أَلْفٍ دِينَارٍ . فَلَمَّا فَرَّغَتْ الْأَوْرَاقُ عَلَى مَا ذَكَرْنَا جَلَسَ السُّلْطَانُ
الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ لِأَجِينٍ لِتَفْرِفَةِ الْمِثَالَاتِ عَلَى الْأَمْرَاءِ وَالْمُقَدِّمِينَ فَأَخَذُوهَا وَهُمْ غَيْرُ رَاضِينَ
بِذَلِكَ ، وَتَبَيَّنَ لِلْسُّلْطَانِ مِنْ وَجْهِ الْأَمْرَاءِ الْكَرَاهَةِ ، فَارَادَ زِيَادَةَ الْعِبْرَةِ فِي الْإِقْطَاعَاتِ
فَتَنَعَهُ نَائِبُهُ مَنْكُوتُمْرٌ مِنْ ذَلِكَ وَحَذَّرَهُ فَتَنَحَّ هَذَا الْبَابُ ، فَإِنَّهُ يَخْشَى أَنْ يَعْجِزَ السُّلْطَانُ
عَنْ سَدِّهِ ، وَتَكْفُلَ لَهُ مَنْكُوتُمْرٌ بِإِتْمَامِ الْعَرَضِ فِيمَا قَدْ عَمِلَ بِرِسْمِ السُّلْطَانِ . [و] لَمَنْ كَانَ^(١٦)
لَهُ تَعَلُّقٌ فِي هَذَا الْعَمَلِ مِنَ الْأَمْرَاءِ وَغَيْرِهِمْ أَنْ يَرْفَعُوا شِكَايَتَهُمْ إِلَى النَّائِبِ ؛ وَتَصْدَى
مَنْكُوتُمْرٌ لِتَفْرِفَةِ إِقْطَاعَاتِ أَجْنَادِ الْحَلَقَةِ ، بِغُلَسٍ فِي شُبَّانِكِ النِّيَابَةِ بِالْقَلْعَةِ وَوَقَفَ الْحَجَّابُ
بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَأَعْطَى لِكُلِّ تَقْدِيمَةٍ مِثَالَاتَهَا فَتَنَاوَلُوهَا عَلَى كُرِّهِ مِنْهُمْ ، وَخَافُوا أَنْ يَكْلَمُوا
مَنْكُوتُمْرَ لِسُوءِ خُلُقِهِ وَسُرْعَةِ بَطْشِهِ ؛ وَتَمَادَى الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ عِدَّةَ أَيَّامٍ . وَكَانَتْ أَجْنَادُ
الْحَلَقَةِ قَدْ تَنَاقَصَتْ أَحْوَالُهَا عَنْ أَيَّامِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ قَلَاوُونَ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى أَنَّ أَقْلَ
عِبْرَةِ الْإِقْطَاعَاتِ وَأَضْعَفَ مَتَحَصِّلَاتِهَا عَشْرَةُ آلَافٍ دَرَاهِمٍ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَى ثَلَاثِينَ
أَلْفَ دَرَاهِمٍ وَهِيَ أَعْلَاهَا ، فَرَجَعَ الْأَمْرُ فِي هَذَا الرُّوْكِ إِلَى أَنْ أَسْتَقَرَّ أَكْثَرُ الْإِقْطَاعَاتِ
عَشْرِينَ أَلْفًا إِلَى مَا دُونِهَا ؛ فَقُلَّ لِذَلِكَ رِزْقُ الْأَجْنَادِ ؛ فَإِنَّهُ صَارَ مَنْ كَانَ مَتَحَصِّلَهُ

(١) حرجة سمط ، هذه الحرجة تشمل المنطقة الواقعة غربي النيل من بلاد مركز البليط بمديرية جرجا بصعيد مصر ، وهي التي تقابل بلاد مرج بن هميم والنيل بينهما ، وبها نحو أربع عشرة قرية منها نواحي الحرجة بحري ، والحرجة قبل ، والحرجة بالقرعان والعرابة المدفونة . والسمط : المنسوب إليها هذه الحرجة .

(٢) اتفوهى ادفو بلدة بصعيد مصر الأعلى مشهورة بمعبدها الأثرى الكبير .

(٣) أعمال قوص ، هي التي تعرف اليوم بمديرية قنا ومركزى ادفو واسوان من صعيد مصر الأعلى .

(٤) في السلوك للقرى : « وكان متحصلا ينف على مائة ألف إردب وعشرة آلاف إردب من

الغلة خارجا عن المال العين » . (٥) في الأصلين : « نغله نائبه » . وما أثبتناه عن السلوك .

(٦) زيادة فتضها السياق .

عشرين ألفاً رَجَعَ إلى عشرة آلاف ، ومن كان عبدة إقطاعه عشرة آلاف بقيت خمسة آلاف ، فشق ذلك على الجند ولم يرضوه إلا أنهم خَشُوا التَّجِيلَ من مَنكُوتَرٍ ، وكانت فيهم بقيّة من أهل القوّة والشجاعة ، فتقدّموا إلى النائب منكوتَر وألقوا مِثَالَتَهُمْ ، وقالوا : إِنَّا لَا نَعْتَدُ قَطْ بِمِثْلِ هَذِهِ الْإِقْطَاعَاتِ ، ونحن إِنَّمَا أَنْتَ نَحْنُمُ الْأُمَرَاءُ وَإِلَّا بَطَلْنَا ، فعظم قولهم على النائب وأغضبه ، وأمر المجتاب بضرهم وساقهم إلى السجن ؛ فشغ فيهم الأمراء فلم يقبل شفاعتهم ، وأقبل منكوتَر على مَنْ حَضَرَ من الأمراء والمقدمين وغيرهم فأوسعهم سَبًّا ومَلَأَهُمْ تَقْرِيبًا وتَعْنِيفًا حتّى وُغِرَ صدورهم وغير نيّاتهم فَأَنصَرَفُوا ، وقد عَوَّلُوا على عمل الفتنة ؛ وبلغ السلطان ذلك فعنف منكوتَر ولامه وأخرج الأجناد من السجن بعد أيام . وكان عمَلُ هذا الرُّوكِ وتفرّقته من أكبر الأسباب وأعظمها في فتك الأمراء بالسلطان الملك المنصور .

١٠ لاجين وقته وقته وقته

وكان هذا الرُّوكِ أيضًا سببًا كبيرًا في إضعاف الجند بديار مصر وإتلافهم ، فإنه لم يُعْمَلْ فيه عمل طائل ولا حَصَلَ لأحد منهم زيادة يرضاها ، وإنما توفّر من البلاد جزء كبير . فلما قُتِلَ الملك المنصور لاجين تقسّمها الأمراء زيادة على ما كان بيدهم . انتهى .

١٥

ثم إنَّ السلطان الملك المنصور لاجين جهّز الأمير جمال الدين آقوش الأفرم الصغير والأمير سيف الدين محمدان [بن سلفيه ^(١)] إلى البلاد الشامية ، وعلى أيديهم مراسيم شريفة بخروج العساكر الشامية ، وخروج نائب الشام الأمير قَبْجَقِ المنصوري بجمع أمراء دِمَشْقِ حتّى حواشي الأمير أَرْجُوش نائب قلعة دِمَشْقِ ،

(١) الزيادة عن تاريخ سلاطين الممالك . وفي السلوك للقرنزي وجوامر السلوك : « صلاى » .

٢٠

فوصلوا إلى دمشق وألحوا في خروج العسكر وتوهوا بأن التشار فاصدون البلاد،
 فخرج نائب الشام بعساكر دمشق في ليلة الخميس رابع عشر المحرم من سنة ثمان
 وتسعين وثمانئة . ووقع لقبجق نائب الشام المذكور في هذه السفرة أموراً أوجبت
 غضبانه وخروجه من البلاد الحلبية بمن معه من الأمراء ومماليكه إلى غازان ملك التتار.
 وكان الذي توجه معه من أكابر الأمراء : بكتمر السلاج دار والبكي وبيغار وغيرهم^(١)
 في جمع كثير، وكان خروجهم في ليلة الثلاثاء ثامن شهر ربيع الآخر . وسبب خروج
 قبجق عن الطاعة وتوجهه أنه كان ورد عليه مرسوم السلطان بالقبض على هؤلاء
 الأمراء المذكورين وغيرهم، ففطن الأمراء بذلك فهرب منهم من هرب وبقي هؤلاء،
 فقاموا إلى قبجق وهو نازل على حمص، فطلبوا منه أماناً فأمنهم وحلف لهم، وبعث
 قبجق إلى السلطان يطلب منه أماناً لهم فأبطأ عليه الأمان، ثم خشن عليه بعض أكابر
 أمراء دمشق في القول بسببهم فعلم قبجق أن ذلك الكلام من قبل السلطان فيضرب،
 وخرج على حمية وتبعه الأمير عز الدين بن صبراً، والملك الأوحـد [ابن الزاهر] وجماعة
 من مشايخ الأمراء يسترضونه فلم يرجع، وركب هو ومن معه من حواشيه ومن الأمراء

- (١) في جواهر السلوك وتاريخ سلاطين المماليك : « ولزوا الناس في خروجهم » .
 (٢) هوسيف الدين بكتمر بن عبد الله السلاج دار الأمير الظاهري ثم المنصوري أحد الأمراء
 الكبار . توفي سنة ٥٧٠٣ هـ في الدرد الكامة والمنهل الصافي . (٣) هو البكي بن عبد الله
 الظاهري الأمير فارس الدين . سيذكر المؤلف وفاته في حوادث سنة ٥٧٠٢ هـ . (٤) في تاريخ
 سلاطين المماليك : « وبتار » بالنون بدل الباء . (٥) أجل المؤلف خيزر فرار الأمير قبجق
 ومن معه واتجاههم إلى قازان ، وتفصيله كما في تاريخ سلاطين المماليك والسلوك وجواهر السلوك وعيون
 التواريخ : أن بكتمر ومن معه من الأمراء كانوا مجردين بحلب ، وجاء مرسوم السلطان على بكتمر
 بتوجهه هو وطلبه إلى طرابلس . وكان قد ورد مرسوم آخر في الباطن من السلطان إلى سيف الدين الطباخي
 نائب حلب بمسك بكتمر هذا والأمراء الذين معه فعلم به بكتمر وأصحابه فقرروا إلى حمص حيث يقم قبجق
 واستطفروه وطلبوا منه أماناً فغلف لهم وأمنهم ، وطلب لهم أماناً من السلطان فأبطأ عليه الرد كما سيذكره
 المؤلف في هذا الخبر . (٦) زيادة عن جواهر السلوك

- (١) المذكورين وسار حتى وصل مآردين ، وألقى مع مقدم التار نغدهم مقدم التار ، وأخذهم وتوجه بأطلاب التار وعساكره إلى أن وصلوا إلى غازان ملك التار وهو نازل بأرض السيب من أعمال واسط . فلما قدم قبجق ومن معه على غازان سرت بهم وأكرمهم وعندهم ومنهم وأعطى لكل أمير عشرة آلاف دينار ، ولكل مملوك مائة دينار ، وللمالك الصغار مع الرُكبدارية خمسين ديناراً ، وكل دينار من هذه الدنانير .

- (١) ماردن ، قال ابن حوقل في المسالك ص ١٥٢ عن ماردن : إنها حصن منيع مبنى على قلة جبل شاهق فيه من العدة والأسلحة ما لا يمكن حصره (لعهده المؤلف ٣٦٧ هـ = ٩٧٨ م) . وقال ياقوت : إنها قلعة مشهورة على قلة جبل الجزيرة (الفراتية) مشرفة على ديسر ودارا ونصيبين وقدامها برض عظيم فيه أسواق كثيرة . قال : ودورها كالدرج ، كل دار فوق الأخرى ، وكل درب منها يشرف على ما تحته من الدروب ليس دون سطوحهم مانع ، والماء عندهم قليل . وأكثر شربهم من صهاريج مملوءة في بيوتهم (لعهده المؤلف ٦٢٦ هـ) . وذكرها ابن بطوطة في رحلته إليها سنة ٧٢٨ هـ . ج ٢ ص ١٤٢ — ١٤٣ فقال : هي مدينة عظيمة في سفح جبل من أحسن مدن الإسلام وأبدعها وأقربها وأحسنها أسواقاً ، وبها تصنع الثياب المنسوبة إليها من الصوف المعروف بالمرعز ، ولها قلعة شماء من مشاهير القلاع كانت تسمى بالشباب على عهد . وذكرها المرحوم على بك بهجت في قاموس الأمكنة والبقاع فقال : لا تزال مدينة ماردن قائمة في جهة الشرق من الرها (أورفة) على رأس جبل مسمى باسمها يصعد إليها بدرج متقور في الصخر . وقد حدد موقعها أطلس فيلبس الجغرافي طبع لندن سنة ١٩٢١ في ديار بكر (تركيا) ، وقال : إن عدد سكانها يربو على ٢٦ ألف نفس . (٢) السيب : أصله مجرى الماء ، وهو كورة من سواد الكوفة (معجم البلدان ياقوت) . وهو هنا كورة من سواد واسط كما في الأصل ، قال أبو القسدا : السيب نهر بالبصرة من جهة واسط عليه قرى عدة (صفحة ٢٩٦) . (٣) واسط : قال أبو القسدا في تقييد البلدان ص ٣٠٦ إنها سميت واسط لأن منها إلى البصرة نحسين فرسخاً ومنها إلى الكوفة نحسين فرسخاً ومنها إلى الأهواز نحسين فرسخاً ومنها إلى بغداد نحسين فرسخاً . احتلها الحجاج في سنة ٨٤ هـ هو فرغ منها سنة ٨٦ هـ . وذكر صاحب مراد الاطلاع أن هناك موضعاً قبل عمارتها كان يسمى واسط القصب فلما عمر الحجاج مدينته سماها باسمه (ج ٣ ص ٢٦٩) . وذكر القزويني في آثار السلاط (ص ٣٢٠) . أن الحجاج سكنها إلى سنة ٩٥ هـ وتوفي في تلك السنة . وذكر ياقوت : أنه وأها مراراً ، بلدة عظيمة ذات رساتيق ونخيل يفوت الحصر ، وكان الرخص موجوداً بها من جميع الأشياء (معجم البلدان ياقوت) . وصارت واسط الآن قرية صغيرة ذات أطلال تقع ما بين كوت الهامة على دجلة وكوت الحى على نهر الفرات المتشعب من دجلة ويسمى شط الحى وهو بعيه نهر السيب المذكور في الحاشية السابقة (رحلة عبد الرازق الحسنى في العراق ص ٢٩ ، ٦٨ . وأطلس فيلبس الجغرافي طبع لندن سنة ١٩٢١) . (٤) الرُكبدارية : لفظ فارسي معناه الفرسان .

صرفه بأثنى عشر درهما ؛ ثم أقطع الأمير قَبْجَقَ المذكور مدينة هَمْدَانَ وأعمالها ، فلم يقبل قَبْجَقَ واعتذر أن ليس له قصد إلا أن يكون في صحبة السلطان الملك غازان ليرى وجهه في كل وقت ! فأجابه غازان إلى ما سأله وأعجبه ذلك منه . وكان لما خرج قَبْجَقَ من حمص إلى جهة التار ، وبلغ أمراء دمشق ذلك خرج في طلبه الأمير بُحْكُنْ والأمرير أَيْدُغْدِي شُقَيْرَ بمالِكهم ومعهم أيضا جماعة من عسكر الشام ، فوجدوه قد قطع الفرات ولحقوا بعض ثقله . وعند وصول قَبْجَقَ ومن معه إلى غازان بلغه قتل السلطان الملك المنصور لاجين بالديار المصرية . وكان خبر قتل السلطان أيضا بلغ الأمير بُحْكُنْ والأمرير أَيْدُغْدِي لما خرجوا في أثر قَبْجَقَ فأنحلت عزائمهم عن الحقوق بقَبْجَقَ ورجعوا عنه وإلا كانوا لحقوه وقتلوه .

وأما أمر السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين صاحب الترجمة فإنه لما أخذ في قبض من أستوحش منهم من الأمراء وغيرهم ، وزاد في ذلك بإشارة مملوكه منكوتمر ، استوحش الناس منه ونفرت قلوبهم وأجمعوا على عمل فتنة . ثم فوض لمملوكه منكوتمر جميع أمور المملكة فاستبد منكوتمر بوظائف الملك ومهماتة . وآنهى حال أستاذه الملك المنصور معه إلى أن صار إذا رسم الملك المنصور لاجين مرسوماً أو كتب لأحد توقيعاً وليس هو بإشارة منكوتمر يأخذه منكوتمر من يد المعطى له ويمزقه في الملاء ، ويردّه ويمنع أستاذه منه ؛ فعند ذلك أستنقل الأمراء وطأة منكوتمر وعليها أن أستاذه الملك المنصور لا يسمع فيه كلاماً منكّم ، فعملوا على قتل أستاذه الملك المنصور لاجين .

(١) همدان : عاصمة إقليم باسمها في العراق السجى من بلاد فارس على سفح جبال الوند . يبلغ عدد سكانها ٣٥ ألف نسمة . ولوقوع هذه المدينة فيما بين بلاد العجم وأرض الجزيرة (العراق) بق لها بعض أهميتها التجارية والصناعية (القديمة) إذ تكثر بها صناعة البسط والأفشة المتخذة من الصوف والقطن ثم صناعة الجلود . وفي ضواحيها تكثر الكروم . (قاموس الأماكن والباق لعل بك بهجت طلس فلبس الجغرافى طبع لادن سنة ١٩٢١) .

- قلت : الولد الخبيث يكون سببا لاستجلاب اللعنة لوالده ! انتهى :
- وقال الأمير بيبرس الدؤادار في تاريخه : وكان سبب قتل لاجين أمور ، منها : أنه لما أراد أن يتسلطن جاءه جماعة من الأمراء وأشرطوا عليه شروطا فالتمها لاجين ، منها أنه يكون كأحدهم ولا ينفرد برأى عنهم ، ولا يسلط يد أحد من مماليكه فيهم . وكان الأعيان الحاضرون في هذه المشورة ، والمتفقون على هذه الصورة : الأمير بدر الدين بيبرس الشمسي . والأمير قرأسنقر المنصوري . والأمير سيف الدين قبحق . والأمير الحاج بهادر أمير حاجب المجتاب . والأمير كرت .^(١)
- والأمير حسام الدين لاجين السلاح دار الرومي الأستاذار . والأمير بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح . والأمير عز الدين أيبك الخازندار . والأمير جمال الدين آقوش الموصل . والأمير مبارز الدين أمير شكار . والأمير بكتمر السلاح دار . والأمير سيف الدين سلاز .^(٢) والأمير طنجي . والأمير كرجي . والأمير طقطاي . والأمير برلطي وغيرهم . ولما حلف لهم الملك المنصور لاجين على ما شرطوا قال الأمير سيف الدين قبحق : نخشى أنك إذا جلست في المنصب تنسى هذا التقرير وتقدم الصغير من ممالكك على الكبير ، وتؤوض لملوك منكومتر في التحكم والتدبير ، فتتصل لاجين من ذلك ، وكثر لاجين الحلف أنه لا يفعل ، فعند ذلك حلفوا له . ورحلوا نحو الديار المصرية (يعني أن ذلك كان بعد هروب الملك العادل كتباً وعند دخول لاجين إلى غزة) فوقع هذه الشروط كلها بمدينة غزة . انتهى .

(١) في الأصلين : « كرد » بالذال . وما أثبتناه عن المنهل الصافي وتاريخ سلاطين الممالك .

(٢) في الأصلين : « السلازي » . وما أثبتناه عن ابن إياس والمنهل الصافي وتاريخ سلاطين الممالك .

قال يبيّرس : فلما تسلطن ربّ الأمير شمس الدين قرأ سُتْقَر المنصوري نائباً .
والأمير الحاج بهادر حاجباً على عادته . والأمير سَلَار أستاذاراً . والأمير بَكْتَمُر
السَّالَح دار أمير آخور . وأستقرّ بالصاحب نحر الدين بن الخليل في الوزارة ؛
وربّ الأمير قَبْجَق نائب الشام ، ثم بعد مدة أفرج عن الأمير بُرْغِي فأعطاه إقطاعاً
بدمشق . ثم أفرج عن الأمير يبيّرس الجاشنكير وجماعة من الأمراء ، وأعطى يبيّرس
الجاشنكير إمارة بالقاهرة .

قلت : ويبيّرس هذا هو الذي تسلطن فيما بعد حسب ما يأتي ذكره .
ثم برز مرسومه بأستقرار الملك العادل كَتْبُغَا في نيابة صَرْخَد ، وكتب له بها
منشوراً . انتهى كلام يبيّرس باختصار ، لأنه خرج في سياق الكلام إلى غير
ما نحن بصددده .

وقال غيره : ولما تسلطن لاجين وثبتت قدمه ورستخت نسي الشروط وقبض
على أكابر خُشْداشِيَتِه من أعيان أمراء مصر وأماثلهم ، مثل : الأمير قَرَأْسُتُقَر
والبيّسري وبكْتَمُر السَّالَح دار وغيرهم ، وولّى مملوكه مَنكُوتُمُر نيابة السلطنة بل صار
مَنكُوتُمُر هو المتصرف في الممالك . فعند ذلك نفرت قلوب الأمراء والهند من الملك
المنصور لاجين ودبروا عليه ، وأستوحش هو أيضا منهم وأحترز على نفسه ، وقلل^(١)
من الركوب ولزم القُعاد بقلعة الجبل متخوفاً ؛ وكان كُرْجِي خِصِيصاً به وهو أحد
مَن كان أعانه على السلطنة ، فقدمه لاجين لما تسلطن على الممالك السلطانية ، فكان
يُحْتَمِل في أشغالهم ويُدْخِل للسلطان مَن أراد ، لا يحجبه عنه حاجب ؛ فحسده
مَنكُوتُمُر مع ما هو فيه من الحِلّ والعَقْد في المملكة ؛ وسعى في إبعاد كُرْجِي عن السلطان
الملك المنصور لاجين . فلما ورد البريد يُخبر بأمر القِلاع التي فتحها عسكر السلطان

(١) في الأصلين : « دغل » .

ببلاد الأرمن حسن منكوتمر إلى السلطان أن يرسل كُرْجِي المذكور إليها نائباً ليقم فيها ، فوافقهُ السلطان على ذلك ، وكلم كُرْجِي فاستعفى كُرْجِي من ذلك فأعفاه السلطان بعد أمور فكنَّ كُرْجِي في نفسه . ثم أخذ مع هذا منكوتمر يغلظ على الممالك السلطانية وعلى الأمراء الجبار في الكلام ، فعظم ذلك عليهم وتساكروا فيما بينهم من منكوتمر ، وقالوا : هذا متى طالَّت مدته أخذنا واحداً بعد واحد ، وأستاذهُ مرتبطٌ به ، ولا يمكن الوثوب عليه أيام أستاذهُ ، فلم يحدوا بدءاً من قتل أستاذهُ الملك المنصور لاجين قبله ، ثم يقتلونه بعده ، وأنفقوا على ذلك .

قال الشيخ مجد الدين الحرّمي وكل بيت المال : كان الملك المنصور لاجين متروجا ببنت الملك الظاهر بيبرس ، وكانت دينة عفيفة ، فحكّت أنها رأت في المنام ، ليلة الخميس قبل قتل السلطان بليدة واحدة ، كأن السلطان جالس في المكان الذي قُتل فيه ، وكأن عِدّة غِربان سود على أعلى المكان ، وقد نزل منهم غراب فضرب عمامة السلطان فرماها عن رأسه ، وهو يقول : كرج كرج ؛ فلما ذكرت ذلك للسلطان ، قالت له : أقم الليلة عندنا ؛ فقال السلطان : ما ثمّ إلا ما قدره الله ! وخرج من عندها إلى القصر بعد أن ركب في أوّل النهار على العادة ، وكان صائماً وهو يوم الخميس عاشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة ، فأفطر بالقصر . ثم دخل إلى القصر الجوّاني بعد العشاء الآخرة وأخذ في لعب الشطرنج وعنده خواصه وهم : قاضي القضاة حسام الدين الحنفى ، والأمير عبد الله ، وبريد البدوي ، وإمامه محب الدين بن العسال ؛ فأقول من دخل عليه كُرْجِي ، وكان نوعه السلاح دار من

(١) راجع الحاشية دقم ٦ ص ١٢٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٢) في تاريخ الاسلام :

« محب الدين بن العسال » . وفي السلوك للقرنبي : « نجم الدين » . وفي المنيل الصافي : « محب الدين

آبن العسال » بالفتح .

جملة المتفقين ، وهو في نوبته عند السلطان . وكان كُرْجِي مقدم البُرْجِيَّة والسلطان
مِكْبٌ على لعب الشَّطْرَنْج ، فأوهم كُرْجِي أنه بصلح الشمعة فرمى الفوطة على النِّمِجاة
ثم قال السلطان لكُرْجِي : رحتَ بَيْتَ البُرْجِيَّة وغلقت عليهم ؟ والبُرْجِيَّة هم الآن
ممالك الأَطْباق^(١) ، فقال كُرْجِي : نعم يا خَوْنَد . وقد كان أوقف كُرْجِي أكثرهم
في دِهليز القصر ، فشكره السلطان وأثنى عليه من حضر ، فقال السلطان : اولا الأمير
سيف الدين كُرْجِي ما وصلت أنا إلى السلطنة . فقبِلَ كُرْجِي الأرض ، وقال :
يا خَوْنَد ، ما تُصَلِّيُ العشاء ؟ فقال السلطان : نعم وقام حتى يصلي فضربه كُرْجِي
بالسيف على كتفه ، فطلب السلطان النِّمِجاة فلم يجدها ، فقام من هول الضربة
ومسك كُرْجِي ورماه محته ؛ وأخذ نُوغِيَه السَّلاح دار النِّمِجاة وضرب بها رجل السلطان
فقطعها ، فاقلب السلطان على فقاخ يخور في دمه . انتهى ما ذكره ويكل بيت المال .

وقال القاضي حُسام الدين الحِنْفِي : كنت عند السلطان فما شَعَرْتُ إِلَّا وستة
أو سبعة أسياف نازلة على السلطان ، وهو مِكْبٌ على لعب الشَّطْرَنْج ، فقتلوه ثم تركوه
وأنا عنده ، وغلقوا علينا الباب ، وكان سيف الدين طُغْجِي قد قصَدَ بقية البُرْجِيَّة
المتفقين معه ومع كُرْجِي في الدَّرْكَاه ، فقال لهم : قضيتُ الشغل ؟ فقالوا : نعم . ثم
لأنهم توجهوا جميعاً إلى دار سيف الدين مَنكُومَر وهو بدار النِّيابة من قلعة الجبل ،
فدقُّوا عليه الباب وقالوا له : السلطان يطلبك ، فأنكر حالهم وقال لهم : قتلتم السلطان ؟
فقال له كُرْجِي : نعم يا مابون وقد جئناك نقتلك ، فقال : أنا ما أسلم نفسي إليكم
إنما أنا في جيرة الأمير سيف الدين طُغْجِي ، فأجاره طُغْجِي وحلف له أنه لا يؤذيه
ولا يُمكن أحداً من أذيتِه ؛ ففتح داره فتسلموه وراحوا به إلى الحب فأنزلوه إلى

(١) يريد بالأطباق : مساكن الممالك التي أنشئت لهم خصيصاً بقلعة الجبل بالقاهرة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٥٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

عند الأمراء المحبوسين . فلما دخل إلى الحبّ قام إليه الأمير شمس الدين سنقر
 الأعسر^(١) وتلقاه منهمكاً عليه ، ثم قام إليه الأمير عز الدين أيبك الحموي وشتمه ، وأراد
 قتله ، لأنّ منكوتمر هذا كان هو السبب في مسك هؤلاء الأمراء ، وإقلاب الدولة
 من حرصه على أنّ الأمر يُقضى إليه ويتسلطن بعد أستاذه . فأقام منكوتمر نحو ساعة
 في الحبّ وراح الأمير طُفَيجي إلى داره حتى يقضى شُغْلا له ، فأغنم كُرْحِي غَيْبَتِهِ
 وأخذ معه جماعةً وتوجّه إلى باب الحبس وأطلع منكوتمر صورة أنهم يريدون تقييده
 كما جرت العادة في أمر المُحتَبَسِينَ ، فأمتنع من الطلوع فآلَحُوا عليه وأطلعوه وذبحوه
 على باب الحبّ ، ونهبوا داره وأمواله . ثم آتَفَقُوا كما هم في الليل على سلطنة الملك
 الناصر محمد بن قلاوون وعَوَّده إلى ملكه كونه ابن أستاذهم ، وأن يكون سيف الدين
 طُفَيجي نائب السلطنة ، ومهما عملوه يكون باتفاق الأمراء ، وحلفوا على هذا الأمر .
 كل ذلك في تلك الليلة قبل أن يطلع الفجر وأصبح نهار الجمعة حلّفوا الأمراء
 والمقَدِّمِينَ والعسكر جميعه لملك الناصر محمد بن قلاوون ونائب السلطنة طُفَيجي . وسيروا
 في الحال خَلْفَ الملك الناصر محمد يطلبونه من الكَرَك ، وركب الأمير طُفَيجي يوم
 السبت في المَوَكِبِ وآتَفَ عليه العسكر وطلع إلى قلعة الجبل ، وحضر الأمراء الموكب
 ومُدَّ السَّهَاط كما جرت العادة به من غير هَرَج ولا غَوَغاء وكأنه لم يَجْرِ شَيْءٌ ، وسكنت
 الفتنة ، وفَرِحَ غالب الناس بزوال الدولة لأجل منكوتمر . ودام ذلك إلى أن كان
 يوم الاثنين رابع عشر شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وتسعين المذكورة ، وصل
 الأمير بدر الدين بَكْتاش أمير سلاح عائداً من الشام من فتوح سِيس ، وصحبته
 المساكر المتوجّهة معه ، وكان قد راح إليه جماعة من أمراء مصر لتلقيه إلى بليس

(١) في الأصلين : « سفر الأشقر » . وتصحيحه عن جواهر السلوك وتاريخ الإسلام والسلوك

وتاريخ سلاطين المسالك .

وأعلموه بصورة الحال ، وقالوا له : الذى وَقَعَ من قتل الملك المنصور ليس هو عن رضاهم ولا علموا به ، وأغروهُ على قتل طُغَيْجى وأنفقوا معه على ذلك ، وكانوا الأمراء المذكورون قد أشاروا قبل خروجهم على طُغَيْجى أن يخرج يلتقى الأمير بكتاش أمير سلاح ، فركب طُغَيْجى بُكرة يوم الاثنين وتوجَّه نحوه حتى ألتقاه وتعاقبا وتكاششا . ثم قال أمير سلاح لَطُغَيْجى : كان لنا عادة من السلطان إذا قَدَمنا من السفر يلتقانا ، وما أعلم ذنبى الآن ما هو ، كونه ما يلغاني اليوم ! فقال له طُغَيْجى : وما علمت بما جرى على السلطان ؟ البسلطان قُتِل . فقال أمير سلاح : ومَن قتله ؟ قال له : بعض الأمراء [وهو الأمير سيف الدين كُرْت أمير حاجب : قتله] سيف الدين طُغَيْجى وكُرْجى ، فأنكر عليه وقال : كلما قام للمسلمين مَلِك تقتلونهُ ! تقدّم عنى لا تلتصق بى ، وساق عنه أمير سلاح ؛ فتيقن طُغَيْجى أنه مقتول ، فحزك فرسه وساق فأنقض عليه بعض الأمراء وقبض عليه بِسَعَرٍ دَبُوقته ، ثم علاه بالسيف وساعده على قتله جماعة من الأمراء ، فقتل وقُتِل معه ثلاثة نَفَرٍ ، ومروا سائقين إلى تحت القلعة . وكان كُرْجى قد قعد فى القلعة لأجل حفظها ، فبلغه قتل رفيقه طُغَيْجى ، فالبس البُرْجِيَّة السلاح وركب فى مقدار ألقى فارس حتى يدفع عن نفسه ، فركبت جميع أجناد الحلقة والأمراء والمقدمين فى خدمة أمير سلاح إلى الرابعة من النهار ؛ ثم حملوا العساكر على جماعة كُرْجى فهزموهم ، وساق كُرْجى وحده ، وأعتقد أن أصحابه يتوجهون حيث توجه ، فلم يتبعه غير تبعه ونوغيه الكرمنى أمير سلاح دار الذى كان أعانه على قتل الملك المنصور لاجين . فلما أبعدوا والقوم فى أثرهم لحقه بعض خُشْدَاشِيَّتِهِ وضربه بالسيف حلَّ كَتِفَهُ ، ثم ساعده بعض الأمراء حتى قُتِل ، وقُتِل

(١) زيادة عن جواهر السلوك . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٣١ من الجزء السابع

من هذه الطبعة .

- معه نُوعِيَه الكرمونيّ السّلاح دار الذي كان أعانه على قتل لاجين المقدم ذكره ،
وأثنا عشر نفرًا من مماليكهما وأصحابهما ، وبطلت القوّاء ، وسكنت الفتنة في الحال ؛
وأسستقر الأمر أيضا على تولية السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون كما كان دبره
طُنُجِي وَكُرُجِي . وسيروا بطلبه وحثوا الطلب في قدومه من الكرك^(١) إلى الديار
المصرية ، وبقى يدبر الأمور ويعلم على الكتب المسيرة إلى البلاد ثمانُ أمراء إلى أن
حضر السلطان ، وهم : الأمير سيف الدين مَلَار ، والأمير سيف الدين كُرْت ،
والأمير ركن الدين بِيْرَس الجاشنكير ، والأمير عز الدين أَيْك اختازندار ، والأمير
جمال الدين آقوش الأفرم الصغير ؛ والأمير حسام الدين لاجين أستاذ الدار ،
والأمير سيف الدين بَكْتَمُر أمير جانداز ، والأمير جمال الدين عبد الله [السّلاح دار]^(٢)
وجميعهم منصورية قلاوونية . وغالهم قد أخرج من السجن بعد قتل لاجين . يأتي
ذلك كلّ في ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية عند عوده إلى السلطنة إن شاء
الله تعالى .

- وأما السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين فإنه أخذ بعد قتله وغُسل
وكُفّن ودُفِن بتربته بالقرافة الصغرى بالقرب من سفح المقطم ، ودُفِن مملوكه
مَنْكُومَر تحت رجله . وقُتِل الملك المنصور لاجين وهو في عشرين^(٣) الحسين أو جاوزها
بقليل . وقد تقدّم التعريف به في علة تراجم ما تقدّم ؛ ونذكر هنا أيضا من أحواله
ما يتضح التعريف به ثانياً :

- كان لاجين مَلِكًا شجاعًا مقدّامًا عارفا عاقلا حَسِيًّا وَقُورًا معظما في الدّول ، طال
أيامه في نيابة دمشق أيام أستاذه في السعادة ، وهو الذي أبطل التّليج الذي كان
(١) في الأصلين : « إلى الكرك » . (٢) زيادة عن جواهر السلوك وتاريخ سلاطين
الممالك . (٣) تربة الملك المنصور لاجين ، قد بحثت عن موقع هذه التربة فبين لي أنها اندثرت ،
ولا أثر لها اليوم . وأما القرافة الصغرى فهي التي تعرف اليوم باسم جبانة الإمام الشافعي رضي الله عنه .

يُنْقَلُ فِي الْبَحْرِ مِنَ الشَّامِ إِلَى مِصْرَ ، وَقَالَ : أَنَا كُنْتُ نَائِبُ الشَّامِ وَأَعْلَمُ مَا يُقَاسَى
النَّاسُ فِي وَسْطِهِ مِنَ الْمَشَقَّةِ . وَكَانَ — رَحِمَهُ اللَّهُ — تَامَ الْقَامَةِ أَشْقَرَ فِي لَحْيَتِهِ طَوْلُ سَيْرٍ
وَحِيقَةٍ ، وَوَجْهٌ رَقِيقٌ مُعَرَّقٌ ، وَطَلَبُهُ هَيْبَةٌ وَوَقَارٌ ، وَفِي قَدِّهِ رَشَاقَةٌ . وَكَانَ ذِي كَيْفَا
نَبِيًّا شَجَاعًا حَكِيمًا .

وَلَمَّا قُتِلَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلُ بْنُ قَلَاوُونَ هَرَبَ هُوَ وَقَرَّاسُتُقُرُّ ، فَإِنَّمَا كَانَ
أَعَانَا الْأَمِيرَ بَيْدَرًا عَلَى قَتْلِهِ حَسَبَ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي تَرْجُمَةِ الْمَلِكِ الْأَشْرَفِ الْمَذْكُورِ ، بَلْ كَانَ
لَا جَيْنَ هَذَا هُوَ الَّذِي تَمَّ قَتْلُهُ ، وَلَمَّا هَرَبَ جَاءَ هُوَ وَقَرَّاسُتُقُرُّ إِلَى جَامِعِ أَحْمَدَ بْنِ
طُولُونٍ وَطَلَعَا إِلَى الْمُثَنَّةِ وَأَسْتَرَا فِيهَا . وَقَالَ لَاجِينُ : لَنْ نَجَانَا اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الشَّدَّةِ
وَصَرْتُ شَيْئًا عَمَّوْتُ هَذَا الْجَامِعَ .

(١) جَامِعُ ابْنِ طُولُونٍ ، وَيُقَالُ لَهُ الْجَامِعُ الطُولُونِيُّ ، هُوَ ثَالِثُ مَسْجِدِ بَيْنِ الْمَسَاجِدِ الْجَامِعَةِ الَّتِي تَقَامُ
فِيهَا صَلَاةُ الْجُمُعَةِ فِي مِصْرَ بَعْدَ الْفَتْحِ الْعَرَبِيِّ ، أَنشَأَهُ الْأَمِيرُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونٍ وَالْإِمَامُ مَرْعَى جَبَلٍ
يَشْكُرُ فِي الْجِهَةِ الْجَنُوبِيَّةِ مِنَ الْقَاهِرَةِ بِقِسْمِ السَّيِّدَةِ زَيْنَبَ . قَالَ الْمُقَرِّزِيُّ : بَدَأَ ابْنُ طُولُونٍ فِي بَنَائِهِ
سَنَةَ ٥٢٦٣ = ٨٧٧ م ، وَأَتَمَّ بَنَاءَهُ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ ٥٢٦٥ = ٨٧٩ م . وَهَذَا التَّارِيخُ مَنْقُوشٌ عَلَى لَوْحٍ
مِنَ الرِّخَامِ مُثَبَّتٌ فِي الْإِبْرَانِ الْقَبْلِي مِنَ الْجَامِعِ ، وَبَنَازُهُ الْحَالِي أَقْدَمُ بَنَاءٍ بَيْنَ الْمَسَاجِدِ الَّتِي فِي مِصْرَ ، وَهُوَ
مُنْبَنٍ بِالْأَجْرِ ، وَسَقْفُهُ الْعَالِي مَحْمُولٌ عَلَى دَعَائِمٍ خُضْعَةٍ مِنَ الْأَجْرِ أَيْضًا (الطُّوبُ الْأَحْمَرُ) بَدَلِ الْأَعْمَدَةِ وَمَكْسُوتَةٍ
هِيَ وَحَوَائِطُ الْجَامِعِ بِطَبَقَةِ سَمِيكَةٍ مِنَ الْحَصَى ، وَبِتَوَسُّطِهِ صَحْنٌ مَرِيعٌ مَكْشُوفٌ مُحِيطٌ بِهِ أُرُوقَةٌ مِنْ جَوَانِبِهِ
الْأَرْبَعَةِ ، أَكْبَرُهَا رَوَاقُ الْقِبْلَةِ ، وَبِالْجَامِعِ سِتُّ مَحَارِيبَ كُلُّهَا بِالْإِبْرَانِ الشَّرْقِيِّ ، وَأَجْمَلُهَا الْمَحْرَابُ
الْكَبِيرُ الْمُجَاوِرُ لِلنَّيْلِ . وَكَانَ لِهَذَا الْجَامِعِ ثَلَاثُ مَنَارَاتٍ هَدَمَ مِنْهَا مَنَارَتَانِ لِنُصْدَعِهِمَا وَكَانَتَا قَائِمَتَيْنِ
عَلَى طَرَفِي الْحَائِطِ الْجَنُوبِيِّ الَّذِي فِيهِ الْمَحْرَابُ ، وَالْمَوْجُودُ مِنْهَا هُوَ الْمَنَارَةُ الْكَبِيرَى وَهِيَ تَقَعُ خَارِجَ السُّورِ الشِّمَالِيِّ
الْعَرَبِيِّ وَتُظَلَّتْ النَّظَرُ لِأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى شَكْلِ لَيْسَ لَهُ مِثْلٌ فِي الْمَنَارَاتِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَهِيَ تَتَكُونُ مِنْ ثَلَاثِ طَبَقَاتٍ :
الْأُولَى قَاعَةٌ مِنَ الْحِجْرِ النَّعِيصِ يَطْلُوهَا الطَّبَقَةُ الثَّانِيَّةُ وَهِيَ أُسْطُوَانِيَّةٌ تَمَّ يَطْلُوهَا الطَّبَقَةُ الثَّالِثَةُ وَهِيَ مُثَمَّةٌ فَوْقَهَا
خُودَةٌ مُضَلَعَةٌ وَيَبْلُغُ ارْتِفَاعُ الْمَنَارَةِ ٢٩ مَرًا عَنِ أَرْضِ الْجَامِعِ وَمِنْهَا مَكْشُوفَةٌ مِنَ الْخَارِجِ تَدُورُ حَوْلَ
الْمَنَارَةِ عَلَى شَكْلِ دَوَجٍ حَلِزَنِيٍّ .

وَمَسَاحَةُ الْجَامِعِ ١٧٢٤٤ مَرْتَابًا ، وَحَوْلَهُ مِنَ الْخَارِجِ فِي ثَلَاثِ جِهَاتٍ مَتْنٌ مَا عَدَا الْجِهَةَ الَّتِي فِيهَا
الْمَحْرَابُ ثَلَاثَةُ أُرُوقَةٍ خَارِجِيَّةٍ مَكْشُوفَةٍ عَلَى شَكْلِ طَرِيقِ حَوْلِ الْجَامِعِ ، وَتَعْرِفُ بِالزِّيَادَاتِ ، بِمَجْمُوعِ مَسَاحَتِهَا
٩٠٣٧ مَرْتَابًا ، وَبِمَاضَاتِهَا إِلَى مَسَاحَةِ الْجَامِعِ يَكُونُ الْمَجْمُوعُ ٢٦٢٨١ مَرْتَابًا تَعَادِلُ سِتَّةَ أَلْفَةِ
وَرَبْعِ مِائَتَيْنِ ، وَهَذَا يَكُونُ هَذَا الْجَامِعَ أَكْبَرُ مَسْجِدٍ لِلصَّلَاةِ فِي مِصْرَ .

قلت : وكذا فعل رحمه الله تعالى ، فإنه لما تسلطن أمر بتجديد جامع أحمد
 ابن طولون المذكور ورتب في شد عمارته وعمارة أوقافه الأربعة علم الدين أبا موسى
 سنجر بن عبد الله الصالحى النجيمى الدوادارى المعروف بالبُتلى ، وكان من أكابر
 أمراء الألوף بالديار المصرية ، وفوض السلطان الملك المنصور لاجين أمر
 الجامع المذكور وأوقافه إليه فعمره وعمروقه وأوقف عليه عدة قرى ، وقرر فيه
 دروس الفقه والحديث والتفسير والطب وغير ذلك ، وجعل من جملة ذلك وقفاً
 يختص بالديكة التى تكون فى سطح الجامع المذكور فى مكان مخصوص بها ، وزعم
 أن الديكة تمين الموقنين وتوقف المؤذنين فى السحر ، وضمن ذلك كتاب الوقف ،
 فلما قرئ كتاب الوقف على السلطان وما شرطه أعجبه جميعه . فلما انتهى الى ذكر
 الديكة أنكر السلطان ذلك ، وقال : أبطلوا هذا لئلا يضحك الناس علينا ، وأمضى
 ما عدا ذلك من الشروط . والجامع المذكور عاصر بالأوقاف المذكورة الى يومنا
 هذا ، ولولاه لكان دثروخرب ، فإن غالب ما كان أوقفه صاحبه أحمد بن طولون
 نرب وزهد أثره ، فغذده لاجين هذا وأوقف عليه هذه الأوقاف الجمّة ، فعمّر
 وبقي إلى الآن . انتهى .

- ١٥ = ولعمرة هذا الجامع وتعذر الصرف عليه أهملت الصلاة فيه واستعمل فى غير ما خصص له ، فعز عهد
 السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب نزل به طائفة من المناربة الوافدين على مصر ، اتخذوه سكناً لهم أكثر
 من مائة سنة ، ثم جعل شوية للغال فى زمن الملك الظاهر بيبرس البندقدارى ، ثم عمره السلطان حسام الدين
 لاجين فى سنة ٥٦٩٦هـ وأقام فيه الشاعر الدينية ، ثم عاد الى الخراب ، وفى أيام الحكم العثمانى جعل مصنعا
 لعمل الأحرمة الصوفية . وفى سنة ١٢٦٣هـ = ١٨٤٦ م تحول الى ملجأ لعجزة ، وظل كذلك الى
 سنة ١٣٠٠هـ = ١٨٨٢ م حيث تألفت لجنة حفظ الآثار العربية فعدت العزم على انتشاله من الخراب ،
 ٢٠ وفلا قامت اللجنة بعمل إصلاحات كثيرة فيه ، وصرف عليه مبالغ جسيمة فى سبيل إصلاحه وإصلاحا
 كاملا يعيد اليه الكثير من سابق بهجه ورونقه مع إزالة ما يحيط به من الأبنية ، وأنشئ بجواره من الجهة
 الشرقية منزه يفصل بينه وبين المساكن ، ولا زالت أعمال الإصلاح جارية بهذا الجامع الى أن تم تقريبا
 بمون الله .

وكان المنصور لاجين فهما كريم الأخلاق متواضعا . يُحكى أن القاضي شهاب الدين محمود كان يكتب بين يديه فوقع من الحبر على ثيابه ، فأعلمه السلطان بذلك ؛ فنظم في الحال بيتين وهما :

ثيابُ مملوكك يا سيدي * قد بيضت حالي بتسويدها

مَا وَقَعَ الحِبرُ عليها بلى * وَقَعَ لى منك بتجديدها

فأمر له المنصور بتفصيلتين وخمسمائة درهم . فقال الشهاب محمود : ياخوند ، مماليك الجماعة رفاقي يبقى ذلك في قلوبهم ، فأمر لكل منهم بمثل ذلك ، وصارت راتباً لهم في كل سنة .

وقال الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي في تاريخه : حكى لي الشيخ فتح الدين بن سيّد الناس : لما دخل عليه لم يدعه يوسس الأرض ، وقال : أهل العلم مترهون عن هذا وأجلسه عنده ، وأظنه قال : على المقعد ، وربّه موقعا فباشر ذلك أياما ، وأستغنى فأعفاه وجعل المعلوم له راتباً فتناوله إلى أن مات . ولما تسلطن مدحه القاضي شهاب الدين محمود بقصيدة أولها :

أطاعك الدهر فأمر فهو ممثّل * وأحكم فانت الذي تُرهِى بك الدول

ولما تسلطن الملك المنصور لاجين تفاعل الناس وأستبشروا بسلطته ، وجاء في تلك السنة غيث عظيم بعد ما كان تأخر ؛ فقال في ذلك الشيخ علاء الدين الوداعي :

يأيها العالم بُشْرَاكُمْ * بدولة المنصور ربّ الفقار

فالله قد بارك فيها [لكم] * فأمطر الليل وأضحى النهار

وكانت مدة سلطنة المنصور لاجين على الديار المصرية سنتين وثلاثة شهور .

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٧٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٢) تكلّة عن المنهل الصافي .

قال الأديب صلاح الدين الصفدي : وكان دينًا متفشًا كثير الصوم قليل الأذى ، قطع أكثر المكوس ، وقال : إن عشتُ ما تركت مكسًا واحدًا .

قلت : كان فيه كلّ الحصال الحسنة ، لولا توليته مملوكه منكومًا الأمور ومحبة له ، وهو السبب في هلاكه حسب ما تقدّم . وتسلمن من بعده ابن أستاذه الملك الناصر محمد بن قلاوون طُلب من الكرك وأُعيد إلى السلطنة . انتهت ترجمة

الملك المنصور لاجين . رحمه الله تعالى .



السنة الأولى من سلطنة الملك المنصور لاجين على مصر ، وهي سنة ست وتسعين وستمائة . على أن الملك العادل كَتَبًا حَكَمَ منها المحزم وأيامًا من صفر .

فيها كان خلعُ الملك العادل كَتَبًا المنصوري من السلطنة وتوليته نيابة صرخد ، وسلطنة الملك المنصور لاجين هذا من بعده حسب ما تقدّم ذكره .

وفيها في ذى القعدة مسك الملك المنصور لاجين الأمير شمس الدين قرأسنقر المنصوري نائب السلطنة بديار مصر وحبسّه ، وولى عوضه مملوكه منكومًا .

وفيها ولي قضاء دمشق قاضي القضاة إمام الدين القزويني عوضًا عن القاضي بدر الدين بن جماعة ، وأستمرّ ابن جماعة المذكور على خطابة جامع دمشق .

وفيها تولى سلطنة اليمن الملك المؤيد هـ بن الدين داود آبن الملك المظفر شمس الدين يوسف آبن الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول ، بعد موت أخيه الأشرف .

(١) هو إمام الدين عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن أحمد القزويني الشافعي . سبّح كالمؤلف وفاته فيمن قتل وفاتهم عن الذهبي سنة ٦٩٩ هـ (٢) في الأصلين : « نور الدين علي بن عمر » . وتصحيحه عن جواهر السلوك والدرر الكامنة والمثل الصافي وشذرات الذهب وما سبّح كالمؤلف في وفاته سنة ٧٢١ هـ

وفيهاتوفى الشيخ الإمام العلامة مفتى المسامين محي الدين أبو عبد الله محمد بن يعقوب ابن إبراهيم بن هبة الله بن طارق بن سالم بن النحاس الحلبي الأسدي الحنفي في ليلة سلخ المحرم ببستانه بالمرة ودفن بترته بالمرة، وحضر جنازته نائب الشام ومن دونه، وكان إماماً مفتياً في عاوم، وتولى عدة تداريس ووظائف دينية، ووزر بالشام للملك المنصور قلاوون، وحسنت سيرته ثم عزل ولازم الاشتغال والإقراء وانتفع به عامة أهل دمشق. ومات ولم يخلف بعده مثله .

وفيهاتوفى الملك لأشرف محمد الدين عمر ابن الملك المظفر يوسف ابن الملك المنصور نور الدين عمر بن علي بن رسول ملك اليمن، وتولى بعده أخوه هزبر الدين داود المقدم ذكره، وكانت مدة ملكه دون الستين .

وفيهاتوفى القاضي تاج الدين عبد القادر ابن القاضي عز الدين محمد السنجاري الحنفي قاضي قضاة الحنفية بحلب في يوم الخميس ثامن عشرين شعبان، كان إماماً فقيهاً عالماً مفتياً ولي القضاء بمدة بلاد وحديث سيرته .

وفيهاتوفى الأمير عز الدين أرذمر بن عبد الله العلاني في ذي القعدة بدمشق، وكان أميراً كبيراً معظماً إلا أنه شرس الأخلاق قليل الفهم رسم له الملك الظاهر بيسبرس أنه لا يركب سيف [فبقى أكثر من عشرين سنة لا يركب سيف]^(٤)، وهو أخو الأمير علاء الدين طيبرس الوزيري .

(١) في جواهر السلوك وشذرات الذهب : « في سلخ ذي الحجة » . (٢) المرة : قرية

كبيرة غناء في أعلى القوطة في سفح الجبل من أعلى دمشق وبينهما نصف فرسخ (عن مراد الاطلاع ومعجم البلدان لياقوت) . (٣) في الأصلين هنا أيضا : « نور الدين علي بن عمر » . وراجع

الحاشية رقم ٢ في الصفحة الـ ١٠٩ . (٤) زيادة عن جواهر السلوك .

وفيه تُوِّقَ شَيْخُ الْحَرَمِ وَفِيهِ الْمَجَازِ رَضِيَ الدِّينُ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ خَلِيلِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقُسْطَلَانِي الْمَكِّيَ الْمَعْرُوفَ بِأَبْنِ خَلِيلٍ . مَوْلَاهُ سَنَةُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ وَسِتَّمِائَةٍ ، وَكَانَ فَقِيهًا عَالِمًا مُفْتًى مُفْتِيًا ، وَلَهُ عِبَادَةٌ وَصَلَاحٌ وَحَسَنُ أَخْلَاقٍ . مَاتَ بِمَكَّةَ بَعْدَ خُرُوجِ الْحَسَّاجِ بِشَهْرِ ، وَدُفِنَ بِالْمَعْلَةِ بِالقَرَبِ مِنْ سُفْيَانَ التَّوْرِيِّ . وَمِنْ شَعْرِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ :

أَيُّهَا النَّازِحُ الْمُقِيمُ بَهْلِي * فِي أَمَانٍ أُنَى حَلَّتْ وَرَحِبَ
جَمَعَ اللَّهُ بَيْنَنَا عَنْ قَرِيبٍ * فَهُوَ أَقْصَى مَنَائِمِكَ وَحَسْبِي

الَّذِينَ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَفَاتَهُمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، قَالَ : وَفِيهَا تُوِّقَ الْقَاضِي تَاجُ الدِّينِ عَبْدُ الْخَالِقِ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ بْنُ سَعِيدِ بَيْعَلِكٍ فِي الْحَرَمِ ، وَلَهُ ثَلَاثٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً . وَقَاضَى الْقَضَاةَ عِزُّ الدِّينِ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ عَوْضِ الْحَنْبَلِيِّ بِالقَاهِرَةِ . وَالْحَافِظُ الزَّاهِدُ جَمَالُ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الظَّاهِرِيِّ بِمِصْرَ . وَالْمُحَدِّثُ ضِيَاءُ الدِّينِ عَيْسَى بْنُ يَحْيَى السُّبُّبِيِّ بِالقَاهِرَةِ فِي رَجَبٍ . وَالزَّاهِدُ شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ [بْنُ حَازِمٍ] (٢) بْنُ حَامِدِ الْمُقْدِسِيِّ فِي ذِي الْحِجَّةِ . وَأَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْكَرِيمِ فِي صَفَرٍ .

١٥. ٥. أَمْرُ النَّيْلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ — الْمَاءُ الْقَدِيمُ كَانَ قَلِيلًا جَدًّا . مَبْلَغُ الزِّيَادَةِ خَمْسُ عَشْرَةِ ذِرَاعًا وَثَمَانِي عَشْرَةَ إصْبَعًا . ثُمَّ نَقَصَ وَلَمْ يُؤَفَّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ .



السَّنَةُ الثَّانِيَّةُ مِنْ وِلَايَةِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ لِأَجِينِ عَلَى مِصْرَ ، وَهِيَ سَنَةُ سَبْعٍ

وَتِسْعِينَ وَسِتَّمِائَةٍ .

(١) فِي جَوَاهِرِ السُّلُوكِ : « ابْنُ أَبِي بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَلِيلٍ » .

(٢) التَّكْلِفَةُ عَنْ تَارِيخِ الْإِسْلَامِ وَشَرْحِ الْقَصِيدَةِ اللَّامِيَةِ فِي التَّارِيخِ .

فيها مسك الملك المنصور لاجين الأمير بدر الدين بَيْسَرِي الشمسي وحبسه واحتاط على وجوده .

وفيها أخذت العساكر المصرية تل حُدُون وقلعتها بعد حصار، ومَرَعَشٍ وغيرهما، ودَقَّت البشائر بمصر أياما بسبب ذلك .

وفيها قَدِمَ الملك المسعود نجم الدين خَضرَ ابن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بَيْبَرَسِ البندُقداري من بلاد الأَشْكُرِي إلى مصر، فتلقاه السلطان الملك المنصور لاجين في الموكب إكرمه . وطلب الملك المسعود الحج فأذن له بذلك . وكان الملك الأشرف خليل بن قلاوون أرسله إلى هناك . وسكن الملك المسعود بالقاهرة إلى أن مات بها حسب ما يأتي ذكره . وكان خَضرَ هذا من أحسن الناس شكلاً ، ولما خَتَنَ أبوه قال فيه القاضي محي الدين عبد الله بن عبد الظاهر يُهَيَّي والده الملك الظاهر ركن الدين بَيْبَرَسِ :

• نأتُ بالعيد وما * على الهناء أقتصر
• بسل إنَّها بشارَةٌ * لها الوجودُ مفتقرُ
• بلوحةٍ قد جمعت * ما بين موسى والخضرُ
• قد هيأت لورديكم * ماء الحياة المنهمرُ

قلت : وأحس من هذا قول من قال في مَلِيح حَلِيق :
مَرَّتِ المَوْسَى على عارضه * فكان الماء بالآس غُمُزُ
تَجَمَّعَ البحرين أضفى خدُّه * إذ تلاقى فيه موسى والخضرُ

(١) كانت وفاته سنة ٧٠٨ هـ (عن المثل الصافي والدرر الكامنة) . (٢) راجع الحاشية

وفيها تُوِّفَّ الشيخ الصالح الزاهد بقية المشايخ بدر الدين حسن ابن الشيخ الكبير القدوة العارف نور الدين أبي الحسن علي بن منصور الحريري في يوم السبت حاشر شهر ربيع الآخر بزاويته بقرية ^(١) بسر من أعمال زُرْع ، وكان هو المتعين بعد أبيه في الزاوية وعلى الطائفة الحريرية المنسوبين الى والده ؛ ومات وقد جاوز الثمانين ^(٢) .

وفيها تُوِّفَّ قاضي القضاة صدر الدين إبراهيم بن أحمد بن عقبة البُصْرَاوى الفقيه الحنفى المدرّس ، أحد أعيان فقهاء الحنفية ، ولى قضاء حلب ثم عُزل ثم أُعيد فمات قبل دخوله حلب ، وكان عالماً مُفْتَنّاً وله اليد الطولى في الجبر والمقابلة والفرائض وغير ذلك .

- ١٠ الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوِّفَّ الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر الفارسي ^(٣) الأيبي في رمضان . وعائشة ابنة المجد عيسى بن [الإمام] الموفق [عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة] ^(٤) المقدسي في [تاسع عشر] شعبان ولما ست وثلاثون سنة . وقاضى حماة جمال الدين محمد بن سالم [بن نصر الله بن سالم] ^(٥) ابن واصل في شوال . وشهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن [بن عبد المنعم بن نعمة

- ١٥ (١) بسر : قرية من أعمال حوران من أراضي دمشق بموضع يقال له الها وهو صعب المسلك الى جنب ذرة التي تسميها العامة زرع وبها مشهد يقال له قبر اليسع ، وبها قبر الشيخ الحريري وزاويته (عن ياقوت) . (٢) في تاريخ الإسلام للذهبي والمنهل الصافي : أنه ولد سنة ٦٢١ هـ . (٣) في الأصلين : «الأبي» ولم نجد هذه النسبة . والتصحيح عن تاريخ الإسلام . والأبي : نسبة الى الأبيج من بلاد العجم . (٤) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبي (٥) في الأصلين : «في شوال» . والزيادة والتصحيح عن تاريخ الإسلام وجواهر السلوك . (٦) التكلفة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافي .

ابن سلطان بن سرور^(١) [الناقلي^(٢) الحنبلي^(٣) العابر . والشيخ كمال الدين عبد الرحمن بن عبد اللطيف البغدادي^(٣) بن المكبر في ذى الحجة ، وله ثمان وتسعون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وأربع أصابع . مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وعشر أصابع . وكان الوفاء آخر أيام النسيء .

(١) زيادة عن تاريخ الإسلام والسلوك وجواهر السلوك .

(٢) يريد بالعابر الذي يعبر الرؤيا ، كما صرح بذلك في المصادر التي ترجمت له .

(٣) في شذرات الذهب : « أبن المكبر » .

ذكر سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية

على مصر

- السلطان الملك الناصر ناصر الدين أبو المعالي محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون، تقدم ذكر مولده في ترجمته الأولى من هذا الكتاب . أُعيد إلى السلطنة بعد قتل الملك المنصور لاجين ، فإنه كان لما خلع من الملك بالملك العادل كُتِبًا المنصوري أقام عند والدته بالدور من قلعة الجبل إلى أن أخرجه الملك المنصور لاجين لما تسلطن إلى الكرك ، فأقام الملك الناصر بالكرك إلى أن قُتل الملك المنصور لاجين حسب ما ذكرناه . أجمع رأى الأمراء على سلطته ثانيًا، ونخرج إليه الطلب من الديار المصرية ضبيحة يوم الجمعة الحادى عشر من شهر ربيع الاخر سنة ثمان وتسعين وستمائة ، وهو ثانى يوم قُتل لاجين وسار الطلب إليه ، فلما قُتل طُغِيحِي وَكُرْحِي في يوم الاثنين رابع عشره استحنوا الأمراء في طلبه ، وتكرز سفر القُصَاد له من الديار المصرية إلى الكرك ، حتى إذا حضر إلى الديار المصرية في ليلة السبت رابع جُمَادَى الأولى من السنة ، وبات تلك الليلة بالإسطل السلطاني ، ودام به إلى أن طَلَعَ إلى القلعة في بُكْرَة يوم الاثنين سادس جُمَادَى الأولى المذكور . وحضر الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد والقضاة ، وأُعيد إلى السلطنة وجلس على تخت الملك . وكان الذى توجه من القاهرة بطلبه الأمير الحاج آل ملك ، والأمير مَنَجَر الجاولي . فلما قَدِمَا إلى الكرك كان للملك الناصر بالقور يتصيد

(١) هو سيف الدين الحاج آل ملك الجوكندار ثم نائب السلطنة بالديار المصرية . سيذكر المؤلف

وفاته سنة ٨٧٤٧ . (٢) هو علم الدين منجرب عبد الله الجاولي أبو سعيد من أمراء

الملك الناصر محمد بن قلاوون . توفي سنة ٧٤٥ (عن المنيل الصافي وشذرات الذهب) .

(٣) يراد بالقور هنا غور الكرك كما هو ظاهر .

(١) فتوجهوا إليه ودخل آقوش نائب الكرك إلى أم السلطان وبشّرها، خافت أن تكون مكيدة من لاجين فتوقفت في المسير، فما زال بها حتى أجابت .

ووصل الأميران إلى الملك الناصر بالغور وقبلا الأرض بين يديه وأعلماه بالخبر، فرحب بهما وعاد إلى البلد وتبّيا، وأخذ في تجهيز أمره، والبريد يُرادف باستحثائه إلى أن قَدِم القاهرة، فخرج الأمراء وجميع الناس قاطبةً للقائه، وكادت القاهرة ومصر ألا يتأخر بهما أحدٌ فرحاً بقدومه . وكان خروجهم في يوم السبت، وأظهر الناس لعوده إلى الملك من المرور ما لا يُوصف ولا يُحَدّ، وزُيّنَت القاهرة ومصر بانفرزينة، وأبطل الناس معاشيهم وخبّجوا له بالدعاء والشكر لله على عودته إلى الملك، وأسمعوا حوائش الملك العادل كُتُبًا والملك المنصور لاجين من المكروه والاستهزاء مالا مزيّد عليه، واستمروا في الفرح والسرور إلى يوم الاثنين، وهو يوم جلوسه على تخت الملك . وجلس على تخت الملك في هذه المرة الثانية وعمره يومئذ نحو أربع عشرة سنة . ثم جُئِدَ للملك الناصر العهد، وخَلَعَ على الأمير سيف الدين سَلار بِنَاية السلطنة، وعلى الأمير حسام الدين لاجين بالأستادارية على عاداته، واستقر الأمير آقوش الأقرم الصغير بِنَاية دمشق على عادته، وخُلِعَ عليه وسُفِرَ بعد أيام . وفي معنى سلطنة الملك الناصر محمد يقول الشيخ علاء الدين الوداعي^(٢) "الدمشقي" .

الملك الناصر قد أقبلت * دولته مشرقة الشمس

عاد إلى كرسيه مثلما * عاد سليمان إلى الكرسي

وفي تاسع جمادى الأولى فُرِّقَت الخَلَع على جميع مَنْ له عادة بالخَلَع من أعيان الدولة . وفي ثاني عشره لبس الناس الخَلَع وركب السلطان الملك الناصر بالخَلَع

(١) مر جمال الدين آقوش بن عبد الله الأشرقي المعروف بنائب الكرك . سيذكر المؤلف وفاته

سنة ١٢٦٠ . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٢ من هذا الجزء .

الخليفة وأبهة السلطنة وشعار الملك ، ونزل من قلعة الجبل إلى سوق الخليل ثم عاد إلى القلعة ، وترجل في خدمته جميع الأمراء والأكابر وقبضوا الأرض بين يديه . واستقرت سلطته وتم أمره ، وكثبت البشارة بذلك إلى الأقطار ، ومتر الناس بعوده إلى الملك سرورا زائدا بسائر الممالك .

- وبعد أيام ورد الخبر عن غازان ملك التتار أنه قد عزم على قصد البلاد الشامية لما قدم عليه الأمير قبحق المنصوري نائب الشام ورفقته . ثم رأى غازان أن يجهر سلامش بن أباجو في خمسة وعشرين ألفا من الفرسان إلى بلاد الروم ، على أنه يأخذ بلاد الروم ، ويتوجه بعد ذلك بسائر عساكره إلى الشام من جهة بلاد سييس ويحيى غازان من ديار بكر ، ويتزلون على الفرات ويغيرون على البيرة والرحبة وقلعة الروم ، ويكون اجتماعهم على مدينة حلب ، فإن ألقاهم أحد من العساكر المصرية والشامية

- (١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٢ من هذا الجزء . (٢) في أحد الأصولين : « جميع الأمراء والعساكر » . (٣) في جواهر السلوك : « سلامش بن أباجو » . وفي السلوك للقريري : « سلامش ابن آتال بن منجور بن هولاك » . (٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٣٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٥) ديار بكر : بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بن وائل بن قسيط بن هنب . وحدها ما غرب من دجلة من بلاد الجبل المطل على نصيبين إلى دجلة . وهي ناحية ذات قرى ومدن كثيرة بين الشام والعراق ، قصبتها الموصل وحران ، وبها دجلة والفرات . من عجائبها عين الهرماس وهي بقرب نصيبين على مرحلة منها ، وهي مسدودة بالحجارة والرماس ثلاثا يخرج منها ماء كثير تغرق المدينة (عن معجم البلدان لياقوت ومراصد الاطلاع وآثار البلاد وأخبار العباد للقريري) . (٦) البيرة : باد قرب حمصا ط بين حلب والنور الرومية وهي قلعة حصينة مرتفعة على حافة الفسرات في البر الشرق الشمالي ، ولها واد يعرف بوادي الزيتون ، به أشجار وأعين . (عن تقويم البلدان لأبي الفدا ومعجم البلدان لياقوت) (٧) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٢٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٨) قلعة الروم ، واقعة في البر الغربي الجنوبي من الفرات في جهة الغرب الشمالي عن حلب على نحو خمس مراحل منها ، وفي الغرب عن البيرة على نحو مرحلة ، والفرات يذيلها . وهي من القلاع الحصينة التي لا ترام ولا تدرك ، ولها ريف ويسانين ، ويمر بها نهر يعرف برزبان يصب في الفرات ، قصدها الملك الأشرف خليل ابن المنصور قلاوون فزل عليها ولم يزل بها حتى فتحها وسماها قلعة المسلمين . (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ١١٩ - ١٢٠) .

أَلْتَقَوْهُ وَإِلَّا دَخَلُوا بِلَادَ الشَّامِ ؛ فَاتَّفَقَ أَنْ سَلَامِشَ لِمَا تَوَجَّهَ مِنْ عِنْدَ قَازَانَ
وَدَخَلَ إِلَى الزُّومِ أَطْعَمَتْهُ نَفْسُهُ بِالْمُلْكِ ؛ وَمَلَكَ الرُّومَ وَخَلَعَ طَاعَةَ غَازَانَ ؛ وَأَسْتَخْدَمَ
الْجُنْدَ ، وَأَنْفَقَ عَلَيْهِمْ وَخَلَعَ عَلَى أَكْبَرِ الْأَمْرَاءِ بِبِلَادِ الرُّومِ ، وَكَانُوا أَوْلَادَ قَرْمَانَ^(١)
قَدْ أَطَاعُوهُ ، وَنَزَلُوا إِلَى خِدْمَتِهِ ، وَهُمْ فَوْقَ عَشْرَةِ آلَافِ فَارِسٍ . وَهَذَا الْخَبْرُ أَرْسَلَهُ
سَلَامِشُ الْمَذْكُورُ إِلَى مِصْرَ ، وَأَرْسَلَ فِي ضَمْنِ ذَلِكَ يَطْلُبُ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ النَّجْدَةَ
وَالْمُسَاعَدَةَ عَلَى غَازَانَ .

قلت : غَازَانَ وَقَازَانَ كِلَاهُمَا أَسْمَ لِمَلِكِ التَّتَارِ . انْتَهَى . وَكَانَ وَصُولُ رَسُولِ
سَلَامِشَ بِهَذَا الْخَبْرِ إِلَى مِصْرَ فِي شَعْبَانَ مِنْ السَّنَةِ .

وَأَمَّا قَازَانَ فَإِنَّهُ وَصَلَ إِلَى بَغْدَادَ ، وَكَانُوا مُتَوَلِّينَ بَغْدَادَ مِنْ قَبْلِهِ شَكَّوْا إِلَيْهِ
مِنْ أَهْلِ السَّيْبِ وَالْعُرْبَانِ أَنَّهُمْ يَنْهَبُونَ التَّجَارَ الْقَادِمِينَ مِنَ الْبَحْرِ ، وَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا^(٢)
السَّابِلَةَ فَسَارَ قَازَانَ بِنَفْسِهِ إِلَيْهِمْ وَنَهَبَهُمْ ، وَأَقَامَ بِأَرْضِ دُقُوقَا مُشْتِيًا . وَلَمَّا بَلَغَهُ خَبْرُ^(٣)
سَلَامِشَ أَنْتَنِي عِزُّهُ عَنْ قَصْدِ الشَّامِ وَشَرَعَ فِي تَجْهِيزِ الْعَسَاكِرِ مَعَ ثَلَاثَةِ مَقْدَمِينَ ،
وَمَعَهُمْ خَمْسَةُ وَثَلَاثُونَ أَلْفَ فَارِسٍ : مِنْهَا خَمْسَةُ عَشَرَ مَعَ الْأَمِيرِ سُوْتَايَ وَعَشْرَةَ^(٤)
مَعَ هِنْدُو جَاغَانَ وَعَشْرَةَ مَعَ بُولَايَ وَهُوَ الْمَشَارُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَقْدَمِينَ مَعَ الْعَسَاكِرِ وَسَفَرَهُمْ^(٥)
^(٦)

١٥ (١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية

رقم ٢ ص ٩ من هذا الجزء . (٣) راجع الحاشية رقم ٨ ص ١٨٥ من الجزء السادس

من هذه الطبعة . (٤) في الأصلين هنا : « سلتاي » . والتصحيح عما سيذكره المؤلف في هذه

الترجمة وعن جواهر السلوك وتاريخ سلاطين الممالك والدرر الكامنة . وقد ضبطه صاحب الدرر

بالعبارة فقال : (بضم أوله وسكون الواو وبمدّها مائة) . توفي سنة ٧٣٢ هـ . راجع ترجمته

في الدرر . (٥) كذلك في الأصلين . وفي تاريخ سلاطين الممالك : « هندوغانق » . وفي جواهر

السلوك : « هندوغان » . (٦) في الأصلين : « بولام » . والتصحيح عن السلوك وجواهر

السلوك وتاريخ سلاطين الممالك .

إلى الروم لقتال سلامش . ثم رحل قازان إلى جهة تيريز^(١) ومعه الأمير قَبْجَقِ
المنصوري نائب الشام وبكتمر السلاح دار والألبكي ، وهؤلاء هم الذين خرجوا
من دِمَشْقِ مُغاضِبِينَ لِمَلِكِ المنصور لاجين ، وسار التتار الذين أرسلهم غازان
حتى وصلوا إلى الروم في أواخر شهر رجب وألتقوا مع سلامش ، وكان سلامش
قد عَصَى عليه أهلُ سِيَوَاسِ^(٢) وهو يحاصرهم ، فتركهم سلامش وتجهز ، وجهاز عساكره
لملتقى التتار ، وكان قد جمع فوق ستين ألف فارس . فلما قارب التتار فر من عسكر
سلامش التتار والروم ولحقوا بولاي مقدم عساكر غازان .

وأما التتركان فإنهم تركوه وصعدوا إلى الجبال على عادتهم وبقى سلامش في جمع
قلييل دون خمسمائة فارس ، فتوجه بهم من سِيَوَاسِ إلى جهة سِيسِ ، وسار منها
فوصل إلى بَهْسَتَا^(٣) في أواخر شهر رجب . وكان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون
قد برز مرسومه إلى نائب الشام بأن يُجَرِّدَ خمسة أمراء من حصص وخمسة من حمّة
وخمسة من حلب لتكملة خمسة عشر أميراً ويبعثهم نجدة إلى سلامش .

فلما وصل الخبر بقدم سلامش إلى بَهْسَتَا منزهماً توقف العسكر عن المسير ،
ثم وصل سلامش إلى دِمَشْقِ . وسلامش هذا هو من أولاد عم غازان ، وهو
سلامش بن أباجو بن هولاكو . وكان وصوله إلى دمشق في يوم الخميس
ثاني عشر شعبان ، فلتقاه نائب الشام واحتفل لملاقاته احتفالاً عظيماً وأكرمه ، وقدم

(١) تيريز : أشهر بلدة بأذربيجان ، ولها غوطة رائعة . وكان بها كرسي بيت هولاكو من التتار ،
وهي مدينة عامرة حسنة ذات أسوار محكمة ، وهي اليوم (القرن التاسع الهجري) : أم إيران جميعاً
لتوجه المقاصد من كل جهة إليها ، وبها محط رحال التجار والسفار ، وبها دور أكثر الأمراء الكبراء
المصاحين لسلطانها لقرية منها أرجان مثل مشتاهم . (راجع صبح الأعشى رابع ص ٣٥٧
ومعجم البلدان وتقويم البلدان) . (٢) راجع الحاشية رقم ١٠ ص ١٦٩ من الجزء السابع
من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٤ من هذا الجزء .

في خدمته نائب بهسنا الأمير بدر الدين بكتاش الزردكاش، ثم سار سلامش من دمشق إلى جهة الديار المصرية إلى أن وصلها، فأكرمه السلطان غاية الإكرام، وأقام بمصر أياماً قليلة ثم عاد إلى حلب، بعد أن اتفق معه أكابر دولة الملك الناصر محمد على أمرٍ يفعلونه إذا قَدِمَ غازان إلى البلاد الشامية، ثم بعد خروجه جهز السلطان خلفه أربعة آلاف فارس من العسكر المصرى نجدةً له لقتال التار، وأيضاً كالمقدمة السلطان، وعلى كل ألف فارس أميرٌ مائة ومقدم ألف فارس، وهم: الأمير جمال الدين آقوش قتال السَّيغ. والمبارز أمير شكار. والأمير جمال الدين عبد الله. والأمير سيف الدين [بلان] ^(١) الحيشي، وهو المقدم على الجميع، وساروا الجميع إلى بلاد حلب، وتهيأ السلطان للسفر، وتجهزت أمراؤه وعساكره. وخرج من الديار المصرية بأمرائه وعساكره في يوم الخميس سادس عشرين ذى الحجة الموافق لسادس عشرين توت أحد شهور القبط.

هذا والعساكر الشامية في التهيؤ لقتال التار، وقد دخلهم من الرعب والخوف أمرٌ لا مزيد عليه، وسار السلطان بعساكره إلى البلاد الشامية بعد أن تقدمه أيضاً جماعة من أكابر أمراء الديار المصرية غير أولئك، كالجاليس على العادة، وهم: الأمير قُطْلُوبَك والأمير سيف الدين نُكَيْه وهو من كبار الأمراء، كان حبا للملكين الصالح والأشرف أولاد قلاوون، وجماعة أمراء أُحر، ودخلوا هؤلاء الأمراء قبل السلطان إلى الشام بأيام، فأطمأن خواطر أهل دِمَشق بهم، وسافر السلطان

(١) في الأصلين: « سيف الدين حبش ». والتكلمة والتصحيح عن السلوك للقرىزى.

(٢) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٠١ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

(٣) في الأصلين: « نكبه ». وما أثبتناه عن جواهر السلوك وتاريخ سلاطين المماليك.

- بالمساكر على مهل ، وأقام بغزة ^(١) وعسقلان ^(٢) أياما كثيرة ؛ ثم دخل إلى دمشق يوم الجمعة ثامن شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وستمائة ، واحتفل أهل دمشق لدخوله احتفالا عظيما ، ودخل السلطان بتجمل عظيم زائد عن الوصف حتى لعله زاد على الملوك الذين كانوا قبله ، ونزل بقلعة دمشق بعد أن أقام بغزة وغيرها نحو الشهرين في الطريق إلى أن ترادفت عليه الأخبار بقرب التتار إلى البلاد الشامية ، قدم دمشق ونعين حضوره إليها ليجتمع بعساكره السابقة له ، وأقام السلطان بدمشق وجهز عساكرها إلى جهة البلاد الحلبية أمامه ، ثم خرج هو بأمرائه وعساكره بعدهم في يوم الأحد السابع عشر من شهر ربيع الأول من سنة تسع وتسعين المذكورة في وسط النهار ، وسار من دمشق إلى حصص ، وأبتهل الناس له بالدعاء ، وعظم خوف الناس وصياحهم وبكاؤهم على الإسلام وأهله . ووصل السلطان ١٠ إلى حصص وأقام لابس السلاح ثلاثة أيام بلياليها إلى أن حصل المال والفصجر ، وغلت الأسعار بالسكر وقلت العلوفات . وبلغ السلطان أن التتار قد نزلوا بالقرب من سلمية ^(٣) وأنهم يريدون الرجوع إلى بلادهم لما بلغهم من كثرة الجيوش واجتماعهم على قتالهم . وكان هذا الخبر مكيدة من التتار ، فركب السلطان بعساكره من حصص بكرة يوم الأربعاء وقت الصبح السابع والعشرين من شهر ربيع الأول ، وساقوا ١٥ الخيل إلى أن وصلوا إليهم ، وهم بالقرب من سلمية بمكان يسمى وادي الخازندار ؛ فركب التتار للقائهم وكانوا تهيئوا لذلك ، وكان الملتقى في ذلك المكان في الساعة

(١) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٤ من هذا الجزء . (٢) عسقلان : بلدة بها آثار قديمة

على جانب البحر ، بينها وبين غزة اثنا عشر ميلا . فتحها معاوية بن أبي سفيان صلحا سنة ثمانى عشرة

من الهجرة ، وهي من جلة نفور الإسلام الشامية ، ومن أجل مدن الساحل . (٣) في الأصلين : ٢٠

« وأقام مليسا بعساكره » . وما أثبتناه عن السلوك . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١١٩

من الجزء الثانى من هذه الطبعة .

الخامسة من نهار الأربعاء المذكور وتصادما، وقد كَلَّتْ خيول السلطان وعساكره من السَّوقِ، وألّحم القتال بين الفريقين، وحملت ميسرة المسلمين عليهم فكسرتهم أقبح كسرة، وقتلوا منهم جماعة كثيرة نحو خمسة آلاف أو أكثر؛ ولم يُقتل من المسلمين إلا اليسير.

ثم حَلَّتِ الْقَلْبُ أيضًا حملة هائلةً وصدمت العدو أعظم صدمة، وثبت كل من الفريقين ثباتا عظيما، ثم حصل تخاذلٌ في عسكر الإسلام بعضهم في بعض . بلاء من الله تعالى . فانهزمت مئينة السلطان بعد أن كان لاح لهم النصر ! فلا قوة إلا بالله . ولما انهزمت الميمنة انهزم أيضا مَنْ كان وراء السناجق السلطانية من غير قتال، وألقى الله تعالى الهزيمة عليهم فانهزم جميع عساكر الإسلام بعد النصر، وساق السلطان في طائفة يسيرة من أمرائه ومدبري مملكته إلى نحو بعلبك^(١) وتركوا جميع الأتقال، ملقاة^(٢)، فبقيت الأعدد والسلاح والغنائم والأتقال ملات تلك الأراضي حتى بقيت الرماح في الطرق كأنها القصب لا ينظر إليها أحد، ورَمَى الجند خوذهم عن رؤوسهم وجواشيتهم وسلاحهم تخفيفاً عن الخيل لتنجيهم بأنفسهم، وقصدوا الجميع دمشق . وكان أكثر من وصل إلى دمشق من المنهزمين من طريق بعلبك . ولما بلغ أهل دمشق وغيرها كسرة السلطان عظم الضجيج والبكاء، وخرجت المخدرات حاسرات لا يعرفن أين يذهبن والأطفال بأيديهن، وصار كل واحد في شغل عن صاحبه إلى أن ورد عليهم الخبر أن ملك التتار فازان مُسلم وأن غالب جيشه على ملّة الإسلام، وأنهم لم يتبعوا المنهزمين، وبعد انفصال الواقعة لم يقتلوا أحداً ممن وجدوه، وإنما يأخذون سلاحه ومركوبه ويطلقونه، فسكن بذلك روع أهل دمشق قليلا،

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٧٨ من هذا الجزء .

(٢) في الأصلين : « ملأت تلك الأراضي » . صوما أثبتناه عن تاريخ سلاطين المماليك

ثم صار من وصل إلى دمشق أخذ أهله وحواصله بحيث الإمكان وتوجه إلى جهة مصر، وبقي من بقي بدمشق في تحمة وحيرة لا يدرون ماعاقبة أمرهم؛ فطائفة تغلب عليهم الخوف وطائفة يترجون حقن الدماء وطائفة يترجون أكثر من ذلك من عدل وحسن سيرة، واجتمعوا في يوم الأحد بمشهد على^(١)، وأشتوروا في أمر الخروج إلى ملك التتار غازان وأخذهم أماناً لأهل البلد فحضر من الفقهاء قاضي القضاة بدر الدين [محمد بن إبراهيم] بن جماعة^(٢)، وهو يومئذ خطيب جامع أهل دمشق. والشيخ زين الدين الفارقي. والشيخ تقي الدين بن تيمية وقاضي قضاة دمشق نجم الدين [أبْن] صَصْرِي. والصاحب نغر الدين بن الشيرجي. والقاضي عز الدين بن الزكي. والشيخ وجيه الدين بن المنجأ. والشيخ [الصدر الرئيس] عز الدين [عمر] بن القلانسي. وأبْن عمه شرف الدين. وأمين الدين بن شُقَيْر الحَوَاتِي. والشريف زين الدين بن عدنان والصاحب شهاب الدين الحنفي. والقاضي شمس الدين بن الحريري. والشيخ محمد بن قوام النابلسي. وجلال الدين أخو القاضي إمام الدين القزويني. وقد خرج أخوه إمام الدين قبل ذلك مع جماعة جافلا إلى مصر. وجلال الدين أبْن القاضي حسام الدين الحنفي. وجماعة كثيرة من العدول والفقهاء والقراء.

- (١) تكملة عن السلوك للقريري وما سيذكره المؤلف في سنة ٧٣٣ هـ. وهي سنة وفاته.
- (٢) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عداقة بن حجة شيخ الإسلام. توفي سنة ٧٢٨ هـ. (عن شذرات الذهب). (٣) زيادة عن تاريخ سلاطين المماليك. (٤) هو سليمان بن محمد بن عبد الوهاب الصاحب نغر الدين أبو الفضل بن الشيرجي توفي سنة ٦٩٩ هـ. (عن المنهل الصافي وشذرات الذهب). (٥) عبدالعزيز بن محيي الدين محيي بن محمد بن علي بن الزكي قاضي القضاة. سيذكر المؤلف وفاته في سنة ٦٩٩ هـ. (٦) زيادة عن تاريخ سلاطين المماليك وعقد الجمان.
- (٧) في الأصلين: «زين الدين ابن عدنان». والتصحيح عن عقد الجمان وتاريخ سلاطين المماليك.

وأما السلطان الملك الناصر وعساكره فإنه سار هو بخواصه بعد الوقعة إلى جهة الكُسوة^(١) . وأما العساكر المصرية والشامية فلا يمكن أن يُعبّر عن حالهم ، فإنه كان أكبر الأمراء يرى وهو وحده وقد عجز عن الهرب ليس معه من يقوم بخدمته وهو مُسرّع في السير خائف متوجّه إلى جهة الكُسوة لا يلوى على أحد ، قد دخل قلوبهم الرعب والخوف ، تستمهم العامة وتوَجَّه بهم بسبب الهزيمة من التار ، وكونهم كانوا قبل ذلك يحكون في الناس ويتعاطمون عليهم ، وقد صار أحدهم الآن أضعف من الهزيل ، وأمنوا العاتة في ذلك وهم لا يلتفتون إلى قولهم ، ولا ينتقمون من أحد منهم .

قلت : وكذا وقع في زماننا هذا في وقعة تيمورلنك وأعظم ، فإن هؤلاء قاتلوا وكسروا ميمنة التار ، إلا أصحابنا فإنهم سَلَمُوا البلاد والعباد من غير قتال ! حسب ما يأتي ذكره في عمله من ترجمة السلطان الملك الناصر فرج بن برقوق . انتهى . قال : وعجز أكثر الأمراء والجند عن التوجه إلى جهة مصر خلف السلطان بسبب ضعف فرسه ، فصار الجندى يُغير زِيَه حتى يُقيم بدمشق خيفة من توبيع العاتة له ، حتى بعضهم حلق شعره وصار بغير دُبُوقَة .

قال الشيخ قطب الدين البونيني : مع أن الله تعالى لطف بهم لطفا عظيما إذ لم يُسْقِ عدوهم خلفهم ولا تبعهم إلا حول المعركة وما قاربها ، وكان ذلك لطفاً من الله تعالى بهم ، وبقي الأمر على ذلك إلى آخر يوم الخميس سادس شهر ربيع الآخر ، فوصل أربعة من التار ومعهم الشريف القمى^(٢) وتكلموا مع أهل دمشق ، فلم يَنْبَرِم

(١) الكسوة : ضيعة ومنزل يمر بها نهر الأعرج ، بينها وبين دمشق اثنا عشر ميلا (عن تقويم البلدان لابن القدا). وقال ياقوت في معجمه : « قرية هي أول منزل تنزله القوافل إذا خرجت من دمشق إلى مصر » .
(٢) « عبارة سلاطين المماليك » لسبب وقوف خيلهم » . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٣١ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٤) في تاريخ سلاطين المماليك : « ومعهم الشريف القمى » .

- أمر . ثم قَدِمَ من الغد آخَرُ ومعه قَرَمَان (يعنى مرسوما من غازان بالأمان) وقُرئ بالمدرسة البَادِرَائِيَّة ، ثم وقع بعد ذلك أمور يطول شرحها من أن قازان أرسل إلى أهل دمشق وعرفهم أنه يحب العدل والإحسان للزعية وإنصاف المظلوم من الظالم ، وأشياء من هذا النمط ، فحصل للناس بذلك سكونٌ وطُمَأْنِينَةٌ . ثم دخل الأمير قَبْجَقُ المنصوريّ الذي كان نائب دمشق قبل تاريخه ، وهَرَبَ من الملك المنصور لاجئين إلى غازان ، ومعه رفقة الأمير بَكْتُمُرُ السَّلاح دار وغيره إلى دمشق ، وكتبوا الأمير أَرْجَوَاشَ المنصوريّ خُشْدَاشَهُمْ نائب قلعة دمشق في تسليمها إلى غازان ، وقالوا له : دُمُ المسلمين في عنقك إن لم تُسَلِّمَها ؛ فأجابهم : دم المسلمين في أعناقكم أتم الذين خرجتم من دمشق وتوجهتم إلى غازان وحسنتم له الجبىء إلى دمشق وغيرها ، ثم وتجههم ولم يُسَلِّمَ قلعة دمشق ، وتباً للقتال والحصار ؛ وأستمر على حفظ القلعة . ثم ترادفت قصاد غازان إلى أَرْجَوَاشَ هذا ، وطال الكلام بينهم في تسليم القلعة ؛ فنتبه الله تعالى ومنع ذلك بالكلية . ومَلَكَ قازان دِمَشْقَ وخُطِبَ له بها في يوم الجمعة رابع عشر شهر ربيع الآخر . وصورة الدعاء لغازان أن قال الخطيب : « مولانا السلطان الأعظم سلطان الإسلام والمسلمين مظفر الدنيا والدين محمود غازان » . وصلى الأمير قَبْجَقُ المنصوريّ وجماعةٌ من المُغَلِّ بالمقصورة من جامع دِمَشْقَ ، ثم أخذ التتار في نهب قُرَى دمشق والفساد بها ، ثم يجبل الصالحية وغيرها ،

(١) المدرسة البَادِرَائِيَّة : جاء في كتاب مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس في أخبار المدارس : أنها داخل باب الفرائس والسلامة شمال جيرون ، وشرق الناصرية الجوزانية . وفي المختصر أنها على باب الجامع الأموي الشرق المؤدى إلى الهامة ، وكانت قبل ذلك دارا تعرف (بأسامة وهو أسامة الجليل أحد كبار الأمراء المتوفى سنة ٦٠٩ هـ أنشأها نجم الدين أبو محمد عبد الله البَادِرَائِيّ البَغْدَادِيّ المتوفى سنة ٦٥٥ هـ قال الذهبي : البَادِرَائِيّ قاضى القضاة سفير الخلافة نجم الدين عبد الله بن الحسن البَادِرَائِيّ الشافعى صاحب المدرسة التى بخط جيرون (عن خطه الشام ج ٦ ص ٧٨) . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

وفعلوا تلك الأفعال القبيحة، ثم قزروا على البلد تقارير تضاعفت غير مرة، وحصل على أهل دمشق الذل والهوان وطال ذلك عليهم، وكان متوئى الطلب من أهل دمشق الصني السنجاري، وعلاء الدين أستاذار قبحق، وأبنا الشيخ الحريري^(١) الحنّ والين، وعمل الشيخ كمال الدين الزمليكاني في ذلك قوله :

لهني على جليّ يا شرّ ما لقيت * من كلّ عييج له في كفره فنّ
بالطم^(٢) والرّم جاءوا لا عديد لهم * فالحنّ بعضهم والحنّ والين^(٣)
وللشيخ عز الدين عبد الغني الجوزي في المعنى :

بلينا يقوم كالكلاب أخسة * علينا بغارات المخاوف قد شئنا
هم الحنّ حقاً ليس في ذاك رية * ومع ذا فقد والاهم الحنّ والين^(٤)
ولابن قاضي شبهة :

رمتنا صروف الدهر حقاً بسبعة * فإحد منا من السبع سالم
غلاء وغازان وغزو وغارة * وعدر وإغاب وغم ملازم

وفي المعنى يقول أيضا الشيخ علاء الدين الوداعي وأجاد :

أتى الشام مع غازان شيخ مسلك * على يده تاب الوري وترهدوا
نفلوا عن الأموال والأهل بجملة * فإ منهم إلا فقير مجرد

ودامت هذه الشدة على أهل دمشق والحصار عمّال في كلّ يوم على قلعة دمشق حتى عجزوا عن أخذها من يد أرجواش المذكور .

(١) الحريري هو الشيخ على الحريري الذي تقدمت وفاته سنة ٥٦٤هـ. وهذان هما ابنا ابنه الشيخ محمد على الحريري . (٢) هو محمد بن علي بن عبد الواحد بن عبد الكريم كمال الدين أبو المعالي الزمليكاني الأنصاري الشافعي . سيذكره المؤلف في حوادث سنة ٥٧٢٧هـ . (٣) يريد بذلك كثرة العدد (٤) في تاريخ سلاطين المماليك : « عبد الغني الحريري » . (٥) هو عبد الوهاب بن محمد ابن عبد الوهاب بن ذؤيب الأسدي كمال الدين بن قاضي شبهة . مولده سنة ٥٦٥٣هـ وتوفي سنة ٥٧٢٦هـ . (عن المثل الصافي والدرد الكاشة) .

قلت : على أن أرجواش كان عنده سلامة باطن إلى الغاية . يأتي ذكر بعض أحواله في الوقايات من سنين الملك الناصر محمد بن قلاوون . انتهى .

قال : وتمَّ جَبِّي المال ، وأخذَه غازان وسافر من دِمَشق في يوم الجمعة ثاني عشر بُحَادَى الأولى بعد أن وَلَّى الأمير قَبْجَقِ المنصورى نيابة الشام على عادته أولاً ، وقرَّرَ بدمشق جماعةً أخر يطول الشرح في ذكرهم . وأقام الأمير قُطْلُو شاه مَقْدَمَ عساكر التار بعد غازان بدمشق بجماعة كثيرة من التار لأخذ ما بقى من الأموال ولحصار قلعة دمشق ، ودام على ذلك حتى سافر من دمشق بقيَّة التار في يوم الثلاثاء ثالث عشرين بُحَادَى الأولى ، وخرج الأمير قَبْجَقِ نائب الشام لتوديعه ، ثم عاد يوم الخميس خامس عشرينه ، وأقطع أمرُ المُلْك من دمشق بعد أن قاسى أهلها شدائد وذهبت أموالهم .

١٠

قال ابنُ المُنَجَّاج : إنَّ الذى حُمِّلَ إلى خزانة قازان خاصة نفسه ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف سوسى ما حُمِّقَ عليهم من التراسيم والبراطيل ، والاستخراج لغيره من الأمراء والوزراء وغير ذلك ، بحيث إن الصنِّى السَّنجارى استخرجَ لنفسه أكثر من ثمانين ألف درهم ، وللأمير إسماعيل مائتى ألف درهم ، وللوزير نحو أربعائة ألف وقس على هذا . واستقر بدمشق ورسم أن يُنادى في دمشق : بأنَّ أهل القرى والخواضر يخرجون إلى أماكنهم ، رسمَ بذلك سلطان الشام حاجَ الحرمين سيفُ الدين قَبْجَقِ ، وصار قَبْجَقِ يركب بالعصابة ، والشاوشية بين يديه ، واجتمع الناس عليه . كلَّ

١٥

(١) في كتاب السلوك : « ثلاثة آلاف ألف وستمائة ألف درهم » . وفي تاريخ سلاطين المماليك : « ثلاثة آلاف ألف دينار وستمائة ألف دينار » . (٢) في تاريخ سلاطين المماليك والتبع السديد : « سوى ملحق من التراسيم والبراطيل » . ورواية السلوك وما يفهم من عبارة عقد الجمان : « سوى السلاح والثياب والدواب والغلال وسوى ما نهته التار » . (٣) في عقد الجمان : « واستخرج لنفسه مائة ألف درهم » . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

٢٠

ذلك والقتال والمباينة واقعة بين الأمير أَرْجَوَاش نائب قلعة دمشق وبين قَبْجَق المذكور ونواب قازان ، والرسل تمشى بينهم في الصلح ، وأَرْجَوَاش يَأْتِي تسليم القلعة له ، فله دَر هذا الرجل ! ما كان أثبتَ جَنَانَه مع تَقَفُّل كان فيه حسب ما يأتى ذكره .

• هذا وقبجق غير مُسْتَبِدٍّ بأمر الشام بل غالب الأمر بها لنواب قازان مثل بُولَاي وغيره . ثم سافر بُولَاي من دمشق بمن كان بقى معه من التار في عشية يوم السبت الرابع من شهر رجب ، ومعه قَبْجَق وقد أُشِيع أن قَبْجَق يريد الانفصال عن التار . وبعد خروجهما استبد أَرْجَوَاش نائب قلعة دمشق بتدبير أمور البلد . وفي يوم الجمعة سابع عشر شهر رجب أُعيدت الخطبة بدمشق إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون ، والخليفة الحاكم بأمر الله على العادة ، ففرح الناس بذلك . وكان أُسْقَطَ أَسْمُ الملك الناصر محمد من الخطبة بدمشق من سابع شهر ربيع الآخر ، فالمدة مائة يوم . ثم نَادَى أَرْجَوَاش بُكْرَةَ يوم السبت بالزينة في البلد فُرِيت .

وأما الملك الناصر محمد بن قلاوون فإن عودته إلى الديار المصرية كانت يوم الأربعاء ثاني عشر شهر ربيع الآخر وتبعته العساكر المصرية والشامية متفرقين ، وأكثرهم عراة مشاة ضعفاء ، وذلك الذي أوجب تأخرهم عن الدخول مع السلطان إلى مصر ، وأقاموا بعد ذلك أشهراً حتى استقام أمرهم ، ولولا حصول البركة بالديار المصرية وعظمتها ما وسعت مثل هذه الخلائق والجيوش التي دخلوها في جفلة التار وبعدها ، فن الله تعالى بالخييل والعُدَد والرزق ، إلا أن جميع الأسعار غلت لا سيما السلاح وآلات الجندية من القماش والبرك وحوائج الخييل وغير ذلك حتى زادت

٢٠ (١) في الأصلين : « في يوم الأربعاء خامس شهر رجب » . وتصحيحه من عقد الجمان والنتيج السديد وتاريخ سلاطين المماليك . (٢) في الأصلين : « وبعده » . (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١١٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

- عن الحد . ومما زاد سعر العمام ، فإن الجند كان على رؤوسهم في المصاف الخوذة ، فلما أنكسروا رموا الخوذة تخفيفاً ووضعوا على رؤوسهم المناديل ، فأحتاجوا لما حضروا إلى مصر إلى شراء العمام . مع أن الملك الناصر أنفق في الجيش بعد عوده ، وأستخدم جمعاً كثيراً من الجند خوفاً من قدوم غازان إلى الديار المصرية ، وتبياً السلطان إلى لقاء غازان ثانياً . وجهز العساكر وقام بكلفتهم أتم قيام على صفر سنة .
- فلمَّا ورد عليه الخبر بعدم مجيء قازان إلى الديار المصرية تجهز وخرج بعساكره وأمرائه من الديار المصرية إلى جهة البلاد الشامية إلى ملتي قازان ثانياً ، بعد أن خلَّع على الأمير آقوش الأفرم الصغير بناية الشام على عادته ، وعلى الأمير قرأسنقر المنصوري بناية حماة وحلب ؛ وكان خروج السلطان من مصر بعساكره في تاسع شهر رجب من سنة تسع وتسعين وستمائة ، وسار حتى نزل بمنزلة الصالحية ^(١) بلغه ١٠
- عود قازان بعساكره إلى بلاده ، فكلم الأمراء السلطان في عدم سفره ورجوعه إلى مصر فأبى عن رجوع العسكر ، وسمع لهم في عدم سفره ، وأقام بمنزلة الصالحية . وسافر الأمير سنلار المنصوري نائب السلطنة بالديار المصرية ، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير بالعساكر إلى الشام . ولما سار سنلار وبيبرس الجاشنكير ١٥
- إلى جهة الشام تلاقوا في الطريق مع الأمير سيف الدين قبحق والأمير يكتمر السلاح دار والألبكي وهم قاصدون السلطان ، فعتب الأمراء قبحق ورفقته عتباً هيناً على عبور قازان إلى البلاد الشامية ، فاعتذروا أن ذلك كان خوفاً من الملك المنصور لاجين وحنقاً من مملوكه مكوتر ، وأنهم لما بلغهم قتل الملك المنصور لاجين كانوا قد تكلموا مع قازان في دخول الشام ، ولا يبق يُمكِنهم الرجوع عما قالوه ، ولا سبيل إلى الهروب من عنده ، فقبلوا عذرهم وبعثوهم إلى الملك الناصر فقدموا عليه ٢٠

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

- بالصالحية وقبلوا الأرض بين يديه ، فعتبهم أيضا على ما وقع منهم ، فذكروا له العذر السابق ذكره ، فقبله منهم وخلع عليهم ؛ وعاد السلطان إلى القاهرة ومحبته خواصه والأمير قبجق ورفقته ، فطلع القلعة في يوم الخميس رابع عشر شعبان . ودخل الأمراء إلى دمشق ومعهم الأمير آقوش الأفرم الصغير نائب الشام وغالب أمراء دمشق ، وفي العسكر أيضا الأمير قرأسنقر المنصوري متولى نيابة حماة وحلب ، ودخل الجميع دمشق بتجمل زائد ، ودخلوها على دَفَعَات كُلِّ أمير يُطلبه على حدة ، ومُرَّ الناس بهم غاية السرور ، وعلموا أن في عسكر الإسلام القوة والمنعة والله الحمد . وكان آخر مَنْ دخل إلى الشام الأمير سَلَار نائب السلطنة ، وغالب الأمراء في خدمته ، حتى الملك العادل زين الدين كتبغا المنصوري نائب صرخد ، ونزل جميع الجيش بالمرج وخلع على الأمير أرجواش المنصوري نائب قلعة دمشق باستمراره على عادته ، وشكروا له الأمراء ما فعله من حفظ القلعة ، ودخلوا الأمراء إلى دمشق وقلعة دمشق مُغلقة وعليها الستائر والطواريف ^(١) ، فكلموه الأمراء في ترك ذلك .
- فلما كان يوم السبت مستهل شهر رمضان أزال أرجواش الطواريف والستائر من على القلعة ؛ فأقام العسكر بدمشق أياما حتى أصلحوا أمرها ، ثم عاد الأمير سَلَار إلى نحو الديار المصرية بجميع أمراء مصر وعساكره في يوم السبت ثامن شهر رمضان ، وتفترق باقي الجيش كل واحد إلى محل ولايته ؛ ودخل سَلَار إلى مصر بمن معه في ثالث شوال بعد أن احتفل الناس لملاقاتهم ، وخرج أمراء مصر إلى بليس ^(٢) ، وخلع السلطان على جميع مَنْ قَدِمَ من الأمراء رفقة سَلَار ، وكانت خلعة سَلَار أعظم من الجميع . ودام السلطان بقية سنه بالديار المصرية .

(١) أصل الطواريف من الخباء : مارفت من نواحيه لتنظر إلى خارج . وقيل هي حلق مركبة في الرفوف وفيها حبال تشد بها إلى الأوتاد (عن اللسان) . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٤٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

- فلما استهلّت سنة سبعمائة كثرت الأراجيف بالشام ومصر بحركة قازان وكان قازان قد تسمى محموداً، وصار يقال له السلطان محمود غازان . ثم وصلت في أول المحترم من سنة سبعمائة الأخبار والقُصَاد من الشرق وأخبروا أن قازان قد جَمَعَ جموعاً كثيرة وقد نادى في جميع بلاده الغَزَاة إلى مصر، وأنه قاصدُ الشام؛ فجفَلَ أهلُ الشام من دمشق وتفزقوا في السواحل وقصدوا الحصون وتشتّت غالب أهل الشام إلى البلاد من القُرَات إلى غَزّة؛ فعند ذلك تجهز الملك الناصر وجّهز عساكره وتبّأ وخرج بجميع عساكره وأمرائه من القاهرة إلى مسجد التَّيْن في يوم السبت ثالث عشر صفر، وسافر حتى قارب دمشق أقام بمزلته إلى سَلَخ شهر ربيع الآخر، وتوجّه هو وعساكره عائدين إلى جهة الديار المصرية، بعد أن لاقوا شدة ومشقة عظيمة من كثرة الأمطار والثلوج والأحوال وعدم المأكول، بحيث إنه انقطعت الطريق من البرد والمطر وعدم جلب المأكول لهم ولدوابهم، حتى إنهم لم يقدرُوا على الوصول إلى دِمَشق؛ وكان طلوع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى قلعة الجبل يوم الاثنين حادى عشر جُمادى الأولى . وقبل عود السلطان إلى مصر كان جهز السلطان الأمير بَكْتُمُر السلاح دار والأمير بهاء الدين يعقوباً إلى دمشق أمامه، فدخلوا دمشق . ثم أشيع بدمشق عودُ السلطان إلى القاهرة، فجفَلَ غالب
- ١٠
- ١٥

(١) مسجد التين : هذا المسجد هو الذى يعرف اليوم بزاوية الشيخ محمد التبرى جنوبى سراى القبة بضواحي القاهرة، بالقرب من محطة حمامات القبة . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ١٩٦ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٢) لعله يريد بها منزلة الناصر محمد بن قلاوون التى كان يزل بها إذا ما ١٠٤٠ السفر من القاهرة إلى دمشق أو أراد العودة منها وهى المسماة «بَدْعَرش» إذ قد ورد فى تاريخ سلاطين المماليك : « ورحله من على مسجد التين يوم السبت ثالث عشره فوصل بالجيش إلى بَدْعَرش وأقام عليها إلى سَلَخ ربيع الآخر وتوجه عائداً بالجيش إلى جهة الديار المصرية » وقد تكوّن هذه العبارة في غير موضع في كتاب تاريخ سلاطين المماليك . (٣) فى الأصلين : « يعقوب » . وما أثبتناه عن السلوك وتاريخ سلاطين المماليك وما سيذكره المؤلف بعد ذلك فى مواضع كثيرة .

٢٠

أهل دمشق منها، ونائب الشام لم يمنهم بل يُحَسِّن لهم ذلك . وقيل : إن وإلى دمشق بقى يُحَقِّل الناس بنفسه ، وصار يمز بالأسواق ، ويقول : في أى شىء أنتم قعود ! ولما كان يوم السبت تاسع جُمادى الأولى نادى المناداة بدمشق مَنْ قعد قدمه في رقبته ، ومن لم يقدر على السفر فليطُلُع إلى القلعة ، فسافر في ذلك اليوم معظم الناس .

وأما قازان فإنه وصل إلى حلب ووصل عساكره إلى قُرُون حماة وإلى بلاد سمرمين^(١) ، وسير معظم جيشه إلى بلاد أنطاكية وغيرها ، فهبوا من الدواب والأغنام والأبقار ما جاوز حدَّ الكثرة ، وسبَّوا عالمًا كثيرًا من الرجال والنساء والصبيان . ثم أرسل الله تعالى على غازان وعساكره الأمطار والثلوج بحيث إنه أمطر عليهم واحدًا وأربعين يومًا ، وقت مطر ووقت ثلج ، فهلك منهم عالم كثير ، ورجع غازان بعساكره إلى بلادهم أقبح من المكسورين ، وقد تَلَفَّت خيولهم وهلك أكثرها ، وعجزهم الله تعالى وخذلهم ، وردَّهم خائبين عما كانوا عزموا عليه . ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ﴾ . ووصل الخبر برجوعهم في جُمادى الآخرة ، وقد خلت دمشق وجميع بلاد الشام من سُكَّانها .

ثم في شهر رجب من السنة وصل إلى القاهرة وزيرُ ملك الغرب بسبب الحج ، واجتمع بالسلطان والأمير سَلار نائب السلطنة والأمير ركن الدين بَيْرَمَس الجاشنكير فقابلوه بالإكرام وأنعموا عليه واحترموه ، فلما كان في بعض الأيام جلس

(١) سمرمين : بلدة في جنوب حلب على مسيرة يوم منها ، واقعة في منتصف الطريق بين المعرة وحلب . وهى مدينة غير مسورة ، بها أسواق ومسجد جامع . وغرب أهلها من الماء المجتمع في الصهاريج من الأمطار ، وهى كثيرة الخصب ، وبها الكثير من شجر الزيتون والتين . وقال ياقوت : سمرمين بليدة مشهورة من أعمال حلب أهلها إسماعيلية (عن تقويم البلدان وصبح الأعشى ج ٤ ص ١٢٦ وقاموس البقاع والأمكنة) .

- الوزير المغربي المذكور بباب القلعة عند بيبس الجاشنكير وسَلار . فحضر بعض
 كُتّاب النصارى ، فقام إليه المغربي يتوهم أنه مسلم ثم ظهر له أنه نصراني فقامت
 قيامته ، وقام من وقته ودخل إلى السلطان بحضرة الأمير سَلار وبيبرس مُدبّر
 مملكة الناصر محمد ، وتحدث معهم في أمر النصارى واليهود ، وأنهم عندهم في بلادهم
 في غاية الذل والهوان ، وأنهم لا يُمكنونهم من ركوب الخيل ، ولا من استخدامهم
 في الجهات السلطانية والديوانية ، وأنكر على نصارى ديار مصر ويهودها كونهم
 يلبسون أنحر الثياب ويركبون البغال والخيل ، وأنهم يستخدمونهم في أجل الجهات
 ويحكمونهم في رقاب المسلمين ؛ ثم إنه ذكر عهد ذمتهم قد انقضت من سنة ست مائة
 من الهجرة النبوية ، وذكر كلاماً كثيراً من هذا النوع ، فأثر كلامه عند القلوب
 النيرة من أهل الدولة ، وحصل له قبول من الخاص والعام بسبب هذا الكلام ،
 وقام بنصرته الأمير ركن الدين بيبس الجاشنكير وجماعة كثيرة من الأمراء وافقوه
 على ذلك ، ورأوا أن في هذا الأمر مصلحة كبيرة لإظهار شعائر الاسلام . فلما كان
 [يوم الخميس العشرون من] شهر رجب جمعوا النصارى واليهود ورسموا لهم ألا يُستخدموا
 في الجهات السلطانية ولا عند الأمراء ، وأن يُغيروا عما همم فلبس النصارى عمامَ
 زرقاً وزنانيرهم مشدودة في أوساطهم ؛ وأن اليهود يلبسون عمامَ صفراء ، فسعوا الملتان
 عند جميع أمراء الدولة وأعيانها ، وساعدهم أعيان القبط وبذلوا الأموال الكثيرة
 الخارجة عن الحد للسلطان والأمراء على أن يُعقوا من ذلك ، فلم يقبل منهم شيئاً .
 وشدد عليهم الأمير بيبس الجاشنكير الأستاذار — رحمه الله — غاية التشديد ،
 فإنه هو الذي كان القائم في هذا الأمر ، عفا الله تعالى عنه وأسكنه الجنة بما فعله ،
 فإنه رفع الاسلام بهذه الفعلة وخفض أهل الملتين بعد أن وعد بأموال جمة فلم يفعل .

قلت : رَحِمَ الله ذلك الزمانَ وأهله ما كان أعلى همهم ، وأشجع نفوسهم !
وما أحسن قول المتنبي :

أنى الزمان بنوه فى شببته * فسرهم وأتيناها على الهرم

ثم رسم السلطان الملك الناصر محمد بقلق الكائن بمصر والقاهرة ، فضرب على كل باب منها دُفوفً ومساميرُ ، وأصبح يوم الثاني والعشرين من شهر رجب المبارك من سنة سبعائة ، وقد لبسوا اليهود عمامهم صُفراً ، والنصارى عمامهم زُرْقاً ، وإذا ركب أحد منهم بهيمة يَكْفُ إحدى رجله ، وبُطِلوا من الخدم السلطانية وكذلك من عند الأمراء ؛ وأسلم لذلك جماعة كثيرة من النصارى ، منهم : أمين الملك مُستوفى الصُحبة وغيره . ثم رسم السلطان أن يُكْتَبَ بذلك فى جميع بلاده من دُنُقلة إلى الفُرات .

فأما أهل الإسكندرية لما وصل إليهم المرسوم سارعوا إلى تحارب كنيستين عندهم ، وذكروا أنهما مستجدتان فى عهد الإسلام ، ثم داروا إلى دُورهم فاجدوه أعلى على مَنْ جاورها من دُور المسلمين هدموه ، وكل مَنْ كان جاور مسلماً فى حانوت أنزلوا مصطبة حانوته بحيث يكون المسلم أرفع منه ، وفعلوا أشياء كثيرة

(١) فى تاريخ سلاطين الممالك : « وضرب على أبوابهم دُفوف وسمروم » .

(٢) فى الأجلين : « يوم الاثنين العشرين » . وتصحيحه عن تاريخ سلاطين الممالك .

(٣) استيفاء الصُحبة هى وظيفة جليلة رفيعة القدر ، وصاحبها يحدث فى جميع المملكة مصرًا وشامًا ، ويكتب مراسيم يعلم عليها السلطان ، تارة تكون بما يعمل فى البلاد ، وتارة باطلاقات ، وتارة باستخدامات بار فى صغار الأعمال ، وما يجرى مجراه (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٩) .

(٤) دُنُقلة ، المقصود بها القرية التى تعرف اليوم فى السودان المصرى باسم دُنُقلة العجوز ، وهى واقعة على شاطئ النيل الشرق ، وقد كانت قديماً قاعدة مملكة النوبة السفلى فى زمن النصارى إلى أن استقر بها المسلمون من سنة ٦٨٦ هـ وهى الآن قرية صغيرة من قرى مديرية دُنُقلة .

وتوجد بلدة أخرى باسم دُنُقلة الجديدة تميزها لها من دُنُقلة العجوز ، ويقال لها أيضاً دُنُقلة الأوردي حيث كان بها فرق من الجيش المصرى ، وهى واقعة على شاطئ النيل الغربى فى شمال دُنُقلة العجوز ، وعلى بعد ٨٨ ميلًا منها ، وبينها وبين حلفا ٢٥٩ ميلًا . وهى الآن قاعدة مديرية دُنُقلة إحدى مديريات السودان المصرى .

من هذا، وأقاموا شعار الإسلام كما ينبغي على العادة القديمة؛ ووقع ذلك بسائر الأقطار
لا سيما أهل دمشق، فإنهم أيضا أمعنوا في ذلك. وعملت الشعراء في هذا المعنى
عدة مقاطيع شعر، ومما قاله الشيخ شمس الدين الطيبي:

تَعَجَّبُوا لِلنَّصَارَى وَالْيَهُودِ مَعًا * وَالسَّاحِرِينَ لَمَّا عُمِّمُوا الْحِرْقَا
كَأَنَّمَا بَاتَ بِالْأَصْبَاغِ مُنْهَبِلًا * نَسُرُّ السَّمَاءَ فَاضْحَى فَوْقَهُمْ ذَرَقَا

ومما قاله الشيخ علاء الدين كاتب آبن وداعة المعروف بالوداعي^(١) في المعنى وأجاد:

لقد الزموا الكُفَّارَ شَاشَاتِ ذِلَّةٍ * تَزِيدُهُمْ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ تَشْوِيشَا
فقلت لهم ما ألبسوك عَمَائِمًا * وَلَكِنَّهُمْ قَدْ أَلْبَسُوكُمْ بَرَّاطِيشَا

وفيهما في تاسع ذى القعدة وصل إلى القاهرة من حلب الأمير أئس يُخْبِرُ بِمِرْكَةِ
التار، وأن التار قد أرسلوا أمامهم رُسلًا، وأن رسلهم قد قاربَت الفُرات، ثم وصلت
الرسَل المذكورة بعد ذلك بمدة إلى الديار المصرية في ليلة الاثنين خامس عشر
ذى الحجة، وأعيانُ القُصَادِ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ: قَاضِي المَوْصِلِ وخطيبها كمال الدين بن بهاء^(٢)
الدين بن كمال الدين بن يونس الشافعي، وآخر عَجَمِيٌّ وآخر تُرْكِيٌّ. ولما كان عصرُ
يَوْمِ الثَلَاثَاءِ جمعوا الأمراء والمقدمين إلى القلعة وعملت الخدمة ولَبَسُوا المَآلِكَ
أنغر الثياب والملابس، وبعد العشاء الأخيرة أوقدوا الشموع نحوًا من ألف شمعة،
ثم أظهروا زينةً عظيمةً بالقصر، ثم أحضروا الرسل، وحضر القاضي بجلتهم وعلى
رأسه طُرْحَةٌ، فقام وخطب خطبةً بليغةً وجيزةً وذكر آيات كثيرةً في معنى الصلح
وأتفاق الكلمة ورغب فيه، ثم إنه دعا للسلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون،

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٥٢ من هذا الجزء. (٢) هو موسى بن محمد بن موسى بن

يونس الإربلي القاضى، كمال الدين الرضى بن يونس قاضى الموصل. توفي سنة ٥٧١٥ (عن الدرر الكامنة).

(٣) في الأصلين: « ضياء الدين ». وما أثبتناه عن السلوك وعقد الجمان والدرر الكامنة.

وَمِنْ بَعْدِهِ لِلسُّلْطَانِ مُحَمَّدٍ غَازَانُ ، وَدَعَا لِلْمُسْلِمِينَ وَالْأُمَرَاءِ وَأَدَّى الرِّسَالَةَ .
وَمُضْمُونُهَا : إِنَّمَا قَصَدَهُمُ الصَّلَحُ وَدَفَعُوا إِلَيْهِمْ كِتَابًا مَخْتُومًا مِنَ السُّلْطَانِ غَازَانُ ،
فَأَخَذَ مِنْهُمْ الْكِتَابَ وَلَمْ يَقْرَءُوهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَأَعِيدَ الرِّسَالُ إِلَى مَكَانِهِمْ . فَلَمَّا كَانَ
لَيْلَةُ الْخَمِيسِ فُتِحَ الْكِتَابُ وَقُرِئَ عَلَى السُّلْطَانِ وَهُوَ مَكْتُوبٌ بِالْمَغْلَى وَكُتِمَ الْأَمْرُ . فَلَمَّا
كَانَ يَوْمُ الْخَمِيسِ ثَامِنَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ حَضَرَ جَمِيعُ الْأُمَرَاءِ وَالْمُقَدِّمِينَ وَأَثَرُ
الْعَسْكَرِ وَأُخْرِجَ إِلَيْهِمُ الْكِتَابُ وَقُرِئَ عَلَيْهِمْ ، وَهُوَ مَكْتُوبٌ بِخَطِّ غَلِيزٍ فِي نِصْفِ قِطْعِ
الْبَغْدَادِيِّ ، وَمُضْمُونُهُ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، وَنُتِبِي بَعْدَ السَّلَامِ إِلَيْهِ أَنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَنَا
وَأَيَّاكُمْ أَهْلَ مِلَّةٍ وَاحِدَةٍ ، وَشَرَفَنَا بِدِينِ الْإِسْلَامِ وَأَيَّدَنَا ، وَتَدَبَّنَا لِإِقَامَةِ مَنَارِهِ وَسَدَّدَنَا ؛
وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَا كَانَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَقَدَرِهِ ، وَمَا كَانَ ذَلِكَ إِلَّا بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ،
وَمَا اللَّهُ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ! وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ بَعْضَ عَسَاكِرِكُمْ أَغَارُوا عَلَى مَارِدِينَ وَبِلَادِهَا^(١)
فِي شَهْرِ رَمَضَانَ الْمُعْظَمِ قَدْرَهُ ، الَّذِي لَمْ تَزَلِ الْأُمَمُ يُعْظَمُونَهُ فِي سَائِرِ الْأَقْطَارِ ، وَفِيهِ
تُقَلُّ الشَّيَاطِينُ وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ النَّيْرَانِ ، فَطَرَقُوا الْبِلَادَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا ، وَقَتَلُوا^(٢)
وَسَبُّوا وَفَسَقُوا وَهَتَكُوا حَرَامَ اللَّهِ بِسُرْعَةٍ مِنْ غَيْرِ مُهْلَةٍ ؛ وَأَكَلُوا الْحَرَامَ وَارْتَكَبُوا الْآثَامَ ،
وَفَعَلُوا مَا لَمْ تَفْعَلْهُ عِبَادُ الْأَصْنَامِ ؛ فَأَتَوْنَا أَهْلَ مَارِدِينَ صَارِخِينَ مُسَارِعِينَ مُلْهُوفِينَ^(٣)
مُسْتَفْثِينَ بِالْأَطْفَالِ وَالْحَرِيمِ ، وَقَدْ آسَتَوَى عَلَيْهِمُ الشَّقَاءُ بَعْدَ النِّعَمِ ؛ فَلَاذُوا بِجَنَابِنَا وَتَعَلَّقُوا^(٤)
بِأَسْبَابِنَا ، وَوَقِفُوا مَوْقِفَ الْمُسْتَجِيرِ الْخَائِفِ بِبَابِنَا ؛ فَهَزَّتْنَا نَحْوَةُ الْكِرَامِ ، وَحَرَكْتْنَا حِمَاةَ

(١) فِي الْأَصْلِينَ : « وَهُوَ مَكْتُوبٌ بِالْثُرُكِيِّ » . وَمَا اسْتَبْنَاهُ عَنْ تَارِيخِ سُلَاطِينِ الْمَمَالِكِ وَالسُّلُوكِ .
(٢) لِهَذَا الْكِتَابِ صُورَةٌ أُخْرَى مُتَعَدَّةٌ فِي صَبْحِ الْأَمْشُوجِ ٨ ص ٦٩ - ٧١ وَهَقْدَاخَانُ ، بِخْتَلَفِ عَمَّا
هَذَا كَثِيرًا . (٣) فِي تَارِيخِ سُلَاطِينِ الْمَمَالِكِ وَعَيُونِ التَّوَارِيخِ : « وَنُتِبِي بَعْدَ إِهْدَاءِ السَّلَامِ إِلَيْكُمْ » .
(٤) رَاجِعِ الْحَاشِيَّةَ رَقْمَ ١ ص ٩٧ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ . (٥) فِي الْأَصْلِينَ : « تَقْلَلُ » .
وَمَا اسْتَبْنَاهُ عَنْ تَارِيخِ سُلَاطِينِ الْمَمَالِكِ . (٦) كَذَا فِي تَارِيخِ سُلَاطِينِ الْمَمَالِكِ . وَفِي الْأَصْلِينَ :
« بِجَانِبِنَا » .

- الإسلام ، فركبنا على القور بمن كان معنا ولم تَسْعَنا بعد هذا المقام ، ودخلنا البلاد وقدمنا النية ، وعاهدنا الله تعالى على ما يرضيه عند بلوغ الأمانة ؛ وعلمنا أن الله تعالى لا يَرْضَى لعباده الكفر بأن يَسْعُوا في الأرض فسادا [والله لا يُحِبُّ الفساد] ، وأنه يَغْضِبُ لَهْكَ الحريم وسبي الأولاد ؛ فما كان إلا أن لقيناكم بنية صادقة ، وقلوب على الحية للدين موافقة ؛ فزقناكم كل ممزق ، والذي ساقنا إليكم ، هو الذي نصرنا عليكم ؛ وما كان مثلكم إلا كمثل قرية كانت آمنة مطمئنة الآية . فوليت الأديار ، واعتصمت من سيوفنا بالفرار ، فعفونا عنكم بعد اقتدار ، ورفعنا عنكم حكم السيف البتار ؛ وتقدمنا إلى جيوشنا ألا يَسْعُوا في الأرض كما سَعَيْتُمْ ، وأن يَنْشُرُوا من العفو والعقاف ما طَوَيْتُمْ ، ولو قدرتم ما عفوتم ولا عففتُمْ ؛ ولم تُقَلِّدْكُمْ مِنَّةً بذلك ، بل حكم الإسلام في قتال البغاة كذلك ؛ وكان جميع ما جرى في سالف القدم ، ومن قبل كونه جرى به في اللوح ١٠ القلم ؛ ثم لما رأينا الرعية تضرروا بمقامنا في الشام ، لمشاركتنا لهم في الشراب والطعام ؛ وما حصل في قلوب الرعية من الرعب ، عند معاينة جيوشنا التي هي كطبقات السحب ؛ فاردنا أن نُسَكِّنَ تَحَوُّفَهُمْ بَعْدَتَنَا من أرضهم بالنصر والتأييد ، والعلو والمزيد ؛ فتركنا عندهم بعض جيوشنا بحيث تنوَّس بهم ، وتعود في أسرها إليهم ؛ ويحزسونهم من تعدى بعضهم على بعض ، بحيث إنكم ضاقت بكم الأرض ؛ إلى أن يستقر جاشكم ، ١٥ وتبصروا رُشدكم ؛ وتُسَيِّرُوا إلى الشام من يحفظه من أعدائكم المتقدمين ، وأكرادكم

(١) زيادة عن تاريخ سلاطين الممالك . (٢) في الأصلين : « عفيت » وهو تحريف .

(٣) في تاريخ سلاطين الممالك « تَضَوُّرُوا » . (٤) في الأصلين : « لمشاركتمهم في الشراب والطعام » . وما أبتناه عن عيون التواريخ . وعبارة تاريخ سلاطين الممالك : « بمقامنا في الشام لكثرة

٢٠ جيوشنا بمشاركتهم ... الخ » . (٥) في الأصلين : « في أسرها » وهو تحريف . وعبارة تاريخ

سلاطين الممالك : « تركنا عندهم من جيشنا من يتونس بهم ويعود في أسهم إليهم » .

(٦) كذا تاريخ سلاطين الممالك . وفي الأصلين « من أعدائكم المتقدمين وأكرادهم المشيرين »

وهو تحريف .

المتحدين ؛ وتقدمنا إلى مُقَدِّى طوامين جيوشنا أنهم متى سمعوا بقدم أحد منكم
إلى الشام ، أن يعودوا إلينا بسلام ؛ فعادوا إلينا بالنصر المبين ، والحمد لله رب
العالمين .

والان فإننا وإياكم لم نزل على كلمة الإسلام مجتمعين ، وما بيننا ما يُفَرِّق كلمتنا
إلا ما كان من فعلكم بأهل ماريدين ؛ وقد أخذنا منكم القصاص ، وهو جزاء كل
عاص ؛ فزجع الآن في إصلاح الرعايا ، ونجتهد نحن وإياكم على العدل في سائر
القضايا فقد أنصرت بيننا وبينكم حال البلاد وسكانها ، ومنعها الخوف من القَرَار
في أوطانها ؛ وتعدّر سفر التجار ، وتوقف حال المعاش لأنقطاع البضائع والأسفار ؛
ونحن نعلم أننا نُسأل عن ذلك ونُحاسِب عليه ، وأن الله عز وجل لا يَخْنِي عليه شيء ،
في الأرض ولا في السماء ، وأن جميع ما كان وما يكون في كتاب لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً
وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا . وأنت تعلم أيها الملك الجليل ، أنني وأنت مُطَالِبُونَ بالحقير
والجليل ؛ وأنتا مسئولون عما جناه ، أقل من وليناه ، وأن مصيرنا إلى الله ؛ وأنا
معتقدون الإسلام قولاً وعملاً [ونية ، عاملون بفروضه في كل وصية ^(٤)] . وقد
حملنا قاضى القضاة علامة الوقت حجة الإسلام بقية السلف كمال الدين موسى بن محمد
أبا عبد الله ، أعزّه الله تعالى ، مشافهةً يُعِيدُهَا على سَمْعِ الملك والعمدة عليها ، فإذا
عاد من الملك الجواب فليسير لنا هدية الديار المصرية ، لنعلم بإرسالها أن قد حصل

(١) طوامين ، جمع طومان ، وهو مقدم عشرة آلاف جندى ، عن الفاموس الفاريسى الانكليزى
لجامه استينجاس . (٢) في الأصلين : « منهم » . وما أثبتناه عن تاريخ سلاطين المماليك .
(٣) في الأصلين : « ومنع الخوف » . وما أثبتناه عن عيون التواريخ . (٤) زيادة عن تاريخ
سلاطين المماليك . (٥) في الأصلين هنا أيضا : « ضياء الدين محمدا أبا عبد الله » . وتصحيحه
عما تقدم ذكره في الحاشية رقم ٣ ص ١٣٥ من هذا الجزء . (٦) كذا في تاريخ سلاطين المماليك .
وفي الأصلين : « فاذا عاد بالجواب » .

منكم في إجابتنا للصلح صدق النبوة ؛ ونُهدى إليكم من بلادنا ما يليق أن تُهديه
إليكم ، والسلام الطيب منا عليكم . إن شاء الله تعالى . »

- فلما سَمِعَ الملك الناصر الكتاب استنشار الأمراء في ذلك ، وبعد أيام طلبوا قاضي
الموصل (أعنى الرسول) المقدم ذكره من عند قازان ، وقالوا له : أنت من أكابر
العلماء وخيار المسلمين ، وتعلم ما يجب عليك من حقوق الإسلام والنصيحة للدين ؛
فنحن ما نتقاتل إلا لقيام الدين ؛ فإن كان هذا الأمر قد فعلوه حيلةً ودهاءً فنحن
نحلف لك أن ما يطلع على هذا القول أحدٌ من خلق الله تعالى ، ورغبوه غاية الرغبة ؛
فحلف لهم بما يمتدونه أنه ما يعلم من قازان وخواصه غير الصلح وحقن الدماء ورواج
التجار وبجبتهم وإصلاح الرعية . ثم إنه قال لهم : والمصلحة أنكم تتفقون وتبْقُون
على ما أتم عليه من الاهتمام بصدوكم ، وأتم فلکم عادة في كل سنة تخرجون
إلى أطراف بلادكم لأجل حفظها فتخرجون على عادتكم ؛ فإن كان هذا الأمر
خديعةً فيظهر لكم فتكونون مستيقظين ؛ وإن كان الأمر صحيحاً فتكونون قريبين
منهم فينتظم الصالح وتُحقن الدماء فيما بينكم . فلما سمعوا كلامه رأوه ما فيه غرض
وهو مصلحة ، فشرعوا لعينوا من يروح في الرسالة ، فعينوا جماعةً ، منهم الأمير
شمس الدين [محمد] بن التتقي ، والخطيب شمس الدين الجوزي خطيب جامع
آبن طولون ، قشقع آبن الجوزي حتى تركوه ، وعينوا القاضي عماد الدين بن السكري

(١) في الأصلين : « منه » . وما أثبتناه عن تاريخ سلاطين المالك . (٢) تكملة عن

السلوك . (٣) في أحد الأصلين : « شمس الدين بن الجزري » . (٤) راجع الحاشية

رقم ١٠ ص ١٠٦ من هذا الجزء . (٥) هو عماد الدين علي بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن محمد

ابن عبد العلي المعروف بابن السكري . كان خطيب جامع الحاكم مدرس مشهد الحسين . توفي سنة ٥٧١٣ هـ .
(٦) عن الدرر الكامنة وشرذات الذهب) .

خطيب جامع الحاکم^(١)، وهو ناظر دار العدل بالديار المصرية، وشخصاً أمير آخور من البرجية . ثم إن السلطان أخذ في تجهيز أمرهم إلى ما يأتي ذكره .

ثم استقر السلطان في سنة إحدى وسبعائة بالأمير عز الدين أبيك البغدادى المنصورى، أحد الأمراء البرجية في الوزارة عوضاً عن شمس الدين سُتقر الأعرس . وجلس في قلعة الجبل بخليعة الوزارة، وطلع إليه جميع أرباب الدولة وأعيان الناس .

(١) جامع الحاکم، يستفاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على هذا الجامع (ص ٢٧٧ ج ٢) : أن الذى أسسه هو الخليفة العزيز بالله زار بن الميزان فى سنة ٣٨٠ هـ وفى شهر رمضان سنة ٣٨١ هـ صلى به الجمعة قبل أن يكمل بناؤه . ولما خلفه ولده الخليفة الحاکم بأمره فى سنة ٣٩٣ هـ باتمام بناؤه . وفى سنة ٤٠٣ هـ كل بناء الجامع وفرش وأقيمت به صلاة الجمعة يوم ٥ رمضان من السنة المذكورة . وهو مبنى بالأجر ماعدا منارتيه والباب العام فهى من الحجر المنحوت . وقد أبطل السلطان صلاح الدين خطبة الجمعة من الجامع الأزهر وأقرها بهذا الجامع فتعطلت إقامة الشعائر بالأزهر بسبب ذلك نحو مائة سنة . وفى سنة ٧٠٢ هـ وقع زلزال فهدمت العقود والأكتاف الحاملة لسقف الجامع وسقط السقف كما سقطت قنات المنذنين . وفى سنة ٧٠٣ هـ أصلح ماسقط وأثبت رابض هذا الإصلاح على لوح مثبت بأعلى الباب العام، وكان ذلك فى أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون، ثم أصلح مرة ثانية فى أيام الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون، وحصلت به تجديدات أخرى أهمها الإصلاحات التى قام بها السيد عمر مكيم نقيب الأشراف فى سنة ١٢٢٣ هـ .

أقول : إن الباب العام الكبير لهذا الجامع يقع داخل عطفة الجامع من شارع الميزانين الله (شارع باب الفتوح سابقاً)، وإن أمير الجيوش بدر الجمالى لما أنشأ سور القاهرة البحرى فى سنة ٤٨٠ هـ جعله ملاصقاً للباطل البحرى للجامع فى المسافة بين باب الفتوح وباب النصر، وبذلك أصبح جامع الحاکم داخل سور القاهرة بعد أن كان خارجاً عن السور القديم .

وبسبب سعة هذا الجامع الذى يبلغ مسطحه ١٤٠٠ متر مربع تغذر الصرف عليه فنخرت ولم يبق منه إلا بوابته ومنارته وبعض عقود بالإيران الشرقى وبقيت عقود بإيراناته الأخرى . ولأنه مغطى قد جعلته وزارة الأوقاف مخزناً عاماً لحفظ أدوات المساجد والمعارات، وفى فى صحنه أول متحف للآثار العربية فى سنة ١٣٠١ هـ = سنة ١٨٨٣ م إلى أن أنشئت دارها الحالية بميدان باب الخلق فقطت إليها الآثار وحلت مدرسة السلاح دار الابتدائية فى مكان المتحف القديم .

وبما لفت النظر فى هذا الجامع الزخارف المفقوشة على جانبي الباب العام ومنارته العاليتان ذواتا الشكل الهرمى الناقص والقسم المستدير الذى بداخلهما الحافل بالزخارف والتكاثبات الكوفية، ثم الشايك الحصى بالإيران الشرقى المشتلة على آيات قرآنية بالخط الكوفى فى دائرها .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٣٦ من الجزء السابع من هذه الطعة .

- وأَيْتِكَ هذا هو الرابع من الوزراء الأمراء الأتراك بالديار المصرية، الذين كان تُضرب على أبوابهم الطبلخاناه على قاعدة الوزراء بالعراق زمن الخلفاء، فأولهم الأمير علم الدين سنجر الشجاعى المنصورى. ثم ولى بعده الأمير بدر الدين بيدرا، ولما ولى بيدرا نيابة السلطنة أعيد الشجاعى، وبعده ابن السلّوس وليس هما من العدد، ثم الخليلى وليس هو من العدد. ثم بعد الخليلى، ولى الأمير شتقر الأعسر الوزر، وهو الثالث. ثم بعده أيتك هذا وهو الرابع. وكان الوزر يوم ذاك فى رتبة النيابة بالديار المصرية، ونيابة السلطنة كانت يوم ذاك دون السلطنة. انتهى.

- وفى يوم الأحد تاسع عشر المحرم من سنة إحدى وسبعائة، رَمَمَ السلطان لجميع الأمراء والمقّدمين بمصر والقاهرة أن يخرجوا صحبة السلطان إلى الصيد نحو العباسية، وأن يستصحبوا معهم عقيق عشرة أيام، وسافر السلطان بأكثر العسكر والجميع بعُثتهم فى بُكْرَةِ يوم الاثنين فى العشرين من المحرم. ونزل إلى بركة الجحّاج^(١) وتبعه جميع الأمراء

- (١) يستفاد مما ورد من هذه القرية فى معجم البلدان لياقوت وفى الخطط القرية (ص ٢٣٢ ج ١) أنه لما غلبت قطر الندى بنت نهارويه بن أحمد بن طولون إلى الخليفة المحتضد باقه أحمد بن الموفق طلمة العياشى خرجت العباسية بنت أحمد بن طولون مع قطر الندى بنت أخيها لوداعها عند سفرها من مصر إلى بغداد فى أواخر سنة ٢٨١ هـ وقد أقیم فى المكان الذى وقع فيه الوداع فساطيط (خيام) نزلت بها العباسية ومن معها. وهذا المكان كان فى ذلك الوقت فى نهاية الأراضى الزراعية بأرض مصر من الجهة الشرقية، وفى أول حدود الصحراء الفاصلة بين مصر والشام، فلما نزلت هناك العباسية أنجبها موقع هذا المكان وأمرت ببناء قرية فيه فبنيت فى سنة ٢٨٢ هـ وصيحت العباسية نسبة إليها. وكانت العباسية فى ذلك الوقت أول قرية يلقاها القادم من الشام إلى مصر بوادى السدير الذى يعرف اليوم بوادى الطميلات نسبة إلى جماعة من العرب يعرفون بالطميلات.

- والعباسية هذه لا تزال موجودة إلى اليوم وهى إحدى قرى مركز الإقازيق بمديرية الشرقية، وعندها يتفرع طريق الإسماعيلية العسكرية إلى طريقين: أحدهما يجه إلى الاسكندرية عن طريق الإقازيق وطعنا وكفر الزيات، والثانى يجه إلى القاهرة عن طريق بليس، ثم يسير بجوار القرية الإسماعيلية إلى أبى زعبل وسر باقوس، وعند مسطرد يتطّلع الطريق إلى الشرق فيمر على المطرية وبقية عند مصر الجديدة.
- (٢) فى الأسلين هنا: « بركة الحاج ». راجع الحاشية رقم ١ ص ٨١ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.

والمقدمين والعساكر، وبعد سفره سيّروا طلبوا القضية الأربعة فتوجّهوا إليه،
 واجتمعوا بالسلطان في بركة الحجّاج وعادوا إلى القاهرة، ثم شرّعوا في تجهيز رسل فازان،
 وتقدّم دهلّيز السلطان إلى الصالحية^(١)، ودخل السلطان والأمراء إلى البرية^(٢) بسبب
 الصيد . فلما كان يوم الاثنين عشية النهار وصل السلطان والأمراء إلى الصالحية،
 فخلع على جميع الأمراء والمقدمين، وكان عدّة ما خلّج أربعائة وعشرين خلعاً، وكان
 الرسل قد سّفروهم من القاهرة وأنزلوهم بالصالحية، حتى إنهم يجمعون بالسلطان
 عند حضوره من الصيد . فلما حضر الأمراء قدّام السلطان بالخلع السنيّه وتلك الهيئته
 الجميلة الحسنّة أذهل عقول الرسل ممّا رأوا من حسن زيّ عسكر الديار المصرية
 بخلاف زيّ التّار، وأحضروا الرسل في الليل إلى الدهليز إلى بين يديّ السلطان، وقد
 أوقدوا شموعاً كثيرة ومشاعل عديدة وفوانيس وأشياء كثيرة من ذلك نتجاوز عن
 الحد بحيث إن البرية بقيت حمراء تتلّهب نورا ونارا، فتحدّثوا معهم ساعة، ثم أعطوهم
 جواب الكتاب، وخلعوا عليهم خلّع السفر وأعطوا لكل واحد من الرسل عشرة آلاف
 درهم وقاشا وغير ذلك . ونسخة الكتاب المسير إليهم صورته :

« بسم الله الرحمن الرحيم : علّمنا ما أشار الملك إليه، وعول في قوله [وفعله]^(٤)
 عليه ؛ فأتنا قول الملك : قد جمعنا وإياكم كلمة الإسلام ! وإنه لم يطرّف بلادنا
 ولا قصدها إلا لما سبق به القضاء المحتوم، فهذا الأمر غير مجهول [بل] هو عندنا

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) البرية ،
 المقصود بها هنا أرض الصحراء الشرقية وما يجاورها من البرك في المنطقة المتاخمة لبلاد مركزي الرقازيق
 وقافوس بمديرية الشرقية بمصر، حيث توجد مناطق صيد الوحوش والحجوانات البرية والطيور .

(٣) وردت صيغة جواب الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى فازان في عقد الجان في حوادث
 سنة ٥٧٠١ هـ في صبح الأعشى (ج ٧ ص ٢٢٠ - ٢٤٣) وهو فيها بأسلوب واحد ويخالف
 سائر الأهلين وتاريخ سلاطين المسالك كل المخالفة . (٤) زيادة عن تاريخ سلاطين المسالك .

معلوم ؛ وإن السبب في ذلك غارة بعض جيوشنا على ماريدين ، وإنهم قتلوا وسبوا
وهتكوا الحرم وفعلوا فعل من لاله دين ؛ فالملك يعلم أن غارتنا ما برحت في بلادكم ،
مستمرة من عهد آبائكم وأجدادكم ؛ وأن من فعل ما فعل من الفساد ، لم يكن رأيينا
ولا من أمرائنا ولا الأجناد ؛ بل من الأطراف الطامعة ممن لا يؤبه إليه ، ولا يعول
في فعل ولا قول عليه ؛ وأن معظم جيشنا كان في تلك الغارة إذا لم يجدوا
ما يشترونه للقوت صاموا لثلا يأكلوا ما فيه شبهة أو حرام ، وأنهم أكثر ليلهم سجدة
ونهارهم صيام .

وأما قول الملك ابن الملك الذي هو من أعظم القان فيقول قولاً يقع عليه الرد
من قريب ، ويزعم أن جميع ما هو عليه من علمنا ساعة واحدة يغيب ؛ ولو يعلم أنه
لو قلب في مضجعه من جانب إلى جانب ، أو خرج من منزله راجلاً أو راكباً ؛
كان عندنا علم من ذلك في الوقت القريب ؛ [ويحقق أن أقرب بطائنه إليه ، هو
العين لنا عليه ، وإن كثرت ذلك لديه] . ونحن نتحقق أن الملك بقي عامين يجمع
المجوع ، ويتنصر بالتابع والمتبوع ؛ وحشد وجمع من كل بلد وأعصده بالنصارى والكُرج
والأرمن ، وأستنجد بكل من ركب فرسا من فصيح والكن ؛ وطلب من المسومات
خيولا وركاب ، وكثر سوادا وعدد أطلاب ؛ ثم إنه لما رأى أنه ليس له بجيشنا
قبل في المجال ، عاد إلى قول الزور والمحال ، والخديعة والاحتيال ؛ وتظاهر يدين
الإسلام ، وأشتهر به في الخاص والعام ؛ والباطن بخلاف ذلك ، حتى ظن جيوشنا

(١) كذا في تاريخ سلاطين المالك . وفي الأصلين : « وأن من فعل ما فعل من العساكر »

وهو تحريف . (٢) في الأصلين : « ولقد بلغ أن معظم جيشنا الخ » . وما أتينا عن تاريخ

سلاطين المالك . (٣) كذا في تاريخ سلاطين المالك . وفي الأصلين : « وأما قول الملك

أنا الملك الذي هو من أعظم القان يقول قولاً الخ » . (٤) زيادة عن تاريخ سلاطين المالك .

وأبطالنا أن الأمر كذلك ؛ فلما [التقينا معه ^(١)] كان معظم جيشنا يمتنع من قتاله ،
 ويبعد عن نزاله ؛ ويقول : لا يجوز لنا قتال المسلمين ، ولا يحل قتل من يتظاهر
 بهذا الدين ؛ فلهذا حصل منهم الفشل ، وبتأثرهم عن قتالكم حصل ما حصل ؛
 وأنت تعلم أن الدائرة كانت عليك . وليس يرى من أصحابك إلا من هو نادم أو باكي ،
 أو فاقد عزيز عنده أو شاكي ؛ والحرب بحال يوم لك ، ويوم عليك ؛ وليس ذلك
 مما تُعاب به الجيوش ولا تُقهر ، وهذا بقضاء الله وقدره المقدر .

وأما قول الملك إنه لما ألتقى بجيشنا مرقهم كل مُزق ، فتل هذا القول ما كان
 يليق بالملك أن يقوله أو يتكلم به ، وهو يعلم وإن كان ما رأى بل يسأل كبراء
 دولته وأمرأه عساكره عن وقائع جيوشنا ومراتب سيوفنا من رقاب آبائه
 وأجداده ، وهى إلى الآن تقطر من دماهم ؛ وإن كنت نصرت مرة فقد كُسرَتْ
 آباؤك مرار ، وإن كان جيشك قد داس أرضنا مرة فبلادكم لغارتا مقام وجليوشنا
 قرار ؛ وكما تدين تدان .

وأما قول الملك : إنه ومن معه اعتقدوا الإسلام قولاً وفعلاً وعملاً ونيةً ، فهذا
 الذى فعلته ما فعله من هو متوجه إلى هذه البنية ، أعنى الكعبة المضية فإن الذى
 جرى بظاهر دمشق وجبل الصالحية ليس يخفى عنك ولا مكتوم ^(٢) ، وليس هذا هو
 فعل المسلمين ، ولا من هو متمسك بهذا الدين ؛ فإن وكيف وما الحجة ! وحرّم البيت
 المقدس شرب فيه الخمر ، وتهتك الستور ، وتفتض البكور ؛ ويُقتل فيه المجاورون ،

(١) الكلمة من تاريخ سلاطين المماليك . (٢) فى الأصلين : « ورأيت كيف كانت ليس

إلا نادماً .. الخ » وهو تحريف . وما أثبتناه عن تاريخ سلاطين المماليك . (٣) لم ترد هذه

الكلمة فى تاريخ سلاطين المماليك . (٤) عبارة الأصاين : « وليس يخفى عنه ولا مكتوم » .

وفى تاريخ سلاطين المماليك : « ليس يخاف عن الملك ولا مكتوم » .

- وَيُسْتَأْسِرُ خُطْبَاؤُهُ [وَالْمُؤَذِّنُونَ]^(١)؛ ثُمَّ عَلَى رَأْسِ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ، تُعَلَّقُ الصُّلْبَانُ، وَتُهْتَكُ النِّسْوَانُ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْكَافِرُ سَكَرَانٌ؛ فَإِنْ كَانَ هَذَا عَنْ عِلْمِكَ وَرِضَاكَ، فَوَاحِشَتُكَ فِي دُنْيَاكَ وَأُخْرَاكَ؛ وَيَا وَيْلَكَ فِي مَبْدُوكَ وَمَعَادِكَ، وَعَنْ قَلِيلٍ يُؤْذَنُ بِخِرَابِ عَمْرِكَ وَبِلَادِكَ، وَهَلَاكِ جَيْشِكَ وَأَجْنَادِكَ؛ وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَعْلَمْ بِذَلِكَ فَقَدْ أَعْلَمْنَاكَ، فَاسْتَدِرْكَ مَا فَاتَ فُلَيْسَ مَطْلُوبًا بِهِ سِوَاكَ؛ وَإِنْ كُنْتَ كَمَا زَعَمْتَ أَنَّكَ عَلَى دِينِ
- الإِسْلَامِ، وَأَنْتَ فِي قَوْلِكَ صَادِقٌ فِي الْكَلَامِ، وَفِي عِقْدِكَ صَحِيحُ النِّظَامِ؛ فَأَقْتُلِ الطَّوْأَمِينَ الَّذِينَ فَعَلُوا هَذِهِ الْفَعَالِ، وَأَوْقِعْ بِهِمْ أَكْثَرَ النِّكَالِ؛ لِنَعْلَمَ أَنَّكَ عَلَى بَيْضَاءِ الْحَجَّةِ، وَكَانَ فَعْلُكَ وَقَوْلُكَ أَلْبَغَ حُجَّةٍ؛ وَلَمَّا وَصَلْتَ جِيوشَنَا إِلَى الْقَاهِرَةِ الْمَحْرُوسَةِ وَتَحَقَّقُوا أَنَّكُمْ تَنْظَاهَرْتُمْ بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَخَدَعْتُمْ بِالْيَمِينِ وَالْإِيمَانِ، وَأَنْتُمْ تَصْرَتُمْ عَلَى قَتْلِهِمْ بَعْدَةَ الصُّلْبَانِ؛ أَجْتَمَعُوا وَتَأَهَّبُوا وَخَرَجُوا بِعَزَمَاتٍ مُحَدِّثَةٍ، وَقُلُوبٍ بِدْرِيَّةٍ، وَهَمَمٍ
- عَلِيَّةٍ، عِنْدَ اللَّهِ مَرْضِيَّةٍ؛ وَحَدَّوْا السَّيْرَ فِي الْبِلَادِ، لِيَتَشَفَّوْا مِنْكُمْ غَلِيلَ الصَّدُورِ وَالْأَكْبَادِ؛ فَمَا وَسَّعَ جَيْشُكُمْ إِلَّا الْفِرَارَ، وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَى اللَّقَاءِ صَبْرٌ وَلَا قَرَارٌ؛ فَأَنْدَفَعْتُ عَسَاكِرُنَا الْمَنْصُورَةَ مِثْلَ أَمْوَاجِ الْبَحْرِ الزَّخَارِ إِلَى الشَّامِ، يَقْصِدُونَ دُخُولَ بِلَادِكُمْ لِيُظْفَرُوا بِثِيْلِ الْمَرَامِ، نَخْشِينَا عَلَى رِعْيَتِكُمْ تَهْلُكَ، وَأَنْتُمْ تَهْرَبُونَ وَلَا تَجِدُونَ إِلَى النِّجَاةِ مَسْلَكٌ؛ فَأَمْرُنَاهُمْ بِالْمُقَامِ، وَلَزُومِ الْأَهْبَةِ وَالْأَهْتِمَامِ؛ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا.
- وَأَمَّا مَا تَحْمَلُهُ قَاضِي الْقَضَاةِ مِنَ الْمَشَافَهَةِ، فَإِنَّا سَمِعْنَاهُ وَوَعَيْنَاهُ وَتَحَقَّقْنَا تَضَمُّنَهُ مَشَافَهَةً؛ وَنَحْنُ نَعْلَمُ عِلْمَهُ وَنُسْكُهُ وَدِينَهُ وَفَضْلَهُ الْمَشْهُورَ، وَزُهْدَهُ فِي دَارِ الْغُرُورِ؛ وَلَكِنْ قَاضِي الْقَضَاةِ غَرِيبٌ عَنْكُمْ بَعِيدٌ مِنْكُمْ، لَمْ يُطْلَعْ عَلَى بَوَاطِنِ قَضَايَاكُمْ وَأُمُورِكُمْ، وَلَا يَكَادُ يَظْهَرُ لَهُ خَفَى مُسْتَوْرِكُمْ؛ فَإِنْ كُنْتُمْ تَرِيدُونَ الصِّلَحَ وَالْإِصْلَاحَ، وَبَوَاطِنَكُمْ كُظُوهَاكُمْ مُتَابَعَةً فِي الصِّلَاحِ؛ وَأَنْتِ أَيُّهَا الْمَلِكُ طَالِبُ الصِّلَحِ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَلَيْسَ

في قولك مَن ولا يشوبه تخيُّق؛ فنحن نقلدك^(١١) [سيف] البغي، ومن سل سيف البغي قُتِلَ به، ولا يحيق المكر السيِّئ إلا بأهله؛ فيُرسل إلينا من خواص دولتك رجلٌ يكون منكم مَن إذا قطع بأمرٍ وقفتم عنده، أو فصل حكماً آتيتم إليه، أو جزم أمراً عولتم عليه؛ يكون له في أول دولتكم حُكْمٌ وتمكين، وهو فيما يُعَوَّل عليه ثقةٌ أمين؛ لتتكلَّم معه فيما فيه الصلاح لذات البين، وإن لم يكن كذلك عاد بنحفي حنين.

وأنما ما طلبه الملك من الهدية من الديار المصرية فليس نجعل عليه، ومقداره عندنا أجل مقدار وجميع ما يُهدى إليه دون قدره، وإتّما الواجب أن يُهدى أولاً من آسَتهدى؛ لتُقابل هديته بأضعافها، وتحقق صدق نيته، وإخلاص سريره؛ ونفعل ما يكون فيه رضا الله عز وجل ورضا رسوله في الدنيا والآخرة. لعل صَفَقَتَنَا رابحة في معادنا غير خاسرة. والله تعالى الموفق للصواب. انتهى.

ثم سافر القصاد المذكورون، وعاد السلطان من الصيد في ثالث صفر إلى بركة الحجاج وألقى أمير الحاج وهو الأمير سيف الدين بكتُمُر الجوكندار أمير جاندار، وصحبته ركب الحاج والمحمل السلطاني، فنزل عنده السلطان وخلع عليه؛ ثم ركب ونوجه حتى صعد قلعة الجبل عصر النهار، ودخل عَقِيبَ دخوله المحمل والحجاج، وشكر الحاج من حسن سيرة بكتُمُر المذكور مع سرعة مجيئه بخلاف العادة؛ فإن العادة كانت يوم ذاك دخول المحمل في سابع صفر، وقبل ذلك وبعد ذلك. وعمل بكتُمُر في هذه السفرة من الخيرات والبر والخلع على أمراء الحجاز وغيرهم شيئا كثيرا؛ قيل: إن جملة ما أنفق في هذه السفرة خمسة وثمانون ألف دينار مصرية، تقبل الله تعالى منه. ثم في صفر هذا وصل الخبر إلى السلطان بأن قازان على عزم الركوب وقصد الشام، وأن مقدم عساكره الأمير بولاي قد قارب

(١) زيادة عن تاريخ سلاطين المماليك.

- الْقُرَات ، وَأَنَّ الَّذِي أَرْسَلَهُ مِنَ الرِّسْلِ خَدِيعَةٌ . فَعِنْدَ ذَلِكَ شَرَعَ السُّلْطَانُ فِي تَجْهِيْزِ الْعَسَاكِرِ ، وَتَهْيِئَةِ الْخُرُوجِ إِلَى الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ ، ثُمَّ فِي أَثْنَاءِ ذَلِكَ وَرَدَّ عَلَى السُّلْطَانِ قَاصِدُ الْأَمِيرِ كَتَبْنَا الْمَنْصُورِيَّ نَائِبَ صَرَخَدَ ، وَكَتَبْنَا هَذَا هُوَ الْمَلِكُ الْعَادِلُ الْمَخْلُوعُ بِالْمَلِكِ الْمَنْصُورِ لِأَجِينِ الْمَقْدَمِ ذِكْرَهُمَا ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ وَقَعَ بَيْنَ حَمَاةٍ وَحِمَصٍ وَحَصْنِ الْأَكْرَادِ بَرْدٌ وَفِيهِ شَيْءٌ عَلَى صُورَةِ بَنِي آدَمَ مِنَ الذَّكُورِ وَالْإِنَاثِ ، وَصُورَ قُرُودٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَتَعَجَّبَ السُّلْطَانُ وَغَيْرُهُ مِنْ ذَلِكَ . ثُمَّ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ ثَامِنِ عَشَرَ جُمَادَى الْأُولَى فِي وَقْتِ السَّحْرِ تَوَقَّى الْخَلِيفَةُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَلِيٍّ الْهَاشِمِيُّ الْعَبَّاسِيُّ بِمَسْكَنِهِ بِالْكَبْشِ ظَاهِرَ الْقَاهِرَةِ وَمَصْرَ الْمُطَّلَّ عَلَى بَرَكَةِ الْفِيلِ ، وَخُطِبَ لَهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِجَوَامِعِ الْقَاهِرَةِ وَمَصْرَ ، فَإِنَّهُمْ أَخْفَوْا مَوْتَهُ إِلَى بَعْدِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ ، فَلَمَّا أَنْقَضَتِ الصَّلَاةُ سَيَّرَ الْأَمِيرُ سَلَارَ نَائِبَ السُّلْطَانَةِ خَلْفَ جَمَاعَةِ الصُّوفِيَّةِ وَمَشَائِخِ الزُّوَايَا وَالرُّبُطِ وَالْفُضَاةِ وَالْعِلْمَاءِ وَالْأَعْيَانِ مِنَ الْأُمَرَاءِ وَغَيْرِهِمْ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَتَوَلَّى غُسْلَهُ وَتَكْفِينَهُ الشَّيْخُ كَرِيمُ الدِّينِ شَيْخُ الشُّيُوخِ بِمَخَانِقَاهُ

- (١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ » . وَتَصْحِيحُهُ عَمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ لِلْوَلَفِ (ج ٧ ص ١١٨) وَالِدُ الدَّرْرِ الْكَامَةِ . (٢) رَاجِعِ الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ٢ ص ٧٢ مِنَ الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ . (٣) رَاجِعِ الْحَاشِيَةِ رَقْمَ ٣ ص ٣٦٥ مِنَ الْجُزْءِ السَّابِعِ مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ . (٤) الزُّوَايَا مُفْرَدُهَا زَاوِيَةٌ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَسْمُ يُطْلَقُ قَدِيمًا عَلَى كُلِّ مَسْجِدٍ صَغِيرٍ ، فِيهِ أَحَدُ الرِّجَالِ الْمَشْهُورِينَ بِالْفَقْوِ وَالصَّلَاحِ ، يَقُومُ بِوُضُوءِ الْعِظِّ وَالْإِرْشَادِ لِمَنْ يَتَوَدَّدُ عَلَى زَاوِيَتِهِ مِنَ النَّاسِ . وَأَمَّا الْآنَ فَيُطْلَقُ أَسْمُ زَاوِيَةٍ عَلَى كُلِّ مَسْجِدٍ صَغِيرٍ لَيْسَ لَهُ مِثْلُهُ وَلَيْسَ فِيهِ مَنْبَرٌ يَخْطُبُ عَلَيْهِ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ . وَكُلُّ مَسْجِدٍ فِيهِ مَنْبَرٌ يُسَمَّى جَامِعًا حَيْثُ يَجْتَمِعُ النَّاسُ فِيهِ وَيَخْطُبُ عَلَى مَنْبَرِهِ فِي صَلَاةِ الْجُمُعَةِ - (٥) الرِّبُطُ مُفْرَدُهَا رِبَاطٌ ، وَقَدْ شَرَحَ الْمُفَرِّزِيُّ فِي خَطِّطِهِ (ص ٤٢٧ ج ٢) مَعْنَى كَلِمَةِ رِبَاطٍ فِي جَمِيعِ أَوْضَاعِهَا ، وَالَّذِي يَقْصِدُهُ الْمُؤَلِّفُ مِنْهَا هِيَ الرِّبَاطُ أَيْ الدُّورُ الَّتِي يَسْكُنُهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الصُّوفِيَّةِ أَهْلُ طَرِيقِ اللَّهِ الرَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا وَالْمُقِيمِينَ فِي الرِّبَاطِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ . يَدْفَعُونَ بِذُنُوبِهِمُ الْبَلَاءَ عَنِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ . (٦) هُوَ عَبْدُ الْكَرِيمِ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَمَلِيُّ الطُّبْرِيَّ كَرِيمُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ شَيْخُ الْخَلَفَاءِ السَّعِيدِيَّةِ بِالْقَاهِرَةِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٥٧١ هـ عَنْ الْمَهْلِ الصَّافِي وَالِدُ الدَّرْرِ الْكَامَةِ .

(١١) سعيد السعداء ، ورئيس المغسّلين بين يديه ، وهو عمر بن عبد العزيز الطونخي ، وحُمل من الكبش إلى جامع أحمد بن طولون ، ونزل نائب السلطنة الأمير سلار ، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الأستاذ دار ، وجميع الأمراء من القلعة إلى الكبش ، وحضروا تغسيله ومشّوا أمام جنازته إلى الجامع المذكور ، وتقدّم للصلاة عليه الشيخ كريم الدين المذكور ، وحُمل إلى تربته بجوار السيدة نفيسة ودُفن بها ، بعد أن أوصى بولاية العهد إلى ولده أبي الربيع سليمان ، وتقدير عمره فوق العشرين سنة . وكان السلطان طلبه في أول نهار الجمعة قبل الإشاعة بموت والده ، وأشهد عليه أنه ولي الملك الناصر محمد بن قلاوون جميع ما ولّاه والده وفوضه إليه ، ثم عاد إلى الكبش . فلما فرغت الصلاة على الخليفة رُدّ ولده المذكور وأولاد أخيه من جامع ابن طولون إلى دورهم ، ونزل من القلعة خمسة خدام من خدام السلطان ، وقعدوا على باب الكبش صفة الترسيم عليهم ، وسير السلطان يستشير قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد الشافعي في أمر سليمان المذكور ، هل يصلح للخلافة أم لا ؟ فقال : نعم يصلح وأبني

(١) خاتمه سعيد السعداء ، علاوة على ما سبق ذكره في التعليق عليها (ج) الحاشية رقم ٤ ص ٥٠ من هذه الطبعة) أذكر أن هذه الخاتمة ويقال لها الخاتمة : معناها هنا الدار التي يجنح فيها الصوفية لعبادة الله تعالى . وذكر المقرئ في خطه (ص ١٥٤ ج ٢) : أن هذه الخاتمة كانت في أول عهد دارا تعرف بدار سعيد السعداء ، وهو الأستاذ قنبر ويقال له عنبر ، وذكر ابن ميسر أن اسمه بيان ولقبه سعيد السعداء أحد الأستاذين المحكين خدام القصر وعنيق الخليفة المستنصر الفاطمي ، قتل يوم ٧ شعبان سنة ٥٤٤ هـ ، ثم سكنها من بعده الوزير العادل رزيق بن الصالح طلائع بن رزيق ، ثم سكنها بعده الوزير شاور بن مجير السعدى ، ثم ابنه الكامل . ولما استقل الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر عمل هذه الدار برسم الفقراء الصوفية الواردين من البلاد الخارجة عن مصر ووقفها عليهم في سنة ٥٦٩ هـ ، وقد عمل في هذه الدار بعد ذلك تغييرات في مبانيها فصارت بشكلها الحالي مسجدا يعرف اليوم بجامع سعيد السعداء بشارع الجبلية بالقاهرة . (٢) تربة الخليفة الحاكم ، هذه التربة لا تزال وجوده إلى اليوم داخل قبة أثرية يرجع أنها أنشئت في عصر الملك الظاهر بيبرس البندقداري ، لأنه هو الذي مهد الإقامة في مصر للخلفاء الباسيين ، ثم دفن أحد أولاده بها ، وهذه القبة تشبه في عمارتها قبة الملكة شجرة الدر القريبة العهد منها . وتعرف قبة أو تربة الخلفاء الباسيين الذين استوطنوا مصر في عهد الملك الظاهر بيبرس إلى الفتح العثماني ، وهذه القبة مجاورة لمقام السيدة نفيسة رضى الله عنها خارج جامعها من الجهة الشرقية .

عليه ، وبقي الأمر موقوفاً إلى يوم الخميس رابع عشرين جمادى الأولى المذكور .
 فلما كان بكرة النهار المذكور طلب سليمان إلى القلعة فطلع هو وأولاد أخيه بسبب
 المبايعة فأمضى السلطان ماعهد اليه والدّه المذكور بعد فصول وأمر بطول شرحها
 بينه وبين أولاد أخيه ، وجلس السلطان وخلع على أبي الربيع سليمان هذا خلعة
 الخلافة ، وثبت بالمستكنى ، وهى جبة سوداء وطرحه سوداء ، وخلع على أولاد
 أخيه خلع الأمراء الأكابر خلعا ملونة . وبعد ذلك بايعه السلطان والأمراء
 والقضاة والمقدمون وأعيان الدولة ، ومدوا السباط على العادة ، ثم رسم له
 السلطان بنزوله إلى الكبش وأجرى راتبه الذى كان مقررا لوالده وزيادة ، ونزلوا
 إلى الكبش وأقاموا به إلى يوم الخميس مستهل جمادى الآخرة حضر من عند السلطان
 المهتمندار^(١) ومعه جماعة وصحبتهم جمال كثيرة ، فنقلوا الخليفة وأولاد أخيه ونساءهم
 وجميع من يلوذ بهم إلى قلعة الجبل ، وأنزلوهم بالقلعة في دارين : الواحدة تسمى
 بالصالحية ، والأخرى بالظاهرية ، وأجرؤا عليهم الرواتب المقررة لهم ، وكان في يوم
 الجمعة ثانى يوم المبايعة خطب بمصر والقاهرة للمستكنى هذا ، ورسم بضرب اسمه على
 سكة الدينار والدرهم . انتهى .

١٥ وكان السلطان قبل ذلك أمر بخروج تجريدة إلى الوجه القبلى لكثرة فساد
 العربان وتعدي شرم في قطع الطريق إلى أن قرؤوا على التجار وأرباب المعاش
 بأسيوط ومنفلوط فرائض جبّوها شبه الجالية^(٢) ، وأسحقوا بالولاية ومنعوا الخراج^(٣)

(١) المهتمندار ، هو الذى يتصدى لتلق الرسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة .
 ويحدث في القيام بأمرهم . وهو مركب من لفظين فارسيتين : أحدهما مهمن (بفتح الميم الأولى) ومعناه الضيف .
 والثانى مسك ويكون معناه مسك الضيف ، والمراد المتصدى لأمره . (عن صبح الأعشى ج ٤ ص ٤٥٩) .
 (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣١٣ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية
 رقم ٢ ص ٩٣ من هذا الجزء . (٤) الجالية مفرد الجوالى ، وهى ما يؤخذ من أهل الذمة من
 الجزية المقررة على قاجهم في كل سنة (صبح الأعشى ج ٣ ص ٦٢ ونهاية الأرب ج ٨ ص ٢٣٦) .

وتسموا بأسماء الأمراء، وجعلوا لهم كبيرين: أحدهما سموه سَلار، والآخر بيدر،
ولبسوا الأسلحة وأخرجوا أهل السجون بأيديهم؛ فاحضر السلطان الأمراء والقضاة
[والفقهاء^(١)] واستفتوهم في قتالهم، فافتوهم بجواز ذلك؛ فاتفق الأمراء على الخروج
لقتالهم، وأخذت الطرق عليهم لثلاثا يمتنعوا بالجبال والمنافذ، فيفوت الغرض فيهم،
وأستدعوا الأمير ناصر الدين محمد بن الشيخى متولى الخيزة وندبوه لمنع الناس بأسرهم
من السفر إلى الصعيد في البر والبحر، ومن ظهر أنه سافر كانت أرواح الولاة قبالة
وما ملك، وأشاع الأمراء أنهم يريدون السفر إلى الشام وتجهزوا، وكثبت أوراق
الأمراء المسافرين وهم عشرون مقدما بمضايقيهم، وعينوا أربعة أقسام: قسم يتوجه
في البر الغربي. وقسم يتوجه في البر الشرقي. وقسم يركب النيل. وقسم يمشى في الطريق
السالكة. ويتوجه الأمير شمس الدين سُفْرُ الأعسر، وكان قد قَدِم من الشام، إلى
الوَّاح في خمسة أمراء، وقضروا أن يتأجر مع السلطان أربعة أمراء من المقدمين، ورسم

(١) زيادة عن السلوك. (٢) الواح، ويقال لها الواحات، هي عبارة عن قطع متفرقة من
الأراضي الزراعية في الصحراء الغربية الممتدة غربي وادي النيل بمصر، وتروى أراضيها من ماء يخرج طافيا
من عيون تنبع من باطن الأرض. وأشهر محصولاتها الأرز والبلح والعجوة والفواكه. والواحات الشهيرة
التابعة لمصر أربع واحات وهي:

١ — الواحات البحرية وتعرف بواحي الهنسا واقعة غربي مديرية المنيا والمسافة بينها وبين بلدة
الهنسا التي على بحر يوسف بمديرية المنيا ٢٠٠ كيلو متر. وهذه الواحات هي الآن قسم تابع لمحافظة
الصحراء الغربية ومركزه قرية البابو على ربيع هذا القسم واحة أخرى صغيرة تسمى واحة القرافرة واقعة
جنوبي الواحات البحرية إلى الغرب والمسافة بينهما ١٩٠ كيلو مترا ومقرها قصر القرافرة.

٢ — واحة سيوة وهي التي كانت تسمى قديما سنريه، واقعة غربي الواحات البحرية إلى الشمال
قليلا والمسافة بينهما ٣٤٠ كيلو مترا وبينها وبين مرسى مطروح ٢٩٠ كيلو مترا وهذه الواحة هي الآن
قسم تابع لمحافظة الصحراء الغربية ومركزه سيوة.

٣ — الواحات الخارجة واقعة غربي مديرية فنا وتتصل بوادي النيل بواسطة سكة حديدية طولها
١٩٨ كيلو مترا تخرج من محطة مواصلة الواحات الواقعة في شمال محطة فرشوط بمركز نجع حمادى بمديرية
فنا. وهذه الواحة هي الآن مركز تابع لمحافظة الصحراء الغربية الجنوبية يستل على أربع قرى وقاعدته
بلدة الخارجة.

- إلى كلِّ مَنْ تعيّن من الأمراء لجهة أن يضع السيف في الكبير والصغير والحليل
والحقير، ولا يُبقُوا شيخاً ولا صبيّاً ويحتاطوا على سائر الأموال، وسار الأمير سَلار
نائب السلطنة في رابع بُحَادَى الآخرة ومعه جماعة من الأمراء في البر الغربي،
وسار الأمير بيبرس الجاشنكير بمن معه من الحاجر في البر الغربي أيضاً من طريق
الواحات وسار الأمير بَنَكْاش أمير سلاح بمن معه في البر الشرقي وسار الأمير
قَتال السبع وبيبرس الدودار ولبّان الغلمشي وغيره من الشرقية إلى السويس

١٠ = ٤ — الواحات الداخلة واقعة غربي الواحات الخارجة والمسافة بينهما ١٨٠ كيلومتراً والمسافة
بينها وبين وادي النيل ٣٨٠ كيلومتراً، وعرفت بالداخلة لأنها متوغلة في الصحراء، وهي أكبر الواحات
وأكثرها محصولاً وهي الآن مركز تابع لمحافظة الصحراء الغربية الجنوبية يشتمل على اثنتي عشرة قرية
وقاعدة بلدة موط .

ويفهم من سياق كلام المؤلف أنه يقصد الواحات الخارجة والداخلة لأنهما كانتا تابعتين لعمال الأسبوطية
في ذلك الوقت .

- وكان السفر من مصر إلى الواحات على ظهور الجمال، وكان طويلاً ومتعباً بعد هافي الصحراء. وأما الآن فأصبح
السفر ونقل التجارات من الواحات إلى مصر وبالعكس سهلاً وميسوراً بواسطة السيارات على الطرق الممهدة.
(١) الحاجر، المقصود به هنا الطريق الواقعة على الجانب الغربي لوادي النيل، في الحد الفاصل بين
الأراضي الزراعية والصحراء بالوجه القبلي والفيوم وإقليم البحيرة . (٢) كذا في أحد الأصولين
والسلوك . وفي الأصل الآخر: «القلشي» بالقاف . (٣) في السلوك : «وعرب الشرقية» .
(٤) السويس : ورد في كتاب أحسن التقاسيم للقدمي المتوفى سنة ٣٨٠ هـ عند الكلام على القلزم
أنه بلد قديم على طرف ببحر الصين (يقصد الموصل إلى الصين) وقال إنه بلد يابس، لا ماء، ولا كلاً
ولا زرع فيه وقال : إن الماء يحمل إلى أهله في المراكب من موضع على بعد بر يدي «سويس» . ويستفاد
٢٠ مما ذكره ياقوت في معجم البلدان عند الكلام على القلزم أنها كانت في زمنه خراباً ببابا لذلك صارت القرية
أى الميناء موضعاً قريباً منها يقال لها «سويس» وهي أيضاً كالحراب لقلة سكانها .

- ولما تكلم ياقوت على «السويس» قال : إنها بلدة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) من نواحي
مصر وهو ميناء أهل مصر إلى مكة والمدينة بينها وبين القسطنطينية أيام في برية معطشة وتجعل إليها الميرة
من مصر على ظهور الجمال ثم تطرح في السفن ويتوجه بها إلى الحرمين . ولما تكلم المقرئ في خطه
٢٥ على القلزم (ص ٢١٢ ج ١) ذكر موضعها وأوصافها ثم قال وتربت القلزم وعرف موضعها «بالسويس» .
وبالبحث تبين لي :

١ — أن القلزم تربت في القرن الخامس الهجري ولما كانت مصر في حاجة دائمة إلى مرفأ لها
على البحر الأحمر لنقل التجارة والميرة بين مصر والحجاز واليمن والحبشة وغيرها من البلاد الشرقية أنشأ =

والطور، وسار الأمير قَبَّحُ المنصوري نائب الشام بمن كان معه إلى عَقبة^(١) السيل، وسار طُقُصًا وإلى قُوص بعرب الطاعة، وأخذ عليهم المفازات؛ وقد عُمِّيت أخبار الديار المصرية على أهل الصعيد لَمَنَعَ المسافرين إليها فطرقوا

= التجارية جدة في القرن السادس الهجري في مكان القلزم القديمة واختاروا لها اسم «السويس» وأما فضلوهم على اسم القلزم خراب هذه ولأن «السويس» هو اسم المكان الذي كانت مصدر حياة سكانها اذ كان ينقل منه الماء إلى القلزم .

٢ - يستدل أن «السويس» تقع في ذات المكان الذي كان به بلدة القلزم بما ذكره كل من ياقوت والمقريزي كما رأيت فضلا على أن أثل المرتفع القائم بجوار «السويس» لا يزال يعرف إلى اليوم باسم قلعة القلزم .

١٠ هذا هو تاريخ «السويس» قديما . وأما اليوم فإنها بسبب شق الرعة المعروفة باسم فنال السويس قد أصبحت من المدن المصرية الشهيرة وأحد ثغور مصر ومخازنها وأكبر مينائها بالبحر الأحمر وهي ذات حركة تجارية واسعة ورسو في مينائها الذي يسمى «بور توفيق» غالب البواخر الذاهبة من مصر وأوروبا إلى بلاد البحر الأحمر وسائر نواحي الشرق آسيا وأستراليا وكذا البواخر القادمة من تلك الجهات .

وتقع مدينة «السويس» شرق مدينة القاهرة وبينهما طريقان قريبان للسفر ونقل البضائع : أحدهما طريق السكة الحديدية وطوله ١٤٠ كيلومترا من محطة كوبري الليون . والثاني طريق السيارات وطوله ١٣٠ كيلومترا من ميدان إبراهيم باشا بالقاهرة .

١٥ وللوسويس رعة توصل إليها المياه الحلوة تخرج من رعة الإسماعيلية بالقرب من مدينة الإسماعيلية ثم تسير جنوبا إلى السويس فيستق منها سكانها ومزارعها .

(١) الطور من البلاد المصرية القديمة . وردت في كتاب مسالك الأمصار لابن خرداذبة مع القلزم (السويس) وأيلة (العقبة) في كورة واحدة . وذكر ياقوت في معجم البلدان أن الطور كورة تشتمل على عدة قرى بأرض مصر الشرقية بالقرب من جبل فاران (بشبه جزيرة سيناء) وذكر مؤرخو الفرنج أن الطور كانت تسمى «رايتو» وهذا خطأ لأن «رايتو» بلدة أخرى غير الطور يسميها العرب «الرايه» وقد ذكرهما كل من قدامة والفضاعي والمدني في كور مصر باسمي «الطور» و «الرايه» ومن هذا يتبين أنها بلدتان وقد اندثرت الرايه ولا تزال أطلالها ظاهرة جنوبي الطور وعلى بعد ثمانية كيلومترات منها .

٢٥ وأما الطور فهي الآن قرية صغيرة على الشاطئ الغربي لشبه جزيرة سيناء في الجهة الجنوبية الشرقية من خليج السويس بينها وبين السويس ٢٤٠ كيلومترا . وهي اليوم مركز قسم سيناء الجنوبي أحد أقسام محافظة سيناء التابعة لمصر . وبالطور شجر محلى يعرف باسم «الحج» حيث يكشف عليهم محليا لمنع نقل الأمراض الوبائية إلى مصر .

(٢) عَقبة السيل، المقصود بها هنا بلدة العقبة الصغيرة، وهي من أعمال بركة، وموقعها غربي مربوط (راجع كتاب الانصار لابن دقاق) .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٢٩٢ من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

- الأمراء البلاد على حين غفلة من أهلها ، ووضعوا السيف من الحِيزَة ^(١) بالبرّ الغربي والإطْفِيجِيَّة ^(٢) من الشرق ، فلم يتركوا أحداً إلا قتلوه ، ووسّطوا نحو عشرة آلاف رجل ، وما منهم إلا من أخذوا ماله وسبّوا حريمه ، فكان إذا ادعى أحد منهم أنه حَصْرِيٌّ ، قيل له : قل دقيق ، فإن قال : دقيق بالكاف لغات العرب قُتِلَ ، وإن قال : بالقاف المعهودة أُطْلِقَ ، ووقع الرعب في قلوب العربان حتى طبق عليهم الأمراء وأخذوهم من كلّ جهة فزوا إليّها ، وأخرجوهم من محابّهم حتى قتلوا من جانبي النيل ^(٣) إلى قُوص ، وجافت الأرض بالقتل ، وآخنى كثير منهم بمغاوير الجبال فأوقدت عليهم النيران حتى هلكوا بأجمعهم ، وأسير منهم نحو ألف وستائة لهم فلاحات وزُرُوع ، وحُصِّلَ من أموالهم شيء عظيم جداً تفرّقه الأبدى ، وأحضر منه إلى الديوان السلطاني ستة عشرة ألف رأس من الغنم ، وذلك من جملة ثمانين ألف رأس ما بين ضأن وماعز ، ومن السلاح نحو مائتين وستين حملاً من السيوف والسلاح والرماح ، ومن الأموال على يغال محملة مائتين وثمانين بغلاً ، ونحو أربعة آلاف قرس ، وأثنين وثلاثين ألف جمل ، وثمانية آلاف رأس من البقر ، غير ما أُرِصد في المعاصر ، وصار لكثرة ما حُصِّلَ للاجناد والغلمان والفقراء الذين آتبعوا العسكر فباعوا الكبش الكبير السمين من ثلاثة دراهم إلى درهم ^(٤) ، والمِعز بدرهم الرأس ، ^(٥) والحمزة الصوف بنصف درهم ، والكساء بخمسة دراهم ، والرطل السمن بربع درهم ، ولم يوجد من يشتري الغلال لكثرتها ، فإن البلاد طُرقت وأهلها آمنون ، وقد كسروا الخراج سنتين . ثم عاد العسكر في سادس عشر شهر رجب من سنة إحدى وسبعائة ، ^(٦)

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٤٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) راجع الحاشية

رقم ٥ ص ٩١ من هذا الجزء . (٣) في الأصلين : « من جانب النيل » . وما أثبتناه عن السلوك

(٤) في السلوك : « من ثلاثة دراهم إلى درهمين » . (٥) عبارة السلوك : « والكساء بخمسة

دراهم إلى درهمين » . (٦) في أحد الأصلين : « سنتين » .

وقد خَلَّت بلاد الصعيد من أهلها بحيث صار الرجل يمشي فلا يجد في طريقه أحداً ويتزل القرية فلا يرى إلا النساء والصبيان ؛ ثم أفرج السلطان عن المأسورين وأعادهم إلى بلادهم لحفظ البلاد .

وعند عَوْد الأمراء المذكورين من بلاد الصعيد ورَد الخبر من حَلَب أن تَكْفُور مُتَمَلِّك سِيس مَنع الجِمل ونَحَرَج عن الطاعة وَأَتَمَّى لغازان ، فرسَم بخروج العساكر لمحاربتِه ، ونَحَرَج الأمير بدر الدين بَنَكَّاش الفَخْرِي أمير سلاح ، والأمير عز الدين أَيْتُك الخِزَانْدَار بِمُضَا فِيهِمَا من الأمراء وغيرهم في شهر رمضان ، فسارُوا إلى حَمَاة فتوجه معهم نائبها الملك العادل زين الدين كَتَبُغا المنصوري في خامس عشرين شَوَال . وتوجَّهوا إلى بلاد سِيس وأحرقوا الزروع وأتَهَبُوا ما قَدَّرَ عَلَيْهِ ، وحاصروا مدينة سِيس وَغَنِمُوا مِنْ سَفَح قلعَتها شيئاً كثيراً من جُفَال الأَرَمَن ؛ وعادوا من الدَرْبِند إلى مَرَجِ أَنْطَاكِيَّة . ثُمَّ قَدِمُوا حَلَب في تاسع عشر ذِي القعدة . ثم ورَد الخبر على السلطان من طَرَابُلُس بأن الفَرَنْجِ أَنْشَوْا جَزِيرَةً تُجَاه طَرَابُلُس تعرف بِجَزِيرَةِ

(١) مدينة في شمال سوريا في الخوض الأدنى لنهر العاصي على مقربة من مصبه ، بنيت في نهاية القرن الثالث لليلاد وكانت حاضرة الولايات الأسيوية في عهد الإمبراطورية الرومانية . توالَت عليها غزوات الفرس إلى أن فتحها العرب عام ١٧ هـ ثم وقعت في أيدي الصليبيين إلى أن فتحها الظاهر بيبرس سنة ٦٦٠ هـ بعد أن قتل عشرات الألوف من حانتها المسيحيين وبعد أن ظلت في قبضتهم ١٧٠ عاماً .

والمدينة حسنة الموقع ووفرة الماء . تقع على الشاطئ الجنوبي لنهر العاصي الذي يبلغ عرضه عندها ٣٨ متراً ويمتد إلى سفح الجبل على ارتفاع ١٥٢٥ قدماً عن سطح البحر . وكانت أنطاكية القديمة أكبر مركز للتجارة بين الشرق والغرب لوقوعها عند ملتقى الطرق الموصلة بين الفرات والبحر الأبيض المتوسط . وكانت تتبع ولاية حلب في الماضي وهي اليوم تتبع منطقة الاسكندرون التركية وسكانها يقربون من ٤٠ ألفاً . (انظر دائرة المعارف الإسلامية مجلد ٣ صفحة ٦٢ وما بعدها ، وانظر المعاجم الجغرافية الحديثة) .

(٢) سماها المؤرخون اليونان تريبوليس أي المدن الثلاث لأنها كانت مؤلفة من ثلاث مستعمرات أسسها أهالي صور وصيدا وأرواد وكانت زاهرة في عهد الرومان . وقد دخلها العرب دون أن يلقوا مقاومة سنة ١٧ هـ واستولى عليها الصليبيون سنة ٥٠٣ هـ بعد حصار طويل . شيدوا في خلاله على رابية بالقرب =

- أُرُوداً، وعَمَرُوها بِالْعُدَدِ وَالْآلَاتِ ، وَكَثُرَ فِيهَا جَمْعُهُمْ . وَصَارُوا يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ وَيَأْخُذُونَ الْمَرَاكِبَ . فَرَسِمَ السُّلْطَانُ لِلْوَزِيرِ بِعِمَارَةِ أَرْبَعَةِ شَوَانٍ حَرَبِيَّةٍ فِي مُحَرَّم سَنَةِ أَمْنَيْنِ وَسَبْعِمِائَةٍ فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وَتُحِزَّتْ عِمَارَةُ الشَّوَانِي وَجُهِزَتْ بِالْمُقَاتِلَةِ وَالْآلَاتِ الْحَرْبِ مَعَ الْأَمِيرِ جَمَالِ الدِّينِ آقُوشِ الْقَارِي الْعَلَّامِيِّ^(٢) إِلَى الْبَهْنَسَا ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ لِمَشَاهِدَةِ لَعِبِ الشَّوَانِي فِي يَوْمِ السَّبْتِ ثَانِي عَشَرَ الْمُحَرَّمِ ، وَنَزَلَ السُّلْطَانُ وَالْأَمْراءُ لِمَشَاهِدَةِ ذَلِكَ ، وَاجْتَمَعَ مِنَ الْعَالَمِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى بَلَغَ كَرَاءَ الْمَرْكَبِ الَّتِي تَحْمِلُ عَشْرَةَ أَنْفُسٍ إِلَى مِائَةِ دَرَاهِمٍ ، وَأَمَلْنَا الْبَرَّ مِنْ بُلَاقِ^(٣)

== من المدينة قصراً حصيناً لا يزال إلى اليوم ، ويعرف باسم قلعة صنجبل وسقطت بعد ١٨٥ سنة في أيدي فلاورون سلطان مصر سنة ٦٨٨ هـ . فدثرها وشيد على أنقاضها مدينة جديدة وقد خربت أبنيتها مراراً في العصور الوسطى على أثر زلازل قوية .

١٠

والمدينة الحالية واقعة بالقرب من القصر الحصين على نهر أبي على على مسافة كيلو مترين من البحر وعلى بعد ٦٧ كيلو متر من بيروت شمالاً باتجاه الشرق . وعلى بعد نحو ثلاثة كيلو مترات من طرابلس إلى الشمال الغربي يوجد الميناء الذي هو بلدة قائمة بنفسها وفيه خمسة آلاف نفس وهو متصل بالمدينة بخط ترام . وفي السهل بين المدينة والميناء كثير من أشجار البرتقال والليمون . وعدد سكان المدينة بخلاف الميناء ٢٧ ألف نفس . وهي تعد مدينة ذات حركة تجارية كبيرة . (انظر لبنان بعد الحرب لأديب باشا ص ٩٧ و انظر حوادث هذه السنوات في النجوم الزاهرة طبع دار الكتب) .

١٥

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١ من هذا الجزء . (٢) البهنسا ، هي من المدن المصرية القديمة اسمها المصري « بيجيه » ويقال لها « بامازيت » والرومي « أوكسيرنخوس » وسماها العرب « البهنسا » . وردت في معجم البلدان لباقوت « البهنسي » بألف مقصورة وكتبها بعضهم « البهنسة » . وكانت البهنسا قاعدة القسم السابع عشر بالوجه القبلي في زمن الفراعنة ، وقاعدة « ابرشية اركاديا » في عهد الرومان ، وقاعدة كورة البهنسا في أيام العرب ، وقاعدة الأعمال البهنساوية في أيام دولتي الجراكسة ، وقاعدة « ولاية » البهنساوية في أيام الحكم العثماني إلى أن أشتت « مديرية » الأقاليم الوسطى في سنة ١٢٤٥ هـ = ١٨٣٠ م فحلت محلها مدينة المنيا ، وبذلك ألغيت ولاية البهنساوية من ذلك التاريخ .

٢٠

والبهنسا اليوم إحدى قرى مركز بني مزار بمديرية المنيا بالوجه القبلي واقعة على الشاطئ الغربي لبحر يوسف بينا وبين بني مزار الواقعة على التربة الإبراهيمية ١٥ كيلو متراً ، وبينها وبين الواحات البحرية التي تعرف بواحات البهنسا نسبة إليها طريق طوله ٢٠٠ كيلو متر . (٣) كذا في الأصلين والسلوك وعقد الجمان . وفي التوقيفات الإلهامية أن أول المحرم سنة ٧٠٢ هـ يوم الأحد . (٤) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٠٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

٢٥

إلى الصَّانعة حتى لم يوجد موضعٌ قَدَم، ووقف العسكر على بَرِستان الخشاب وركب
 الأمراء الحاراريق إلى الروضة، وبرزت الشواني تجاه المقياس^(٤) تلعب كأثنا في الحرب،
 فليعب الشينى الأول والثانى والثالث، وأعجب الناس إعجابا زائدا لكثرة ما كان فيها
 من المقاتلة والنفوط وآلات الحرب، وتقدم الرابع وفيه الأمير آقوش فما هو إلا أنه
 خرج من الصنعة بمصر وتوسط في النيل إذا بالريح حركته فقال به ميلة واحدة أنقلب
 وصار أعلاه أسفله، فصرخ الناس صرخة واحدة كادت تسقط منها الحباتى، وتكدر
 ما كانوا فيه من الصفوف فتلاحق الناس بالشينى وأخرجوا ما سقط منه في الماء، فلم
 يعدم منه سوى الأمير آقوش وسلم الجميع، فتكدر السلطان والأمراء بسببه، وعاد
 السلطان بأمرائه إلى القلعة وأنفض الجمع. وبعد ثلاثة أيام أخرج الشينى فإذا
 امرأة الرئيس وأبنا وهى ترضعه فى قيد الحياة، فاشتد محب الناس من سلامتها
 طول هذه الأيام ! قاله المقرئى وغيره، والمهدة عليهم فى هذا النقل. ثم شرع
 العمل فى إعادة الشينى الذى غرق حتى نُجِّز، وندب السلطان الأمير سيف الدين
 كهردأش الزراق المنصورى إلى السفر فيه عوضا عن آقوش الذى غرق. رحمه الله
 تعالى، وتوجه الجميع إلى طرابلس ثم إلى جزيرة أرواد المذكورة، وهى بالقرب

- ١٥ (١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٩٩ من الجزء الرابع من هذه الطبعة. (٢) برستان الخشاب، يقصد المؤلف من برستان الخشاب شاطئ النيل الشرقى الذى يحاور هذا البستان من الجهة الغربية على النيل، وهذا البر مكانه اليوم شارع القصر العالى بالقاهرة. وأما بستان الخشاب فكانه الآن خط القصر العالى المعروف بجاردن سقى وخط المنيرة. راجع الحاشية رقم ٦ ص ٤٤ من الجزء الرابع من هذه الطبعة وص ٣٨٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة فى الكلام على بستان الخشاب. (٣) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٣٢٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة. (٤) المقياس، المقصود به هنا مقياس النيل بجزيرة الروضة بمصر وقد أنشئ فى آخر أيام الخليفة المنوكل على الله جعفر العباسى سنة ٨٢٧ = ٤٨٦، ولا يزال هذا المقياس موجودا ومستعملا باسم مقياس الروضة. ومكانه فى الطرف الجنوبى من جزيرة الروضة تجاه مصر القديمة. وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٠٨ من الجزء الخامس من هذه الطبعة.
- (٥) فى الدرر الكامنة والمنهل الصافى: «كهردأش» بالسين. وسذكره المؤلف فى حوادث

من أَنْطَرُطُوس^(١)، فَأَحْرَبُوهَا وَسَبَّوْا وَغَنِمُوا، وَكَانَ الْأَسْرَى مِنْهَا مَائَتَيْنِ وَثَمَانِينَ نَفَرًا، وَقَدِمَ الْخَبْرُ بِذَلِكَ إِلَى السُّلْطَانِ فَسَرَّوْهُ النَّاسَ قَاطِبَةً وَدَقَّتِ الْبَشَائِرُ لَذَلِكَ أَيَّامًا، وَأَتَّفَقَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ أَيْضًا حُضُورُ الْأَمِيرِ بَكْكَاشِ الْفَخْرِيِّ أَمِيرِ مَسْلَاحٍ مِنْ غَزْوِ سَيْسٍ .

- ثم بعد ذلك بأيام ورد الخبر من حلب بأن قازان على عزم الحركة إلى الشام، فوقع الاتفاق على خروج العساكر من الديار المصرية إلى الشام، وعين من الأمراء الأمير بيبرس الجاشنكير، وطغريل الإيغاني، وكراي المنصوري، وحسام الدين لاجين أستاذار بمضافيهم وثلاثة آلاف من الأجناد، وساروا من مصر في ثامن عشر شهر رجب، وتواترت الأخبار بنزول قازان على الفرات، ووصل عسكره إلى الرحبة، وبعث أمامه قُطْلُوشاه من أصحابه على عساكر عظيمة إلى الشام تبلغ ثمانين ألفًا، وكتب إلى الأمير عز الدين [أَيْبَك] الْأَقْرَمِ نَائِبِ الشَّامِ يُرْغِبُهُ فِي طَاعَتِهِ، وَدَخَلَ الْأَمِيرُ بَيْبَرَسُ الْجَاشَنكِيَرِ بِمَنْ مَعَهُ إِلَى دِمَشْقَ فِي نِصْفِ شَعْبَانَ، وَلَبِثَ يَسْتَحِثُّ السُّلْطَانُ عَلَى الْخُرُوجِ . وَأَقْبَلَ النَّاسُ مِنْ حَلَبٍ وَحَمَّاهُ إِلَى دِمَشْقَ جَافِلِينَ مِنَ التَّارِ، فَاسْتَعَدَّ أَهْلُ دِمَشْقَ لِلْفِرَارِ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا خُرُوجُهُمْ، فَنُودِيَ بِدِمَشْقَ مِنْ نَحْرِجٍ مِنْهَا حَلَّ مَالِهِ وَدَمِهِ، وَخَرَجَ الْأَمِيرُ بِهَادِرٍ آصٍ وَالْأَمِيرُ قُطْلُوبُكُ الْمَنْصُورِيُّ، وَأَنْسَ الْجَمْدَارُ فِي عَسْكَرٍ إِلَى حَمَّاهُ، وَلَحِقَ بِهِمْ عَسَاكِرُ طَرَابُلُوسَ وَخِمَصَ . فَاجْتَمَعُوا عَلَى حِمَاةٍ عِنْدَ نَائِبِهَا الْمَلِكِ الْعَادِلِ كَتَبْنَا الْمَنْصُورِيَّ، وَبَلَغَ التَّارَ ذَلِكَ فَبَعَثُوا طَائِفَةً كَثِيرَةً إِلَى الْقَرِيَتَيْنِ فَأَوْقَعُوا بِالْأَرْجَانِ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ اسْتَدْرَكِي^(٢) نَائِبِ طَرَابُلُوسَ وَبِهَادِرٍ آصٍ

(١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٣ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٢) زيادة عن السلوك .

(٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ٨٧ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) في المجلد الثاني : « استدمر بن عبد الله الكرعي الأمير سيف الدين » وذكر وفاته سنة ٧١١ هـ . وفي الدرر الكامنة أن وفاته كانت سنة ٧٢١ هـ . ولم يذكر المؤلف وفاته في إحدى هاتين السنتين .

وَبُحِّكُنْ وإغزلو العادلي وتمّر الساق وأنص الجمدار ومحمد بن قرأستقر في ألف وخمسمائة فارس، فطرقوهم بمنزلة^(١) عُرض في حادى عشر شعبان على غفلة، فأقترقوا عليهم أربع فرق، وقاتلوهم قتالاً شديداً من نصف النهار إلى العصر حتى كسروهم وأفنؤهم، وكانوا التار، فيما يقال، أربعة آلاف، وأستنقدوا التركان وحريمهم وأولادهم من أيدي التار، وهم نحو ستة آلاف أسير، ولم يفقد من العسكر الإسلامى إلا الأمير أنص الجمدار المنصورى ومحمد بن باشقرد الناصرى سنة وخمسون من الأجناد، وعاد من آنهزم من التار إلى قطلوشاه، وأسر العسكر المصرى مائة وثمانين من التار، وكتب إلى السلطان بذلك ودقت البشائر [بدمشق]^(٢). وكان السلطان الملك الناصر محمد قد خرج بعساكره وأمرائه من الديار المصرية إلى جهة البلاد الشامية في ثالث شعبان، وخرج بعده الخليفة المستكفى بالله، وأستتاب السلطان بديار مصر الأمير عزم الدين أيبك البغدادى.

وجد قطلوشاه مقدم التار بالعساكر في المسير حتى نزل قروون حماة في ثالث عشر شعبان^(٣)، فاندفعت العساكر المصرية التي كانت بحماة بين يديه إلى دمشق، وركب نائب حماة الأمير كنبغا الذى كان تسطن وتلقب بالملك العادل في محقة لضمفه، واجتمع الجميع بدمشق وأختلف رأيهم في الخروج إلى لقاء العدو أو انتظار قدوم السلطان، ثم خشوا من مفاجأة العدو فنادوا بالرحيل، وركبوا في أول شهر رمضان من دمشق، فأضطربت دمشق بأهلها وأخذوا في الرحيل منها على وجوههم، وأشتروا الحجار بستائة درهم والجلل بألف درهم، وترك كثير منهم حريمه وأولاده ونجا بنفسه إلى القلعة، فلم يأت الليل إلا وبوادر التار في سائر

(١) عرض : بلد في برية الشام من أعمال حلب بين تدمر والرصافة (عن مراصد الاطلاع).

(٢) زيادة عن السلوك . (٣) في السلوك : « في ثالث عشرية » .

نواحي المدينة، ومار العسكر مُحْفَأً، وبات الناس بدمشق في الجامع يَصْجُون بالداء إلى الله تعالى، فلما أصبحوا رَحَلَ التار عن دِمَشْق بعد أن نزلوا بالفُوطَة .

- (١) وبلغ الأمراء قدوم السلطان فتوجهوا إليه من مَرَج رَاهِط فَلَقُوهُ على عقبه الشُّحُورَا (٢)
- في يوم السبت ثاني شهر رمضان وقبلوا الأرض، ثم ورد عند لقائهم به الخبرُ بوصول التار في خمسين ألفاً مع قُطْلُوشاه نائب غازان، فليس العسكر بأجمعه السلاح، وآتَفَقُوا على قتال التار بشَقْحَب تحت جبل غباغب؛ وكان قُطْلُوشاه قد وقف على أعلى النهر، فصَفَّت العساكر الإسلامية، فوقف السلطان في القلب وبجانبه الخليفة، والأمير سَلَار النائب، والأمير بييرس الجاشنكير، وعز الدين أَيْبَك الخازندار، وبَكْتَمُر الجوكندار، وأقوش الأفرم نائب الشام، والأمير بُرْلُغِي، والأمير أَيْبَك الحموي، وبَكْتَمُر الأَبُوبَكْرِي، وقُطْلُوبَك، ونُوعَاي السلاح دار، ومُبَارِز الدين أمير شكار، ويعقوب الشُّهْرُزُورِي، ومبارز الدين أُولِيَا بن قَرَمَان؛ ووقف في الجناح الأيمن الأمير قَبْجَق بمساكر حماة والعربان وجماعة كثيرة من الأمراء؛ ووقف في الميسرة الأمير بدر الدين بَكْتاش الفخري أمير سلاح، والأمير قَرَا سُنْقُر نائب حلب بمساكرها، والأمير بَخْصَال نائب صفد بمساكرها، والأمير طُغْرِيل الإيفاني، وبَكْتَمُر السلاح دار

- (١) مرج رَاهِط، المرج هو الأرض الواسعة فيها نبت كثير، وراهط : موضع في الفوطَة من دمشق في شرقيه بعد مرج عذراء . (عن ياقوت ومراصد الاطلاع) . (٢) راجع الحاشية رقم ٨ ص ١٢١ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) شَقْحَب : قرية في الشمال الغربي من غباغب، ويقال لها تل شَقْحَب ذكرها « دسود » في الكلام عن وادي العمم من ضواحي دمشق .

- (انظر كتاب التخطيط التاريخي لسوريا القديمة والمتوسطة لرينيه دسود طبع باريس سنة ١٩٢٧ ص ٣٢٢) .
٢٠ Topographie Historique de la Syrie Antique et Médiévale Par Rene Dussaud.

- (٤) في الأصلين : « صاغب » . وما أثبتناه عن السلوك . (٥) في السلوك : « بلرغي » . وقد ذكر صاحب الدرر الكامنة عدة لغات في هذا الاسم . وضبطه بالعبارة (بضم أوله وثانيه وسكون ثالثه) .
(٦) في الدرر الكامنة : « طغريل الإيفاني كان من ممالك إيتقان الملقب سم الموت » . توفي سنة ٧٠٧هـ .

وَيَبْرُس الدَّوَادار بِمُضَافِهِمْ . ومشى السلطان على التار والخليفة بجانبه ومعهما
 القزاء يتلون القرآن ويحثون على الجهاد وَيُسَوِّقُونَ إلى الجنة ، وصار الخليفة يقول :
 يا مجاهدون لا تنظروا لسلطانكم ، قاتلوا عن دين نبيكم صلى الله عليه وسلم وعن حريمكم !
 والناس في بكاء شديد ، ومنهم مَنْ سَقَطَ عن فرسه إلى الأرض ! ووصى ببيرس
 وسلار على الثبات في الجهاد . وكل ذلك والسلطان والخليفة يَكْرُ في العساكر ميمناً
 وشمالاً . ثم عاد السلطان والخليفة إلى مواقفهما ، ووقف خلفه الغلمان والأحمال
 والعساكر صفّاً واحداً ، وقال لهم : من خرج من الأجناد عن المصاف فاقتلوه
 ولكم سَلَبُهُ . فلما تمَّ الترتيب زَحَفَتْ كراديس التار كقطع الليل ، وكان ذلك وقت
 الظهر من يوم السبت ثاني رمضان المذكور . وأقبل قُطْلُوشاه بمن معه
 من الطَّوَامِين ، وحملوا على الميمنة فثَبَّتْ لهم الميمنة وقاتلوهم أشدَّ قتال حتى
 قُتِلَ من أعيان الميمنة الأمير حُسام الدين لاجين الأستاذار ، وأُولَيَا بن قَرَمَان ،
 والأمير سُتْقُر الكافورى ، والأمير أَيْدُرُ الشَّمْسِي القَشَّاش ، والأمير آقوش الشمسى
 الحاجب ، وحُسام الدين على بن باخل ونحو الألف فارس ، كل ذلك وهم في مقابلة
 العدو والقتال عمال بينهم . فلما وَقَعَ ذلك أدركتهم الأمراء من القلب ومن الميسرة ،
 وصاح سلار : هلك والله أهل الإسلام ! وصرخ في ببيرس الجاشنكير وفي البرجية
 قَاتُوهُ دَفْعَةً واحدة ، فأخذهم وصدَّهم بهم العدو وقصد مقدَّم التار قُطْلُوشاه ، وتقدَّم
 عن الميمنة حتى أخذت الميمنة راحةً ، وأبلى سلار في ذلك اليوم هو وببيرس
 الجاشنكير بلاءً حسناً ، وسأموا نفوسهم إلى الموت . فلما رأى باقى الأمراء منهم
 ذلك ألقوا نفوسهم إلى الموت ، وأفتحموا القتال ، وكانت لسلار والجاشنكير في ذلك

(١) في الأصلين : « وتواصوا ببيرس وسلار » . وما أثبتناه عن السلوك .

(٢) كراديس ، جمع كردوس وكردوسة ، وهى كتيبة الفرسان .

(٣) كذا في أحد الأصلين والسلوك . وفي الأصل الآخر وتاريخ سلاطين الممالك : « سقر الكافورى » .

اليوم اليذ البيضاء على المسلمين - رحمهما الله تعالى - واستمروا في القتال إلى أن كشفوا التار عن المسلمين، وكان جوبان وقُرُجى من طوامين التار قد ساقا تقوية لبولاي وهو خلف المسلمين؛ فلما عاينوا الكثرة على قُطْلُو شاه أتوه نجدة ووقفوا في وجه سَلار وبيرس، فخرج من عسكر السلطان [أَسَدْمَر^(١)] والأمير قُطْلُو بك والأمير قَبَجَق والممالك السلطانية وأردفوا سَلار وبيرس، وقتلوا أشد قتال حتى أراحوهم عن موافقهم، فالت التار على الأمير بُرْلُغى في موقفه، فتوجهوا الجماعة المذكورون إلى بُرْلُغى، واستمر القتال بينهم .

وأما سَلار فإنه قصد قُطْلُو شاه مقدم التار وصدمه بمن معه، وتقاتلا وثبت كل منهما . وكانت الميمنة لما قُتل الأسراء منها أنهزم من كان معهم، ومرت التار خلفهم فجفل الناس وظنوا أنها كثرة، وأقبل السواد الأعظم على الخزائن السلطانية فكسروها ونهبوا ما فيها من الأموال، وجفل النساء والأطفال . وكانوا قد خرجوا من دمشق عند خروج الأسراء منها، وكشف النساء عن وجوههن وأسبلن الشعور وضح ذلك الجمع العظيم بالدعاء، وقد كادت السقول أن تطيش وتذهب عند مشاهدة الهزيمة ! واستمر القتال بين التار والمسلمين إلى أن وقف كل من الطائفتين عن القتال .

ومال قُطْلُو شاه بمن معه إلى جبل قريب منه، وصعد عليه وفي نفسه أنه أنتصر، وأن بولاي في أثر المنهزمين من المسلمين، فلما صعد الجبل رأى السهل والوعر كله عساكر والميسرة السلطانية ثابتة، وأعلامها تحفّق . فبهت قُطْلُو شاه وتحير واستمر بموضعه حتى كمل معه جمعه وأتاه من كان خلف المنهزمين من السلطانية ومعهم عدة من المسلمين قد أسروهم، منهم : الأمير عَزَّ الدين أَيْدَمَر نقيب الممالك السلطانية،

(١) زيادة عن السلوك .

فاحضره قُطْلُوْشاه وسأله من أين أنت ؟ فقال : من أمراء مصر ، وأخبره بقدم
السلطان ، وكان قُطْلُوْشاه ليس له علم بقدم السلطان بمصر إلا ذلك الوقت ،
فعند ذلك جمع قُطْلُوْشاه أصحابه وشاورهم فيما يفعل ، وإذا بكُوسات السلطان
والبوقات قد زحفت وأزعجت الأرض وأرجفت القلوب بحسبها ، فلم يثبت بولاي
ونخرج من تجاه قُطْلُوْشاه في نحو العشرين ألفا من التار ، ونزل من الجبل بعد المغرب
ومرّ هارباً .

وبات السلطان وسائرُ عساكره على ظهور الخيل والطبول تضرب ، وتلاحق
بهم من كان أنهزم شيئاً بعد شيء ، وهم يقصدون ضرب الطبول السلطانية
والكُوسات ، واحتاط عسكر السلطان بالجبل الذي بات عليه التار ، وصار يبرس
وسلار وقبجق والأمراء والأكابري طول الليل دائرين على الأمراء والأجناد يوصونهم
ويرتبونهم ويؤكدون عليهم في التيقظ ، ووقف كل أمير في مصافه مع أصحابه ، والجبل
والأنقال قد وقف على بُعد ، وثبتوا على ذلك حتى أرتفعت الشمس ، وشرع قُطْلُوْشاه
في ترتيب من معه ونزلوا مشاة وفُرسا وقاتلوا العساكر ، فبرزت الممالك السلطانية
بمقدمها إلى قُطْلُوْشاه وجوبان ، وعملوا في قتالهم عملاً عظيماً ، فصاروا تارة يرمونهم
بالسهام وتارة يواجهونهم بالرمح ، واشتغل الأمراء أيضاً بقتل من في جبهتهم
يتناوبون القتال أميراً بعد أمير ، وألحّت الممالك السلطانية في القتال وأظهروا
في ذلك اليوم من الشجاعة والفروسية ما لا يُوصف حتى إن بعضهم قُتل تحت الثلاثة
من الخيل ، وما زال الأمراء على ذلك حتى أنتصف نهار الأحد ، صعد قُطْلُوْشاه
الجبل وقد قُتل من عسكره نحو ثمانين رجلاً ، وجرح الكثير واشتدّ عطشهم ، واتفق
أن بعض من كان أسره التار هرب ونزل إلى السلطان ، وعرفه أن التار قد أجمعوا
على النزول في السحر لمصادمة العساكر السلطانية ، وأنهم في شدة من العطش ،

فأقتضى الرأي أن يفرج لهم عند نزولهم ويركب الجيش أقيمتهم . فلما باتوا على ذلك وأصبحوا نهار الاثنين ركب التتار في الرابعة من النهار ونزلوا من الجبل فلم يتعرض لهم أحد وساروا إلى النهر فأقتحموه ، فعند ذلك ركبهم بلاء الله من المسلمين وأيدهم الله تعالى بنصره حتى حصدوا رموس التتار عن أبدانهم ووضعوا فيهم السيف وصروا في أثرهم قتلاً وأسرا إلى وقت العصر . وعادوا إلى السلطان وعرفوه بهذا النصر العظيم ، فكُتِبَت البشائر في البطائق ، وسُرِّحت الطيور بهذا النصر العظيم إلى غزاة . وكُتِبَ إلى غزاة جمع المنهزمين من عساكر السلطان من الدخول إلى مصر ، وتبع من نهب الخوازن السلطانية والأحفاظ بمن يمسك منهم ، وعين السلطان الأمير بدر الدين بكتكوت الفتح للسير باليشارة إلى مصر .

- ١٠ ثم كُتِبَ بهذا الفتح العظيم إلى سائر الأقطار ، وبات السلطان ليلته وأصبح يوم الثلاثاء وقد خرج إليه أهل دمشق ، فسار إليها في عالم عظيم من الفُرسان والأعيان والعامة والنساء والصبيان لا يُحصىهم إلا الله تعالى ، وهم يَضْجُونَ بالدعاء والثناء والشكر لله سبحانه وتعالى على هذه المنة ! وتساقتبت عبرات الناس فرحاً ودقت البشائر بسائر أملاك ، وكان هذا اليوم يوماً لم يُشاهد مثله . وسار السلطان حتى نزل بالقصر الأبلق^(١) ، وقد زينت المدينة ، وأستمزت الأمراء وبيعت العساكر في طلب التتار إلى القريتين ، وقد كَلَّتْ خيول التتار وضعفت نفوسهم وألقوا أسلحتهم وأستسلموا للقتل ، والعساكر تُقتلهم بغير مدافعة ، حتى إن أراذل العامة والغلمان قتلوا منهم خلقاً كثيراً وغَنَمُوا عِدَّة غنائم ، وقتل الواحد من العسكر العشرين من التتار فما فوقها ؛ ثم أدرَكَت عُربان اللاد التتار وأخذوا في كيدهم كأنهم يهاونهم إلى طريق قرية مفازة ، فيوصلونهم إلى البرية

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٧٨ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

وتركهم بها فأتوا عطشاً ، ومنهم من دار بهم وأوصلهم إلى غوطة دمشق ، فخرجت إليهم عاقمة دمشق فقتلوا منهم خلقاً كثيراً . ثم تَبَعَت الحُكَّامُ النَّهْبَةَ وعاقبوا منهم جماعة كثيرة حتى تحصل أكثر ما نهب من الخزائن ولم يُفَقَدْ منه إلا القليل . ثم خلع السلطان على الأمراء جميعهم ، ثم حَضَرَ الأمير بُرْلُغِي وقد كان آنهزم فيمن آنهزم ، فلم يَأْذَن له السلطان في الدخول عليه ، وقال : بأى وجه تدخل على أو تنظر في وجهي ! فما زال به الأمراء حتى رَضِيَ عنه . ثم قُبِضَ على رجل من أمراء حلب كان قد آتَمَى إلى التتار وصار يدُفِّمُ على الطُّرُقَات ، فُسِمَ على حمل وشهر بدمشق وضواحيها ، وآسَمَرَ الناس في شهر رمضان كُلَّهُ في مسرات تتجدد ، ثم صلى السلطان صلاة عيد الفطر وخرج في ثالث شَوال من دمشق يريد الديار المصرية .

وأما التتار فإنه لما قُتِلَ أكثرهم ودخل قُطْلُو شاه الفُرات في قليل من أصحابه ووصل خبر كُسرته إلى هَمْدَانَ^(١) ، ووقعت الصَّرَخَات في بلادهم ، وخرج أهل تَبْرِيز^(٢) وغيرها إلى لقاءهم واستعلام خبر من قُتِلَ منهم حتى عَلِمُوا ذلك ، فقامت النِّبَاحَةُ في مدينة تَبْرِيز شهرين على القَتْلِ .

ثم بلغ الخبرُ غازانَ فأَغْتَمَ غَمًّا عَظِيمًا وخرج من منخرية دُمُ كَثِيرٍ حتى أَشْفَى على الموت وأَحْتَجَبَ عن حواشيه ، فإنه لم يصل إليه من عساكره من كلِّ عشرة واحد ! ممن كان آتَتْجِبُهُم من خِيار جيشه . ثم بعد ذلك بِمَدَّةٍ جلسَ غازان وأوقف قُطْلُو شاهَ مُقَدِّمَ عساكره وجُوبانَ وسُوتائِ ومن كان معهم من الأمراء ، وأنكر على قُطْلُو شاه وأمر بقتله ، فما زالوا به حتى عفا عنه وأبعده من قدامه حتى صار على

(١) همدان ، هي وسط بلاد الجبال ، ومنها إلى حلوان أول بلاد العراق سبعة وستون فرسخاً . وهمدان

مدينة كبيرة ، ولها أربعة أبواب ولها مياه وبساتين ووزروع كثيرة وهي على طريق الحاج والتوافل

(عن صحيح الأئمة ج ٤ ص ٣٦٩) . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من هذا الجزء .

مسافة بعيدة بحيث يراه ، وقام إليه ، [وقد مسكه المٌجباب ^(١)] وسائر من حضروهم خَلَقَ كثيرٌ جدًّا ، وصار كلُّ منهم يَبْصُقُ في وجهه حتى بَصَقَ الجميع ! ثم أبعدَه عنه إلى يَكِلان ^(٢) ثم صَرَبَ بُولاي عِدَّةَ عِصْيٍ وأهانَه . وفي الجملة فإنَّه حصل على غازان بهذه الكُسرة من القَهَر والهم مالا مزيد عليه ، ولله الحمد .

- ٥ . وسار السلطان الملك الناصر بعساكره وأمرائه حتى وصل إلى القاهرة ، ودخلها في يوم ثالث عشرين شوال حسب ما يأتي ذكره . وكان نائب الغيبة رَسَمَ بزينة القاهرة من باب النصر إلى باب السلسلة من القلعة ، وكتب بإحضار سائر مغاني العرب بأعمال الديار المصرية كلها ، وتفاخر الناس في الزينة ونصبوا القلاع ، وأقسمت أستاذارية الأمراء شوارع القاهرة إلى القلعة ، وزينوا ما ينحس كل واحد منهم وعملوا به قلعةً بحيث تُودى من أستمعل صانعًا في غير صنعة القلاع كانت عليه جناية السلطان ، وتحسِّن سِعر الخشب والقصب وآلات التجارة ، وتفاخروا

- (١) زيادة عن السلوك . (٢) يِلان ، ويقال لها (الجبل وجيلان) . قال صاحب صبح الأعشى في الكلام على إقليم الجبل (ح ٤ ص ٣٨٠) نقلا عن مسالك الأبصار : إن بلاد كيلان في وطاة من الأرض يحيط بها أربعة حدود ، من الشرق إقليم مازندران ، ومن الغرب موقان ، ومن الجنوب عراق العجم ، ومن الشمال بحر طبرستان . وهي شديدة الأمطار كثيرة الأنهار ، ومدنها غير مستورة ، وجميع مبانيها بالآجر . وبها حمامات تجري إليها الماء من الأنهار ، وبها المساجد والمدارس وتسمى الخواثق . أهابا اختصار .
- (٣) هو أحد أبواب مدينة القاهرة القديمة في سورها البحري . وإلحاقا لما ذكرته عن هذا الباب في ص ٣٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة أذكر أن باب النصر الحالي أنشأه أمير الجيوش بدر الجمال وزير الخليفة المستنصر الفاطمي في سنة ٥٨٠ هـ = ١٠٨٧ م ، وهو من أقدم وأجل الأبنية الحربية الباقية في مصر . وجهته تتكوّن من بدنتين مربعتين نقش عليهما في الحجر أشكال تمثل بعض آلات الحرب من سيوف وتروس ، ويتوسط البدنتين باب شاقق ويسلو الوجهة لإفريز يحيط بالبدنتين به كتابة تضمنت اسم المنشئ وتاريخ نشأه . (٤) باب السلسلة ، هو أحد أبواب قلعة الجبل الذي يعرف اليوم بباب العزب بميدان محمد علي بالقاهرة . وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة .
- (٥) لعله يريد المغنين والمغنيات . (٦) القلاع جمع قلعة ، والمراد بها هنا الزينة التي كانت مركبة على قلعة من الخشب متعلق عليها المصاييح (قوس النصر) . (٧) في السلوك : « كانت عليه خيابة السلطان » .

في تزيين القلاع المذكورة، وأقبل أهل الرّيف إلى القاهرة للفُرجة على قدوم
السلطان وعلى الزينة، فإنّ الناس كانوا أخرجوا الحليّ والجواهر والآلئ وأنواع الحرير
فزينوا بها، ولم ينسلخ شهر رمضان حتّى تبيّأ أمر القلاع، وعمل ناصر الدين محمد
ابن الشّيخيّ وإلى القاهرة قلعة باب النصر فيها سائر أنواع الحّد والحزل ونصب
عدّة أحواض ملاها بالسكر والليّمون وأوقف ممالكه بشرات حتّى يسقوا العسكر.
قلت : لو فعل هذا في زماننا وإلى القاهرة لكان حصل عليه الإنكار بسبب
إضاعة المال، وقيل له : لم لا حملت إلينا ما صرفته ؟ فإنه كان أنفع وخيراً
من هذا الفشار^(١)، وإنما كانت نفوس أولئك غنيّة وهمهم عليّة، وما كان جلّ
قصدهم إلا إظهار النعمة والتفاخر في الحشم والأشمطة والإنعامات حتّى يشاع عنهم
ذلك ويذكروا إلى الأبد، فرحم الله تلك الأيام وأهلها ! .

وقدّم السلطان إلى القاهرة في يوم الثلاثاء ثالث عشرين شوال، وقد خرج
الناس إلى لقائه وللفرجة عليه، وبلغ كراهة البيت الذي يمرّ عليه السلطان من خمسين
درهما إلى مائة درهم، فلما وصل السلطان إلى باب النصر ترجّل الأمراء كلّهم،
وأقول من ترجّل منهم الأمير بدر الدين بكتاش الفخريّ أمير سلاح وأخذ يحمل
سلاح السلطان، فأمره السلطان أن يركب ليكبّر سنّه ويحمل السلاح خلفه تأمتنع
ومتى، وحمل الأمير مبارز الدين سوار الروميّ أمير شكار القبة، والطير على رأس
السلطان، وحمل الأمير بكتاش أمير جاندار العصا، والأمير سنجر^(٢) الجمّقدار^(٣)
الدبوس، ومتى كلّ أمير في منزله وقرش كلّ منهم الشفق من قلعة غيرة

(١) الفشار : الخذيان، وليس من كلام العرب، وإنما هو من استعمال العامة. والعامة تبنى منه
فلا تقول : فشر وفسر (عن أقرب الموارد). (٢) في الأصلين : «سوار الرومي». والنصحیح
عن السلوك والدرر الكامنة. وقد ذكر صاحب الدرر أنه توفي سنة ٥٧٠ هـ. (٣) زيادة عن
السلوك وتاريخ سلاطين المماليك، وهو حامل الصولجان.

التي أنشئوها بالشوارع . وكان السلطان إذا تجاوز قلعة فرشت القلعة المجاورة لها الشَّقَق ، حتى يمشی عليها بفرسه مشياً هيناً من غير هرج بسكون ووقار لأجل مَشْيِ الأمراء بين يديه . وكان السلطان كلما رأى قلعة أمير أمسك عن المشي ووقف حتى يعانها ويعرف ما أشتملت عليه هو والأمراء حتى يُعبر خاتمر فاعلها بذلك .

- هذا والأمراء من التتارين يديه مقيدون ورءوس من قُتل منهم معلقة في رقابهم ،
 ٥ والف رأس على ألف رُخْ ، وعدة الأسرى ألف وستمئة ، وفي أعناقهم أيضاً ألف وستمئة رأس ، وطبولهم قدامهم مخزقة . وكانت القلاع التي نصبت أولها قلعة الأمير ناصر الدين ابن الشيخى إلى القاهرة بباب النصر ، يليها قلعة الأمير علاء الدين مغلطاي أمير مجلس ، يليها قلعة ابن آيتمش السعيدى ، ثم يليها قلعة الأمير سنجر الجوالى ، وبعده قلعة الأمير طغريل الإيغاني^(١) ثم قلعة بهادر اليوسفي^(٢) ، ثم قلعة سودى ،
 ١٠ ثم قلعة بيليك الخطيرى ، ثم قلعة برلنى ، ثم قلعة مبارز الدين أمير شكار ، ثم قلعة أليك الخازندار ، ثم قلعة سنقر الأعسر ، ثم قلعة بيبرس الدودار ، ثم قلعة سنقر الكامل^(٣) ، ثم قلعة موسى ابن الملك الصالح ، ثم قلعة الأمير آل ملك ، ثم قلعة علم الدين الصوابى ، ثم قلعة الأمير جمال الدين الطشلاقى^(٤) ، ثم قلعة الأمير [سيف الدين] آدم ،
 ١٥ ثم قلعة الأمير سلالر [النائب] ، ثم قلعة الأمير بيبرس الجاشنكير ، ثم قلعة بكاش أمير سلاح ، ثم قلعة الطواشى مرشد الخازندار^(٥) ، وكانت قلعه على باب

(١) في الأصلين : « وكانت عدة القلاع... الخ » . وما أثبتناه عن السلوك لأن كلمة : « عدة » مقبحة .

(٢) هو سودى بن عبد الله الناصرى نائب حلب ومن مالِك الملك الناصر محمد بن قلاوون . سیدگر

المؤلف وفاته سنة ٧١٤ هـ . وقد ضبط المؤلف في المنهل الصافي بالعبارة فقال : (سودى بفتح السين

المهملة وواو ساكنة ودال مهملة وباء) . (٣) هو موسى بن على بن قلاوون الأمير مظفر الدين

ابن الملك الصالح ابن السلطان المنصور قلاوون . توفى سنة ٧١٨ هـ (عن الدرر الكامنة) .

(٤) زيادة عن السلوك . (٥) هو مرشد بن عبد الله الخازندار الطواشى شهاب الدين

المنصورى . توفى سنة ٧١٦ هـ (عن الدرر الكامنة) .

(١) المدرسة المنصورية، ثم بعده قلعة بكتمر أمير جاندار، ثم قلعة أيبك البغدادى نائب
 القبة، ثم قلعة ابن أمير سلاح، ثم قلعة بكتوت الفتاح، ثم قلعة ناكز
 الطغريل، ثم قلعة قلى السلاح دار، ثم قلعة لاجين زيرباج الجاشنكير، ثم قلعة
 طبرس الخازندارى نقيب الجيش، ثم قلعة بلان طرنا، ثم قلعة سقز العلاني،
 ثم قلعة بهاء الدين يعقوبا، ثم قلعة الأبو بكرى، ثم قلعة بهادر المعزى، ثم قلعة كوكاى،
 ثم قلعة قرا لاجين، ثم قلعة كراى المنصورى، ثم قلعة جمال الدين آقوش قتال السبع،
 وقلعته كانت على باب زويلة^(٩)، وكان عتبتها سبعين قلعة. وعند ما وصل
 السلطان إلى باب البيمارستان المنصورى بين القصرين نزل ودخل وزار قبر
 والده الملك المنصور قلاوون وقرأ القرآن أمامه، ثم ركب إلى باب زويلة ووقف
 حتى ارتكب الأمير بدر الدين بكاش الفخرى أمير سلاح، ثم سار السلطان على شق
 الحرير إلى داخل قلعة الجبل. هذا والتهانى فى دور السلطان والأمراء وغيرهم قد
 امتلأت منهم البيوت والشوارع بحيث إن الرجل كان لا يسمع كلام من هو بجانبه
 إلا بعد جهد، وكان يوماً عظيماً عظم فيه سرور الناس قاطبة لاسيما أهل مصر، فإنهم
 فرحوا بالنصر وأيضاً بإسلامة سلطانهم الملك الناصر محمد.

- ١٥ (١) المدرسة المنصورية، هي التي تعرف اليوم بجامع قلاوون. وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥
 من الجزء السابع من هذه الطبعة. (٢) فى السلوك: «أمير سلاح». (٣) بكتوت
 الفتاح بدر الدين، كان من عمالِك المنصور وترقى أمير جاندار، وكان خصيصاً عند الملك المظفر بربس
 الجاشنكير. توفى سنة ٧١٠ هـ (عن الدرر الكامنة). (٤) فى الأصلين: «شاك»
 وفى السلوك: «تباكر» وما أثبتناه عن عقد الجمان وهو سيف الدين بلان الطغرلى المعروف بتباكر.
 ٢٠ (٥) هو لاجين المنصورى يعرف بالزيرباج الجاشنكير. توفى سنة ٧٣١ هـ (عن الدرر الكامنة).
 (٦) ضبطه صاحب الدرر الكامنة بالعبارة (بضم أوله وسكون الراء) وذكر وفاته سنة ٧٣٤ هـ.
 (٧) فى الأصلين: «بهادر المعزى». وتصحيحه عن الدرر الكامنة وتاريخ سلاطين المماليك.
 وهو بهادر بن عبد الله التركمانى السيفى المعزى. توفى سنة ٧٣٩ هـ. (٨) سيذكر المؤلف وفاته
 سنة ٧١٩ هـ. (٩) هو أحد أبواب القاهرة فى سورها القبلى. وراجع الحاشية رقم ٦ ص ٣٧
 من الجزء الرابع من هذه الطبعة. (١٠) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

وأقام الملك الناصر بالديار المصرية إلى سنة ثلاث وسبعائة وَرَدَ عليه الخبر بموت غازان بمدينة الرّى^(١) وقام بعده أخوه تَرْبَنْدَا^(٢) بن أرغون بن أبغا بن هولاكو في ثالث عشر شوال وجلس تَرْبَنْدَا على تخت الملك في ثالث عشر ذى الحجة وتلقب غياث الدين محمداً، وكتب إلى السلطان بجلوسه وطلب الصلح وإخماد الفتنة .

- ثم في السنة أستاذن الأمير سَلَار نائب السلطنة في الحج فأذن له ، فحج كما حج الأمير بَيْرَس الجاشنكير في السنة الماضية سنة اثنتين وسبعائة إلا أن سَلَار صنع من المعروف في هذه السنة والإحسان إلى أهل مكة والمجاورين وغيرهم وعاد ، ثم حج الأمير بَيْرَس الجاشنكير ثانيا في سنة أربع وسبعائة . وورد الخبر على السلطان الملك الناصر بقدم رجل من بلاد التتار إلى دمشق يقال له الشيخ بُراق^(٤) في تاسع جمادى الأولى ومعه جماعة من الفقهاء نحو المائة لم هيئة عجيبة ، على رأسهم كلاوت لباد مقصص بعائم فوقها ، وفيها قُرون من لباد يشبه قرون الجواميس ، وفيها أجراس ، ولحاهم محلقة دون شواربهم ، ولُبْسهم لبايد بيض ، وقد تقلدوا بحبال منظومة يكما ب البقر ، وكلّ منهم مكسور الثنية العليا ، وشيخُهم من أبناء الأربعين سنة ، وفيه إقدامٌ وجُراةٌ وقوة نفس وله صَوْلَةٌ ، ومعه طبلخاناه تدق له نوبة ، وله محتسبٌ على جماعته ، يؤدّب كلّ من يترك شيئا من سُنته ، يضرب عشرين عصاة

- (١) الرى ، كانت مدينة بلاد الجبال ، اسمها اليوناني القديم «افروبوس» ثم «راغه» ومنه اشتق الاسم العربي ، فتحها نعيم بن مقرن في خلافة عمر وفيها ولد الخليفة هارون الرشيد ، وهي الآن أطلال على مسافة خمسة كيلومترات من شرق طهران (عاصمة إيران) تعرف باسم « مشهد عبد العظيم » . من معجم الخريطة التاريخية للإملاك الإسلامية لأمين واصف بك ص ٥٦ . (٢) كذا سُمي أولا ، وكان بعد ذلك : خدابندا ، ومعناه : عبد الله . وهو محمد بن أرغون بن أبغا بن هولاكو بن تولى بن جنكخان . وسيد ذكر المؤلف وفاته سنة ٧١٦ هـ . (٣) في السلوك : « في ثالث عشرين ذى الحجة » . (٤) هو براق القرمي أصله من قرية من قرى دوقات ، وكان أبوه صاحب إمرة وعنه كتاب معروف . وتجرد هو وصحب الفقراء . وتلذذ له جماعة . وقد ذكرت له المصادر التي ترجمت له حوادث خارقة للعادة . وكانت وفاته سنة ٧٠٧ هـ (عن النبل الصافي والذير الكامنة) . (٥) في أحد الأصلين : « الشفة العليا » .

تحت رجله، وهو ومن معه ملازمون التعبد والصلاة، وإنه قيل له عن زِيَّه، فقال: أردت أن أكون مسخرة الفقراء. وذكر أن غازان لما بلغه خبره استدعاه وألقى عليه سَبْعًا ضارياً فركب على ظهر السبع ومشى به بخل في عين غازان ونثر عليه عشرة آلاف دينار، وأنه عند ما قدم دمشق كان النائب بالميدان الأخضر فدخل عليه، وكان هناك نعمة قد تفاقم ضررها وشرها ولم يقدر أحد على الدق منها، فأمر النائب بإرسالها عليه فتوجهت نحوه، فوثب عليها وركبها فطارت به في الميدان قدر خمسين ذراعاً في الهواء حتى دنا من النائب، وقال له: أطيّر بها إلى فوق شيئاً آخر؟ فقال له النائب: لا، وأنعم عليه وهاداه الناس، فكتب السلطان بمنعه من القدوم إلى الديار المصرية، فسار إلى القدس ثم رجع إلى بلاده. وفي فقرائه يقول سراج الدين عمر الوراق من موشحة طويلة أولها:

[جَتَا نَجْمٍ مِنْ جَوِّ الرُّومِ] * صُورَ تَحْيِيرِ فِيهَا الْأَفْكَارِ

لَهَا قُرُونٌ مِثْلَ التَّيْرَانِ * إِبْلِيسُ يَصِيحُ مِنْهُمْ زَنْهَارُ

وقد ترجمنا براق هذا في تاريخنا المنهل الصافي بأوسع من هذا. انتهى.

ثم إن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة سبع وسبعائة هجر من الحجر عليه من تحكّم الأميرين سَلَارَ وبيبرس الجاشنكير ومنعه من التصرف وضييق يده، وشكا ذلك لخاصته، وأستدعى الأمير بكتمر الجوكندار وهو أمير جاندار يوم ذاك في خفية وأعلمه بما عزم عليه من القيام على الأميرين سَلَارَ وبيبرس، فقتر معه بكتمر أن القلعة إذا أغلقت في الليل وحملت مفاتيحها إلى السلطان على العادة ليست ممالك السلطان السلاح وركبت الخيول من الإسطبل وسارت إلى إسطبلات الأمراء، ودقّت كؤوس السلطان بالقلعة حرياً ليجتمع الممالك تحت القلعة بمن هو في طاعة السلطان، قال بكتمر: وأنا أهيّئ على بيتي سَلَارَ وبيبرس بالقلعة أيضاً.

قلت : أعني أن بكتمركان سكنه بالقلعة ، فيهمج هو أيضا على بيتي سَلار
ويبيرس بالقلعة أيضا ، وبأخذهما قبضا باليد .

- وكان لكل من بيبرس وسَلار أعين عند السلطان ، فبلغوهما ذلك فأحرزا على
أنفسهما ، وأمر الأمير [سيف الدين] بلبان الدسوقي^(١) والى القلعة ، وكان خَصِيصًا
بهما ، أن يؤم أنه أغلق باب القلعة ويظرف أقفالها ويعبر بالمفاتيح إلى السلطان
• على العادة ففعل ذلك . وظن السلطان ومماليكه أنهم قد حصلوا على عرضهم ،
وأنظروا بكتمرك الجوكندار أن يحضر إليهم فلم يحضر ، فبعثوا إليه فإذا هو مع بيبرس
وسَلار وقد حلف لها على القيام معهما . فلما طلع النهار ظن السلطان أن بكتمرك
قد غدر به وترقب المكروه من الأمراء وليس الأمر كذلك ، وما هو إلا أن سَلار
ويبيرس لما بلغهما الخبر نرجوا إلى دار النيابة بالقلعة ، وعزم بيبرس أن يهجم
• على بكتمرك ويقتله فنبهه سَلار لما كان عنده من التنبؤ والثؤدة ، وأشار بالإرسال
إليه ويحضره حتى تبطل حركة السلطان ، فلما أتى بكتمرك الرسول تخير في أمره وقصد
الاعتناع ، وألبس مماليكه السلاح ومنعهم وخرج إليهم ، فنبهه سَلار ولامه على
ما قصد فأنكر وحلف لهم على أنه معهم ، وأقام عندهم إلى الصباح ودخل مع الأمراء
إلى الخدمة عند الأمير سَلار النائب ، ووقف الزام سَلار وبيبرز على خيولهم بباب
• الإسمطيل مترقين خروج الممالك السلطانية ، ولم يدخل أحد من الأمراء إلى خدمة
السلطان وتشاوروا ، وقد أُشيع في القاهرة أن الأمراء يريدون قتل السلطان الملك
الناصر أو إخراجة إلى الكرك ، فعز عليهم ذلك ليحبتهم له ، فلم تفتح الأسواق ،
وخرج العامة والأجناد إلى تحت القلعة ، وبقي الأمراء نهارهم مجتمعين وبعثوا

(١) زيادة عن السلوك .

بالاحتراس على السلطان خوفاً من نزوله من باب السر، وألبسوا عدة ممالك وأوقفوهم مع الأمير سيف الدين شمسك^(٢) أخى سلال^(٣) على باب الإسطبل. فلما كان نصف الليل وقع بداخل الإسطبل حسّ وحركة من قيام الممالك السلطانية ولبسهم السلاح لينزلوا بالسلطان على حمية من الإسطبل وتوقعوا الحرب، فمنعهم السلطان من ذلك، وأراد الأمير شمسك إقامة الحرمه فرمى بالنشاب ودق الطبل فوقع سهم من النشاب بأرفرف السلطاني، واستمر الحال على ذلك إلى أذان العصر من الغد، فبعث السلطان إلى الأمراء يقول: ما سبب هذا الركوب على باب إسطبل؟ إن كان غرضكم في الملك فإنا منقطع إليه، نقدوه وأبعثوني أى موضع أردتم! فردوا إليه الجواب مع الأمير بيبرس الدوادار والأمير عز الدين أيبك الخازندار والأمير برنقى الأشرفي بأن السبب هو من عند السلطان ومن الممالك الذين يحرضونه على الأمراء، فأنكر أن يكون أحد من ممالكه ذكر له شيئاً عن الأمراء، وفي عود الجواب من عند السلطان وقعت صيحة بالقلعة سبها أن العامة كان جمعهم قد كثر، وكان عاداتهم أنهم لا يريدون أن يلى الملك أحد من الممالك، بل إن كان ولا بد يكون الذى يلى الملك من بنى قلاوون. وكانوا مع ذلك شديدي المحبة للملك الناصر محمد بن قلاوون.

- ١٥ (١) باب السرب قلعة الجبل، ورد في صبح الأعشى عند الكلام على القلعة (ص ٣٧٢ ج ٣): أنه كان للقلعة ثلاثة أبواب: أحدها من جهة القرافة والجبل المقطم. والثاني باب السر. والثالث بابها الأعظم الذى يعرف بباب المدرج، ثم تكلم على باب السرفضال: ويختص الدخول والخروج منه بأكابر الأمراء وخواص الدولة كالوزير وكاتب السر ونحوهما، ويتوصل إليه من الصوه وهى بقية النثر الذى بنيت عليه القلعة من جهة القاهرة بتخرج يمتد فيه مع جانب جدارها البحرى حتى ينتهى إليه بحيث يكون مدخله منه مقابل الإيوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان أيام المواكب، وهذا الباب يبقى مغلوقاً حتى ينتهى إليه من يستحق الدخول أو الخروج منه فيفتح له ثم يغلوق. ومن البحث تبين لى أن باب السر المذكور هو الذى يعرف اليوم بالباب الوسطانى وهو البوابة الوسطانية التى تفصل بين دهليز الباب العمومى البحرى للقلعة وبين الحوش الذى فيه جامع الناصر محمد بن قلاوون وجامع محمد على باشا بالقلعة. (٢) فى تاريخ سلاطين الممالك: «سموك» بالوار. (٣) هو بذاته باب السلسلة أحد أبواب قلعة الجبل الذى يعرف اليوم بباب العزب بميدان محمد على بالقاهرة. وراجع الحاشية رقم ١ ص ١٦٣ من الجزء السابع من هذه لطعة.

فلما رأوا العامة أن الملك الناصر قد وَقَفَ بِالرَّقَرَفِ من القلعة ، وحواشي يَبْرَس
وَسَلَّار قد وقفوا على باب الإسطبل محاصرينه ، حَنَقُوا من ذلك وحملوا وصَرَخُوا
يَدًا واحدة على الأمراء بباب الإسطبل ، وهم يقولون : يا ناصر يا منصور ! فأراد
سُكِّمَ قنابلهم ، فنهه من كان معه من الأمراء وخوفه الكثرة من العوام ، فنفقهقروا
عن باب الإسطبل السلطاني وَسَطًا عليهم العامة وأخشوا في حقهم . وبلغ ذلك
يَبْرَس وَسَلَّار فأركبا الأمير بَنَخَاص المنصوري في عِدَّة ممالك فزلوا إلى العامة
يُخَوِّنُهُمْ ويضربونهم بالدبابيس ليتفرقوا فَأَشْتَدَّ صِيَا حُهُمْ ^(١) : يا ناصر يا منصور !
وتكاثر جمعهم وصاروا يدعون للسلطان ، ويقولون : الله يَخُونُ الخائن ، الله يَخُونُ
من يخون أبَن قلاوون ! ثم حَمَلَ طائفةٌ منهم على بَنَخَاص ورجعه طائفة أخرى ،
بِحَزْد السيف ليَضَعَهُ فيهم فخشي تكاثرهم عليه ، فأخذ يَلَاطفهم ، وقال لهم : طيَّبُوا
خاطركم ، فإن السلطان قد طاب خاطره على أمرائه ، وما زال يَحْلِفُ لهم حتى
تفرقوا ، وعاد بَنَخَاص إلى سَلَّار ويَبْرَس وعرفهم شِدَّة تعصب العامة للسلطان ؛
فبعث الأمراء عند ذلك ثانيًا إلى السلطان بأنهم ممالئكم وفي طاعته ، ولا بُدَّ من
إخراج الشباب الذين يَرْمُون الفتنه بين السلطان والأمراء ، فأمتنع السلطان من ذلك
وَأَشْتَدَّ ، فما زال به يَبْرَس الدَّوَادَار و بُرْنِي حتى أخرج منهم جماعةً وهم : يَلْبَغَا
التَّرْجَمَانِي ، وَأَيْدَمَر المَرْقِي ، وخاصُّ تَرْك ؛ فهَدَّدهم يَبْرَس وَسَلَّار ووجَّاهم وقصَّد
سَلَّار أن يُقَيِّدَهُمْ ، فلم تُوافَق الأمراء على ذلك رعايةً لخاطر السلطان ؛ فَأُخْرِجُوا إلى
القُدْس من وقهم على البريد . ودخل جميع الأمراء على السلطان وقتلوا الأرض ثم
قبَلُوا يده فخلَع على الأمير يَبْرَس وَسَلَّار ، ثم سأل الأمراء السلطان أن يركب في أمرائه

(١) في الأصل الآخر : « فكثرت غوثهم وأشدت صياحهم » .

(٢) كان من أمراء دمشق ثم طرابلس ومات بها سنة ٧٤٩ هـ (عن الدرر الكامنة) .

إلى الجبل الأحمر حتى تطمئن قلوب العامة عليه ويعلموا أن الفتنة قد نحدت، فأجاب لذلك . وبات ليلته في قلق زائد وكرب عظيم لإخراج ممالك المذكورين إلى القدس . ثم ركب بالأمراء من الغد إلى قبة النصر تحت الجبل الأحمر ، وعاد بعد ما قال لبيبرس وسلار : إن سبب الفتنة إنما كان من بكتمر الجوكندار ، وذلك أنه رآه قد ركب بجانب الأمير بيبرس الجاشنكير وحادثه فذكر غدره به فشق عليه ذلك فتلطفوا به في أمره ؛ فقال والله ما بقيت لي عين تنظر إليه ، ومتى أقام في مصر لا جلست على كرسي الملك أبداً فأخرج من وقته إلى قلعة الصبيبة ، واستقر عوضه أمير جاندار الأمير بدر الدين بكتوب الفتح . فلما مات سُقْرُ شاه بعد ذلك آستقر بكتمر الجوكندار في نيابة صقد عوضه فنقل إليها من الصبيبة . وأجتاز السلطان بخانقاه

- ١٠ (١) هو من الجبال المشرفة على القاهرة في جهتها الشرقية البحرية . راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٦١ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٢) كانت واقعة بقرب الجبل الأحمر . راجع الحاشية رقم ١ ص ٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٨١ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٤) خانقاه الأمير بيبرس الجاشنكير الخانقاه الركنية ، هي التي ذكرها المقرئ في خطه باسم خانقاه ركن الدين بيبرس (ص ٤١٦ ج ٢) وقال : إن هذه الخانقاه من حلة دار الوزارة الكبرى وهي أجل خانقاه بالقاهرة بناها وأوسعها مقدارا وأفضها صنعة ، بناها الملك المنصور ركن الدين بيبرس الجاشنكير قبل أن يلب السلطنة وهو أمير ، فبدأ في بنائها في سنة ٧٠٦ هـ وأتمها في سنة ٧٠٩ هـ وبنى بجانبها رباطا كبيرا يوصل إليه من داخلها ، وجعل بجانب الخانقاه قبة بها قبره ، وقرر بالخانقاه أربعائة صوفي ، وبالرباط مائة من الخند وأبناء الناس الذين قد بهم الوقت . وجعل بها مطبخا يفرق على كل منهم في كل يوم الخبز والحلوى ، ورتب بالقبة درسا لتحديث النبى .
- ٢٠ وأقول : إن هذه الخانقاه لا تزال موجودة إلى اليوم بشارع الجمالية بالقاهرة باسم جامع بيبرس أو البيبرسية أو خانقاه بيبرس ، وجهتها غربية فوقها مذبة أثرية على شكل مآذن النصر الأيوبي ، يملوها خوذة مضلعة كانت مكسوة بالقاشاني ، ويمتد بأعلى الوجهة طراز عريض يدور مع تجويف الباب العمومي مكتوب فيه بخط ملوك كبير اسم السلطان بيبرس وألقابه وتاريخ إنشاء الخانقاه . ويوجد على يسار الداخل من الباب العمومي قبة شاهقة بها قبر منشئها ، ويكسو جدرانها وزرة من الرخام ويحيط بصحن الجامع إيوانان بسقف معفود ، وبأحدهما المحراب وعدة قاعات يملوها دوران من الغرف ، كانت مخصصة لإقامة الصوفية ، وأما الرباط فقد زال ؛ ومكانه اليوم الوكالة التي أنشأها سليمان أغا السلاح دار في سنة ١٢٣٣ هـ ولا تزال موجودة باسم حوش على بجوار هذا الجامع من الجهة البحرية بشارع الجمالية المذكور .

الأمير بيترس الجاشنكير داخل باب النصر فراها في تموه، وكان قد تجزَّ العملُ منها في هذه الأيام، وطلع السلطان إلى القلعة وسكن الحال، والأمراء في حصر من جهة العاقبة من تعصُّبهم للسلطان، والسلطان في حصر بسبب بخر الأمراء عليه وإخراج ممالكه من عنده. واستمر ذلك إلى أن كان العاشر من جمادى الآخرة من سنة ثمان وسبعائة عدى السلطان الحيزة وأقام حول الأهرام يتصيد عشرين يوماً، وعاد وقد ضاق صدره وصلر في غاية الحصر من تحكُّم بيترس الجاشنكير وسلار عليه، وعدم تصرفه في الدولة من كلِّ ما يريد، حتى أنه لا يصل إلى ما تشتهى نفسه من المأكلة لقلعة المرتب له! فلولا ما كان يحصل له من أملاكه وأوقاف أبيه لما وجد سبيلاً لبلوغ بعض أغراضه، وطال الأمر عليه سنين، فأخذ في عمل مصلحة نفسه

- ١٠ (١) الأهرام، هي من أقدم الآثار المصرية وأشهرها ومن أضخم المباني الأثرية وأعلىها ارتفاعاً عن سطح الأرض، وقد عذا كتاب التاريخ من عجائب الدنيا.
- والفرض من بناء الأهرام هو جعلها قبوراً للوك الذين شيدوها على شكل هرمي ذي قاعدة مربعة، ويشمل كل هرم على جرة أو عدة جرات يدخل إليها الإنسان من دهاليز منحدره منحرة في ذات الباب. لدفن الملوك وأقاربهم.
- ١٥ وكان يوجد بأرض مصر أهرام كثيرة بعضها كبير والبعض صغير وبعضها من طين ولبن وأكثرها من الحجر الأطلس وبعضها مدرج وكلها على شكل هرمي.
- ويوجد الآن بمصر نحو ستين هرمًا قد أقيمت متعاقبة بعضها وراء بعض على سفح الجبل الغربي من تجلوه مدينة الجيزة إلى ناحية اللاهون بالقليوب، وأشهرها الأهرام الثلاثة القائمة غربي مدينة الجيزة والمعروفة بأهرام الجيزة وهي التي يشير إليها المؤلف. وبلغها أهرام سقارة ثم دهنور ثم اللث ثم ميدوم ثم الفيوم.
- ٢٠ وأطول الأهرام ارتفاعاً الهرمان الشيران بالجيزة، فأحدهما إنشاء الملك خوفو (كيوس) وكان ارتفاعه ١٤٦ و ٥٠ م. وأما اليوم فارتفاعه ١٣٧ م، بسبب تساقط أحجاره، وكان طول كل ضلع من أضلاع قاعدة ٢٣٠ و ٣٥ م. ومن تساقط الأحجار أصبح طول الضلع الواحد ٥٠ و ٢٢٧ م.
- والهرم الثاني إنشاء الملك خفرع (كفرن) وكان ارتفاعه ٥٠ و ١٤٣ م، وبسبب تساقط أحجاره أصبح ارتفاعه ٤٠ و ١٣٦ م، وكان طول كل ضلع من أضلاع قاعدته ٢١٥ م. وبسبب تساقط الأحجار أصبح طول الضلع الواحد ٢١٠ م، ويجاور هذين الهرمين هرم ثالث أصغر منهما إنشاء الملك منقوع (مكينوس)، وهؤلاء الملوك الثلاثة من ملوك الأسرة الرابعة المصرية الفرعونية التي حكمت مصر من سنة ٢٩٠٠ ق م إلى سنة ٢٧٥٠ ق م.

وأظهر أنه يريد الحج بعياله ، وحدث بيبرس وسَلَار في ذلك يوم النصف من شهر رمضان فوافقه عليه ، وأعجب البرجية خشداشية بيبرس سفره ليناوا أغراضهم وشرعوا في تجهيزه ، وكتب إلى دمشق والكرك وغزة برى الإقامات ، وألزم عرب الشرقية بمحل الشيعر ، فتهبأ ذلك ، وأحضر الأمراء تَقَادِمَهُم له من الخيل والجمال في العشرين من شهر رمضان فقبلها منهم وشكرهم على ذلك . وركب في خامس عشرين شهر رمضان من القلعة يريد السفر إلى الحج ، ونزل من القلعة ومعه جميع الأمراء ، وخرج العامة حوله وحاذوا بينه وبين الأمراء ، وهم يتباكون حوله ويتأسفون على فراقه ويدعون له إلى أن نزل بركة الحجاج . وتعين للسفر مع السلطان من الأمراء : عز الدين أيدمر الخطيرى الأستاذار ، وسيف الدين بَلَّان [المحمدي] أمير جَانْدَار ، وحسام الدين قرا لاچين أمير مجلس ، وسيف الدين بَلَّان [المحمدي] أمير جَانْدَار ، وعز الدين أَيْيَك الرومى السَّلاح دار ، وركن الدين بيبرس الأحمدي ، وعلم الدين سَنَجَر الجمققدار ، وسيف الدين تُقْطَاى الساقى ، وشمس الدين سُتْقَر السَّعْدِيّ النقيب ، ومن الممالك خمسة وسبعون نفرا . وودعه سَلَار وبيبرس بمن معهم من الأمراء ، وهم على خيولهم من غير أن يترجلوا له وعاد الأمراء ، فرحل السلطان من ليلته وخرج إلى جهة الصالحية وتصيد بها ، ثم سار إلى الكرك ومعه من الخيل مائة وخمسون فرسا ، فوصل إلى الكرك في يوم الأحد عاشر شوال بمن معه من الأمراء ومماليكه . واحتفل الأمير جمال الدين آقوش الأشرفي نائب الكرك بقدومه وقام له بما يليق به ، وزين له القلعة والمدينة ، وفتح له باب السّر من قلعة الكرك ومدّ الجسر على الخندق ، وكان له مدة سنين لم يمدّ وقد ساس خشبه لطول مُكْثِهِ .

(١) زيادة عن ابن إياس وتاريخ سلاطين الممالك وعقد الجمان . (٢) في الأصلين :

« تقطاي السناني » . وما أثبتناه عن السلوك وحقد الجمان . وذكر صاحب الدرر الكامنة أن « تقطاي »

رسم بالنا. والطاء . (٣) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٥ من الجزء الخامس من هذه الطلعة .

فلما عبرت الدواب عليه وأتى السلطان في آخرهم أنكسر الجسر تحت رجل فرس السلطان بعد ما تعدى يدا الفرس الجسر، فكاد فرس السلطان أن يسقط لولا أنهم جبدوا عنان الفرس حتى خرج من الجسر وهو سالم، وسقط الأمير بلبان طرنا أمير جاندار وجماعة كثيرة، ولم يمت منهم سوى رجل واحد وسقط أكثر خاصكية السلطان في الخندق وسلموا كلهم إلا اثنين، وهم : الحاج عز الدين أزدمر رأس نوبة الجندارية أنقطع نخاعه وبطل نصفه وعاش كذلك لسنة ست عشرة وسبعائة، والآخريات لوقته .

قال ابن كثير في تاريخه : ولما توسط السلطان الجسر أنكسر فسلم من كان قدامه وقفز به فرسه فسلم، وسقط من كان وراءه وكانوا خمسين فمات أربعة وتهم أكثرهم في الوادي تحته . انتهى .

وقال فيه : لما أقطعت سلسلة الجسر وتمزق الخشب صرخ السلطان على فرسه وكان قد نزلت رجله في الخشب فوثب الفرس إلى داخل الباب ، ووقع كل من كان على الجسر وكانوا أكثر من مائة مملوك، فوقعوا في الخندق فمات منهم سبعة وأنهم منهم خلق كثير وضاق صدر السلطان^(١) ، فقبل له : هذه شدة يأتي من بعدها فرج !

ولما جلس السلطان بقلعة الكرك ووقف نائبها الأمير أقوش بجلا وجلا خائفاً أن يتوهم السلطان أن يكون ذلك مكيدة منه في حقه ، وكان النائب المذكور قد عمِل ضيافة عظيمة للسلطان غريم عليها جملة مستكثرة ، فلم تقع الموقعة لأشتغال

(١) يريد به ابن دقان صاحب نزهة الأنام في تاريخ الإسلام كما في عقد الجمان .

(٢) في عقد الجمان : « ضاق صدر السلطان » وقال في نفسه : هذه شدة يكون عقيبها خيرا

إن شاء الله تعالى »

السلطان بهمة وبما جرى على ممالكه وخاصيته . ثم إن السلطان سأل الأمير آقوش عن الجسر المذكور فقال : ما سبب انقطاعه ؟ فقال آقوش بعد أن قبل الأرض : أيد الله مولانا السلطان ، هذا الجسر عتيقٌ ونُقِلَ بالرجال فإِ حَل ، فقال السلطان : صدقت ، ثم خَلَع عليه وأمره بالانصراف . وعند ما استقر السلطان بقلمه الكرك عرّف الأمراء أنه قد أنشئ عزمه عن الحج ، واختار الإقامة بالكرك وترك السلطنة ، وخلَع نفسه ليستريح خاطره .

وقال ابن كثير : لما جرى على السلطان ما جرى وأستقر في قلعة الكرك خَلَع على النائب ، وأذن له في التوجه إلى مصر فسافر .

وقال صاحب التزعة : لما بات السلطان تلك الليلة في القلعة وأصبح طلب نائب الكرك وقال له : يا جمال الدين ، سافر إلى مصر واجتمع بحشدٍ أشيتك فباس الأرض ، وقال : السمع والطاعة ، ثم إنه خرج في تلك الساعة بمالكة وكل من يلوذ به . ثم بعد ثلاثة أيام نادى السلطان بالقلعة والكرك لا يبقى هنا أحدٌ لا كبير ولا صغير حتى يخرج فيجيب ثلاثة أحجار من خارج البلد ، فخرج كل من بالقلعة والبلد . ثم إن السلطان أغلق باب الكرك ورجعت الناس ومعهم الأحجار فראوا الباب مغلقا فقليل لهم : كل من له أولاد أو حريمٌ يخرج إليه ولا يبقى أحدٌ بالكرك ، فخرج الناس بمناعهم وأولادهم وأموالهم ، وما أمسى المساء ونفى في الكرك أحدٌ من أهلها غيره ومالكة . ثم طلب مملوكه أرغون^(١) الدوادار وقال له : سر إلى عقبة أيلة^(٢) وأخضر بني وأولادى ، فسار إليهم أرغون وأقدمهم عليه . ووجد الملك الناصر من الأموال

(١) هو أرغون بن عبد الله الدوادار سيف الدين الناصرى . سيذكره المؤلف في حوادث

سنة ٧٣١ هـ . وقد ذكره صاحب الدرر الكامنة ترجمة طويلة فراجعها . ٢٠

(٢) راجع الحاشية رقم ٨ ص ٢٠٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

- بالكَرْك سبعة وعشرين ألف دينار عَيْنًا، وألف ألف درهم وسبعائة ألف درهم .
ثم إن السلطان طَلَبُ الأمراء الذين قَدِمُوا معه وعرفهم أَنَّهُ أَخْتَارَ الإقامة بِالكَرْك كما
كَانَ أَوَّلًا ، وَأَنَّهُ تَرَكَ السُّلْطَنَةَ فَشَقَّ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ وَبَكَوْا وَقَبَلُوا الْأَرْضَ يَنْضَرَعُونَ
إِلَيْهِ فِي تَرْكِ هَذَا الْخَاطِرِ وَكَشَفُوا رُءُوسَهُمْ فَلَمْ يَقْبَلْ وَلَا رَجَعَ إِلَى قَوْلِهِمْ . ثُمَّ أَسْتَدْعَى
الْقَاضِيَّ عَلَاءَ الدِّينِ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْأَثِيرِ كَاتِبَ السَّرِّ ، وَكَانَ قَدْ تَوَجَّهَ
مَعَهُ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْتُبَ لِلْأَمْرَاءِ بِالسَّلَامِ عَلَيْهِمْ ، وَيُعرفَهُمْ أَنَّهُ قَدْ رَجَعَ عَنِ الْحُجِّ وَأَقَامَ
بِالكَرْك وَنَزَلَ عَنِ السُّلْطَنَةِ ، وَسَأَلَهُمُ الْإِنْعَامَ عَلَيْهِ بِالكَرْكِ وَالشُّوْبَكِ ، وَأَعْطَى الْكُتُبَ
لِلْأَمْرَاءِ وَأَمَرَهُمْ بِالْعَوْدَةِ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ ، وَأَعْطَاهُمُ الْمُجُنَّاتِ الَّتِي كَانَتْ مَعَهُ بِرَسْمِ
الْحُجِّ ، وَعِدَّتُهَا نَحْمِائَةً يَهْمِينُ وَالْجَمَالَ وَالْمَالَ الَّذِي قَدَّمَهُ لَهُ الْأَمْرَاءُ بِرَسْمِ التَّقْدِيمَةِ قَبْلَ
خُرُوجِهِ مِنَ الْقَاهِرَةِ ، فَسَارُوا الْجَمِيعَ إِلَى الْقَاهِرَةِ .

١٠

وَأَمَّا إِخْرَاجُ السُّلْطَانِ أَهْلَ قَلْعَةِ الْكَرْكِ مِنْهَا لِأَنَّهُ قَالَ : أَنَا أَعْلَمُ كَيْفَ بَاعُوا الْمَلِكَ
السَّعِيدَ بَرَكَةَ خَانَ ابْنَ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبَاسَ بِالْمَالِ لَطُرُنْطَايَ ! فَلَا يُجَاوِرُونِي ، نَحْرُجُ
كُلَّ مَنْ كَانَ فِيهَا بِأَمْوَالِهِمْ وَحَرِيمِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَعَرَّضَ إِلَيْهِمْ أَحَدٌ الْبَتَّةَ .

- وَأَمَّا النَّائِبُ آقُوشُ فَإِنَّهُ أَخَذَ حَرِيمَهُ وَسَافَرَ إِلَى مِصْرَ بَعْدَ أَنْ قَدَّمَ مَا كَانَ لَهُ
مِنَ الْفِئَالِ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَهُوَ شَيْءٌ كَثِيرٌ ، فَقَبِلَهُ السُّلْطَانُ مِنْهُ . فَلَمَّا قَدَّمَ آقُوشُ
إِلَى مِصْرَ قَالَ لَهُ سَلَارُ وَبَيْبَاسُ : مَنْ أَمْرُكَ بِتَمْكِينِ السُّلْطَانِ مِنَ الطُّلُوعِ إِلَى الْقَلْعَةِ ؟
(بَعْنَى قَلْعَةِ الْكَرْكِ) فَقَالَ : كِتَابُكُمْ وَصَلَ إِلَيَّ بِأَمْرِي بِأَنْ تُنْزَلَ إِلَيْهِ وَأُطْلِعَهُ إِلَى الْقَلْعَةِ ،
فَقَالَ : وَأَيْنَ الْكِتَابُ ؟ فَأَخْرَجَهُ ، فَقَالَا : هَذَا غَيْرُ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبْنَاهُ فَاطْلُبُوا
الْأَطْنَبِيَّ ، فَطَلَبُوهُ فَوَجَدُوهُ قَدْ هَرَبَ إِلَى الْكَرْكِ عِنْدَ السُّلْطَانِ فَسَكَنُوا عَنْهُ . انْتَهَى .

١٥

وأما الكتاب الذي كتبه الملك الناصر محمد بن قلاوون من الكرك إلى بيبرس
وسلار مضمونه ، بسم الله الرحمن الرحيم :

حرس الله تعالى نعمة الجَنَائِنِ العَالِيَيْنِ الكَبِيرِينَ الغَازِيَيْنِ المَجاهِدِينَ ، وفقهما
الله تعالى توفيقَ العارفين ! أما بعدُ فقد طَلَعْتُ إلى قلعة الكرك وهي من بعض قِلاعى
ومُلْكِي ، وقد عَوَّلْتُ على الإقامة فيها ، فإن كنتم ممالئكم وممالئكم أبى فاطموا نائبي
(يعنى نائبه سلار) ولا تخالفوه فى أمر من الأمور ، ولا تعملوا شيئاً حتى تشاورونى
فأنا ما أريد لكم إلّا الخير ، وما طَلَعْتُ إلى هذا المكان إلّا لأَنَّهُ أَرَوْحُ لى وأَقْلُ
كُفَّةً ، وإن كنتم ما تسمعون منى فأنا مُتَوَكِّلٌ على الله والسلام .

فلما وصل الكتاب إلى الأمراء قرءوه وتشاوروا ساعة ، ثم قاموا من باب
القلعة وذهبوا إلى دار بيبرس وأنفقوا على أن يُرسلوا إلى الملك الناصر كتاباً ،
فكتبوه وأرسلوه مع البرّوَائِيّ على البريد ، فسار البرّوَائِيّ إلى أن وصل إلى الكرك
وأجتمع بالملك الناصر وقبل الأرض بين يديه وناوله الكتاب ، فأعطاه الملك الناصر
لأَرْغُونِ الدَوَادَارَ ، فقرأه فتبسّم السلطان وقال : لا إله إلّا الله ! وكان فى الكتاب :
ما علمنا ما عوّلت عليه ، وطُلُوعَكَ إلى قلعة الكرك وإخراج أهلها وتشيعك نائبها ،
[وهذا أَمَلٌ بعيدٌ^(١) نَحَلَّ عَنْكَ شُغْلُ الصَّبِيِّ ، وقُمْ وَأَحْضِرْ إلينا وإلّا بعد ذلك تَطْلُبُ
الحضور ولا يَصِحُّ لك ، وتندم ولا يَنْفَعُكَ النَّدَمُ ، فبالت لو علمنا ما كان وقع
فى خاطرك وما عوّلت عليه ، غير أن لكلّ مُلْكٍ آنصرام ، ولا تقضاء الدولة أحكام ،
ولحلّول الأقدار سهام ؛ ولأجل هذا أَمَرَكُ غَيْكَ بالتطويل ، وحسّن لك زُخْرَفَ
الأقوال ؛ فالله الله حال وقوفك على هذا الكتاب ، يكون الجواب حضورك بنفسك
ومعك ممالئك ، وإلّا تعلم أنا ما نُحْيِيكَ فى الكرك ، [ولو كُثُرَ شاكروك^(١)] ويخرج
المُلك من يدك ؛ والسلام .

(١) الزيادة عن عقد الجمان .

فقال الملك الناصر : لا إله إلا الله ، كيف أظهروا ما في صدورهم ! ثم أمر بإحضار آلة الملك مثل العصائب والسناجق والكُوسات [والهُجُن^(٢)] وكل ما كان معه من آلة الملك وسلمها إلى البرَوَانِي ، وقال له : قل لسلار ما أخذتُ لكم شيئاً من بيت المال ، وهذا الذي أخذته قد سيرته لكم ، وأنظروا في حالكم فانا ما بقيت أعمل سلطاناً ، وأتم على هذه الصورة ! فدعوني أنا في هذه القلعة بمنزلاً عنكم إلى أن يفرج الله تعالى إنا بالموت وإنا بغيره . فأخذ البرَوَانِي الكتاب وجميع ما أعطاه السلطان وسار إلى أن وصل إلى الديار المصرية ؛ ودفع الكتاب لسلار وبيبرس ، فلما قرأ الكتاب قالا : ولو كان هذا الصبي يمي ، ما بقي يُفْلِح ولا يصلح للسلطنة ، وأى وقت عاد إلى السلطنة لا نأمن غدره . فلما سمعت الأمراء ذلك اجتمعت على سلطنة الأمير سلار ، تخاف سلار من ذلك وخشي العاقبة فامتنع ، فأختار الأمراء ركن الدين بيبرس الجاشنكير وأكثرهم البرجية فانهم خُشِدَ إِشِيَّتُهُ . ويُوعى له بعد أن أثبت كتاب الملك الناصر محمد بن قلاوون على القضاة بالديار المصرية بأنه خلَعَ نفسه ، وكانت البيعة لبيبرس في الثالث والعشرين من شَوَّال من سنة ثمان وسبعائة في يوم السبت بعد العصر في دار سلار . يأتي ذكر ذلك كله في أول ترجمة بيبرس ، إن شاء الله تعالى . وكانت مُدَّةُ سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون في هذه المرة الثانية عشر سنين وخمسة أشهر وتسعة عشر يوماً .^(٣) وتأتى بقية ترجمته في سلطته الثالثة ، بعد أن نذكر سلطنة بيبرس وأيامه ، كما نذكر أيام الملك الناصر هذا قبل ترجمة بيبرس المذكور على عادة هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . والحمد لله وحده .

(١) في عقد الجمان : « لقد أظهروا ... الخ » . (٢) الزيادة عن عقد الجمان .

(٣) في السلوك : « وسبعة عشر يوماً » .



السنة الأولى من سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر،
وهي سنة ثمان وتسعين وثمانئة، على أن الملك المنصور لاجين كان حكم منها مائة يوم.
فيها كان قتل الملك المنصور حسام الدين لاجين المذكور ومملوكه منكوتمر
حسب ما تقدم .

وفيها في العشر الأوسط من المحرم ظهر كوكبٌ ذو ذؤابة في السماء ما بين أواخر
برج الثور إلى أول برج الجوزاء، وكانت ذؤابته إلى ناحية الشمال، وكان في العشر
الأخير من كانون الثاني وهو شهر طوبة^(١) .

وفيها توفى القاضي نظام الدين أحمد ابن الشيخ الإمام العلامة جمال الدين محمود
ابن أحمد بن عبد السلام الحيصري الحنفي في يوم الخميس ثامن المحرم ودُفن يوم الجمعة
بمقابر الصوفية عند والده، وكان إماماً عالماً بارعاً ذكياً وله ذهنٌ جيدٌ وعبارةٌ طليقةٌ
مفيدةٌ، ودرس بالتورونية وغيرها وأفتى سنين وأقرأ، وناب في الحكم بدمشق عن
قاضي القضاة حسام الدين الحنفي وحسنت سيرته رحمه الله .

- (١) هو الشهر الخامس من شهور القبط . ودخوله في السادس والعشرين من كانون الأول من
شهور السريان، وآخره الرابع والعشرون من كانون الثاني (صج الأعشى ج ٢ ص ٢٧٥) .
- (٢) في الأصلين والواقى بالوفيات للصفدي : « ابن عبد السيد » . وما أثبتناه عن المنهل الصافي
وجواهر السلوك وعقد الجمان والبداية والنهاية لابن كثير . (٣) في الأصلين : « ثاني المحرم » .
والتصحیح عن جواهر السلوك والتوفيقات الإلهامية والمنهل الصافي والبداية والنهاية لابن كثير .
- (٤) يريد مقابر الصوفية بدمشق . (٥) التورية، نسبة إلى نور الدين محمود الشهيد، كان له
بدمشق مدرستان بهذا الاسم، وهما التورية الكبرى التي كانت قديماً دار معاوية بن أبي سفيان ودار هشام
ابن عبد الملك . والتورية الصغرى وهي المدرسة التي كانت بجامع قلعة دمشق (عن خطط الشام ج ٦ ص ٩٧
وختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس في أخبار المدارس، لعبد الباسط العلوي الدمشقي (نسخة مخطوطة
محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣٤١٩ تاريخ) . (٦) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٢٨
من الجزء السابع من هذه الطبعة .

وفيهما توفى الأمير عز الدين أيتك الموصلى^(١) [المنصورى] نائب طرابلس والفتوحات
الطرابلسية في أول صفر مسموما . وكان من أجل الأمراء وله مواقف مشهورة .
وفيهما توفى قتيلا الأمير سيف الدين طنجي بن عبد الله الأشرفى . أصله من
ممالك الملك الأشرف خليل بن قلاوون . وقُتل أيضا الأمير سيف الدين كرجي .
والأمير نوغاي الكرمنى السلاح دار ، وهؤلاء الذين قتلوا السلطان الملك المنصور
حسام الدين لاجين ومملوكه منكوتغر ، ثم قُتلوا بعده بثلاثة أيام حسب ما تقدم ذكر
ذلك كله في آخر ترجمة الملك المنصور لاجين مفصلاً ، وقُتل معهم تمام اثني عشر
نفرًا من الأمراء والخاصية ممن تألبوا على قتل لاجين .

- وفيهما توفى الأمير بدر الدين بدر [الحبشي^(١)] الصوابي [الخدام^(١)] في ليلة الخميس
تاسع جمادى الأولى بقرية الحبارة^(٢) ، كان خرج إليها فمريض بها ومات ، وقيل بل
مات بقاءة وهو الأصح فحُمِلَ منها إلى جبل قاسيون ، ودُفِنَ بترابته التي أعدها لنفسه .
وكان أميرًا مباركا صالحا دينًا خيرًا . قال عز الدين بن عبد الدائم : أقام أميرًا مائة
ومُقدِّم ألف أكثر من أربعين سنة ، وولى إمرة الحاج يدمشق غير مرة . رحمه الله .
وفيهما توفى العلامة حجة العرب الإمام الأستاذ بهاء الدين أبو عبد الله محمد
ابن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الحبلي النحوي المعروف بابن النحاس ، مات بالقاهرة
في يوم الثلاثاء سابع جمادى الأولى وأُخرج من القُد ، ودُفِنَ بالقرافة بالقرب من تربة
الملك المنصور لاجين ، ومولده في سنة سبع وعشرين وستمائة بحلب ، وكان إماما
عالما علامة بارعا في العربية ، نادرة عصره في فنون كثيرة . وله نظم ونثر .

(١) زيادة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافي . (٢) قرية ذكرها ياقوت في الكلام عن

حطين بالقرب منها ، قال : وبها قبر شبيب عليه السلام . والقرية أندثرت الآن وأما قبر سيدنا شبيب فباق
بالقرب من حطين ؟ وحطين تابعة لفضاء طبرية في فلسطين (انظر ياقوت وانظر جغرافية فلسطين لروحي
ص ٦٠ وما بعدها) .

قال العلامة أنير الدين أبو حيان^(١) : قال حدثنا الشيخ بهاء الدين ابن النحاس
قال: اجتمعت أنا والشهاب مسعود السنبل^(٢) والضياء المناوي فأنشد كل منا له بيتين ،
فكان الذي أنشده السنبل في مَليح مُكاري :

عَلَّقْتُهُ مُكَارِيًا * شَرَدَ عَنِ عَيْنِي الْكَرَى

قد أشبه البدر فلا * يَمَلَّ مِنْ طُولِ السَّرَى

وأنشد المناوي في مَليح اسمه جَمْرِي :

أَفْدَى الَّذِي يَكْنِيتُ بَدْرَ الدُّجَى * لِحُسْنِهِ الْبَاهِرِ مِنْ عَبْدِهِ

سَمَّوْهُ جَمْرِيًّا وَمَا أَنْصَفُوا * مَا فِيهِ جَمْرِيٌّ سِوَى خَدِّهِ

وأنشد الشيخ بهاء الدين هذا في مَليح مشروط :

قُلْتُ لِمَا شَرَطُوهُ وَجَرَى * دَمُهُ الْقَانِي عَلَى الْوَجْهِ الْبَقَى

غَيْرُ يَدِجٍ مَا أَتَوْا فِي فَعْلِهِمْ * هُوَ بَدْرٌ سَرَّوْهُ بِالْشَفَقِ

قلت : ونظم الثلاثة نظم متوسط ليس بالطبقة العليا . وأحسن من الأول قول

من قال :

أَفْدَى مُكَارِيًّا تَرَاهُ إِذَا سَمَى * كَالْبَرْقِ يَتَهَبُ الْعَيُونَ وَتَحْطَفُ

أَخَذَ الْكَرَامِي وَأَحْرَمَنِي الْكَرَى * بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَا مُكَارِي الْمَوْقِفُ

وأحسن من الأخير قول من قال ، وهو نجم الدين عبد المجيد بن محمد التتوني :

أَنْظُرْ إِلَيْهِ وَسَلِّ قَلْبَكَ مِنْ حُبِّهِ لَعَلَّكَ

مَلِكُ الْفُؤَادِ بِغَيْرِ شَرِّ * طِ حُسْنُهُ وَالشَّرُّ أَمَلُكَ

(١) هو محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الإمام أنير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي ،

نحوى عصره ولغويته ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه ، . سبكر المؤلف وفاته سنة ٥٧٤٥ هـ

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن المناوي ضياء الدين . توفي سنة ٥٧٤٦ هـ (عن شذرات

الذهب والدرر الكامنة) .

غيره في المعنى :

شَرُّطُوهُ فَبَكَى مِنْ أَلَمٍ * فَفَدَا مَا بَيْنَ دَمْعٍ وَدَمٍ

نَاثِرًا مِنْ ذَاوَمِنَ ذَا لَوْلَا * وَعَقِيقًا لَيْسَ بِالْمُنْتَظَمِ

- وفيها تُوفِّيَ الصاحب تَقِيُّ الدِّينِ أَبُو الْبَقَاءِ [الرَّبِيعِيُّ^(١)] تَوْبَةً بَنَ عَلِيَّ بْنَ مُهَاجِرِ بْنِ
مُجَاعَ بْنِ تَوْبَةَ التَّكْرِيتِيِّ [المعروف بالْبَيْعِ^(٢)] فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ ثَامِنِ جُمَادَى الْآخِرَةِ وَدُفِنَ
بِقَايَسِيُونَ . وَكَانَ رَئِيسًا فَاضِلًا وَلِي الْوَزَرَ بِدِمَشْقَ خَمْسَةَ سَلَّاطِينَ : أَوَّلُهُمُ الْمَنْصُورُ
قَلَاوُونَ ، ثَانِيهِمْ أَبْنَاهُ الْأَشْرَفُ خَلِيلٌ ، ثُمَّ لِأَخِيهِ النَّاصِرُ مُحَمَّدٌ ، ثُمَّ لِلْعَادِلِ كَتَبْغَا ،
ثُمَّ لِلْمَنْصُورِ لَاجِينَ . اِتَّهَمَى . وَكَانَ مَوْلَدُهُ سَنَةَ عَشْرِينَ وَسِتَّمِائَةَ .

- وفيها فِي أَوَّلِ ذِي الْقَعْدَةِ وَقِيلَ فِي شَوَالٍ تُوُفِّيَ بِالْقَاهِرَةِ الْأَمِيرُ الْكَبِيرُ بَدْرُ الدِّينِ
بَيْسَرِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الشَّمْسِيُّ الصَّالِحِيُّ النَّجْمِيُّ بِالسَّجَنِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ ، وَدُفِنَ بِرَبْتَه^(٣)
بِالْقَاهِرَةِ . كَانَ أَمِيرًا جَلِيلًا مُعَظَّمًا فِي الدُّوَلِ ، كَانَ الظَّاهِرُ يَسْبِرُ يَقُولُ : هَذَا
ابْنُ سُلْطَانِنَا فِي بِلَادِنَا ! وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ السُّلْطَانَةُ لَمَّا قَتَلَ الْمَلِكُ الْأَشْرَفُ خَلِيلَ
ابْنِ قَلَاوُونَ فَامْتَنَعَ ، وَكَانَتْ قَدْ عُرِضَتْ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ بَعْدَ الْمَلِكِ السَّعِيدِ بْنِ الظَّاهِرِ
فَلَمْ يَقْبَلْ ، وَهُوَ آخِرُ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَكْبَرِ مَمَالِكِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ نَجْمِ الدِّينِ أَيُّوبَ ، وَتَرَقَّى
حَتَّى صَارَ أَمِيرًا مِائَةً وَمَقْدَمَ أَلْفٍ ، وَعَظُمَ فِي الدُّوَلِ حَتَّى قَبِضَ عَلَيْهِ خُشْدَاشُهُ الْمَنْصُورُ
قَلَاوُونَ وَحَبَسَهُ تَسْعَ سِنِينَ إِلَى أَنْ أَطْلَقَهُ أَبْنَاهُ الْأَشْرَفُ خَلِيلٌ وَأَعَادَهُ إِلَى رَبْتِهِ ،
فَاسْتَمَرَ إِلَى أَنْ قَبِضَ عَلَيْهِ الْمَنْصُورُ لَاجِينَ وَحَبَسَهُ إِلَى أَنْ قُتِلَ لَاجِينَ ، وَأُعِيدَ النَّاصِرُ
مُحَمَّدُ بْنُ قَلَاوُونَ فَكَلَّمُوهُ فِي إِطْلَاقِهِ فَأَبَى إِلَّا حَبَسَهُ إِلَى أَنْ مَاتَ فِي الْحَبْسِ . وَكَانَتْ لَهُ^(٤)

(١) زِيَادَةُ عَنْ الذَّهَبِيِّ وَالْمُهَلِّ الصَّافِي . (٢) زِيَادَةُ عَنْ الْمَصْدَرِ بْنِ الْمُتَقَدِّمِينَ وَجَوَاهِرُ

السُّلُوكِ وَالرَّوَافِي بِالْوَفَايَاتِ لِمُسْتَدَى . (٣) تَرْبَةُ بَيْسَرِي ، يَسْتَفَادُ مَا ذَكَرَهُ الْفَرِيزِيُّ عِنْدَ الْكَلَامِ
عَلَى هَذَا الْأَمِيرِ أَنَّهُ مَاتَ فِي ١٩ شَوَالٍ سَنَةِ ٦٩٨ هـ وَدُفِنَ بِرَبْتِهِ خَارِجَ بَابِ النَّصْرِ وَقَدْ ائْتَرَتْ مَعَ الْقَبْرِ
الَّتِي لَمْ يَحَافِظْ عَلَيْهَا . (٤) فِي الْأَصْلَيْنِ : «إِلَى أَنْ مَاتَ فِي الْبَرَجِ» . وَمَا أُثْبِتَاهُ عَنْ الْمُهَلِّ الصَّافِي .

(١) دارٌ عظيمةٌ بين القصرين وقد تَغَيَّرَتْ رُؤُوسُهَا الآنَ. وكانَ على الهِمةِ كثيرَ الصدقاتِ والمعروفِ، كانَ عليه في أيامِ إِمْرَتِهِ رَوَائِبُ لِمَاجَةِ من مَمَالِيكَه وحَواشِيهِ وَخَدَمُهُ، فكانَ يُرَتَّبُ لِبَعْضِهِمْ في اليَومِ من الخَمِّ سَبْعِينَ رِطْلًا وما تَحْتَاجُ إِلَيْهِ من التَّوَابِلِ وسَبْعِينَ عَليقةً، ولَا قَلْبَهُمْ خَمْسَةُ أَرْطَالٍ وَخَمْسَ عَلائِقٍ وما بَيْنَ ذَلِكَ، وكانَ ما يَحْتَاجُ إِلَيْهِ في كُلِّ يَومٍ لِسِمَاطِهِ وَلِدَوْرِهِ والمُرْتَبُ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَلْفٍ رِطْلٍ لَحْمٍ وَثَلَاثَةُ أَلْفٍ عَليقةٍ في كُلِّ يَومٍ، وكانتَ صَدَقَتُهُ على الفَقِيرِ ما فَوْقَ الخَمْسِ مِائَةِ ولا يُعْطَى أَكْثَلُ من ذَلِكَ، وكانَ لِنِعْمَتِهِ أَلْفٌ إِرْدَبٌ غَلَّةً وَأَلْفٌ قَنْطَارٌ عَسَلٍ وَأَلْفٌ دِينَارٌ وَأَشْيَاءٌ يَطُولُ شَرْحُهَا .

وفي الجُمْلَةِ أَنَّهُ كانَ من أَعْظَمِ أَمْرَاءِ مِصْرَ بلا مَدافِعَةٍ . (وَبَيَّسَرِي : أَسْمَ مَرَكَبٍ من لَفْظَتَيْنِ : تَرِكِيَّةٌ وَعَجَمِيَّةٌ) وصَوَابُهُ في الكُتَابَةِ (بَايَ سَرِي) فَبَايَ في اللُّغَةِ التُّرْكِيَّةِ بِالتَّنْفِخِ

هو السَّمِيدُ، وَبَيَّسَرِي بِالْعَجَمِيِّ الرُّأْسُ، فَعَنَى الأَسْمَ سَعِيدَ الرُّأْسِ .

(١) دار يسرى، لما تكلم المقرئ على الدار اليسرى (في ص ٦٩ ج ٢) قال: إن هذه الدار بخط بين القصرين من القاهرة، عمرها الأمير بدر الدين يسرى الشمسى الصالح النجمى في سنة ٨٦٥٩ هـ وتأخر في عمارتها وبالغ في كثرة المصروف عليها فكانت سعة هذه الدار باصطبلها وبستانها والحمام بجانبها نحو فدانين، ورخاها من أهبج الرخام. وكان لها باب يوابته من أعظم ما عمل من اليوابات بالقاهرة، وهذا الباب بجوار حمام يسرى من شارع بين القصرين، وكان للدار باب آخر بمحض الخرشنة (الخرقش) . ولما تكلم المقرئ على قصر يشاك في (ص ٧٠ ج ٢) قال: إن هذا القصر نجاء الدار اليسرى والمدرسة الكاملة .

وبالبحث تبين لى :
أولا — أن قصر يشاك لا يزال جزء منه قائما إلى اليوم نجاء المدرسة الكاملة (جامع الكامل) بشارع المزلدين الله (شارع بين القصرين سابقا) .

ثانيا — أن حمام يسرى الذى أنشأه بجوار داره المذكورة لا يزال موجودا إلى اليوم بشارع المزلدين الله بجوار جامع الكامل من الجهة البحرية ويعرف الآن بحمام إيتال لأن الملك الأنوف إيتال جدده في سنة ٨٨٦١ هـ . وذكر على مبارك باشا في المخطط التوفيقية (ص ٦٦ ج ٦) أن حمام يسرى بأول شارع سوق السمك وهذا خطأ والصواب ما ذكرته لأن الحمام المذكور كان مجاورا لباب الدار اليسرى بشارع بين القصرين ولا يزال هذا الحمام في مكانها إلى اليوم .

ثالثا — أن الدار اليسرى قد اندثرت ومكانها اليوم مجموعة المباني الواقعة في المنطقة التى تحد الآن من الشرق بشارع المزلدين الله (شارع بين القصرين والنحاسين سابقا) ومن الشمال شارع الخرقش، ومن الغرب حارة البروقية، ومن الجنوب جامع الكامل وما يجاوره من الجهة الغربية إلى حارة البروقية .

(٢) فى أحد الأصلين : «سبعة أرتال» .

قلت : وكان سعيد الرأس كما قيل . وهذا بخلاف مذهب النحاة فإن هذا الاسم عين المسمى . انتهى .

- وفيهما توفى الأستاذ جمال الدين أبو المجد ياقوت بن عبد الله المستعصي الرومي الطواشي صاحب الخط البديع الذي شاع ذكره شرقاً وغرباً ، كان خصيصاً عند أستاذه الخليفة المستعصم بالله العباسي آخر خلفاء بني العباس ببغداد ، رباه وأذبه وتمهده حتى برع في الأدب ، ونظم ونثر وأنتهت إليه الرياسة في الخط المنسوب . وقد سُمي بهذا الاسم جماعة كثيرة قد ذكر غالبهم في هذا التاريخ ، منهم كُتّاب وغير كُتّاب ، وهم : ياقوت أبو الدر [الكاتب مولى أبي المعالي أحمد بن علي بن النجار التاجر الرومي ، وفاته بدمشق سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة . وياقوت الصقلي الجمالي أبو الحسن مولى الخليفة المسترشد العباسي ، وفاته سنة ثلاث وستين وخمسمائة . ١٠ وياقوت أبو سعيد مولى أبي عبد الله عيسى بن هبة الله بن النقاش ، وفاته سنة أربع وسبعين وخمسمائة . وياقوت [بن عبد الله ^(٢)] الموصلي الكاتب أمين الدين المعروف بالملكي نسبة إلى أستاذه السلطان ملكشاه السلجوقي ، وياقوت هذا أيضاً ممن أنتشر خطه في الآفاق ، ووفاته بالموصل سنة ثمانى عشرة وستائة . وياقوت [بن عبد الله ^(٣)] الحموي الرومي شهاب الدين أبو الدر كان من خدام بعض التجار ببغداد يعرف بـ «سكر الحموي» ، وياقوت هذا هو صاحب التصانيف والخط أيضاً ، ووفاته سنة ست وعشرين وستائة . وياقوت [بن عبد الله ^(٤)] مهذب الدين الرومي مولى أبي منصور التاجر الجليلي ، وياقوت هذا كان شاعراً ماهراً وهو صاحب القصيدة التي أوقها :

٢٠ إن غاضٍ دمعك والأحبابُ قد بانوا ٠ فكل ما تدعى زوراً وبُهتاناً

(١) الزيادة عن الجزء الخامس ص ٢٨٣ من هذه الطبعة . (٢) تكله عن الجزء الخامس ص ٢٨٣ من هذه الطبعة .

وفاته سنة اثنين وعشرين وستمائة . فهؤلاء الذين تقدموا ياقوت المستعصم صاحب الترجمة بالوفاة ، وكل منهم له ترجمة وفضيلة وخط وشعر . وقد تفذه ذكر غالهم في هذا الكتاب ، وإنما ذكرناهم هنا جملة لكون جماعات كثيرة من الناس مهما رأوه من الخطوط والتصانيف يقرءونه لياقوت المستعصم ، وليس الأمر كذلك بل فيهم من رجع خطه أبى خلكان على ياقوت هذا .

قلت : وقد خرجنا عن المقصود لكثرة الفائدة ولنعد إلى بقية ترجمة ياقوت المستعصم . فن شعره قوله :

تُجَدِّدُ الشَّمْسُ شَوْقِي كُلَّمَا طَلَعَتْ : إِلَى مُجَبَّكَ يَا سَمْسِي وَيَا بَصْرِي
وَأَنْهَرُ اللَّيْلُ ذَا أَنْسٍ بَوَحْشَتِهِ : إِذْ طِيبُ ذِكْرِكَ فِي ظِلْمَائِهِ سَمِيرِي
وَكُلُّ يَوْمٍ مَضَى [لِي] لَا أَرَاكَ بِهِ * فَلَسْتُ مُحْتَسِبًا مَاضِيهِ مِنْ عُمْرِي
لَيْلِ نَهَارِي إِذَا مَا دُرَّتْ فِي خَلْدِي * لِأَنْتَ ذِكْرُكَ نُورُ الْقَلْبِ وَالْبَصِيرِ

وله أيضا :

صَدَّقْتُ فِي الْوُشَاةِ وَقَدْ مَضَى * فِي حُبِّكُمْ عُثْرِي وَفِي تَكْذِيبِهَا
وَزَعَمْتُ أَنِّي مَلَيْتُ حَدِيثَكُمْ * مَنْ ذَا يَمَلُّ مِنَ الْحَيَاةِ وَطَيْبِهَا

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها توفى السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصوري . ومن القد قُتِلَ نائبه منكوتمر . ثم قتلوا الأميرين كُرْجِي وَطُغَيْجِي الْأَشْرَفَيْنِ . وأخضر السلطان الملك الناصر وعاد إلى السلطنة . وفيها توفى الإمام جمال الدين محمد بن سليمان بن التقيب الحنفي صاحب التفسير بالقدس في المحرم . والعلامة بهاء الدين محمد [بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم] أبو عبد الله الحلبي ابن النحاس في جمادى الأولى . والصاحب تقي الدين توبة بن علي

(١) التكلة عن جواهر السلوك . (٢) الزيادة عما تقدم ذكره للؤلؤ في وفيات هذه السنة .

- [أبن مهاجر] التَّكْرِيقِيّ في جُمَادَى الآخِرَةِ . والزاهد المُلَقَّن عليّ بن محمد [بن عليّ] ^(٢)
 ابن بقاء الصالحيّ في شَوَّال . والمُسْنِدُ ناصر الدين عمر بن عبد المنعم بن عمر
 [أبن عبد الله بن غدير] ^(٣) بن القوّاس في ذى القعدة . وصاحب حماة الملك المظفر
 تقي الدين محمود أبن المنصور محمد [بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهنشاه] . والملك
 الأوحّد يوسف أبن الملك الناصر داود بن المعظّم عيسى . والعِيَاد عبد الحافظ بن
 بَدْرَان بن شِبْلِ النَّابُلُيِّ في ذى الحجة ، وقد قارب التسعين .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم خمس أذرع وأصابع . مبلغ الزيادة
 سبع عشرة ذراعا وست عشرة إصبعا .



- ١٠ السنة الثانية من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر، وهي
 سنة تسع وتسعين وستمائة .
 فيها كانت وقعة السلطان الملك الناصر محمد المذكور مع قَارَآن على خِصص .
 وقد تقدّم ذكرها .

- وفيها توفّي القاضي علاء الدين أحمد بن عبد الوهاب بن خلف بن محمود [بن عليّ] ^(٥)
 ابن بدر العلّاميّ المعروف بابن بنت الأعرّ . كان لطيف العبارة جميل الصورة
 لطيف المزاج ، توفّي حِسْبَةَ القاهرة ونظر الأقباس ، ودرّس بعدة مدارس وحجّ

(١) في الأصلين هنا : « تقي الدين أبن توبة » . والزيادة والصحيح عما تقدم ذكره للزلف والذهبي
 وشذرات الذهب . (٢) التكلفة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٣) التكلفة عن
 تاريخ الإسلام والمنهل الصافي . (٤) زيادة عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .
 (٥) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبي .

ودخل اليمن ثم عاد إلى القاهرة ومات بها في شهر ربيع الآخر، وكان له نظم ونثر .
ومن شعره قصيدة أولها :

إِنْ لَوْ مَضَ الْبَرْقُ فِي لَيْلٍ بِذِي سَلَمٍ فَإِنَّهُ تَغَرُّ سَلَمِي لَاحَ فِي الظُّلَمِ

وفيها توفى الشيخ ^(١) المسند المعمر شرف الدين أحمد بن هبة الله ابن تاج الأئمة
أحمد بن محمد [بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين] بن عساكر بدمشق ،
وبها دفن بمقابر الصوفية بتربة الشيخ نحر الدين بن عساكر ، وكان من بقايا المسنين
تفرّد سماعاً وإجازة .

ذكر من عدم في هذه السنة في وقعة خُص مع التتار

قاضي القضاة حُسام الدين الحنفي . والشيخ عماد الدين إسماعيل ابن تاج الدين
[أحمد بن سعيد ^(٤)] بن الأثير الكاتب . والأمير جمال الدين المطروحي ^(٥) . والأمير
سيف الدين كُرت ^(٦) . والأمير ركن الدين الجمالي نائب غزّة ، ولم يظهر للجميع خبره ،
غير أنهم ذكروا أن قاضي القضاة حُسام الدين المذكور أسروه التار وباعوه للفرنج ،
ووصل قبرص وصار بها حكيماً ، ودأوى صاحب قبرص من مَرَضٍ مُجِيفٍ فَشِنِي
فأوعده أن يُطلقه ، فَرِضَ القاضي حُسام الدين المذكور ومات . كذا حكى بعض
أجناد الإسكندرية .

(١) تكملة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافي . (٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بن
هبة الله بن عبد الله بن الحسين نحر الدين أبو منصور المعروف بابن عساكر . تقدمت وفاته سنة ٦٢٠ هـ
في الجزء السادس من هذه الطبعة . (٣) هو قاضي القضاة حُسام الدين الحسن بن أحمد بن الحسن
ابن أنوشروان أبو الفضائل . (٤) التكملة عن المنهل الصافي والسلوك . (٥) هو الأمير
جمال الدين أنوش الحاجب ، كان حاجباً جليلاً خيراً عاقلاً . (عن تاريخ الإسلام للذهبي) . وفي السلوك :
« ومات الأمير أفتش كرجي المطروحي الحاجب » . (٦) هو الأمير سيف الدين المنصوري كُرت
ويقال له « كرد » بن عبد الله نائب طرابلس ، كاتب فارساً بطلاً شجاعاً مع دين وخير ومعروف وصدقة
(عن المنهل الصافي وتاريخ الإسلام) . (٧) هو متكبر الجمالي الأمير الكبير ركن الدين أبو سعيد
التركي الساقى أحد غلمان الأمير جمال الدين أيديى البرزى ولي نيابة غزّة (عن تاريخ الإسلام) .

وفيهما توفى الشيخ الصالح الحافظ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن فرّج بن أحمد بن الخنّيس الإشبيلي بدمشق ، ودُفِنَ بمقابر الصوفية ، وكان حافظاً ديناً خيراً زاهداً متورعاً ، عُرض عليه جهات كثيرة فأعرض عنها ، وهو صاحب القصيدة المشتملة على صفات الحديث :

- غَرَّابِي صَحِيحٌ وَالرَّجَا فِيكَ مَعْضُلٌ * وَحُزْنِي وَدَيْعِي مُرْسَلٌ وَمُسَلَّلٌ
وَصَبْرِي عَنْكُمْ يَشْهَدُ الْعَقْلُ أَنَّهُ * ضَعِيفٌ وَمَتْرُوكٌ وَذُلٌّ أَجْمَلٌ
فَلَا حَسَنٌ إِلَّا سَمَاعُ حَدِيثِكُمْ * مُشَافَهَةٌ ثُمِّلَ عَلَى فَاثْقُلُ
وَأَمْرِي مَوْقُوفٌ عَلَيْكَ وَلَيْسَ لِي * عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ الْمَعُولُ
وَلَوْ كَانَ مَرْفُوعًا إِلَيْكَ لَكُنْتُ لِي * عَلَى رَغْمِ عُدَالِي تَرَقُّ وَتَعْدِلُ
وَعَذْلُ عَذُولٍ مُنْكَرٌ لَا أُسَيِّفُهُ * وَزُورٌ وَتَدْلِيسٌ يُرَدُّ وَيَهْمَلُ
أَقْضَى زَمَانِي فِيكَ مُتَّصِلَ الْأَسَى * وَمُنْقَطِعًا عَمَّا بِهِ اتَّوَصَّلُ
وَهَآنَا فِي أَكْفَانِ هَجْرِكَ مُدْرَجٌ * تُكَلِّفُنِي مَا لَا أُطِيقُ فَأَحْمِلُ
وهي أطولُ من ذلك .

- وفيهما توفى قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز ابن قاضي القضاة محي الدين يحيى ابن محمد بن علي بن الزكي في يوم الأحد حادى عشر ذى الحجة . وكان من أعيان الدمشقيين ، ودرس بعدة مدارس وأنتفع به الناس . رحمه الله .

وفيهما توفى الشيخ الإمام العالم مفتي المسلمين القاضي شمس الدين محمد ابن الشيخ الإمام العلامة شيخ المواهب قاضي القضاة صدر الدين أبي الربيع سليمان

- (١) كُتِبَ في النبل الصافي وتاريخ الإسلام : وفي الأصلين : « على صناعة الحديث » .
(٢) وردت هذه القصيدة في النبل الصافي وتاريخ الإسلام وعقد الجمان وعدد عدد أبياتها فيها عشرون بيتاً . (٣) في أحد الأصلين وعقد الجمان : « شيخ المذاهب » . وقد ورد في تاريخ الإسلام للذهبي بعد أن ذكر نسبه : « ابن العلامة الأوحى شيخ الطائفة » .

أَبْنُ أَبِي الْعِزِّ وَهَيْبُ الْحَنْتِي الدَّمَشْقِي فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ سَادِسَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ بِالمَدْرَسَةِ
النُّورِيَّةِ بِدَمَشَقَ ، وَدُفِنَ بِتَرْبَةِ والدِهِ بِقَاسِيُونِ ، وَكَانَ فَقِيهًا عَالِمًا مُفْتِيًّا بِصِيرًا بِالأَحْكَامِ
مُتَصَدِّيًا لِلْفَتَوَى وَالتَّدْرِيسِ ، أَقْبَى مَدَّةَ أَرْبَعِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَقَرَأَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ
وَأَنْتَفَعُوا بِالنَّاسِ بِهِ ، وَكَانَ نَائِبًا فِي الْقَضَاءِ عَنْ والدِهِ وَسُئِلَ بِالمَنَاصِبِ الْجَلِيلَةِ فَأَمْتَنَعَ
مِنْ قَبُولِهَا . رَحِمَهُ اللَّهُ .

قلت : وَبَنُو الْعِزِّ بَيْتٌ كَبِيرٌ بِدَمَشَقَ مَشْهُورُونَ بِالعِلْمِ وَالرِّيَاسَةِ .

وَفِيهَا تُوفِّيَ صَاحِبُ الأَنْدَلُسِ أَمِيرُ المُسْلِمِينَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ
المَعْرُوفُ بِابْنِ الأَحْمَرِ مُلْكُ الأَنْدَلُسِ وَمَا وَلاَهَا بَعْدَ مَوْتِ والدِهِ سَنَةً إِحْدَى وَسَبْعِينَ
وَسِتَّمِائَةً ، وَأَمَدَّتْ أَيَّامَهُ وَقَوَى سُلْطَانَهُ ، وَمَاتَ فِي عَشْرِ الثَّمَانِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

الَّذِينَ ذَكَرَ الذَّهَبِيُّ وَفَاتَهُمْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ ، قَالَ : فِيهَا تُوفِّيَ الإِمَامُ شَمْسُ الدِّينِ
مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَوَى المَقْدِسِيُّ النُّحْوِيُّ . وَعِمَادُ الدِّينِ يُوسُفُ بْنُ أَبِي نَصْرِ الشَّقَرَاوِيُّ ،
وَقَاضِي الْقَضَاءِ إِمَامُ الدِّينِ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ القَزْوِينِيُّ بِمِصْرَ فِي رَبِيعِ الآخِرِ .
وَعَبْدُ الدَّائِمِ بْنُ أَحْمَدَ المَحْجِيُّ [القَبَّانِيُّ] الوَزَانِيُّ (٤) . وَعَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الدَّائِمِ
وَأَخُوهُ عَمْرُ . وَأَحْمَدُ بْنُ زَيْدٍ [بْنُ أَبِي الْفَضْلِ الصَّالِحِي الْفَقِيرُ المَعْرُوفُ] بِالجَلَّالِ (٥) .
وَشَرْفُ الدِّينِ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ هَبَةَ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عِسَاكَ فِي جُمَادَى الْأُولَى .
وَعِيسَى بْنُ بَرَكَةَ بْنِ وَالِي . وَمُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ نَوَالِ الرِّصَافِيِّ . وَعَلِيُّ بْنُ مَطَرِ المَحْجِيِّ

(١) رَاجِعِ الحَاشِيَةَ رَقْمَ ٥ ص ١٨٢ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ . (٢) لَمْ يَذْكُرْ مَصْدَرُ مِنَ المَصَادِرِ الَّتِي
تَحْتَ يَدِنَا وَفَاتَ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ . وَذَكَرَ كَمَا فِي الإِحَاطَةِ فِي أَخْبَارِ غَرْنَاطَةَ (ج ١ ص ٣٩)
وَالْعَبْرَ لِابْنِ خَلْدُونِ (ج ٤ ص ١٦٨ — ١٧٣) ، وَالدَّرَرُ الكَامِنَةُ : أَنَّ وَفَاتَهُ فِي سَنَةِ ٧٠١ هـ .
(٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : « الشَّقَرَاوِيُّ » . وَمَا أُسْتَبْتَاهُ عَنْ تَارِيخِ الإِسْلَامِ وَتَمَدُّدِ الْجَمَانِ وَالْقَصِيدَةِ اللَّامِيَةِ
فِي التَّارِيخِ . وَفِي شَذَرَاتِ الذَّهَبِ : « السَّقَرَاوِيُّ » بِالسِّينِ وَالْفَاءِ . (٤) فِي الْأَصْلَيْنِ : « الْوَرَاوِيُّ »
وَالزِّيَادَةُ وَالتَّصْحِيحُ عَنْ تَارِيخِ الإِسْلَامِ . (٥) زِيَادَةُ عَنْ تَارِيخِ الإِسْلَامِ .

- (١) البقال . وصفيّة بنت عبد الرحمن بن عمرو الفزّاء ، وابن عمها إبراهيم بن أبي الحسن
[بن عمرو بن موسى أبو إسحاق الفزّاء] . وأحمد بن محمد الحدّاد . وخديجة بنت [التّيّ
محمد بن محمود بن عبد المنعم] المرّاثي . والحافظ شهاب الدين أحمد بن فرج الحنّمي
الإشبيلي . في جمادى الآخرة . وأبو العباس أحمد بن سليمان بن أحمد المقدّيسي الحرّاني .
والشيخ عزّ الدين عبد العزيز بن محمد بن عبد الحق . والحطّيب موقّق الدين محمد بن
محمد [المعروف بـ] أبْن حُبَيْش في جمادى الآخرة يَدَمَشَق . والمعمرّة زينب بنت عمر
ابن كُنْدِي ببعلبك . والأمير علم الدين [سَجَرُ البُرْنِي] الدّواداري في رجب بحصن
الأكراد . والمؤيد عليّ بن إبراهيم بن يحيى ابن خطيب عقرباء . وشمس الدين محمد
ابن علي بن أحمد بن فضل الواسطيّ في رجب ، وله أربع وثمانون سنة . والعلامة
نجم الدين أحمد بن مكّي في جمادى الآخرة . والإمام شمس الدين محمد بن سلمان بن حمّائل
سبط غانم . والشيخ بدر الدين حسن بن علي بن يوسف بن هود المرّسيّ في رجب .
والإمام شمس الدين محمد آبن الفخر عبد الرحمن بن يوسف البعلبكيّ في رمضان .
والشريف شمس الدين محمد بن هاشم بن عبد القاهر العباسيّ العدل في رمضان ،

- (١) في الأصلين : « البقال » . وما أثبتناه عن تاريخ الإسلام للذهبي وشذرات الذهب .
(٢) زيادة عن تاريخ الإسلام للذهبي وشذرات الذهب . (٣) الزيادة عن تاريخ الإسلام
للذهبي . (٤) التّكفة عن تاريخ الإسلام للذهبي وشذرات الذهب . (٥) في الأصلين :
« عمر بن كندر » . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٦) الزيادة عن تاريخ
الإسلام وشذرات الذهب وعقد الجمان والمثل الصافي . (٧) راجع الحاشية رقم ص ١٤٢
من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٨) كذا في أحد الأصلين وتاريخ الإسلام وشذرات الذهب .
وفي الأصل الآخر : « عليّ بن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن يحيى » ويظهر أنّ ذلك تكرار من النّاسخ .
(٩) عقرباء : اسم مدينة الجولان وهي كورة من كوردشك كان يزلها ملوك غسان (عن معجم
البلدان لياقوت) . (١٠) في تاريخ الإسلام : « في ربيع الآخر » . (١١) في الأصلين :
« سليمان » . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب وعقد الجمان . (١٢) هو غانم بن
علي بن إبراهيم بن عساكر المقدسيّ النابلسي القدوة الزاهد . تقدّم وفاته سنة ٦٣٢ هـ فيمن قبل المؤلف
وفاتهم عن الذهبي . (١٣) في تاريخ الإسلام للذهبي : « توفي في السادس والعشرين من شعبان » .

وله أربع وتسعون سنة . والشيخ بهاء الدين أيوب بن أبي بكر^(١) بن إبراهيم بن هبة الله أبو صابر^(٢) بن النحاس مدرس القليجية في شِوَال . والمفتي جمال الدين عبد الرحيم بن عمر الباجري^(٣) . والعدل بهاء الدين محمد بن يوسف البرزالي عن اثنتين وستين سنة . والأديب جمال الدين عمر بن إبراهيم بن العقيمي^(٤) الرسغني ، وله أربع وتسعون سنة .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وعدة أصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وست أصابع ، وكان الوفاء ثالث عشر توت .



السنة الثالثة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر، وهي

سنة سبعمائة من الهجرة .

فيها تُوِّفِي الأميرُ سيف الدين بَلْبَانَ الطَّبَّاحِي بالعسكر المنصور على الساحل ، وكان من أعيان الأمراء وأحْسَمَهُمْ وأشَجَمَهُمْ وأكثرهم عُدَّةً وممالك وحاشية . وولى نيابة حَلَبَ قبل ذلك بمدة ، ثم ولى الفتوحات بالساحل ودام عليها سنين . وكان جميل السيرة والطريقة وله المواقف المشهورة والنكاية في العدو . رحمه الله تعالى .

وفيها تُوِّفِي الأديب البارِعُ شهاب الدين أبو جَلَنَك الحَلِّي الشاعِرُ المشهور صاحب النوادر الطَّرِيفة ، كان بارعاً ماهراً وفيه هِمَّةٌ وشجاعة . ولما كانت وقعة التتار في هذه السنة نزل أبو جَلَنَك المذكور من قلعة حَلَبَ لقتال التتار ، وكان صَحْفًا

(١) زيادة عن الذهبي وشذرات الذهب . (٢) راجع ما كتب على تلك المدرسة في الاستدراك السابع ص ٣٩١ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٣) في الأصلين : « الباجر بق » . وتصحيحه عن عقد الجمان وشذرات الذهب والفريدة اللامية في التاريخ . وفي تاريخ الإسلام : « الباجر بق » . بالياء . النجدة بعد الرا . (٤) في الأصلين : « الربعي » . وتصحيحه عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب والفريدة اللامية في التاريخ والمنهل الصافي . (٥) اسمه أحمد بن أبي بكر .

سَمِينًا فَوَقَعَ عَنْ قَوْسِهِ مِنْ سَهْمٍ أَصَابَ الْفَرَسَ فَبَقِيَ رَاجِلًا ، فَاسْرَوْهُ وَأَحْضَرُوهُ بَيْنَ يَدَيَّ مُقَدِّمِ التَّارِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ عَسْكَرِ الْمُسْلِمِينَ ، فَرَفَعَ شَأْنَهُمْ فَغَضِبَ مُقَدِّمُ التَّارِ ، عَلَيْهِ اللَّعْنَةُ ، مِنْ ذَلِكَ فَضَرَبَ عُنُقَهُ . رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . وَمِنْ شَعْرِ أَبِي جَلَنَّاكَ الْمَذْكُورِ قَوْلُهُ :

٥ وَشَادِيْنٍ يَصْفَعُ مُغَرَّرِي بِهِ * بِرَاحِيَةِ أُنْدَى مِنْ الْوَابِلِ
فَصِحْتُ فِي النَّاسِ أَلَا فَأَعْجِبُوا * بِتَحَرُّغَدَا يَلِطُّ فِي السَّاحِلِ

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي رحمه الله : وكان أبو جَلَنَّاكَ قد مَدَحَ قَاضِي الْقُضَاةِ شَمْسَ الدِّينِ أَحْمَدَ بْنَ خَلَّكَانَ فَوَقَعَ لَهُ بِرِطْلَى خُبْرٌ ، فَكَتَبَ أَبُو جَلَنَّاكَ عَلَى بُسْتَانِهِ :

١٠ لِلَّهِ بُسْتَانٌ حَلَلْنَا دَوْحَهُ * بِكَنْيَةٍ قَدْ فَتَحَتْ أَبْوَابَهَا^(١)
وَالْبَانُ تَحْسِبُهُ سَنَانِيرًا رَأَتْ * قَاضِي الْقُضَاةِ فَنَفِثَتْ أَذْنَابَهَا
قُلْتُ : لِمَلِّ الصَّلَاحِ الصَّفْدِيِّ وَهَمَّ فِي آيِنِ خَلَّكَانَ ، وَالصَّوَابُ أَنَّ الْقِصَّةَ كَانَتْ مَعَ قَاضِي الْقُضَاةِ كِمَالِ الدِّينِ بْنِ الزَّمَلِكَايَ^(٢) . اِنْتَهَى .
وَمِنْ شَعْرِ أَبِي جَلَنَّاكَ فِي أَقْطَعٍ .

١٥ وَبِي أَقْطَعٌ مَازَالَ يَسْحُو بِمَالِهِ * وَمِنْ جُودِهِ مَارُدٌّ فِي النَّاسِ سَائِلُ
تَنَاهَتْ يَدَاهُ فَاسْتَطَالَ عَطَاؤُهَا * وَعِنْدَ التَّنَاهِي يَقْصُرُ الْمُتَطَاوِلُ
قُلْتُ : وَوَقَعَ فِي هَذَا الْمَعْنَى عِدَّةُ مُقَاطِيعَ جَيِّدَةٍ فِي كِتَابِي الْمُسَمَّى بِـ«عَلِيَّةِ الصِّفَاتِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصَّنَاعَاتِ» مِنْ ذَلِكَ :

أَفْدِيهِ أَقْطَعَ يَسْدُو * سَارُوا وَلَا وَدَعُونِي
٢٠ مَا أَنْصَفُوا أَهْلَ وَدَى * وَأَصْلَتْهُمْ قَطْعُونِي

(١) رواية هذا الشطر في فوات الوفيات : * والورق قد صاحت عليه لها بها

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ١٢٦ من هذا الجزء .

(١) ولشمس الدين بن الصائغ الحنفي :

وَأَقْطَعَ قُلْتُ لَهُ * هَلْ أَنْتَ لِصٍّ أَوْحَدُ
فَقَالَ هَذِي صِنْعَةٌ * لَمْ يَسْقَ لِي فِيهَا يَدُ

وفي المعنى هجو :

تَجَنَّبَ كُلُّ أَقْطَعَ فَهَوِّصٍ * يُرِيدُ لَكَ الْحَيَاةَ كُلَّ سَاعَةٍ
وَمَا قَطَعُوهُ بَعْدَ الْوَصْلِ لَكِنْ * أَرَادُوا كَفَّهُ عَنِ ذِي الصَّنَاعَةِ

غيره في المعنى :

مَنْ يَكُنْ فِي الْأَصْلِ لِصًّا * لَمْ يَكُنْ قَطُّ أَمِينًا
فَتَّقُوا مِنْهُ يَرْهَنِي * أَوْ خُذُوا مِنْهُ يَمِينًا

وفيها توفى الشيخ الصالح المسند عز الدين أبو الفدى إسماعيل بن عبد الرحمن
أبن عمر بن موسى بن عميرة المعروف بابن الفراء المرداوي ثم الصالحى الحنبلى ، مولده
سنة عشر وثمانمائة (٢) وسميع الكثير وحدث ، وتخرج له الحافظ شمس الدين الذهبي
مشيخة ، وكان ديناً خيراً وله نظم . من ذلك قوله :

أَيْنَ مِنْ عَهْدِ آدَمَ وَلِمَى الْآ * نَ مُلُوكُ وَسَادَةٌ وَصُدُورُ
مَزَقَتْهُمُ أَيْدَى الْحَوَادِثِ وَأَسْتَو * لَتْ عَلَيْهِمُ رَحَى الْمُنُونِ تَدُورُ

وله في المعنى وقيل هما لغيره :

ثُمَّ أَتَقَضَّتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَأَهْلُهَا * فَكَأَنَهَا وَكَأَنَّهُمْ أَحْلَامُ
وَكَذَلِكَ مَنْ بَاقَى وَحَقَّقَ بَعْدَهُمْ * أَمْضَاهُ رَبٌّ قَادِرٌ عَلَامُ

(١) هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الصائغ الحنفي . سيذكر

المؤلف وفاته سنة ٧٧٧ هـ . (٢) في الأصلين : «سنة ست عشرة وثمانمائة» . وتصحيحه عن

تاريخ الإسلام وشذرات الذهب .

الذين ذكر الذهبي وفاتهم في هذه السنة ، قال : وفيها تُوِّفِّيَ عِزُّ الدِّينِ أَحْمَدُ
 أَبُو الْعِمَادِ عَبْدِ الْجَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الْهَادِي فِي الْحَزْمِ ، وَلَهُ ثَمَانٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً . وَعِمَادُ الدِّينِ
 أَحْمَدُ [بْنُ مُحَمَّدٍ] ^(١) بْنِ سَعْدِ الْمُقَدِّسِيِّ ^(٢) وَلَهُ ثَلَاثٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً . وَعِزُّ الدِّينِ إِسْمَاعِيلُ
 أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُمَرَ الْفَزَّاءِ فِي بُلْهَادِي الْآخِرَةِ ، وَلَهُ تِسْعُونَ سَنَةً . وَأَبُو عَلِيٍّ يَوْسُفُ ^(٣)
 أَبُو أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الْغَسُولِيِّ ^(٤) فِي الشَّهْرِ ، وَلَهُ نَحْوُ مِائَتَيْنِ سَنَةً . وَالْحَافِظُ شَمْسُ الدِّينِ ^(٥)
 أَبُو الْعَلَاءِ مَجْمُودُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْبُخَارِيُّ الْفَرَّضِيُّ بِمَارِدِينَ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، وَلَهُ سِتٌّ وَخَمْسُونَ
 سَنَةً . وَشَمْسُ الدِّينِ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَضْرَبِيُّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ [بْنُ الْحَضْرَبِيِّ الْحُسَيْنِ] ^(٦)
 أَبُو الْحَضْرَبِيِّ الْحُسَيْنِ [بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيِّ] فِي ذِي الْحِجَّةِ . وَالْمَقْرِيُّ
 شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مَنْصُورٍ الْحَاضِرِيُّ فِي صَفَرٍ .

§ أَمْرُ النَّيْلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ — الْمَاءُ الْقَدِيمُ وَالْحَدِيثُ (أَعْنَى مَجْمُوعَ النَّيْلِ) ^{١٠}
 فِي هَذِهِ السَّنَةِ سِتُّ عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَثَمَانِيَّ عَشْرَةَ إصْبَعًا .



السَّنةُ الرَّابِعَةُ مِنْ وِلَايَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ الثَّانِيَةِ عَلَى مِصْرَ ، وَهِيَ
 سَنَةُ إِحْدَى وَسَبْعِمِائَةٍ .

فِيهَا فِي ثَلَاثِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَافِرُ الْأَمِيرِ رُكْنُ الدِّينِ بَيْرُمُوسُ ^{١٥}
 الْجَلَّاشَتِكِيُّ إِلَى الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ وَصَحْبَتُهُ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْأَمْهَرَاءِ بِسَبَبِ الصَّيْدِ ، وَرَسَمَ

- (١) . الزيادة عن تاريخ الإسلام والمنهل الصافي وشذرات الذهب . (٢) في الأصلين : «أَبْنُ سَعْدٍ» . وتصحيحه عن المصادر المتقدمة . (٣) في الأصلين : «عَمْرُو» . وما أثبتناه
 عن تاريخ الإسلام وشذرات الذهب . (٤) من هذا الاسم إلى آخر الأسماء التي ذكرها المؤلف
 نقلاً عن الذهبي لم يذكرها أحد الأصلين . (٥) الفسول : نسبة إلى الفسولة ، قرية بدمشق ^{٢٠}
 (عن لب الباب ومعجم البلدان لياقوت) . (٦) راجع الحاشية رقم ١ ص ٩٧ من هذا الجزء .
 (٧) في الأصلين : «الحضري عبد الرحمن بن عبدان» والتكلمة والتصحيح عن المنهل الصافي وتاريخ
 الإسلام للذهبي :

له السلطان أن مدة مقامه بالإسكندرية يكون دخلها له ، ثم أعطى السلطان لجميع الأمراء دُستوراً لمن أراد السفر لإقطاعه لعمل مصالح بلاده ، وكان إذ ذاك يُرمون خيولهم شهراً واحداً لأجل العدو المخدول .

وفيها تُوِّفِّي مُسْنِدُ العَصْرِ شهاب الدين أحمد بن رَفِيع الدِّين إِسحاق بن محمد بن المؤيد الأبرقوي^(١) بمكة في العشرين من ذى الحجة . ومولده سنة خمس عشرة وستائة^(٢) بأبرقوه من أعمال شيراز ، وكان سَمِيع الكثير وحدث وطال عمره وتفرد بأشياء .

وفيها تُوِّفِّي الحافظ شرف الدين أبو الحسين علي بن الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الحسين أحمد بن عبد الله بن عيسى بن أحمد بن محمد البونيني في يوم الخميس^(٣) حادى عشر شهر رمضان ببعلبك . ومولده في حادى عشر شهر رجب سنة إحدى وعشرين وستائة ببعلبك .

وفيها تُوِّفِّي الأمير علم الدين سَنَجَر بن عبد الله المعروف بأرجواش المنصورى نائب قلعة دِمَشق في ليلة السبت ثانى عشرين ذى الحجة وكان شجاعاً . وهو الذى حفظ قلعة دِمَشق في نوبة غازان وأظهر من الشجاعة ما لا يُوصف على تَغْفُل كان فيه ؛ حسب ما قدمنا من ذكره في أصل ترجمة الملك الناصر محمد بن قلاوون ما فعله وكيف كان حَفْظُهُ لقلعة دِمَشق . وأما أمرُ التَغْفُل الذى كان به :

(١) فى الأصلين : « الأبرقوى » . والتصحيح عن الدرر الكامنة وشذرات الذهب .

(٢) فى الأصلين : « بأبروقه » . والتصحيح عن المصدرين المتقدمين ومعجم البلدان ، وهى بلد فى فارس شمالى اصطخر فى منتصف الطريق بين هذه المدينة ويزد وتسمى أيضاً أبرقويه وكثيراً ما يختصر اسمها فيقال برقوه أو ورقوه ، وكان عدد سكانها فى القرون الوسطى يقرب من ثلث سكان اصطخر . وهذه المدينة موجودة الآن فى أقصى شمالى مقاطعة فارس الإيرانية وتعرف باسم أيرجوه . (انظر دائرة المعارف الإسلامية وانظر أطلس فلبس الجغرافى) . (٣) فى الأصلين : « حادى عشرين » . وتصحيحه عن الدرر الكامنة وشذرات الذهب .

قال الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك في تاريخه : حَكَى لى عنه عيد الغنى الفقير المعروف قال : لَمَّا مات الملك المنصور قلاوون (أعنى أستاذه) قال لى : أَحْضِرْ لى مُقَرَّرَيْن يقرءون خَتَمَةً للسلطان ، فأحضرتُ إليه جماعةً فجعلوا يقرءون على العادة ، فأحضر دويسا وقال : كيف تقرأون للسلطان هذه القراءة ! يقرءون عاليا ، فصَجَّحُوا بالقراءة جَهْدَهُمْ ، فَلَمَّا فَرَّغُوا منها ، قُلْتُ : يا خَوْنُدُ فَرَّغْتَ الخَتَمَةَ ، فقال : يقرءون أُخْرَى فقرءوها وقَفَّزُوا ما أرادوا ، فَلَمَّا فَرَّغُوا أعلبته ، قال وَيْلَكَ ! السماءُ ثَلَاثَةٌ ، والأَرْضُ ثَلَاثَةٌ ، والأَيَّامُ ثَلَاثَةٌ ، والمعَادُنُ ثَلَاثَةٌ ، وكل ما فى الدنيا ثَلَاثَةٌ ، يقرءون أُخْرَى ! فقلت : اقرءوها وأحمدوا الله تعالى على أَنَّهُ ما عَلِمَ أَن هذه الأشياءُ سبعة سبعة ، فَلَمَّا فَرَّغُوا [من] الثَلَاثَةِ وقد هَلَكُوا من صُراخهم ، قال : دعهم عندك فى التَّزْيِيمِ إلى بُكَرَةٍ ، وَرُحْ أَكْتُبْ عليهم حُجَّةً بالقسامة الشريفة بالله .

تعالى ، وبِنِعْمَةِ السلطان أَن تَوَابَ هذه الخَتَمَاتِ لمولانا السلطان الملك المنصور قلاوون ؛ ففعلتُ ذلك وجئتُ إليه بالحُجَّةِ ، فقال : هذا جَيِّدٌ ، أَصْلَحَ الله أَبْدَانَكُمْ وصَرَفَ لَهم أَجْرَتَهُمْ . وَحَكِى عنه عِدَّةُ حكايات من هذا تَدُلُّ على تَعَفُّلٍ كبير .

قُلْتُ : وَيُلْحَقُ أَرْجَوَاشُ هذا بعقلاء المجانين فَإِنَّ تَديِرَهُ فى أمر قلعة دِمَشْقَ وقيامه فى قتال غازان له المنتهى فى الشجاعة وحسن التدبير . انتهى .

وفىها تُوُفِّيَ شمس الدين سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير فى سابع عشر ذى القعدة بدمشق ، وكان رئيسا فاضلا كاتباً ، كَتَبَ الإنشاء بدمشق سنين .

وفىها تُوُفِّيَ الشريف نجم الدين أبو نُمَيْ محمد بن أبى سعد حسن بن على بن قَتَادَةَ بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن على بن عبد الله

أَبْنُ مُحَمَّدٍ بَنِ مُوسَى بَنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَضِّ بْنِ مُوسَى [بَنِ عَبْدِ اللَّهِ] بَنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ -
 أَبْنِ أَبِي طَالِبٍ الْحَسَنِيِّ - الْمَكِّيِّ - صَاحِبِ مَكَّةَ الْمُشْرِفَةِ فِي يَوْمِ الْأَحَدِ رَافِعِ صَفَرٍ بَعْدَ أَنْ
 أَقَامَ فِي إِسْرَةِ مَكَّةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، وَقَدِمَ الْقَاهِرَةَ مِرَارًا ، وَكَانَ يُقَالُ لَوْلَا أَنَّهُ زَيْدِيٌّ
 لَصَلَحَ لِلخَلَافَةِ لِحُسْنِ صِفَاتِهِ .

٥ § أَمْرُ النَّيْلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ الْمَسَاءِ الْقَدِيمِ ثَلَاثَ أَذْرَعٍ وَأَصَابِعَ . مَبْلَغُ الزِّيَادَةِ سِتُّ
 عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَثَلَاثَ عَشْرَةَ إِصْبَعًا .



السَّنةُ الْخَامِسَةُ مِنْ وِلَايَةِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَافُونَ الثَّانِيَةِ عَلَى مِصْرَ ، وَهِيَ
 سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ .

١٠ فِيهَا فِي أَوَّلِ الْحَزْمِ قَدِمَ الْأَمِيرُ سَيِّدُ الْخَاشَنِ كَرِيمٌ مِنَ الْجَبَازِ وَمَعَهُ الشَّرِيفَانِ
 وَهُمَا (٣) وَ (٤) حَمِيضَةُ وَرَمِيَّةٌ فِي الْحَدِيدِ فَسُجِنَا بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ .

وَفِيهَا فِي رَابِعِ جُمَادَى الْآخِرَةِ ظَهَرَ بِالنَّيْلِ دَابَّةٌ كَلَوْنَ الْجَامُوسِ بِغَيْرِ شَعْرٍ ، وَأَذْنَاهَا
 كَأُذُنِ الْجَمَلِ ، وَعَيْنَاهَا وَفَرْجُهَا مِثْلُ النَّاقَةِ ، وَيُغَطِّي فَرْجَهَا ذَنْبُ طَوْلِهِ شِبْرٌ وَنُصْفٌ ،

(١) يُظْهِرُ مَا وَرَدَ فِي الدَّرَرِ الْكَامَةِ أَنَّ هَذَا اللَّقَبَ لَيْسَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى هَذَا وَإِنَّمَا هُوَ لِقَبِّ بَلَدِهِ
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ الَّذِي زِدْنَاهُ عَنِ الدَّرَرِ وَدُرَّةٍ وَرَدَ فِي شَرْحِ الْقَامُوسِ مَادَّةُ «مُحَضٌّ» : «وَالْمُحَضُّ
 لِقَبِّ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعُلَوِيِّينَ مِنْهُمْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ» . (٢) فِي الدَّرَرِ الْكَامَةِ :
 «مَاتَ بِمَكَّةَ فِي الرَّابِعِ عَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ٧٠١ هـ» . (٣) فِي الْأَصْلَيْنِ : «نَحِيصَةٌ» .
 وَهُوَ حَمِيضَةُ بْنُ أَبِي نَمِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَعْدٍ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ قَتَادَةَ بْنِ إِدْرِيسَ بْنِ مَطَاعِنَ الشَّرِيفِ عُرِّ الدِّينِ
 أَمِيرُ مَكَّةَ الْحَسَنِيِّ . تَوَفَّى بِمَكَّةَ فِي جُمَادَى الْآخِرَةِ سَنَةَ ٧٢٠ هـ (عَنِ الدَّرَرِ الْكَامَةِ وَالْمَهَلِ الصَّافِي) .
 (٤) هُوَ رَمِيَّةُ أَسَدِ الدِّينِ أَبُو عَرَادَةَ بْنِ أَبِي نَمِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي سَعْدٍ حَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ قَتَادَةَ بْنِ إِدْرِيسَ
 ابْنِ مَطَاعِنَ الشَّرِيفِ أَمِيرُ مَكَّةَ مَعَ أَخِيهِ حَمِيضَةَ . تَوَفَّى بِمَكَّةَ فِي سَنَةِ ٧٤٦ هـ كَمَا فِي الْمَهَلِ الصَّافِي
 أَوْ سَنَةَ ٧٤٨ هـ كَمَا فِي الدَّرَرِ الْكَامَةِ . (٥) فِي الْأَصْلَيْنِ : «رَابِعِ جُمَادَى الْأُولَى» .
 رَمَا أَتْبَهَتْهُ عَنْ تَارِيخِ سَلَاطِينِ الْمَمْلُوكِ وَالْمَمْلُوكِ وَابْنِ كَهِيرٍ .

طَرَفَهُ كَذَبَ السَّمَكُ، وَرَقَبَتُهَا مِثْلُ ثُخْنِ التَّلَيسِ^(١) المَحْشُوتَيْنَا، وَفُئْهَا وَشَفَتَاهَا مِثْلُ الْكِزْبَالِ، وَلَهَا أَرْبَعُ أُنْيَابٍ [اِثْنَانِ فَوْقَ اِثْنَيْنِ] فِي طُولِ نَحْوِ شَبْرٍ وَعَرْضِ اِصْبَعَيْنِ، وَفِي فَمِهَا ثَمَانِيَةٌ وَأَرْبَعُونَ ضَرْسًا وَسِنًّا مِثْلُ بَيَاقِ الشَّطْرِنجِ، وَطُولُ يَدِهَا مِنْ بَاطِنِهَا شِبْرَانِ وَنِصْفٌ، وَمِنْ رَكْبَتِهَا إِلَى حَافِرِهَا مِثْلُ أَطَافِيرِ الْجَمَلِ، وَعَرْضُ ظَهْرِهَا قَدْرُ ذِرَاعَيْنِ وَنِصْفٍ، وَمِنْ فَمِهَا إِلَى ذَنْبِهَا خَمْسَ عَشْرَةَ قَدَمًا، وَفِي بَطْنِهَا ثَلَاثُ كُرُوشٍ، وَلِجَمَاحِهَا أَحْمَرُ لَهْدَةٌ دَفْقَةُ السَّمَكِ، وَطَعْمُهَا مِثْلُ لَحْمِ الْجَمَلِ، وَنَخَانَةُ جَنْدِهَا أَرْبَعُ أَصَابِعٍ، لَا تَعْمَلُ فِيهِ السُّيُوفُ، وَجَمَلُ جِلْدِهَا عَلَى خَمْسَةِ جَمَالٍ فِي مَقْدَارِ سَاعَةٍ مِنْ ثِقَلِهِ، وَكَانَ يُنْقَلُ مِنْ جَمَلٍ إِلَى جَمَلٍ وَقَدْ حُشِيَ تَبْنًا حَتَّى وَصَلَ إِلَى قَلْعَةِ الْجَبَلِ.

وفيهما كان بمصر والقاهرة زلزلة عظيمة أحرقت عدة منائر ومبانٍ كثيرة من الجوامع والبيوت حتى أقامت الأمراء ومباشرو الأوقاف مدة طويلة ترمم وتُجدد ما تشعَّت فيها من المدارس والجامع حتى منارة الإسكندرية.

(١) في السلوك: «نخن التليس المحشوتينا». وفي ابن كثير: «ورقبها مثل غلط التليس». (٢) زيادة عن السلوك وابن كثير. (٣) منارة الإسكندرية، صوابه منارة الاسكندرية لأنَّ النار مقصوده هنا علم الطريق، وأما المنارة فهي المنذرة. والمنار يعرف اليوم باسم المنارة، وهي كلمة تركية مأخوذة من فارسيون اليونانية، ومعناها المصباح. والفرنسيون يسمونه «فار» وهي مأخوذة من كلمة «فاروس» وهو اسم الجزيرة التي كان قائمًا بها منار الإسكندرية. ومنار الإسكندرية الذي يشير إليه المؤلف هو منارها القديم وكان عبارة عن برج مرتفع في جزيرة فاروس الواقعة في البحر المالح بقرب شاطئ الإسكندرية ويعلوه مشعل يضيء ليلا بنور شديد لإرشاد السفن إلى الميناء.

وقد جمع القرظي في خطه عند الكلام على منار الاسكندرية (ص ١٥٥ ج ١) ما ذكره مؤرخو العرب عن هذا المنار وعن التناقل الذي يعلوه، ونقل عنهم عدة روايات، منها: أن بالمنار امرأة إذا أُلقت شعاعها على أي سفينة أحرقت. ومنها أن من جلس تحت منارة المنار يرى من مدينة القسطنطينية (اصطنطول) وغير ذلك من الروايات غير المعقولة. والذي أرجحه أنه كان يوجد بالقرب من موقع مشعل المنار امرأة من المعدن المصقول ينعكس عليها ضوء الذهب فيزيد في الليل وضوحا وانتشارا في الأفق.

وقد وضع الأستاذ هرمن تيرش الألماني كتابا عن جزيرة فاروس طبع ليزن سنة ١٩٠٩م جمع فيه كل ما كتبه مؤرخو العرب وغيرهم عن هذا المنار من عهد الرومان إلى أن هدم. ويستفاد مما ورد في الكتاب =

وفيهما أبطل الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عيد الشهيد بمصر، وهو أن
النصارى كان عندهم تابوت فيه إصبع يزعمون أنها من أصابع بعض شهدائهم، وأن
النيل لا يزيد ما لم يُرم فيه هذا التابوت، فكان يجتمع النصارى من سائر النواحي
إلى شبرا^(١)، ويقع هناك أمور يطول الشرح في ذكرها، حتى إن بعض النصارى باع

٥ = المذكور أن منار الاسكندرية أنشأه بطليموس فيلادلف ثاني ملوك البطلمية بمصر حول سنة ٢٨٠ ق م،
وكان ارتفاعه ١٢٠ مترا وقد اعتبره المؤرخون من عجائب الدنيا وعلوه موقد يحرق فيه الخشب الراتنجي
فيعطى لها قويا هو مصدر الضوء الذي يرشد السفن إلى الميناء .

وقد عمر هذا المنارة مراراً بسبب ما أصابه من التخریب الذي كان أكثره من الزلازل وطراً على
شكله الأصلي عدة تغييرات حتى صار في آخر أيامه برجاً عادياً لا يزيد ارتفاعه عن ستمائة متراً وهو ارتفاع
طبقة الأولى التي تهدمت بعد ذلك . وقد تروى هذا المنارة وطل استعماله في المدة الثالثة من حكم الملك الناصر
١٠ محمد بن قلاوون أي بين سنتي ٥٧٠٩ = ١٣١٠ م و ٥٧٤١ = ١٣٤١ م . وفي سنة ٨٨٢ هـ أمر
السلطان الأشرف قايتباي أن يبنى على أساس هذا المنارة القديم حصن . وفي سنة ٨٨٤ هـ تم بناء هذا الحصن
وجعل به جامعاً بمخطة وطاحونا وفرناً وحواصل ضخمة بالسلاح وجعل حول هذا الحصن مكاحل معمورة
بالمدافع لمنع الاعتداء على المدينة . وكان هذا البرج هو المستعمل في هداية المراكب القادمة على الاسكندرية
١٥ إلى أن أنشأ محمد علي باشا الكبير في سنة ١٨٤٨ الفناء الحالي المعروف بفناء رأس التين القائم على الطرف
الغربي لشبه جزيرة رأس التين بالميناء الغربية .

وأما حصن قايتباي الذي أنشأه مكان المنارة القديم فقد تخرب أيضاً والجزة الباقية منه يعرف الآن باسم
طابسة قايتباي ، وطابية كلمة تركية معناها الحصن الذي يسميه مؤرخو العرب «البرج» . ويوجد داخل
الطابية المذكورة الجامع الذي أنشأه السلطان قايتباي ، وهذه الطابية واقعة في شمال الميناء الشرقية التي يحيط
بها شارع متزعة الملكة نازلي بالاسكندرية .

٢٠ (١) شبرا، المراد بها شبرا الخيمة وهي من القرى القديمة اسمها الأصلي «شبر» كما وردت في كتاب
أحسن التقاسيم للقدمي . وردت في ترجمة المشتاق للإدريسي باسم شبره، وفي المشترك لياقوت الحموي :
شبرا دمنهور لمجاورتها إلى دمنهور شبرا ، وفي تحفة الإرشاد والانتصار لابن دقان وفي النخبة السنية
لابن الجيعان : شبرا الخيمة ، وهي شبرا الشهيد من ضواحي القاهرة . وفي كتاب وقف السلطان
٢٥ الغوري سنة ٩١١ هـ شبرا القاهرة لأنها من ضواحيها . وقال في تاج العروس : شبرا المكاسة لأن نخبة
المكس كانت تضرب فيها . وعلى السنة العامة : شبرا بغير إضافة لشهرتها . وسكان القاهرة يقولون : شبرا البلد
تميزها لها عن قسم شبرا أحد الأقسام الإدارية بمدينة القاهرة ، ويفصله عن شبرا البلد رعة الإسماعيلية .

ورود في الخطط القريزية : شبرا الخيام ويقال لها شبرا الشهيد، لأنه كان يوجد بهذه القرية صندوق صغير
من الخشب في داخله إصبع شهيد من شهداء النصارى محفوظة بها دائماً ، فإذا كان من شهر ينشئ من الشهور
٣٠ القبطية يخرجون تلك الإصبع من الصندوق ويصلونها في بحر النيل لزعمهم أن النيل لا يزيد في كل سنة
حتى يلقوا فيه تلك الإصبع ، ويسمون احتفالهم بذلك عيد الشهيد، فاشتهرت هذه القرية باسم شبرا الشهيد . =

في أيام هذا العيد بائني عشر ألف درهم نحرًا من كثرة الناس التي تتوجه إليه للفرجة، وكان تنور في هذا العيد قنّ وتقتل خلّاق. فأمر الأمير بيبرس رحمه الله بإبطال ذلك، وقام في ذلك قومة عظيمة، فشق ذلك على النصاري، واجتمعوا بالأقباط الذين أظهروا الإسلام، فتوجه الجميع إلى التاج بن سفيد الدولة كاتب بيبرس، وكان خصيصًا به وأوعدوا بيبرس بأموال عظيمة، وخوفه من عدم طلوع النيل ومن كسر الخراج، فلم يلتفت إلى ذلك وأبطله إلى يومنا هذا.

وفيها توفى الشيخ كمال الدين أحمد بن أبي الفتح محمود بن أبي الوحش أسد ابن سلامة بن سليمان بن فيّان المعروف بآبن المطّار، أحد كتّاب الدّرج يدمشق في رابع عشر ذي القعدة. ومولده سنة ستّ وعشرين وستمائة، وكان كثير التلاوة محبًا لسماع الحديث وسميع وحدث، وكان صندراً كبيراً فاضلاً وله نظم وثر، وأقام يكتب الدّرج أربعين سنة.

وفيها توفى الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ القُدوة برهان الدين إبراهيم ابن معضاد الجعبري بالقاهرة؛ وقد تقدم ذكر وفاة والده، ودفن بزاويته خارج باب النصر من القاهرة.

١٥ = وتعرف بشبرا الخيمة أو الخيم أو الخيام، لأن الناس كانوا يحتفلون بذكرى عيد الشهيد سنوياً على اختلاف طبقاتهم في خيام ينصبونها على شاطئ النيل تجاه شبرا هذه للإقامة فيها مدة أيام عيد الشهيد فاشتهرت باسم شبرا الخيمة وهو اسمها الحالي في جداول أسماء البلاد. وهي اليوم إحدى قرى مأمورية ضواحي مصر بمديرية القليوبية.

(١) في الأصلين: «جمال الدين». وتصحيحه من عقد الجمان والسلوك والوافي بالوفيات للصفدي.
(٢) في الأصلين: «ابن أبي الفتح بن محمود». والتصويب عن المصادر المتقدمة والبداية والنهاية لأبن كثير. (٣) في السلوك: (في رابع عشرين ذي القعدة). (٤) هذه الزاوية واقعة بجبانة باب النصر من القاهرة. وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٧٥ من الجزء السابع من هذه الطبعة.
وقد تقدّمت وفاة والده سنة ٦٨٧ هـ.

وفيها تُوِّفَى الأمير فارس الدين أَلْبَكى الساقى أحد ممالك الملك الظاهر بَبَرْس ،
كان من أكابر أمراء الديار المصرية ، ثم أَعْتُقِلَ إلى أن أفرج عنه الملك المنصور
قلاوون وأنعم عليه بإمرة ؛ ثم نقله إلى نيابة صَفَد فأقام بها عشر سنين ،
وفزع الأمير قَبْجَق إلى غازان وتزوج بأخته ، ثم قَدِمَ مع غازان ولحق بالسلطان ،
فولاه نيابة حمص حتى مات بها في يوم الثلاثاء ثامن ذى القعدة . وكان مليح الشكل
كثير الأدب ما جلس قطُّ بلا خُف ، وإذا رَكِبَ نزل حَمَلَ جَمْدَارُهُ شاشه ، فإذا
أراد الركوب لفه مرة واحدة بيده كيف كانت .

وفيها أَسْتُشْهِدَ بوقعة شَقَّحَبَ^(١) الأمير عَزَّ الدين أَيْدَمَرُ العَزَّى نقيب الممالك
السلطانية [في أيام لاجين]^(٢) ، وأصله من ممالك الأمير عَزَّ الدين أَيْدَمَرُ [الظاهري]^(٢)
نائب الشام وكان كثير المَزَلْ ، وإليه تُنسب سَوِيْقَةُ العَزَّى خارج القاهرة بالقرب
من جامع أَلْجَاى اليُوسُفَى^(٤) .

(١) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٥٩ من هذا الجزء . (٢) زيادة عن الدرر الكامنة .
(٣) سويقة العزى ، ذكر المقرئى هذه السويقة في خطه (ص ١٠٦ ج ٢) فقال : إنها خارج
باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل بالقاهرة عرفت بالأمير عز الدين أيبك العزى نقيب الجيوش ، وأستشهد
على عكا عند ما قضاها الأشرف خليل بن قلاوون في يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة سنة ٦٩٠ هـ ، وهذه
السويقة عامرة بمارة ماحولها .

ولما تكلم المقرئى على مدرسة أَلْجَاى (ص ٣٩٩ ج ٢) قال : إنها بخط سويقة العزى . وأقول : بالبحث
تبين لى أن هذه السويقة كانت قديماً تشغل الجزء الجنوبي من شارع سوق السلاح الحالى في المسافة الواقعة
بين شارع القندور وبين شارع محمد على . وفي العهد العثماني قسم شارع سوق السلاح الحالى إلى قسمين :
أحدهما ، وهو البحرى في المسافة ما بين شارع التباة عند زاوية عارف باشا إلى حارة حلوات ، عرف بشارع
سويقة العزى أى في جهة غير التي كان بها المكان الأصل لهذه السويقة ، والثاني وهو القبل الذى كانت
فيه السويقة المذكورة في المسافة بين حارة حلوات وشارع محمد على عرف بشارع سوق السلاح . وفي وقتنا
الحاضر أصبحت الطريق كلها فيما بين شارع محمد على وشارع التباة تسمى شارع سوق السلاح ، وبذلك اختفى
اسم سويقة العزى من جداول أسماء الطرق بالقاهرة .

(٤) جامع أَلْجَاى اليُوسُفَى ، ذكره المقرئى في خطه باسم مدرسة أَلْجَاى (ص ٣٩٩ ج ٢) وقال :
إن هذه المدرسة خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل بخط سويقة العزى . أنشأها الأمير سيف أَلْجَاى =

وفيها استشهد الأمير سيف الدين أيّدمر الشمسي القشاش، وكان قد ولى كشف
الغربية والشرقية جميعا واشتدت مهايته ، وكان يعذب أهل الفساد بأنواع قبيحة
من العذاب ، منها : أنه كان يفرس خنزوقاً بالأرض ويجعل عوده قائماً^(١) ويرفع الرجل
ويُسقطه عليه ! وأشياء كثيرة ذكرناها في ترجمته في تاريخنا المنهل الصافي ، ولم يحسّر
أحد من الفلاحين في أيامه أن يلبس ميترّاً أسود ولا يركب قرساً ولا يتقلّد بسيف
ولا يحمل عصا مجلبة حتى ولا أرباب الإدراك ، ثم استعفى من الولاية ولزم داره ،
وخرج لغزوة شقّحب في محفّة إلى وقت القتال ليس سلاحه وركب فرسه وهو
في غاية الألم ، فقبل له : أنت لا تقدر تقاتل ، فقال : والله لئلا هذا اليوم أنتظر ،
وإلا بأتى شيء يتخلص القشاش من ربه بغير هذا ! وحمل على العدو وقاتل حتى
قُتل ورُئي فيه — بعد أن مات — ستة جراحات .

١٠

وفيها أيضاً استشهد الأمير أوليا بن قرمان أحد أمراء الظاهرية وهو ابن أخت
قرمان ، وكان شجاعاً مقداماً .

== في سنة ٧٦٨ هـ ، وجعل بها درساً للفقهاء الشافعية ودرساً للفقهاء الحنفية ونزاة كتب ، وأقام بها
منبراً يحطّ عليه يوم الجمعة ، وهي من المدارس الجليلة المعتبرة . وقد مات ألباي غربا في شهر المحرم
سنة ٧٧٥ هـ ودفن بهذه المدرسة .

١٥

وأقول : إن هذه المدرسة لا تزال موجودة بشارع سوق السلاح بالقاهرة باسم جامع ألباي اليوسفي
أو جامع الساييس ، وقد غلط المقرئ في تاريخ إنشاء هذه المدرسة فذكر أنها أنشئت في سنة ٧٦٨ هـ
والصواب أنها أنشئت في سنة ٧٧٤ هـ بدليل أنه توجد كتابتان على جانبي الباب العمومي بهذا الجامع وبأعلاه
مذكور فيها بعد البسلة : « أمر بإنشاء هذا الجامع والمدرسة المباركة المقر الأشرف ألباي آتابك العساكر
المنصورة بتاريخ شهر رجب سنة ٧٧٤ هـ » .

٢٠

وسبب تسمية هذا الجامع باسم جامع الساييس يرجع كما ظهر لي مما ورد في تحاب المنهل الصافي إلى الأمير
علاء الدين علي بن أحمد الطبرسي الشيرازي الساييس ، وقد تولى نظارة هذا الجامع بعد وفاة منشته نعرف به .
وما يلتفت النظر في هذا الجامع من الوجهة المهارية وجهته والتجويف العلوي لبوابته وقبته المضطمة
من الخارج على شكل حلزوني ثم متف دلهيزه ذو العقود المدائنية المصلبة .

٢٥

(١) في السلوك : « ويجعل محذده قائماً ، ويجانبه صار كبير يعلق فيه الرجل ثم يرسله فيسقط على
الخنزوق فيدخل فيه ويخرج من بدنه » . (٢) في الأصلين : « أوليا بن قرمان » بالزین وهو
نصيف ، وتصحيحه عن عقد الجمان والدر والكامة .

وفيها استشهد أيضا الأمير عز الدين أيبك الأستادار ، وكان من كبار الأمراء المنصورية .

واستشهد الأمير جمال الدين آقوش الشمسي الحاجب . والأمير سيف الدين بهادر أحد الأمراء بحمة . والأمير صلاح الدين بن الكامل . والأمير علاء الدين [على] ابن الجاكي . والشيخ نجم الدين [أيوب] الكزدي . والأمير شمس الدين سنقر الشمسي [الحاجب] . والأمير شمس الدين سنقر الكافري . والأمير سنقر شاه أستاذار بيبرس الجالقي . والأمير حسام الدين علي بن باخل . والأمير لاجين الرومي [المنصوري] أستاذار الملك المنصور قلاوون ويعرف بالحسام .

قلت : ورأيت أنا من ذريته الصارمي إبراهيم بن الحسام . وكل هؤلاء استشهدوا في نوبة غازان بسقحب بيد التار .

وفيها توفي الملك العادل كتيبا المنصوري نائب حماة بها وهو في الكهولية في ليلة الجمعة يوم عيد الأضحى . وقد تقدم ذكره في ترجمته من هذا الكتاب عند ذكر سلطته بالديار المصرية ، وما وقع له حتى خلع وتوجه لنيابة صرخد ، ثم نقل إلى نيابة حماة فمات بها .

وفيها توفي قاضي القضاة تقي الدين محمد ابن الشيخ مجد الدين علي بن وهب ابن مطيع بن أبي الطامة القشيري المنفلوطي الفقيه المالكي ثم الشافعي المعروف بآبن دقيق العيد قاضي قضاة الشافعية بالديار المصرية . كان إماما عالما ، كان مالكا ثم انتقل إلى مذهب الشافعي . ومولده في عشرين شعبان سنة خمس وعشرين

(١) في الأصلين : « ابن الكامل » . وتصحيحه عن السلوك وشذرات الذهب وتاريخ سلاطين المسالك . (٢) زيادة عن تاريخ سلاطين المسالك . (٣) النكلة عن السلوك وعقد الجمان والدرر الكامنة ، وقد ذكر له صاحبها ترجمة طويلة . (٤) زيادة عن السلوك . (٥) في ابن إمام : « الكافري » .

- (١) وسمائة، ومات في يوم الجمعة حادى عشر صفر، وكان تفقه بأبيه ثم بالشيخ عز الدين
 ابن عبد السلام وغيره، وسمع من ابن المقير وأبن رواح وأبن عبد الدثم وغيرهم،
 وخرج لنفسه تساعيات، وصار من أئمة العلماء في مذهبي مالك والشافعي مع جودة المعرفة
 بالأصول والنحو والأدب، إلا أنه كان قهره الوسواس في أمر المياه والتجاسات،
 وله في ذلك حكايات ووقائع عجبية. ورَوَى عنه الحافظ فتح الدين بن سيد الناس،
 وقاضى القضاة علاء الدين القونوي. وقاضى القضاة علم الدين الإخنائي وغيرهم
 وكان أبو حيان النحوي يُطلق لسانه في حق قاضى القضاة المذكور، وقد أوصحنّا
 ذلك في ترجمته في المنهل الصافي باستيعاب. ومن نظمه قصيدته المشهورة في مدح
 النبي صلى الله عليه وسلم التي أولها:

- يا سائرًا نحوَ الحجاز مُشعرًا * إجهدَ قديتك في المسير وفي السرى
 وإذا سهرت الليل في طلب العلا * فخذارِ ثم حذارِ من خُدع الكرى
 وله أيضا :

سحابُ فكرى لا يزال هاميا * وليلُ همى لا أراه راحلا
 قد أتعبتني همتي وفطنتي * فليتني كنت مهينًا جاهلا

- (١) هو عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام. تقدمت وفاته سنة ٥٦٦٠ هـ.
 (٢) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن منصور البغدادي الأزجي الخنبل التجار مستند الديار
 المصرية. تقدمت وفاته فيمن نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبي سنة ٥٦٤٣ هـ. (٣) هو عبد الوهاب
 ابن ظافر بن علي بن رواح رشيد الدين. تقدمت وفاته سنة ٥٦٤٨ هـ. (٤) هو أحمد بن عبد الدام
 ابن نعمة بن أحمد بن محمد بن إبراهيم زين الدين أبو العباس مستند الشام وفقهها ومحدثها. تقدمت وفاته
 فيمن نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبي سنة ٦٦٨ هـ. (٥) هو علاء الدين علي بن إسماعيل بن
 يوسف القونوي الفقيه الشافعي. والقونوي : نسبة الى قونية من بلاد الروم. توفي سنة ٧٢٩ هـ
 (عن الدرر الكامنة وشذرات الذهب ولب الباب). (٦) هو محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران
 ابن رجة الإخنائي السعدي الشافعي علم الدين. توفي سنة ٧٣٢ هـ (عن المنهل الصافي والدرر الكامنة
 وشذرات الذهب). (٧) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨٤ من هذا الجزء. (٨) وردت
 هذه القصيدة في فوات الوفيات في نحو سبعة عشر جذا.

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم لم يجر. مبلغ الزيادة ثمانى عشرة ذراعا سواء، وكان الوفاء في سبع عشرين ممرى^(١).



السنة السادسة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر،
وهى سنة ثلاث وسبعائة .

فيها آتدب الأمراء لعامة ما حارب من الجوامع بالزلزلة في السنة الماضية ،
وأنفقوا فيها مالا جزيلا .

وفيها كملت عمارة المدرسة الناصرية بين القصرين^(٢) ، ونقل الملك الناصر محمد
أبن قلاوون أمه من التربة المجاورة للشهد النفيسى^(٣) إليها . وموضع هذه المدرسة^(٤)

(١) هو الشهر الثانى عشر من شهور القبط ويوافق شهر أغسطس من شهور الروم (عن صبح الأعشى ج ٢ ص ٣٧٩) . (٢) المدرسة الناصرية ، لما تكلم المقرئ فى خطه على هذه المدرسة (ص ٣٨٢ ج ٢) قال إنها بجوار القبة المنصورية من الجهة البحرية . أنشأها الملك العادل زين الدين كنىغا المنصورى ، فابتدأ فى وضع أساسها فى سنة ٦٩٥ هـ ، وبعد أن أرفع بناؤها عن الأرض إلى نحو الطراز المذهب الذى بظاهرها تصادف أن خلع كنىغا وعاد الناصر محمد بن قلاوون إلى مملكة مصر ، فاشتري هذه المدرسة قبل تمامها وأكملها فى سنة ٨٧٠ هـ ، وهى من أجل مباني القاهرة . وبوابتها من الرخام الأبيض ، أصلها على باب كنيسة من كنائس عكا ، ودخل باب هذه المدرسة قبة جليلة مدفون بها والدته الناصرية آنوك . وأما الملك الناصر محمد بن قلاوون فهو مدفون فى تربة والده المنصور قلاوون المجاورة لهذه المدرسة . ولا تزال المدرسة الناصرية موجودة إلى اليوم بين جامعى قلاوون وبرقوق بشارع المغزلين الله (شارع بين القصرين سابقا) بالقاهرة وتعرف بجامع الناصر . ولما بلغت النظر فى هذه المدرسة من الوجهة المعمارية الوجهة المزينة بالزخارف والكتابات وطراز بوابتها الجوتيكى من الرخام المضلع والمنذنة القائمة على الباب المغشاة بالزخارف الجصية وهى من أدق وأحسن ما وجد من نوعها . ولم يبق من أوامر المدرسة غير الإيوان الشرق بجرايه الجصى النادر ، والإيوان الغربى وبه شبك غاية فى الدقة .

هذا مع العلم بأنه كان يوجد مدرسة أخرى تسمى الناصرية أنشأها الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب فى سنة ٥٦٦ هـ بمصر القديمة وقت أن كان وزير الخليفة العاضد الفاطمى ثم عرفت بمدرسة ابن زين التجار ثم عرفت بالمدرسة الشريفة . وقد آندثرت وسبق التعليق عليها فى الجزء الخامس ص ٣٨٥ — ٣٨٦ ، والجزء السادس ص ٥٥ — ٥٦ من هذه الطبعة . (٣) التربة المجاورة للشهد النفيسى ، يقصد المؤلف تربة الخلفاء العباسيين التى سبق التعليق عليها فى الحاشية رقم ٢ ص ١٤٨ من هذا الجزء . (٤) المشهد النفيسى ، هو مقام السيدة نفيسة رضى الله عنها ، وسبق التعليق عليه فى الحاشية رقم ٢ ص ٣٧٨ من الجزء السادس من هذه الطبعة .

الناصرية كان داراً تُعرف بدار سيف الدين بلَبَّان الرشيدى فآستراها الملك العادل زين الدين كَتَبُغاً وشرع في بنائها مدرسة ، وعَمِل بوابتها من أنقاض مدينة عكا وهى بوابة كنيسة بها ثم خُلِع كَتَبُغاً ، فآستراها الملك الناصر محمد هذا على يد قاضى القضاة زين الدين على^(١) بن مخلوف وأتمها وعَمِل لها أوقافاً جليلة . من حملتها : قَيْسَارِيَّة أمير على^(٢) بالشرابشين^(٣) .

٥

(١) هو على بن مخلوف بن ناهض بن مسلم النورى المالكي قاضى القضاة زين الدين . مذكرو المؤلف وفاته سنة ٧١٨ هـ . (٢) قيسارية أمير على ، يستفاد مما ذكره المقرئى في خطه عند الكلام على قيسارية أمير على (ص ٨٧ ج ٢) وعند الكلام على مسالك القاهرة وشوارعها (ص ٣٧٣ ج ١) : أن هذه القيسارية بشارع القاهرة تجاه الجمالون الكبير بجوار قيسارية جهار كس يفصل بينهما درب قيطون ، عرفت بالأمر على ابن الملك المنصور قلاوون الذى عهد له بالملك ولقبه بالملك الصالح ومات في حياة أبيه في شعبان سنة ٦٧٩ هـ . وقال المقرئى : إن قيسارية جهار كس ودرب قيطون وقيسارية أمير على كانت كلها على يمين السالك بشارع القاهرة فاصداً بين القصرين ، وإن سوق الجمالون الكبير كان على يساره تجاه قيسارية أمير على .

١٠

وذكر ابن إياس في كتابه تاريخ مصر (ص ٥٨ ج ٤) : أنه في شهر جمادى الأولى من سنة ٩١٠ هـ كملت عمارة السلطان التى أنشأها تجاه جامع ، وكان أصلها قيسارية الأمير على ، وقد استبدلها من وقف

١٥

الناصر محمد بن قلاوون . وبالمبحث تبين لى :
١ — أن درب قيطون هو الذى يعرف اليوم بعطفة البارودية المتفرعة من شارع المزلدين الله (شارع النورية سابقاً) .

٢ — أن قيسارية جهار كس مكاتها اليوم بمحور المباني المشرقة على الشارع المذكور فيما بين عطفة البارودية من بحرى وشارع الكحكين من قبل .

٢٠

٣ — أن سوق الجمالون هو الذى يعرف اليوم بمحلة الجمالون المتفرعة أيضاً من شارع المزبحرى جامع النورى . ومتى عرف القارئ كل ذلك تبين له أن قيسارية أمير على مكاتها اليوم الأرض القائم عليها قبة وسيل وكتاب السلطان قصوه النورى بشارع المزلدين الله تجاه جامع النورى المذكور .

(٣) الشراشين ، ذكر المقرئى سوق الشراشين في خطه (ص ٩٨ ج ٢) فقال : إنها لما أحدث بعد الدولة الفاطمية وبيع فيها الخلع التى ينعم بها السلطان على الأمراء والوزراء والقضاة وغيرهم . وميل له سوق الشراشين لأنه كان من الرسم في الدولة التركية أن السلطان والأمراء يلبسون على رؤسهم كوة صفراء مضرية تضرباً عريضاً ولها كلاليب بغير عمامة فوقها ، وهو لباس يشبه التاج مثل الشكل يحمل على الرأس بغير عمامة صرف هذا السوق بالشراشين نسبة الى الشرايش المذكورة . وقد بطل لبس الشروش في الدولة الجركية . وبهذا السوق عدة تجار لشراء التشاربف والخلع وبيعها على السلطان في ديوان الخالص .

٢٥

==

والربع المعروف بالدهيشة قريباً من ^(١) باب زويلة ^(٢)، وحوانيت بساب الزهومة ^(٣)

و يستفاد مما ذكره المقرئ عند الكلام على مسالك القاهرة وشوارعها (ص ٣٧٣ ج ١)، وما ذكرناه في التعليق السابق الخاص بقيسارية أمير على من أن سوق الشرايين كان في الشارع الأعظم الذي كان يسمى قديماً قصبة القاهرة. وما ذكره ابن إياس في عدة مواضع في كتابه تاريخ مصر من أن مدونة السلطان قنصوه الغوري تقع في سوق الشرايين يستفاد من كل ذلك أن هذا السوق مكانه اليوم بشارع المزلدين الله (شارع الغورية سابقاً) في المسافة المحصورة بين شارع الأزهر وبين عطفة البارودية.

ولهذه المناسبة أذكر أن اسم الطربوش الذي نحملة اليوم على رؤوسنا مأخوذ من الشربوش السابق ذكره.

(١) الربع المعروف بالدهيشة، بالبحث تبين لي أن هذا الربع لا يزال موجوداً، وهو ضمن أعيان

وقف رضوان بك الفقاري تجاه جامع الصالح طلائع بن رزك في أول شارع قصبة رضوان على اليمن من جهة

باب زويلة. وقد أقيم حديثاً على جزء من أرض هذا الربع زاوية السلطان فرج بن برقوق التي أنشأها

في سنة ٨١١ هـ المعروفة بزاوية الدهيشة، والسبب في نقل هذه الزاوية من مكانها الأصل إلى جهة هذا

الربع هو أنها كانت مزاحمة للطريق العام أمام باب زويلة حيث كان بين الزاوية وبين البدة الغربية

للباب المذكور نحو أربعة أمتار؛ فاتفقت مصلحة التنظيم مع إدارة حفظ الآثار العربية على نزع ملكية جزء

من الأرض القائم عليها ربع الدهيشة المذكور ونقل الزاوية إليه. وبناء على هذا الاتفاق رقت جميع الأبنية

التي يتكون منها بناء الزاوية المذكورة ثم فكت ونقلت بعناية وأعيد بناؤها في سنة ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٣ م

في مكانها الحالي بأبجارتها وشكلها القديم كما كانت حتى إن من يراها لا يظن أنها منقولة. وبذلك أصبح

عرض الطريق بين الزاوية وبين باب زويلة ستة عشر متراً بعد أن كان عرضها أربعة أمتار.

(٢) باب زويلة، يستفاد مما ذكره المقرئ في خططه عند الكلام على باب زويلة (ص ٣٨٠ ج ١):

أن باب زويلة القديم عند موضع القائد جوهر مدينة القاهرة كان عبارة عن باين متلاصقين بجوار المسجد

المعروف بسام بن نوح يعرفان بباب القوس وقد زال هذا الباب ولم يبق له أثر ولما أراد أمير الجيوش

بدر الجمالي وزير الخليفة المستنصر الفاطمي توسيع مدينة القاهرة القديمة نقل سورها القبلي إلى جهة الجنوب

وبنى باب زويلة الحالي سنة ٤٨٤ هـ = ١٠٩٩ م ورفع أبراجه.

وبالبحث تبين لي أن مكان الباب القديم يقع اليوم في عرض شارع المزلدين الله (شارع المناخلة

سابقاً) تجاه زاوية سام بن نوح، وفي عرض شارع المنجلدين تجاه هذه الزاوية، وفي شمال باب زويلة

الحالي، وعلى بعد ١٤٠ متراً من عتبة.

ولما أنشأ الملك المريد شيخ الممهودي جامعته الحالي داخل باب زويلة سنة ٨١٩ هـ = ١٤١٦ م

هدم الجزء العلوي من بدني الباب الحالي (أبراجه) وأقام فوقهما منارتي الجامع، ولا يزال باب زويلة

موجوداً إلى اليوم على رأس شارع المزلدين الله الذي يوصل بين هذا الباب وباب الفتوح.

والعامة يسمون باب زويلة بوابة المتولى، لأن متولى حصة القاهرة في الزمن الماضي كان يجلس بهذا

الباب لتحصيل العوائد والرسوم من أصحاب الأملاك ومن التجار والظرفيا يعرض عليه يومياً من قضايا

التخالفات والفصل فيها.

(٣) باب الزهومة، هو أحد أبواب القصر الكبير الشرقي الفاطمي بالقاهرة، كان واقفاً في الزاوية القبلية

الغربية من مباني هذا القصر. وقد سبق التعليق عليه في الجزء الرابع حاشية رقم ٢ ص ٣٦ من هذه الطبعة.

والحمام المعروفة بالفخرية بجوار المدرسة الفخرية ، وعدة أوقاف أخرى في مصر والشام .

- (١) الحمام المعروف بالفخرية ، استفاد مما ذكره على مبارك باشا في الخطط التوفيقية عند الكلام على حمام النبات (ص ٦٦ ج ٦) : أن هذا الحمام كان من الحمامات القديمة . بناه الأمير نغر الدين عبد الفنى ابن عبد الرازق بن أبي الفرج الأرمى ، وكان يعرف بحمام الكلاب ، ثم عرف بحمام النبات لأنه يجاور جامع نغر الدين عبد الفنى الذى يعرف اليوم بحمام النبات بشارع جامع النبات بالقاهرة . وقد هدم هذا الحمام ودخلت أرضه في دار أم حسين بك ابن محمد على باشا والى مصر .
- والباحث يبين أن هذا الحمام كان واقفا بجوار الجامع المذكور من الجهة القبلىة حيث كانت توجد سراى أم حسين بك . وقد هدمت هذه السراى وبيعت أرضها قطعاً لبعض التجار ، فأقاموا عليها محال تجارية واسعة بشارع جامع النبات .
- (٢) في أحد الأصول : « بجوار المدرسة السيفية » والمدرسة الفخرية التى يقصدها المؤلف هى التى أنشأها الأمير نغر الدين عبد الفنى بن أبي الفرج الأرمى ، وذكرها المقرئى في خطه باسم جامع الفخرى (ص ٣٢٨ ج ٢) لتمييزها من المدرسة الفخرية القديمة التى أنشأها الأمير نغر الدين عثمان بن قزل الباروى . وذكرها المقرئى في خطه (ص ٣٦٧ ج ٢) لأن جامع الفخرى هو الذى كان بجواره الحمام المعروف بالفخرية المذكور في التعليق السابق . وأما المدرسة الفخرية القديمة فلم يرد في كتب الخطط ما يفيد أنها كانت مجاورة لإحدى الحمامات .
- وقد تكلم المقرئى على جامع الفخرى المذكور فقال : إنه بخط بين السورين فيما بين باب الخوخة وباب سعادة ، ويوصل إليه من درب العداس المجاور لحارة الوزيرية ، أنشأه الأمير نغر الدين عبد الفنى بن عبد الرازق بن نقولا الشهير بابن أبي الفرج الأرمى في سنة ٨٢١ هـ وخطب فيه يوم الجمعة ٢٨ شعبان من السنة المذكورة وعمل فيه عدة دروس . ولما مات في منتصف شوال من تلك السنة دفن في هذا الجامع .
- وأقول : إن جامع الفخرى هذا أو المدرسة الفخرية حسب رواية المؤلف لا تزال موجودة إلى اليوم ومعروفة بحمام النبات بشارع جامع النبات بالقاهرة ، ولها باب آخر بجوار جامع النبات الموصلة قديماً إلى درب العداس . وفي سنة ١٢٦٨ هـ = ١٨٥١ م . جددت السيدة ممتاز قادن حرم ساكن الجان محمد على باشا الكبير الشهيرة بأم حسين بك هذا الجامع . وأنشأت له مثانة جديدة على الطراز العثمانى . وقد نقش في لوح من الزخام بأعلى الباب العام تاريخ هذا التجديد . ثم عيّنت إدارة حفظ الآثار العربية باصلاحه وتجديده فعملت به جملة إصلاحات وترميمات أرجعته إلى حاله التى أثنى عليها ، وقد تم هذا الإصلاح في سنة ١٣١٣ هـ = ١٨٩٥ م .
- وأما سبب شهرته بحمام النبات فقد ذكر الشيخ عبد الفنى النابلسى في كتاب الحقيقة والمجاز الذى وضعه عن رحلته إلى مصر في سنة ١١٠٥ هـ . أن سبب هذه التسمية يرجع على ما علمه من أن البنت التى لا يتيسر لها زوج تأتى إلى هذه المدرسة في يوم الجمعة والناس في الصلاة وتجلس في مكان هناك ، ومتى أقيمت الصلاة وكان الناس في السجدة الأولى من الركعة الأولى من صلاة الجمعة مرت البنت بين صفوف المصلين ثم تذهب فيتنسرها الزوج ، وقد جربوا ذلك ، فاشتهر الجامع باسم جامع النبات لكثرة الزائرات له منهن .

(١)
وفيهما تُوُفِّيَ الأمير عز الدين أَيْبُكَ الحَمَوِيُّ كان أصله من مماليك الملك المنصور صاحب حماة، فطلبه منه الملك الظاهر بيبرس هو وأبو نُحْرُس [علم الدين سنجر] (٢)
من الملك المنصور، فسيرهما إليه فرقاهما ثم أمرهما، ثم وَلَّى الملك الأشرف خليل أَيْبُكَ هذا ثياباً دِمَشْقَ بعد سَنَجَر الشجاعى حتى عزله الملك العادل كَتَبًا بمملوكه (٣)
إِغْرَلُوا الْعَادِلِيَّ ، وولى بعد ذلك ثياباً صَرَّخْد ثم خُصَّ وبها مات فى تاسع عشر ربيع الآخر .

وفيهما توفى الأمير ركن الدين بَيْرُس التَّلَاوِيُّ وكان يَلِي شَدَّ دِمَشْقَ، وكان فيه ظُلمٌ وَعَسْفٌ ، وتوفى عِوَضَهُ شَدَّ دِمَشْقَ الأمير قَيْرَان [المنصورى] الدوادارى .
وفيهما تُوُفِّيَ القاضي شمس الدين سليمان بن إبراهيم بن إسماعيل المَلِيطِيُّ (٤) ثم الدَّمَشْقِيُّ (٥)
الحَنَفِيُّ أحد ثَوَابِ الْحَكَمِ بِدِمَشْقَ ومصر، كان فقيها عالما ديناً مباركاً حسن السيرة . ١٠
وفيهما تُوُفِّيَ الْقَانِ إِيْلُ خان مَمَزَالِدين قازان، وقبل غازان، وكلاهما يصح معناه (٦)
أَبْنُ أَرْغُونِ بْنِ أَبِى بَنْ هولاكو بن تُولِي خان بن چنگزخان بِلَادِ قَزْوِينَ فى ثَانِي عَشَرَ شَوَالٍ وَجُمِلَ إِلَى تَرْبَتِهِ وَقُبَّتِهِ الَّتِي أَنْشَأَهَا خَارِجَ بَرْبَرْ . وكان جلوسه على تخت (٧)
(٨)
(٩)
(١٠)

(١) هو الملك المنصور المظفر تقي الدين محمد بن الملك المنصور ناصر الدين محمد بن المظفر محمود بن المنصور محمد بن عمر بن شاهنشاه الحموي آخر ملوك حماة . تقدمت وفاته فيمن قتل المؤلف وقاتهم عن الذهبي سنة ٦٩٨ هـ . (٢) التكلفة عن الدرر الكامنة وما تقدم ذكره للوفى فى الجزء السابع ص ١٧٦ من هذه الطبعة . (٣) فى أحد الأصلين : « فى تاسع شهر رجب » .
(٤) زيادة عن الدرر الكامنة ، وذكر أن وفاته كانت سنة ٧٠٩ هـ . (٥) فى عقد الجمان : « سليمان بن إبراهيم » . (٦) المَلِيطِيُّ (بفتحين) : نسبة الى ملطية ، مدينة بالروم (عن لب الباب) .
(٧) فى الأصلين : « سعد الدين » . وما أئتمناه عن الدرر الكامنة والسلوك . (٨) قزوين : مدينة لها حصن وماؤها من السهاء والآبار ولها فتاة صغيرة للشرب ، وهى مدينة خصبة مشهورة ، بينها وبين أهر اثنا عشر فرسخاً ، وبينها وبين الديلم جبل (عن مراصد الاطلاع وتقويم البلدان لأبى القدى) .
(٩) فى الدرر الكامنة : « ثانى عشر شعبان » . (١٠) راجع الحاشية رقم ١ ص ١١٩ من هذا الجزء .

المُلْك في سنة ثلاث وتسعين وستائة ، وأسلمَ في سنة أربع وتسعين ؛ وَثَر الذهب والفضة واللؤلؤ على رهوس الناس ، وفشا الإسلامُ بإسلامه في ممالك التتار ، وأظهر العدل وتسمّى محموداً ، وكان أجَلُ ملوك المُفْل من بيت هولاكو ، وهو صاحب الوقعات مع الملك الناصر محمد بن قلاوون والذي مَلَكَ الشام . وقد تقدّم ذكر ذلك كلّهُ في أصل هذه الترجمة .

- وفيها تُوِّق القاضى فتح الدين أبو محمد عبد الله ابن الصاحب عزّ الدين محمد بن أحمد بن خالد بن محمد القيسرانيّ في يوم الجمعة خامس عشرين شهر ربيع الآخر بالقاهرة ، وقد وَزَرَ جَدّه موقى الدين خالد للملك العادل نور الدين محمود بن زَنْكى المعروف بالشهيد ، وكانت لديه فضيلة وعُني بالحديث وجمع وألّف كتاباً في معرفة الصحابة ، وكان له نظم وثر ، ونحج لنفسه أربعين حديثاً ، وروى عنه الدِّمَاطِيّ .
١٠ من شعره ، وأخذ عنه الحافظ فتح الدين ابن سيّد الناس ، والبرزاليّ والذهبي .
ومن شعره :

بوجه مُعَذِّبِي آيَاتِ حُسَيْن * فقل ما شئت فيه ولا تُحَايِي

ونسخه حُسَيْنه قُرَيْشٌ فصَحَّتْ * وها خَطُّ الكمال على الحواشي

- وفيها تُوِّق القاضى كمال الدين أبو الفتح موسى ابن قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن شهاب الدين محمد بن خَلْكان ، كان فاضلاً أشتغل في حياة والده ودرس ، وكانت سيرته غير مشكورة ، وهو كان أكبر الأسباب في عزل والده ، ومات في شهر ربيع الأول^(٣) .

(١) هو موقى الدين خالد بن محمد بن نصر القيسراني أبو البقاء صاحب الخط المنسوب . كانت وفاته

سنة ٥٨٨ هـ (عن شذرات الذهب وعقد الجمان) . (٢) في الأصلين : « جمال الدين » .

وما أئتمناه عن الدرر الكامنة وأعيان مصر وأعيان النصر للصفدى . (٣) ذكرت وفاته في الدرر

الكامنة سنة ٧١٧ هـ . وذكر وفاته الصفدى في أعيان مصر وأعيان النصر سنة ٧٣٣ هـ .

وفيهما توفى الشريف أبو فارس عبد العزيز بن عبد الغنى بن سرور بن سلامة^(١)
المنوف أحد أصحاب أبي التجاج الأقصري^(٢) . مات في ليلة الاثنين خامس عشر
ذى الحجة بمصر عن مائة وعشرين سنة .

وفيهما توفى الشريف جَمَاز بن شَيْحَة [بن هاشم بن قاسم بن مُهَنَّا] أمير المدينة
النبوية مصروفًا عن ولايتها ، والأصح وفاته في القابلة .

وفيهما توفى الإمام المحدث تاج الدين علي بن أحمد بن عبد المحسن الحسيني^(٣)
الغرافي الإسكندراني في سابع ذى الحجة .

وفيهما توفى الأمير الوزير ناصر الدين محمد ، ويقال ذُبْيَان ، الشيخي^(٤) ، تحت
العقوبة في سابع ذى القعدة .

وفيهما توفى الشريف شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين بن محمد الأرموي^(٥)
نقيب الأشراف في تاسع عشر شوال ، وكان فاضلا رئيسا . وقيل وفاته في المائة ،
وهو الأقوى .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم ثلاث أذرع وعدة أصابع .
مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعا وست عشرة إصبعا . وكان الوفاء أول أيام النسيء .

(١) ترك المؤلف بعد هذا الجدة أجدادا كثيرا ذكرهم صاحب الدرر الكامنة . (٢) هو يوسف

ابن عبد الرحيم بن غزى أبو التجاج القرشي الأقصري ، توفى سنة ٦٤٢ هـ (راجع ترجمته في الطالع السعيد) .

(٣) زيادة عن الدرر الكامنة والمنهل الصافي . (٤) في الأصلين : « العراق » .

وتصححه عن الدرر الكامنة والمنهل وشذرات الذهب . والغرافي ، نسبة إلى الغراف : نهر تحت واسط

على قرى كثيرة . وذكرت وفاته المصادر المتقدمة في السنة القابلة . (٥) ذكر في الدرر الكامنة

والمنهل الصافي باسم ذبيان فقط وهو ذبيان بن عبدالله الماردى الشينى ناصر الدين والى القاهرة . وفيها

أن وفاته كانت في السنة القابلة . (٦) راجعنا وفيات هذه السنة والى بعدها في المصادر التى تحت

يدنا فلم نعثر على هذا الاسم .



السنة السابعة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر، وهي سنة أربع وسبعائة .

فيها توجه الأمير بيبرس الجاشنكير إلى الحجاز مرة ثانية ومعه علاء الدين أيذغدي الشهرزوري رسول ملك الغرب ، والأمير بيبرس المنصوري الدوادار ، والأمير بهاء الدين يعقوبا وجماعة كثيرة من الأمراء، وخرج ركب الحاج في عالم كثير من الناس مع الأمير عز الدين أبيك الخازندار زوج بنت الملك الظاهر بيبرس .

وفيها ظهر في معدن الزمرّد قطعة زنتها مائة وخمسة وسبعون مثقالا فأخفاها الضامن ثم حملها إلى بعض الملوك، فدفع فيها مائة ألف وعشرين ألف درهم فأبى يبيعها، فأخذها الملك منه غضباً وبعث بها إلى السلطان فات الضامن غماً .

وفيها توفى القاضي فتح الدين أحمد بن محمد بن سلطان القوصي الشافعي وكيل بيت المال بقوص وأحد أعيانها، كان من الرؤساء ومات بها في حادي عشر المحرم .

وفيها توفى القاضي زين الدين أحمد ابن صاحب نخر الدين محمد ابن صاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنا في ليلة الخميس ثامن صفر، وكان فقيهاً فاضلاً متديناً وافر الحرمة .

(١) يلاحظ أنه ابتداء من هنا أقطع الكلام في أحد الأصلين بمقدار لوحة .

(٢) يريد به ملك اليمن، كما صرح بذلك في عقد الجمان في حوادث هذه السنة

(٣) عبارة عقد الجمان : «راجع بها فأخذت منه وحملت إلى الملك الناصر فاقطعت مرارة الضامن

ومات » . (٤) في الأصلين : « أحمد بن محمد بن سليمان » . وتصحيحه عن الطالع السعيد والسلوك للقرنزي .

وفيهما تُوِّفَّ شمس الدين أحمد بن علي بن هبة الله بن السديد الإسناقي خطيب
إسنا ونائب الحكم بها وبأدفو وقوص في شهر رجب، وكانت قد آتته إليه رياسة
الصعيد، وبني بقوص مدرسة، وكان قوى النفس كثير العطاء مُهابا ممدوحا يبذل
في بقاء رياسته الآلاف الكثيرة، يقال إنه بذل في نيابة الحكم بالصعيد ما نفي ألف،
وصادره الأمير كزاي المنصوري وأخذ منه مائة وستين ألف درهم، فقَدِم القاهرة
ومات بها .

وفيهما تُوِّفَّ الأمير بيبرس الموفق المنصوري أحد الأمراء بدمشق بها في يوم
الأربعاء ثالث عشر جمادى الآخرة غنوقاً وهو سكران . نسأل الله حسن الخاتمة
بمنه وكرمه .

- ١٠ (١) إسنا، من المدن المصرية القديمة وهي اليوم قاعدة مركز إسنا بمديرية قنا . سبق التعليق عليها في الجزء السادس (ص ٣٦٠ الحاشية رقم ٥) من هذه الطبعة . (٢) أدفو : من المدن المصرية القديمة الشهيرة بالصعيد الأعلى واقصة على الشاطئ الغربي للنيل ، اسمها المصرى القديم : « تبوت » ، والقبطى « إمبو » . ووردت في كتاب البلدان للياقوتى المتوفى سنة ٦٢٨ هـ ضمن كور الصعيد الأعلى باسم « أدفو » ، ومنه اسمها الحالى « أدفو » واسمها الرومى « أبولينيوبوليس » الكبيرة نسبة الى المعبود هوريس أبو اللون وهو الصقر . وكانت أدفو في أيام الفراعنة قاعدة القسم الثانى من أقسام مصر بالوجه القبلى ثم كورة في عهد العرب .
- ١٥ وهذه البلدة شهيرة بمعبدها الأثرى الفخم الذى أنشأه بطليموس الثالث في سنة ٢٣٧ ق م للإله هوريس . وأتم مبانيه بطليموس الرابع في سنة ٢١٢ ق م دون أن ينخرقه ، وقد أشترك في بنائه وزخرفته من بعدهما بطليموس العاشر و بطليموس الحادى عشر واستمرت المارة والزخارف حتى آتتهى نهائيا في سنة ٥٧ ق م . وهذا المعبد لا يزال موجودا إلى اليوم ويعد من أكبر الآثار المصرية وأنغمها التى تلفت الأنظار بالوجه القبلى .
- ٢٠ وأما أدفو فهى اليوم قاعدة مركز أدفو بمديرية أسوان ولها محطة بالسكة الحديدية باسمها واقعة تجاهها على الشاطئ الشرقى للنيل والوصول إليها بالمعدية . (٣) قوص من المدن المصرية القديمة ، وهى اليوم قاعدة مركز قوص بمديرية قنا . وسبق التعليق عليها في الجزء الخامس ص ٢٩٢ الحاشية رقم ١ والجزء السادس ص ٣٨٣ من هذه الطبعة . (٤) فى السلوك : « ثمانين ألف درهم » .
- ٢٥ (٥) الموفق : نسبة الى الموفق نائب الرحبة لأنه كان ملوكه . (عن الدرر الكامنة) .
- (٦) فى السلوك : « ثالث عشرين جمادى الآخرة » .

وفيها تُوِّفَّ الأمير الشريف عزَّ الدين بَجمَّاز بن شيعة أمير المدينة ، وقد تقدَّم في الماضية . والأصحُّ أنه في هذه السنة .

وفيها تُوِّفَّ الأمير شمس الدين محمد ابن صاحب شرف الدين إسماعيل بن أبي سعيد بن التَّيَّيَّ الآمدي - أحد الأمراء ونائب دار العدل بقلعة الجبل ، كان رئيساً فاضلاً .

وفيها تُوِّفَّ الأمير مُبارز الدين سِوَّار الرومي - المنصوري - أمير شِكَارَ ، وكان من أعيان الأمراء وفيه شجاعة وحِشمة ورياسة ، وكان معظمًا في الدول .

وفيها تُوِّفَّ الأمير سيف الدين بهادر بن عبد الله المنصوري - المعروف بِسِمَزِ (أعني سمينًا) مقتولا بأيدي عرب الشام بعد أن قتل منهم مقتلة كبيرة .

§ أمر النيل في هذه السنة - الماء القديم أربع أذرع وأصابع . مبلغ الزيادة ست عشرة ذراعًا وأثنتا عشرة إصبعا ، وكان الوفاء رابع توت .

١٠



السنة الثامنة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر ، وهي سنة خمس وسبع مائة .

فيها قدمت هدية الملك المؤيد هِرَاز الدين داود صاحب اليمن فوُجِدَت قيمتها أقل من العادة ؛ فكَتِبَ بالإنكار عليه والتهديد .

١٥

وفيها آسَنَسَقَى أهل دِمَشَق لِقَلَّة الغَيْث فسُقُوا بعد ذلك ، ونه الحمد .

وفيها تُوِّفَّ خطيب دِمَشَق شرف الدين أحمد بن إبراهيم بن سِبَّاح الفَرَازي - الفقيه

المقرئ النحوي المحدث الشافعي في شِوَال عن خمس وسبعين سنة .

(١) كذا في الأصلين والسلوك . وفي شذرات الذهب وعقد الجمان : « ابن أبي سعد » .

(٢) في الأصل : « مبارز الدين سقر الرومي المنصوري أمير سلاح » . وتصحيحه من عقد الجمان

٢٠

والسلوك والدرر الكامنة . (٣) كلمة تَرْكِيَة معناها ما ذكره المؤلف .

وفيه توفى الحافظ شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن حلف بن أبي الحسن
ابن شرف بن الخضر بن موسى الدمياطي الشافعي أحد الأئمة الأعلام والحفاظ
والنفقات . مولده في سنة ثلاث عشرة وستمائة ^(٢) بونة وهي بلدة في بحيرة تنيس ^(٣)
من عمل دمياط ، وقيل في سنة عشر وستمائة ، وأشتغل بدمياط وحفظ
التنبيه في الفقه ، وسمع بها والقاهرة من الحافظ عبد العظيم المنذري ^(٤) وأخذ عنه
علم الحديث ، وقرأ القرآن بالروايات ، وبرع في عدة فنون وسمع من خلّاق ؛
استوعبنا أسماء غالبهم في ترجمته في المنهل الصافي . ورحل إلى الحجاز ودمشق
وحلب وحمّة وبغداد ، وحدث وسمع منه خلّاق مثل اليونيني ^(٥) والفوتوي ^(٦) والميزي ^(٧)

(١) في الدرر الكامنة والرواف بالوفيات للصفدي : «أبو أحمد وأبو محمد» . (٢) توبة من
البلاد المصرية القديمة وردت في معجم البلدان لياقوت بأنها في جزيرة قرب تنيس ودمياط . واسمها القبطي
« توى » ومنه اسمها العربي . وقد وردت في بعض الكتب باسم بونة وهو خطأ في النقل .
وكانت توبة من البلاد التي يشتغل أهلها في نسج الأقمشة القطنية والحريرية وفي صيد الأسماك .
وقد أندثرت . (مكانها اليوم يعرف بكوم سيدى عبد الله بن سلام الواقع في جزيرة بحيرة المنزلة التي كانت
تسمى قديماً بحيرة تنيس . وهذه الجزيرة تقع شرق بلدة المطرية إحدى بلاد مركز المنزلة بمديرية الدقهلية ،
وعلى بعد خمسة كيلومترات من المطرية المذكورة . (٣) بحيرة تنيس : هذه البحيرة هي التي
تعرف اليوم ببحيرة المنزلة الواقعة في شمال أراضى مديرية الشرقية والدقهلية بمصر وتمتد من بورسعيد إلى
غيط النصارى بدمياط ، وقد كانت معروفة ببحيرة تنيس نسبة إلى بلدة تنيس التي كانت واقعة في جزيرة بهذه
البحيرة وسبق التعليق عليها في الجزء الخامس من هذه الطبعة . (الحاشية رقم ٢ ص ٣١٢) وبعد أن اندثرت
تنيس عرفت البحيرة باسم بحيرة المنزلة نسبة إلى بلدة المنزلة القريبة منها والتي هي اليوم قاعدة مركز المنزلة
بمديرية الدقهلية .

(٤) التنبيه ، كتاب محترم في فقه الشافعية ، ألفه الأستاذ الجليل الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن
يوسف الشيرازي الفيروز آبادي . تقدمت وفاته سنة ٧٦٤ هـ . (٥) تقدمت وفاته سنة ٦٥٦ هـ .
(٦) هو الصدر الكبير قطب الدين موسى ابن الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن أبي الحسين أحمد بن
عبد الله اليونيني . وراجع الحاشية رقم ١ ص ٣٣٤ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
(٧) في الأصل : « والمقرض » . وما أثبتناه عن تذكرة الحفاظ والدرر الكامنة والمنهل الصافي .
(٨) هو جمال الدين يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٤٢ هـ .

- (١) وأبى حيان والبرزالي^(٢) والذهبي^(٣) وابن سيّد الناس وخلق سواهم، وصنّف مصنّفات كثيرة ذكرنا غالبها في المنهل الصافي^(٤)، [وله كتاب فضل الخيل^(٥)، وقد سمعت أنا هذا الكتاب بقراءة الحافظ قطب الدين الخيضرى^(٦) في أربعة مجالس آخرها في سلخ شعبان سنة خمس وأربعين وثمانمائة بالقاهرة في منزل المُسَمِّع بجادة برجوان^(٧) على الشيخ الإمام العلامة مؤرّخ الديار المصرية تقي الدين أحمد^(٨) [بن عليّ بن عبد القادر المقيزى^(٩) بسماعه جميعه على الشيخ ناصر الدين محمد بن عليّ بن الطبردار الحاروى بسماعه جميعه على الشيخ مؤلفه الحافظ شرف الدين الدميّاطى^(١٠) صاحب الترجمة - رحمه الله - وكانت وفاته بغاة بالقاهرة بعد أن صلّى العصر غشّى عليه في موضعه، فحُمِلَ إلى منزله فمات من ساعته في يوم الأحد خامس عشر ذى القعدة .
- ومن شعره :

١٠

رَوَيْنَا بِإِسْنَادٍ عَنْ أَبِي مُغْفَلٍ * حَدِيثًا شَهِيرًا مَخَّ مِنْ عِلَّةِ الْقَدْحِ

بِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ حِينَ مَسِيرِهِ * لثَامِنَةٍ وَاقْتَنَاهُ مِنْ لَيْلَةِ الْفَتْحِ

وفيهما توفى الملك الأوحّد، وقيل الزاهر^(١١)، تقي الدين شادى ابن الملك الزاهر

مجير الدين داود ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه الصغير ابن الأمير ناصر الدين

- (١) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٨٤ من هذا الجزء . (٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٥١ من هذا الجزء . (٣) هو الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قياز الذهبي . سيذكر المؤلف في حوادث سنة ٥٧٤٨ هـ . (٤) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٣٧٩ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٥) زيادة عن المنهل الصافي الذى هو للمؤلف . (٦) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن الخيضر بن سليمان بن داود ويعرف بالخيضرى نسبة الى جدّ أبيه . توفى سنة ٨٩٤ هـ (عن الضوء اللامع) . (٧) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤٨ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٨) زيادة عن المنهل الصافي . وسيذكر المؤلف وفاته سنة ٨٤٥ هـ . (٩) هو محمد بن عليّ بن يوسف بن إدريس الدميّاطى الحاروى ناصر الدين الطبردار . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٥٧٨١ هـ . (١٠) هو عبد الله بن مغفل بن عبد نهم بن عفيف بن أسهم بن ربيعة بن عدى بن ثعلبة بن ذؤيب المزنى أبو سعيد من أصحاب الشجرة مات بالبصرة سنة ٥٧٧ هـ وقيل سنة ٦١١ هـ وقال ابن عبد البر: توفى سنة ٥٦٠ هـ . (١١) لم يذكر هذا اللقب مصدر من المصادر التى تحت يدينا .

٢٥

محمد بن الملك المنصور اسد الدين شيركوه الكبير ابن شادى بن مروان الأيوبي
في ثالث صفر وهو يوم ذاك أحد أمراء دمشق .

وفيهما توفي المُسْنِد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر الحارثي الحنبلي .
مولده بخران سنة ثمانى عشرة وستمائة ، وسمع من ابن رُوْزْبَةِ (١) والمُؤَمِّن بن قُبَيْرَةَ (٢) ،
وسمع بمصر من ابن الجُمَيْزَى (٣) وغيره وتفرد بأشياء ، وكان فيه دُعابة ودين ، وتلا بمكة
ألف ختمة .

وفيهما تُوفِّي قاضى قضاة الشافعية بحلب شمس الدين محمد بن محمد بن بهرام بها
في أول جمادى الأولى ، وكان فقيهاً فاضلاً .

وفيهما تُوفِّي الشيخ الإمام شرف الدين أبو زكريا يحيى بن أحمد بن عبد العزيز
الجدائمي الإسكندراني المالكي شيخ القراءات بها في هذه السنة ، وكان إماماً عالماً
بالقراءات ، وله مشاركة في فنون . رحمه الله .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم لم يُجَرَّر ، وزاد البحر حتى بلغ ثمانى
أذرع ونصفاً ثم توقف إلى ثامن مسرى ، ثم زاد حتى أوفى في رابع توت . وبلغ
ست عشرة ذراعاً وخمس عشرة إصباعاً .



السنة التاسعة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر ،
وهي سنة ست وسبعائة .

(١) هو أبو الحسن علي بن أبي بكر بن روزبة البغدادي القلانسي الصوفي . تقدّمت وفاته سنة ٦٣٣ هـ
فيمن نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبي . وفي الأصلين هنا : « روزويه » وهو تحريف .
(٢) هو أبو القاسم يحيى بن أبي السعود نصر بن قبرة المؤمن التاجر تقدّمت وفاته سنة ٦٥٠ هـ فيمن
نقل المؤلف وفاتهم عن الذهبي . (٣) هو الفقيه بها . الدين علي بن هبة الله بن سلامة بن الجُمَيْزَى .
تقدّمت وفاته سنة ٦٤٩ هـ .

- فيها وقع بين الأميرين : علم الدين سَنَجَرُ الْبَرْوَانِي وسيف الدين الطشلاقى على باب قلعة الجبل محاصرة الأمراء لأجل استحقاتهما في الإقطاعات ، لأنَّ الطشلاقى نزل على إقطاع الْبَرْوَانِي ، وكان كل منهما في ظُلم وعسف . والْبَرْوَانِي من خواص بيبرس الجاشنكير ، والطشلاقى من الزام سَلَار لأنه خشداشه ، كلاهما مملوك الملك الصالح على أبن الملك المنصور قلاوون . ومات في حياة والده قلاوون . فسطا الطشلاقى على الْبَرْوَانِي وسَفِه عليه ، فقام الْبَرْوَانِي إلى بيبرس وأشتكى منه فطلبه بيبرس وعفقه ، فأساء الطشلاقى في ردِّ الجواب وأفحش في حق الْبَرْوَانِي ، وقال : أنت واحدٌ منيُّ تجعل نفسك مثل ممالك السلطان ! فاستشاط بيبرس غضباً وقام ليضربه . فجذد الطشلاقى سيفه يريد ضرب بيبرس ، فقامت قيامة بيبرس وأخذ سيفه ليضربه ، فترامى عليه من حضر من الأمراء وأمسكوه عنه ، وأخرجوا الطشلاقى من وجهه بعدما كادت ممالك بيبرس وحواشيه تقتله بالسيوف ، وفي الوقت طلب بيبرس الأمير سُتْقَرُ الْكَلِيلِ الحاجب وأمر بنفى الطشلاقى إلى دمشق ، فغشى سُتْقَرُ من النائب سَلَار ودخل عليه وأخبره ، فأرسل سَلَار جماعة من أعيان الأمراء إلى بيبرس ، وأمرهم بملاطفته حتى يَرْضَى عن الطشلاقى وأنَّ الطشلاقى يلزم داره ، فلما سمع بيبرس ذلك من الذين حضروا صرَّخ فيهم وحلف إن بات الطشلاقى الليلة بالقاهرة عملت فتنة كبيرة ، فعاد الحاجب وبلغ سَلَار ذلك فلم يسمعه إلا السكوت لأتتهما (أعنى بيبرس وسَلَار) كانا غيضا على الملك الناصر محمد وتحقق كلُّ منهما متى وقع بينهما الخائف وجدَّ الملك الناصر طريقاً لأخذهما واحداً بعد واحد ، فكان كلُّ من بيبرس وسَلَار يُراعى الآخر وقد أقتسما مملكة مصر ، وليس للناصر معهما إلا مجرد الأكم في السلطنة فقط . انتهى . وأُحْرِجَ الطشلاقى من وقته وأمر سَلَار الحاجب بتأخيرهِ في بلبس حتى يُراجع بيبرس في أمرهِ ، فعند

ما أجمع سَلَار مع بَيْرَس في الخدمة السلطانية من الغد بدأ بَيْرَس سَلَار بما كان من الطشلاق في حقّه من الإساءة ، وسَلَار يُسَكِّنُه ولا يسكُن بل يشتد فأمسك سَلَار عن الكلام على حَقِّه في الباطن ، وصار السلطان يريد إثارة الفتنة بينهما فلم يَمَّ له ذلك . وتوجّه الطشلاق إلى الشام متنبّياً .

• وفيها قَدِمَ البريدُ على الملك الناصر من حمّة بحضور ثابت على القاضي بأن ضَبَعَةً تُعرف بَبَارِين بين جبلين فسَمِعَ للجبلين في اللَّيل قعقةً عظيمةً فتسارع الناس في الصباح إليهما ، وإذا أحدُ الجبلين قد قَطَعَ الوادى وانتقل منه قدرُ نصفه إلى الجبل الآخر ، والمياه فيما بين الجبلين تَجْرَى في الوادى فلم يسقط من الجبل المُتَقِلِّ شَيْءٌ من الحجارة ، ومقدارُ النصف المُتَقِلِّ من الجبل مائة ذراع وعشرُ أذرع ، ومسافة الوادى الذى قطعه هذا الجبل مائة ذراع ، وأن قاضى حماة خرج بالشهود حتى عاين ذلك وكتب به محضراً . فكان هذا من الغرائب .

وفيها وقعت الوحشة بين بَيْرَس الجاشنكير وسَلَار بسبب كاتب بَيْرَس التاج ابن سعيد الدولة ، فإنه كان أساء السيرة ، ووقع بين هذا الكاتب المذكور وبين الأمير سَنَجَر الجالوى ، وكان الجالوى صديقاً لسَلَار إلى الغاية ، فقام بَيْرَس في نُصْرَةِ كاتبه ، وقام سَلَار في نُصْرَةِ صاحبه الجالوى ، ووقع بينهما بسبب ذلك أمور ؛ وكان بَيْرَس من عادته أنه يركب لسَلَار عند ركوبه وينزل عند نزوله ، فمن يومئذ لم يركب معه وكادت الفتنة أن تقع بينهما ، ثم استدركا أمرها خوفاً من الملك الناصر وأصطلحا بعد أمور يطول شرحها ؛ وتكلّما في أمر الوزر ومن يصلح لها ، فعين سَلَار

(١) في الأصلين : «بسمارين» . والتصحيح عن السلوك . وبارين . بلدة صغيرة ذات قلعة قد

دثرت ، ولها عين وبساتين ، وهي على مرحلة من حمّة وتقع غربها ببلدة يسيرة إلى الجنوب (عن تقويم

البلدان وصبح الأعشى ج ٤ ص ١٤١) . (٢) قد تبسط المقرئ في السلوك في الكلام على

أسباب تلك الوحشة . فراجع إن شئت في حوادث هذه السنة .

- كاتب بيبس التاج بن سعيد الدولة المقدم ذكره تقرّباً لحاطر بيبس بذلك ، فقال بيبس : ما يرضى ، فقال سلّار : دعني وإياه ، فقال بيبس : دونك ، وتفترقا . فبعث سلّار للتاج المذكور وأحضره فلما دخل عليه عبّس وجهه وصاح بإزعاج هاتوا خُلفة الوزارة فأحضروها ، وأشار إلى تاج الدولة المذكور بلبّسها فتمنع فصرخ فيه وحلف لئن لم يلبّسها ضرب عنقه نخاف الإحراق به لما يعلمه من بُغض سلّار له فلّيس التشريف ، وكان ذلك يوم الخميس خامس عشر المحرم من السنة وقبل يد سلّار فنبّس في وجهه ووصاه ؛ وخرج تاج الدولة بخُلفة الوزارة من دار النيابة بقلعة الجبل إلى قاعة الصباح بها ، وبين يديه النُفّاء والحجاب ، وأُخرجت له دواة الوزارة والبقلة فعلم على الأوراق وصرف الأمور إلى بعد العصر ثم نزل إلى داره . وهذا كله بعد أن أمسك بيبس سنجر الجاوي وصادّره ثم نفاه إلى دمشق على إمرة ١٠ طلحاناه ، وولّى مكانه أستاذاراً الأمير أيّدمر الخطيرى صاحب الجامع ببولاق .

(١) هو أيّدمر بن عبد الله الخطيرى الأمير عن الدين . كان أصله مملوكاً للخطيرى الرومى ثم أنقل إلى الملك المنصور قلاوون ، ثم ترقى في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون حتى صار من أكابر الأمراء . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٣٧ هـ وقد ذكر وفاته صاحب الدرر الكامنة سنة ٧٣٨ هـ .

- (٢) جامع الخطيرى ، ذكر المقرئى هذا الجامع في خطه (ص ٣١٢ ج ٢) فقال : إنه واقع على النيل بناحية بولاق خارج القاهرة ، وكان مكانه دار عرفت بدار الفاسقين لكثرة ما يجرى فيها من أنواع المحرمات فاشتراها الأمير عن الدين أيّدمر الخطيرى وهدمها وبني مكانها هذا الجامع وكلت عمارته في سنة ٧٣٧ هـ . وسماه جامع التوبة ، وبالغ في عمارته بغاء من أحسن الجوامع ، وعمل له منبراً جميلاً من الرخام وجعل فيه خزنة كتب جليّة ودروساً للفقهاء .
- وأقول : إن هذا الجامع لا يزال موجوداً بناحية بولاق باسم جامع الخطيرى بشوارع فواد الأول (شارع بولاق سابقاً) بالقرب من النيل ، وهو جامع متسع أصبح اليوم تحت منسوب الشارع بنحو ثلاثة أمتار ، وبه صحن سماوى تحيط به أروقة سقفها محمول على ثلاثين عموداً من الرخام ، وله باب آخر في الجهة الشرقية بشارع الخطيرى ، ومنذنه أثرية مشرفة على هذا الشارع . وقد تهدم الجزء العلوى منها .
- وفي سنة ١٣٠٢ هـ عمر جانباً عظيماً منه الشيخ رمضان البلاقى المخبذب . وفي سنة ١٣٣٢ هـ جدد ديوان الأوقاف وجهته التي على شارع فواد الأول وجدد له منبراً من الخشب بدلا من منبره الرخام الذى نقلت بقاياها إلى دار الآثار العربية .
- ٢٥

وفيها تُوِّفِيَ الصاحب شهاب الدين أحمد بن أحمد بن عطاء الله الأذريعيّ الدمشقيّ^(١)
الحنفيّ محتسب دمشق ووزيرها، وكان رئيساً فاضلاً حسن السيرة .

وفيها تُوِّفِيَ الأمير عزّ الدين أَيْبُك بن عبد الله الطويل الخازندار المنصوريّ
في حادى عشر شهر ربيع الأوّل بدمشق، وكان ديناً كثير البرّ والصدقات والمعروف .

وفيها تُوِّفِيَ الأمير بدر الدين بَكْتَّاش بن عبد الله الفخريّ الصالحىّ النجميّ^(٢)

أمير سلاح . أصله من ممالك الأمير نحر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ، ثم نُقل
إلى ملك الملك الصالح نجم الدين أيُّوب، فترقى في الخدم حتى صار من أكابر
الأمرءاء، وغزاه غير مرّة وعُرف بالخير وعلوّ الهمة وسداد الرأى وكثرة المعروف .

ولما قُتِلَ الملك المنصور لأجّين أجمعوا على سلطنته فامتنع وأشار بعود السلطان
الملك الناصر محمد بن قلاوون، وبعدها ترك الإمرة في حال مرضه الذى مات فيه .
رحمه الله تعالى .

وفيها تُوِّفِيَ الأمير سيف الدين كاوركا المنصوريّ^(٣) أحد أعيان الأمرء بالديار
المصريّة .

وفيها تُوِّفِيَ الأمير سيف الدين بَلْبَكان الجوكندار المنصوريّ، وكان ولى نيابة
قلعة صَفَد وشدّ دواوين دِمَشق ثم نيابة قلعتها، ثم نُقِلَ إلى نيابة حِمص فمات بها،
وكان مشكور السيرة .

وفيها تُوِّفِيَ القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله بن مُجَلَّى العمريّ الدمشقيّ أخو
كاتب السرّ القاضي شرف الدين عهد الوهاب ومحيي الدين يحيى وقد جاوز سبعين
سنة . وهذا أول بدر الدين من بنى فضل الله، ويأتى ذكر ثانٍ وثالث، والثالث
هو كاتب السرّ بمصر .

(١) في الدرر الكامنة والسلوك وعقد الجمان وعيون التواريخ : « ابن عطاء » بدون ذكر لفظ الجلالة .

(٢) هو نحر الدين يوسف بن صدر الدين شيخ الشيوخ أبي الحسن محمد بن عمرو بن علي بن محمد بن حمويه

الجويني . تقدّمت وفاته سنة ٦٤٧ هـ . (٣) في الدرر الكامنة : « كلزكا » بالزاي .

وفيها تُوفِّي الأمير فارس الدين أصلم الرُّدَّادِي^(١) في نصف ذى القعدة، وكان رئيساً حشياً من أعيان الدولة الناصرية .

وفيها تُوفِّي الأمير بهاء الدين يعقوب الشَّهْرُزُورِيّ بالقاهرة في سابع عشر ذى الحجة، وكان أميراً حشياً شجاعاً وهو من حواشي بَيْرُوس الجاشنكير .

وفيها تُوفِّي الطواشي عَزَّ الدين دينار العزيزي الخازندار الظاهريّ في يوم الثلاثاء سابع شهر ربيع الأول، وكان ديناً خيراً كثير الصدقات والمعروف .

وفيها تُوفِّي مَلِك الغرب أبو يعقوب يوسف [بن يعقوب] بن عبد الحق، وثب عليه سَعَادَةُ الْحِصْيُ أَحَدُ مَوَالِيهِ فِي بَعْضِ حُجَرِهِ وَقَدْ خَضِبَ رَجْلِيهِ بِالْحِنَاءِ وَهُوَ مُسْتَلْقٍ عَلَى قَفَاهُ فَطَعَنَهُ طَعَنَاتٍ قَطَعَ بِهَا أَمْعَاءَهُ، وَخَرَجَ فَأَدْرَكَ وَقُتِلَ، وَمَاتَ السُّلْطَانُ مِنْ حِرَاحِهِ فِي آخِرِ يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ سَابِعِ ذِي الْقَعْدَةِ، وَأَقِمَ بَعْدَهُ فِي الْمَلِكِ أَبُو ثَابِتٍ عَامِرُ بْنُ الْأَمِيرِ أَبِي عَامِرٍ [عَبْدَ اللَّهِ]^(٢) ابْنُ السُّلْطَانِ أَبِي يَعْقُوبَ هَذَا أَعْنَى حَقِيْقِهِ . وَكَانَ مَدَّةَ مُلْكِهِ إِحْدَى وَعَشْرِينَ سَنَةً .

وفيها تُوفِّي الطَّوَّاشِي شمس الدين صواب السُّهَيْلِيّ بِالكَرْكِ عَنْ مِائَةِ سَنَةٍ، وَكَانَ مَشْكُورَ السَّيْرَةِ .

وفيها تُوفِّي الشَّيْخُ ضِيَاءُ الدِّينِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الطُّوسِيّ الْفَقِيهَ الشَّافِعِيّ^(٣) بِدِمَشْقَ فِي تَاسِعِ عَشْرِينَ جُمَادَى الْأُولَى، وَكَانَ فَقِيْهًا نَحْوِيًّا مُصَنِّفًا شَرَحَ «الْحَاوِيَّ» فِي الْفَقْهِ وَ«مُخْتَصَرَ ابْنِ الْحَاجِبِ» وَغَيْرَ ذَلِكَ .

(١) الرُّدَّادِي (بالفتح والتشديد) : نسبة إلى الرُّدَاد : جَدُّ . وفي الْأَصْلَيْنِ : « الدرداري » .
وتصحيحه عن السلوك وعقد الجمان والمنهل الصافي . (٢) تكملة عن السلوك والدرر الكامة
وشذرات الذهب . (٣) زيادة عن الدرر الكامة في ترجمة جَدِّهِ يَوْسُفَ بْنِ يَعْقُوبَ هَذَا وَتَارِيخُ
ابْنِ الْوَرْدِيِّ فِي حَوَادِثِ هَذِهِ السَّنَةِ . (٤) فِي أَحَدِ الْأَصْلَيْنِ : « تَاسِعِ جُمَادَى الْأُولَى » .
وفي الْأَصْلِ الْآخَرُ : « تَاسِعِ عَشْرِ جُمَادَى الْأُولَى » وَكِلَاهُمَا خَطَأٌ . وَصَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ أَنَّ قَلًّا عَنِ الْمَنْهَلِ الصَّافِي
وَعَقْدِ الْجَمَانِ وَالسُّلُوكِ .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع وعدة أصابع .
مبلغ الزيادة سبع عشرة ذراعا وسبع أصابع ، وكان الوفاء في رابع عشر مسرى .



السنة العاشرة من ولاية الملك الناصر محمد بن قلاوون الثانية على مصر ،

وهي سنة سبع وسبعائة .

فيها ورد الخبر عن ملك اثنين هز الدين داود بأمور تدل على عصيانه ، فكتب
السلطان والخليفة بالإنداز ، ثم رسم السلطان للأمرء أن يعمل كل أمير مَرَجًا يقال
لها : جِلْبَة ، وعمارة قیاسة يقال لها : فِلْوَة برسم حمل الأزواد وغيرها لغزو بلاد اليمن .

وفيها عمّر الأمير بيبرس الجاشنكير الخانقاه الركنية داخل باب النصر موضع
دار الوزارة برجة باب العيد من القاهرة ، ووقف عليها أوقافا جليلة ومات قبل
فتحها ، فأغلقها الملك الناصر في سلطته الثالثة مدة ، ثم أمر بفتحها ففتحت .

وفيها عمّر الأمير عز الدين أيك الأفرم الصغير نائب دمشق جامعاً بالصالحية ،
وبعث يسأل في أرض يوقفها عليه فأجيب إلى ذلك .

وفيها وقع الاهتمام على سفر اليمن وعزل الأمير سَلار أن يتوجه إليها بنفسه خشية

من السلطان الملك الناصر ، وذلك بعد أن أراد السلطان القبض عليه وعلى بيبرس
الجاشنكير عند ما اتفق السلطان مع بكتمر الجوكندار ، وقد تقدم ذكر ذلك كله

- (١) في الأصل الآخر : « ست عشرة ذراعا ... الخ » . (٢) يريد مركبا حربيا كبيرا .
وفلوة ، يريد قاربا صغيرا (عن كثرير ودوزي) . (٣) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٧٤ من هذا الجزء .
(٤) راجع الحاشية رقم ٣ ص ١٦٥ من هذا الجزء . (٥) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٥٠
من الجزء الرابع من هذه الطبعة والحاشية رقم ٤ ص ١٧٤ من هذا الجزء . (٦) راجع الحاشية
رقم ٢ ص ٥٠ من الجزء الرابع من هذه الطبعة . (٧) الصالحية : قرية كبيرة ذات أسواق وجامع بسفح
جبل قاسيون المشرف على دمشق وأكثر أهلها نازلة من نواحي بيت المقدس حنابلة (عن مراد الاطلاع) .

في أصل هذه الترجمة ، وأيضاً أنه شقّ عليه ما صار إليه بيبرس الجاشنكير من القوة والاستظهار عليه بكثرة خُشداشيتة البرجية ، والبرجية كانت يوم ذاك مثل مماليك الأتباع الآن ، وصار غالب البرجية أمراء ، فأشدت شوكة بيبرس بهم بحيث إنه أخرج الأمير سنجر الجاولي وصادره بنير اختيار سَلار ، وعظمت مهابته وأنبسطت يده بالتحكم وأنفرد بالركوب في جمع عظيم ، وقصد البرجية في نوبة بكتّمر الجوكندار إخراج الملك الناصر محمد إلى الكرك وسلطنة بيبرس ، لولا ما كان من منع سَلار لسياسة وتدبير كانا فيه .

فلما وقع ذلك كله خاف سَلار عواقب الأمور من السلطان ومن بيبرس وتحيل في الخلاص من ذلك بأنه ينجح في جماعته ، ثم يسير إلى اليمن فيملكها ويمتنع بها ، ففطن بيبرس لهذا فدرس عليه جماعة من الأمراء من أثنى عزمه عن ذلك ، ثم أقتضى الرأي تأخير السفر حتى يعود جواب صاحب اليمن .

وفيها حُبس الشيخ تقي الدين بن تيمية بعد أمور وقعت له .^(١)

وفيها توفى الأمير عز الدين أيّدمر السناني بدشق ، وكان فاضلاً وله شعر وخبرة بتفسير المنامات . ومن شعره :

١٥ تَجِدُ النَّسِيمَ إِلَى الْحَبِيبِ رَسُولًا * دَنَفَ حَكَاهُ رِقَّةً وَنُحُولًا
تَجْرَى الْعَيُونُ مِنَ الْعَيُونِ صَبَابَةً * فَتَسِيلُ فِي لَأِثْرِ الْغُرَيْقِ سُيُولًا
وَتَقُولُ مِنْ حَسَدٍ لَهُ يَا لَيْتَنِي : * كُنْتُ أَتَّخِذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا

وفيها توفى الأمير ركن الدين بيبرس العجمي الصالحى المعروف بالخالق ،
(و)الخالق باللغة التركية : أسم للفرس الخاذ المزاج الكثير اللعب ، وكان أحد البحوية

٢٠ (١) هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحزاني الدمشقي الحنبلي . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧٢٨ هـ .

وكبير الأمراء بدمشق ، ومات في نصف جُمادى الأولى بمدينة الرملة عن نحو الثمانين سنة ، وكان دينًا فيه مُروءة وخير . (وجاء في فتح الجيم وبعد الألف لام مكسورة وقاف ساكنة) .

وفيها تُوِّفِي الأمير الطَّوَّاشي شهاب الدين فاخر المنصور^(٢) مقدم الممالك السلطانية ، وكانت له سطوة ومهابة حل الممالك السلطانية بحيث إنه كان لا يستجرى أحد منهم أن يَمُرَّ من بين يديه كائنًا من كان بحاجة أو بغير حاجة ، وحيثما وقع بصره عليه أمر بضربه .

قلت : لله دَرَّ ذلك الزمان وأهله ! ما كان أحسن تديريهم وأصوب حُدسهم من جَوْدَةِ تربية صغيرهم وتعظيم كبيرهم ! حتى ملكوا البلاد ، ودانت لهم العباد ، وأستجلبوا خواطر الرعية ، فنالوا الرتب السنية . وأما زماننا هذا فهو بخلاف ذلك كله ، فالمقدم مؤثّر والصغير متمنر^(٣) ، والقلوب متنافرة ، والشُرور متظاهرة ، وإن شئت تعلم صدق مقالتي حَرَّكَ تَر . انتهى .

وفيها تُوِّفِي الشيخ المُعْتَقِد عمر بن يعقوب بن أحمد [السعودي في جُمادى الآخرة]^(٤) . وفيها تُوِّفِي الشيخ نحر الدين عثمان^(٥) [بن جَوْشَن السُّعُودِي في يوم الأربعاء من شهر رجب ، وكان رجلًا صالحًا مُعْتَقِدًا] .

وفيها تُوِّفِي الصاحب تاج الدين محمد ابن الصاحب نحر الدين محمد ابن الصاحب بهاء الدين علي بن محمد بن سليم بن حنَّاء ، ومولده في تاسع شعبان سنة أربعين وستمائة ،

(١) الرملة : بلدة بفلسطين ، آخذها سليمان بن عبد الملك الأموي ، وهي مشهورة كانت قصبة فلسطين ، وبها وبين بيت المقدس مسيرة يوم . وكان لعبد الملك الأموي دار بها ، وجر إلى الرملة فتاة ضيفة للشرب منها (راجع تقويم البلدان لأبي الفداء) . (٢) في المجلد الثاني أنه توفي سنة ٥٧٠٦ هـ . وفي الدرر الكامنة أنه توفي سنة ٥٧٠٤ هـ . (٣) في الأصلين : « منمر » . (٤) في الأصلين « عثمان بن يعقوب » وهو خطأ . وتصحيحه عن عقد الجمان والسلوك والمجلد الثاني والدرر الكامنة . (٥) التكملة عن المصادر المتقدمة . (٦) التكملة عن عقد الجمان والسلوك والمجلد الثاني .

وجَدَّه لَأَمَّهُ الْوَزِيرُ شَرْفُ الدِّينِ صَاعِدُ الْفَائِزِيِّ ^(١) . وَكَانَتْ لَهُ رِيَاةٌ ضَخْمَةٌ وَفَضِيلَةٌ ،
وَمَاتَ بِالْقَاهِرَةِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ خَامِسِ جُمَادَى الْآخِرَةِ .

§ أَمْرُ النِّيلِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ - الْمَاءُ الْقَدِيمُ أُرِيعَ أَذْرَعٌ وَسِتُّ أَصَابِعَ .
مَبْلَغُ الزِّيَادَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ ذِرَاعًا وَإِصْبَعٌ وَاحِدَةً .



السَّنَةُ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ مِنْ وَلَايَةِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ
الثَّانِيَةِ عَلَى مِصْرَ ، وَهِيَ سَنَةٌ ثَمَانٍ وَسَبْعُمِائَةٍ ، وَهِيَ الَّتِي خُلِعَ فِيهَا الْمَلِكُ النَّاصِرُ
الْمَذْكُورُ مِنْ مُلْكٍ مِصْرَ وَأَقَامَ بِالكَرْكِ وَتَسَلَّطَنَ مِنْ بَعْدِهِ بَيْبُوسُ الْخَاشَنَكِيرِ حَسَبَ
مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ .

١٠ فِيهَا أُفْرِجَ عَنِ الْمَلِكِ الْمَسْعُودِ خُضْرَآبِ بْنِ الْمَلِكِ الظَّاهِرِ بَيْبُوسِ الْبُنْدُوقْدَارِيِّ ^(٢) مِنْ
الْبُرْجِ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ ، وَأُسْكِنَ بَدَارَ الْأَمِيرِ عِزِّ الدِّينِ الْأَفْرَمِ الْكَبِيرِ بِمِصْرَ ، وَذَلِكَ
فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ .

وَفِيهَا كَانَ خُرُوجُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ صَاحِبِ التَّرْجَمَةِ مِنَ الْقَاهِرَةِ
قَاصِدًا إِلَى سَارٍ إِلَى الْكَرْكِ وَخَلَعَ نَفْسَهُ .

١٥ وَفِيهَا تُوُفِّيَ الشَّيْخُ عَلَمُ الدِّينِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الرَّشِيدِ بْنِ أَبِي الْوَحْشِ رَئِيسُ الْأَطْبَاءِ
بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ ، وَكَانَ بَارِعًا فِي الطَّبِّ مُحَظَّوظًا عِنْدَ الْمُلُوكِ ، وَنَالَهُ
السَّعَادَةُ مِنْ ذَلِكَ ، حَتَّى إِنَّهُ لَمَّا مَاتَ خَلَفَ ثَلَاثُمِائَةَ أَلْفٍ دِينَارٍ غَيْرِ الْقَهَاشِ وَالْأَنْثَاءِ .
وَفِيهَا تُوُفِّيَ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ أَبِيكَ الشَّجَاعِيِّ الْأَشْقَرُ شَادَ الدَّوَاوِينَ بِالْقَاهِرَةِ
فِي الْمَحْزَمِ .

(١) هُوَ الْوَزِيرُ الصَّاحِبُ شَرْفِ الدِّينِ هَبَةَ اللَّهِ بْنِ صَاعِدِ الْفَائِزِيِّ . تَقَدَّمتْ وَفَاتِهِ سَنَةُ ٦٥٥ هـ .

(٢) تَقَدَّمتْ وَفَاتِهِ سَنَةُ ٦٩٥ هـ .

وفيها تُوفِّي الأمير علاء الدين أَلِطْبَرْس المنصوري - وإلى باب القلعة والملقب
بالمجنون المنسوب إليه العماره فوق قنطرة المجنونة^(٢) على الخليج الكبير خارج القاهرة،
عمرها للشيخ شهاب الدين العابر ولفقرائه وعَقَدَهَا قَبْوَ . وفي ذلك يقول علم الدين
ابن الصاحب :

ولقد عَجِبْتُ من الطَبْرِسِ وصَحِيهِ * وعَقولهم بعقوده مفتونه

عقدوه عقدا لا يصح لأنهم * عقدوا لمجنون على مجنونه

وكان أَلِطْبَرْس المذكور غفياً ديناً غير أنه كان له أحكام قراقوشية من تسلطه
على النساء ومنعهن من الخروج إلى الأسواق وغيرها، وكان يخرج أيام الموسم إلى القرافة
ويُنْكَلُ بهن فَاَمْتَنَّ من الخروج في زمانه إلا لأمر مهم مثل الحتام وغيره .

وفيها تُوفِّي الأمير عز الدين أَيْدُمَر الرشيدي - أُمْتَادَار الأمير سَلَار نائب السلطنة
بالديار المصرية في تاسع عشر شوال، وكان عاقلاً رئيساً وله ثروة واسعة وجاه عريض .
وفيها تُوفِّي الشيخ المَعْتَقِد عبد الغفار^(٤) [بن أحمد بن عبد المجيد بن نُوح] القَوْصِي -
القائم بخراب الكاس بقوص وغيرها في ليلة الجمعة سابع ذى القعدة، وكان له أتباع
ومريدون وللناس فيه اعتقاد .

- ١٥ (١) في السلوك : «الطبرس» . (٢) قنطرة المجنونة، يستفاد مما ذكره المقرئ في خطه
عند الكلام على بركة القيل (ص ١٦١ ج ٢) : أن ماء النيل كان يدخل هذه البركة من موضعين : الأول
يأخذ مياهه من الخليج المصري عند قنطرة السد عن طريق بركة فارون التي يعرف مكانها اليوم بخط البغالة
يقسم السيدة زينب بالقاهرة، ثم تمر المياه من بركة فارون إلى بركة القيل بواسطة قنطرة تحت الجسر الأعظم
الذي يعرف اليوم بشارع مراسينا . والموضع الثاني يأخذ مياهه من الخليج المصري مباشرة من تحت قنطرة
خصصت لذلك ولأن الماء كان يتدفق منها بقوة شديدة وقت فيضان النيل بسبب انحدر أرض البركة فعرفت
٢٠ هذه القنطرة بالمجنونة وقد اندثرت . ومكانها اليوم بشارع الخليج المصري (اللبودية بقسم السيدة زينب)
في نقطة تقع بجوار جامع ذى الفقاريك الشهير بجامع غيطاس من الجهة القبلية الغربية للجامع المذكور .
(٣) هو شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن عبد المنعم بن نعمة بن سلطان بن سرور النابلسي الحنبل العابر .
تقدّمت وفاته سنة ٦٩٧ هـ . (٤) تكلّمة عن المهمل الصافي والدرو الكاتمة والطالع السعيد .

وفيهما تُوِّفَ ظهير الدين أبو نصر بن الرشيد بن أبي النصر السامريّ الدمشقي^(١) الكاتب في حادى عشرين شهر رمضان بدمشق، ومولده سنة اثنتين وعشرين وستمائة، كان أولاً سامرياً ثم أسلم في أيام الملك المنصور قلاوون، وتنقل في الخدم حتى ولى نظراً جيش دمشق إلى أن مات .

- § أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم أربع أذرع . مبلغ الزيادة .
ثمانى عشرة ذراعاً وإصبع واحدة مثل السنة الماضية .

(١) كذا في الأصلين والسلوك . وفي عقد الجمان وعيون التواريخ : « صفى الدين » .

ذكر سلطنة الملك المظفر بيبرس الجاشنكير على مصر

السلطان الملك المظفر ركن الدين بيبرس بن عبد الله المنصور الجاشنكير،
أصله من ممالك الملك المنصور قلاوون البرجية، وكان جرّكياً الجنس، ولم نعلم
أحدًا ملك مصر من الجراكسة قبله إن صحّ أنه كان جرّكياً. وتأمّر في أيام أستاذه
المنصور قلاوون، وبقي على ذلك إلى أن صار من أكابر الأمراء في دولة الملك
الأشرف خليل بن قلاوون. ولما تسلطن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد قتل
أخيه الأشرف خليل صار بيبرس هذا أستاذاراً^(١) إلى أن تسلطن الملك العادل زين
الدين كُتُبًا عَزَلَهُ عن الأستاذارية بالأمير بتخاص، وقيل: إنه قبض على بيبرس
هذا وحبسّه مدة، ثم أفرج عنه وأنعم عليه بإمرة مائة وتقدمة ألف بالديار المصرية.
وآسَمَر على ذلك حتى قُتِل الملك المنصور حُسام الدين لاجين فكان بيبرس هذا أحد
من أشار بعود الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى الملك. فلما عاد الناصر إلى ملكه
تقرّر بيبرس هذا أستاذاراً على عادته وسلار نائباً، فأقام على ذلك سنين إلى أن
صار هو وسلار كُفَيْلِي الممالك الشريفة الناصرية، والملك الناصر محمد معهما آلة
في السلطنة إلى أن شَجَرَ الملك الناصر منهما ونُحِرَ إلى الحج فسار إلى الكرك وخَلَعَ نفسه
من الملك. وقد ذكرنا ذلك كلّهُ في ترجمة الملك الناصر محمد. فعند ذلك وقّع الاتفاق
على سلطنة بيبرس هذا بعد أمور نذكرها، فتسلطن وجلس على تخت الملك في يوم
السبت الثالث والعشرين من شوال من سنة ثمان وسبعائة. وهو السلطان الحادى

(١) الأستاذار والأستاذارية: لفظ فارسي معناه وكيل المخرج أو المؤونة، ومعناه الاصطلاحي
في دولتي الممالك وظيفه من وظائف أرباب السيوف، وموضوعها التحدث في أمر بيوت السلطان
كلها من المطابخ والشراب خاناه والهاشية والفلبان وإليه أمر الجاشنكيرية، وله حديث مطلق وتصرف
تام في استدعاء ما يحتاجه كل من في بيت السلطان من النفقات والكساوى وما يجرى مجرى ذلك لئلا يك
وغيرهم (صبح الأعشى ج ٤ ص ٢٠ وقا. وس استينجاس ص ٤٩) .

عشر من ملوك الترك والسابع ممن سبهم الرّق ، والأول من الجراكسة إن صحّ أنه جَرَكِيّ الجنس ، ودقّت البشائر وحضر الخليفة أبو الربيع سليمان وفوض إليه تقليد السلطنة ، وكتب له عهداً وشمله بخطّه ، وكان من جملة عنوان التقليد : إنّه من سليمان وإنّه بسم الله الرحمن الرحيم . ثم جلس الأمير بتخاض والأمير قلى والأمير لاجين الجاشنكير لاستحلاف الأمراء والعساكر ، فلفقوا الجميع وكتب بذلك إلى الأقطار .

والآن نذكر ما وعدنا بذكره من سبب سلطنة بيبرس هذا مع وجود سلار وآقوش قتال السبع وهما أكبر منه وأقدم وأرفع منزلةً ، فنقول :

- لما خرج الملك الناصر محمد بن قلاوون من الديار المصرية إلى الحج ثم ثنى عزيمته عن الحج وتوجه إلى الكرك خلّع نفسه ، فلما حضر كتابه الثاني بتركة السلطنة ، وقد تقدّم ذكر ذلك في أواخر ترجمة الناصر بأوسع من هذا ، أثبت الكتاب على القضاة .
- ١٠ فلما أصبح نهار السبت الثالث والعشرين من شوال جلس الأمير سلار النائب بشباك دار النيابة بالقلعة وحضر إلى عنده الأمير بيبرس الجاشنكير هذا وسائر الأمراء وأشتوروا فيمن يلى السلطنة ، فقال الأمير آقوش قتال السبع ، والأمير بيبرس الدوّادار ، والأمير أيبك الخازندار وهم أكابر الأمراء المنصورية :
- ١٥ ينبغي استدعاء الخليفة والقضاة وإعلامهم بما وقع ، نخرج الطلب لهم وحضروا وقرئ عليهم كتاب السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وشهد عند قاضى القضاة زين الدين بن مخلوف الأмирان : عز الدين أيّدمر الخطيرى والأمير الحاج آل ملك ومن كان توجه معهم إلى الكرك في الرسالة بترول الملك الناصر عن الملك

(١) يريد به الكتاب الذى أرسله الملك الناصر من الكرك بخلع نفسه بعد ما أرسل لم وهو فى القاهرة يقول : « ما سبب هذا الركوب على باب إصطبل إن كان غرضكم فى الملك فإنا أنا متطلع إليه ... الخ » راجع ص ١٧٢ وص ١٨٠ من هذا الجزء . (٢) هو زين الدين أبو الحسن على أبى الشيخ رضى الله عنه أبيه القاسم مخلوف ابن تاج الدين ناهض بن سلم النورى المالكي . سيذكر المؤلف وفاته سنة ٧١٨ هـ .

وتركة مملكة مصر والشام فأثبت ذلك ، وأعيد الكلام فيمن يصلح للسلطنة
 من الأمراء ، فأشار الأمراء الأكبر بالأمير سَلَّار ، فقال سَلَّار : نعم على شرط ،
 كل ما أُشير به لا تخالفوه ، وأخضر المصحف وحلقهم على موافقته وألا يخالفوه
 في شيء ، فقلق البرجية من ذلك ولم يبق إلا إقامتهم الفتنة ، فكفهم الله عن ذلك
 وأنقضى الحلف ، فعند ذلك قال الأمير سَلَّار : والله يا أمراء ، أنا ما أصلح للملك
 ولا يصلح له إلا أئحى هذا ، وأشار إلى بيبرس الجاشنكير ونهض قائماً إليه ، فتسارع
 البرجية بأجمعهم : صدق الأمير سَلَّار وأخذوا بيد الأمير بيبرس ، وأقاموه كرها
 وصاحوا بالجاووشية فصرخوا بأسمه ، وكان قَرَس النوبة عند الشباك فالبسوه تشريف
 السلطنة الخليفة ، وهى فَرَجِيَّة أطلس سوداء وطَرُحَة سوداء وتقلد بسيفين ، ومشى
 سَلَّار والأمراء بين يديه من عند سَلَّار من دار النياحة بالقلعة وهو راكب ، وعبر
 من باب القلعة إلى الإيوان بالقلعة ، وجلس على تحت الملك وهو يسكن بحيث يراه
 الناس . وذلك في يوم السبت المذكور ، ولُقِّب بالملك المظفر . وقبِل الأمراء الأرض
 بين يديه طَوْعاً وكرهاً ، ثم قام إلى القصر وتفزق الناس بعد ما ظنوا كل الظن من
 وقوع الفتنة بين السَلَّارية والبيبرسية . وقبل في سلطته وجه آخر وهو أنه لما آشتوروا
 الأمراء فيمن يقوم بالملك ، فأختار الأمراء سَلَّار لعقله وتؤدته ، وأختار البرجية

(١) باب القلعة : المقصود هنا باب قلعة الجبل بالقاهرة الذى أنشأه صلاح الدين . وسبق التعليق
 عليه في الجزء السابع (الحاشية رقم ٤ ص ١٩٠) من هذه الطبعة . (٢) الإيوان بالقلعة ، ذكره
 المقرئ في خطه (ص ٢٠٦ ج ٢) فقال : الإيوان المعروف بدار العدل أنشأه السلطان الملك المنصور
 قلاوون الألفى ثم جده ابنه الملك الأشرف خليل وأستمر جلوس نائب دار العدل به . فلما عمل الملك الناصر
 محمد بن قلاوون الزوك الناصرى أمر بهدم هذا الإيوان فهدم وأعاد بناءه وأنشأ به قبة جليلة وأقام بها عمدا
 عظيمة ، ورتحه ونصب في صدره سرير الملك إلى آخر ما ذكره المقرئ في وصف هذا الإيوان وقد اندثر .
 وبالبحث تبين لى أن الإيوان المذكور مكانه اليوم الأرض القائم عليها جامع محمد على باشا الكبير
 وملحقاته بقلعة الجبل بالقاهرة .

بيبرس ؛ فلم يُجِب سَلَار إلى ذلك وأنقضَّ المجلس ، وخلا كلُّ من أصحاب بيبرس
وسَلَار بصاحبه ، وحسن له القيام بالسلطنة وخوفه عاقبة تركها ، وأنه متى ولى غيره
لا يوافقوه بل يقاتلونه . وبات البرجية في قلق خوفا من ولاية سَلَار ، وسعى
بعضهم إلى بعض ، وكانوا أكثر جمعا من أصحاب سَلَار ، وأعدوا السلاح وتأهبوا
للحرب . فبلغ ذلك سَلَار نفثى سوء العاقبه ، وأستدعى الأمراء إخوانه وحفدته
ومن ينتمى إليه ، وقمر معهم سرا موافقته على ما يُشير به ، وكان مُطاعا فيهم فأجابوه ؛
ثم خرج في شباك النيابة ووقع نحو تما حكيانه من عدم قبوله السلطنة وقبول
بيبرس الجاشنكير هذا ، وتسطن حسب ما ذكرناه وتم أمره وأجمع الأمراء على طاعته
ودخلوا إلى الخدمة على العادة في يوم الاثنين خامس عشرين شوال ، فأظهر بيبرس
التغمُّ بما صار إليه . وخَلَعَ على الأمير سَلَار خُلعة النيابة على عادته بعد ما أستعفى
وطلب أن يكون من حملة الأمراء ، وألحَّ في ذلك حتى قال له الملك المظفر بيبرس :
إن لم تكن أنت نائبا فلا أعمل أنا السلطنة أبداً ، فقامت الأمراء على سَلَار إلى أن
قَبِلَ وَلَيْسَ خُلعة النيابة ، ثم عُيِّنَت الأمراء للتوجه إلى النوايا بالبلاد الشامية
وغيرها ، فتوجه إلى نائب دِمَشق ، وهو الأمير جمال الدين آقوش الأفرم الصغير
المنصوري ، الأمير أَيْبُك البغدادى ومعه آخر يُسمى شادى ^(١) ومعهما كتاب ، وأمرهما
أن يذهبا إلى دِمَشق ويُخلفا نائبه المذكور وسائر الأمراء بدمشق ، وتوجه إلى حلب
الأمير ركن الدين بيبرس الأحمدى وطبريس الجمدار وعلى يسهما كتابٌ مثل ذلك ،
وتوجه إلى حماة الأمير سيف الدين بلاط الجوكندار وطيدمر الجمدار ، وتوجه إلى
صفد عز الدين أزدمر الإسماعلى وبيبرس بن عبد الله ، وتوجه إلى طرابلس

(١) في السلوك : « وسيف الدين شاطى » بالشين والطاء . وفي عقد الجمان في موضع « ساطر »

بالسين والراء . وفي موضع آخر من هذه الترجمة : « ساطى » بالسين والطاء .

عز الدين أيّدمر اليُونُسي وأقطاي الجمدّار. وخطب له بالقاهرة ومصر في يوم الجمعة التاسع والعشرين من شوال المذكور، وتوجه الأمراء المذكورون إلى البلاد الشامية . فلما قُرب من سار إلى دِمَشق خرج النائب آقوش الأفرم ولاقاهما خارج دِمَشق وعاد بهما ، فلما قرأ الكتاب بسلطنة بيبرس كاد أن يطير فرحاً لأنه كان خُشْدَاش بيبرس ، وكان أيضاً جاركسي الجنس ، وكانا يوم ذاك بين الأتراك كالأغرباء ، وزُيّنَت دِمَشق زينة هائلة كما زُيّنَت القاهرة لسلطته . ثم أُخرج كتابُ السلطان بالحلف وفيه أن يحلفوا ويعتوا لنا نسخة الأيمان ، فأجاب جميع الأمراء بالسمع والطاعة وسكت منهم أربعة أنفُس ولم يتحدثوا بشيء ، وهم : بيبرس العلّائي وبهادر آص وأجبا الظاهري وبكتمر الحاجب بدِمَشق ، فقال لهم الأفرم : يا أمراء ، كلّ الناس ينتظرون كلامكم فكلّموا ، فقال بهادر آص : نُريد الخطّ الذي كتبه الملك الناصر بيده وفيه عزل نفسه ، فأخرج النائب خطّ الملك الناصر فراه بهادر ثم قال : يا مولانا ملك الأمراء ، لا تستعجل فمالك الشام فيها أمراء غيرنا ، مثل الأمير قرّاسنقر نائب حلب ، وقبّجق نائب حماة ، وأسندمر نائب طرابلس وغيرهم ، فزِيل إليهم وتنفق معهم على المصلحة ، فإذا شاورناهم تطيب خواطرهم ، وربما يروّن من المصلحة ما لا نرى نحن ، ثم قام بهادر المذكور وخرج فخرجت الأمراء كلّهم في أثره ، فقال الأمير أيك البغدادى القادم من مصر للأفرم : لو مسكت بهادر آص لأنصلح الأمر على ما نريد ! فقال له الأفرم : والله العظيم لو قبضت عليه لقامت فتنة عظيمة تروح فيها بروحك ، وتغيّر الدول يا أيّبك ما هو هين ! وأنا ما أخاف من أمراء الشام من أحد إلّا من قبّجق المنصوري ، فإنه ربما يُقيم فتنة من خوفه على رُوحه .

(١) هو أجبا الظاهري نحر الدين أحمد الأمراء بدِمَشق . توفي سنة ٧١٤ هـ (من

الدرر الكامنة) .

قلت : وقَبَّحَ هذا هو الذي كان نائب دمشق في أيام المنصور لاجين ، وتوجه إلى غازان وأقدمه إلى الشام . وقد تقدم ذكر ذلك كله .

- ولما كان اليوم الثاني طلب الأفرم هؤلاء الأمراء الأربعة وأختل بهم ، وقال لهم : اعلموا أن هذا أمر أنقضى ، ولم يبق لنا ولا لغيرنا فيه مجال ، وأتم تعلمون أن كل من يجلس على كرسي مصر كان هو السلطان ولو كان عبدا حبشيا ، فما أتم بأعظم من أمراء مصر ، وربما يبلغ هذا اليه فيتغير قلبه عليكم ، ولم يزل يتلاطف بهم حتى حلفوا له ، فلما حلفوا حلف باقي الأمراء ، وخلع الأفرم على جميع الأمراء والقضاة خلعاً سنياً ، وكذلك خلع على الأمير أبيك البغدادى وعلى رفيقه شادى وأعطاهما ألفى دينار وزودهما وردهما في أسرع وقت . وكتب معهما كتاباً يهني بيبرس بالملك ، ويقول : عن قريب تأتيك نسخة الإيمان . وقدما القاهرة وأخبرا الملك المظفر بيبرس بذلك ، فسر وأنشرح صدره بذلك : ثم إن الأفرم نائب الشام أرسل إلى قرأسنقر وإلى قبجق شخصاً من مماليكه بصورة الحال ، فأما قرأسنقر نائب حلب فإنه لما سمع الواقعة قرأ كتاب الأفرم ، قال : إيش الحاجة إلى مشاورتنا ! أستاذك بعثك بعد أن حلف ، وكان ينبغي أن يتأتى في ذلك ، وأما قبجق نائب حماة فإنه لما قرأ كتاب الأفرم ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، إيش جرى على ابن أستاذنا حتى عزل نفسه ! والله لقد دبرتم أنحس ندير ، هذه والله نوبة لاجين . ثم قال لملوك الأفرم : اذهب إلى أستاذك وقل له : الآن بلغت مرادك ، وسوف تبصر من يصبح نعمان ، وفي أمره حيران ! وكذلك لما بعث الأفرم لأسندمر نائب طرابلس ، فلما قرأ كتابه أطرق رأسه إلى الأرض ، ثم قال :

(١) في عقد الجمان : « فإنه جهز ملوكه بهادر الجلائق » . (٢) في الأصلين : ٢٠ . « قال أسندمر بعد أن أطرق رأسه ثم قال » . وما أشتقاه عن عقد الجمان .

إِذْهَبْ لِأَسْتَازِكَ وَقُلْ لَهُ : يَا بَعِيدَ الذَّهْنِ وَقَلِيلَ الْعِلْمِ بَعْدَ أَنْ دَبَرْتَ أُمْرًا ، فَمَا الْحَاجَةُ إِلَى مَشَاوَرَتِنَا ! فَوَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ عَلَيْكَ أَشَامُ التَّدْيِيرِ وَسَيَمُودُ وَبَالُهُ عَلَيْكَ ، وَلَمْ يَكْتُبْ لَهُ جَوَابًا .

وَأَمَّا قَرَأُسْتُقُرُّ نَائِبُ حَلَبَ فَإِنَّهُ أَرْسَلَ إِلَى قَبْجَقَ وَإِلَى أَسَنْدَمُرَّ يُعَلِّمُهُمَا أَنَّ الْأَفْرَمَ حَلَفَ عَسَاكَرِ دِمَشْقَ عَلَى طَاعَةِ بَيْبَرْسَ ، وَلَا نَأْمَنُ أَنْ يَعْمَلَ الْأَفْرَمُ عَلَيْنَا ، فَهَلُمُّوا نَجْتَمِعْ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ فَتَشَاوِرَ وَنَرَى أَمْرًا يَكُونُ فِيهِ الْمَصْلَحَةُ ، فَأَتَفَقَوْا الْجَمِيعُ عَلَى أَنْ يَجْتَمِعُوا فِي حَلَبَ عِنْدَ قَرَأُسْتُقُرُّ ، وَعَيْنُوا لَيْلَةً يَكُونُ أَجْتِمَاعُهُمْ فِيهَا .

فَأَمَّا قَبْجَقُ فَإِنَّهُ رَكِبَ إِلَى الصَّيْدِ بِمَمَالِكِهِ خَاصَّةً ، وَتَصَيَّدَ إِلَى اللَّيْلِ فَسَارَ إِلَى حَلَبَ . وَأَمَّا أَسَنْدَمُرُّ أَظْهَرَ أَنَّهُ ضَعِيفٌ وَأَمْرٌ أَلَّا يُتَحَلَّى أَحَدًا يَدْخُلُ عَلَيْهِ ، وَفِي اللَّيْلِ رَكِبَ بِمَمَالِكِهِ الَّذِينَ يَتَعَمَّدُ عَلَيْهِمْ وَقَدْ غَيَّرُوا مَلَابِسَهُمْ ، وَسَارَ يَطْلُبُ حَلَبَ . وَاجْتَمَعَ الْجَمِيعُ عِنْدَ قَرَأُسْتُقُرُّ ، فَقَالَ لَهُمْ قَرَأُسْتُقُرُّ : مَا تَقُولُونَ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الَّتِي جَرَتْ ؟ فَقَالَ قَبْجَقُ : وَاللَّهِ لَقَدْ جَرَى أَمْرٌ عَظِيمٌ ، وَإِنْ لَمْ يُحَسَّنِ التَّدْيِيرَ نَقَعَ فِي أُمُورٍ ! يُعْزَلُ ابْنُ أَسْتَازَانَا وَيَأْخُذُهَا بَيْبَرْسُ ! وَيَكُونُ الْأَفْرَمُ هُوَ مَدَبِّرُ الدَّوْلَةِ ! وَهُوَ عَلَى كُلِّ حَالٍ عَدُوُّنَا وَلَا نَأْمَنُ شَرَّهُ ، فَقَالُوا : فَمَا تَفْعَلُ ؟ قَالَ : الرَّأْيُ أَنْ نَكْتُبَ إِلَى ابْنِ أَسْتَازَانَا فِي الْكَرْكِ وَنَطْلُبَهُ إِلَى حَلَبَ وَنَرْكَبَ مَعَهُ ، فَإِذَا نَأْخُذَ لَهُ الْمَلِكُ ، وَإِذَا أَنْ نَمُوتَ عَلَى خِيُولِنَا ! فَقَالَ أَسَنْدَمُرُّ : هَذَا هُوَ الْكَلَامُ ، خَلَفَ كُلُّ مَنْ الثَّلَاثَةَ عَلَى هَذَا الْإِتِّفَاقِ ، وَلَا يَقْطَعُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ أَمْرًا إِلَّا بِمَشُورَةِ أَصْحَابِهِ ، وَأَنْتَهُمْ يَمُوتُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ لَأَنْتَهُمْ تَفَرَّقُوا فِي اللَّيْلِ كُلِّ وَاحِدٍ إِلَى بَلَدِهِ .

وَأَمَّا الْأُمَرَاءُ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ مِصْرَ إِلَى التَّوَابِ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ بِالْخَلْعِ وَبِالسُّلْطَانَةِ بَيْبَرْسَ ، فَلَانَهُمْ لَمَّا وَصَلُوا إِلَى دِمَشْقَ قَالَ لَهُمُ الْأَفْرَمُ : أَنَا أَرْسَلْتُ إِلَيْهِمْ مَمْلُوكِي ، فَزِدُوا عَلَيَّ جَوَابًا لَا يَرْضَى بِهِ مَوْلَانَا السُّلْطَانُ . وَكَانَ الْأَفْرَمُ أَرْسَلَ إِلَى الْمَلِكِ الْمُظْفَرِّ

- بيبرس نسخة اليمين التي حلف بها أمراء دمشق مع مملوكه مُعَلَّطَاي، فأعطاه الملك المظفر إمرة^(١) طلبخانا وخلع عليه، وأرسل معه خلعة لأستاذه الأفرم بألف دينار، وأطلق له شيئا كثيرا كان لبيبرس في الشام قبل سلطته من الخواصل والغلال، فسر الأفرم بذلك غاية السرور، ثم قال الأ미ران اللذان وصلا إلى دمشق للأفرم: ما تُشير به علينا؟ فقال لهما: ارجعا إلى مصر ولا تذهبا إلى هؤلاء، فإن رموسهم قوية، وربما يُثيرون فتنة، فقالا: لاغنى لنا [من] أن نسمع كلامهم، ثم إنهما رجا من دمشق وسارا إلى حمّة، ودخلا على قبحق ودفعا له كتاب الملك المظفر، فقرأه ثم قال: وأين كتاب الملك الناصر؟ فأخرجاه الكتاب، فلما وقف عليه بكى، ثم قال: من قال إن هذا خط الملك الناصر؟ والله واحد يكون وكيلا في قرية ما يعزل نفسه منها بطيبة من خاطره! ولا بُد لهذا الأمر من سبب، اذهبا إلى الأمير قَرَأُسْتَقْرُ فهو أكبر الأمراء وأخبرهم بالأحوال، فرجعا وسارا إلى حلب واجتمعا بقَرَأُسْتَقْرُ، فلما قرأ كتاب المظفر قال: يا إخوتي إنا على إيمان ابن أستاذنا لا نخونه ولا نحلف لغيره ولا نواطئ عليه ولا نفسد ملكه، فكيف نحلف لغيره! والله لا يكون هذا أبدا ودعوا يجرى ما يجرى، وكلُّ شيء يزل من السماء تحمله الأرض.
- ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! فخرجوا من عنده وسارا إلى طرابلس ودخلا على أَسَنْدَمْرُ فقال لهما: مثل مقالة قبحق وقَرَأُسْتَقْرُ، فخرجوا وسارا نحو الديار المصرية، ودخلا على الملك المظفر بيبرس وأعلماه بما كان، فضاق صدر المظفر وأرسل حلف الأمير سَلَارُ النائب وقص عليه القصة، فقال له سَلَارُ: هذا أمرهين ونقيد (أن) نُصلح هؤلاء، فقال: وكيف السبيل إلى ذلك؟ قال: تكتب إلى

٢٠ (١) في عقد الجمان: « فأعطاه الملك المظفر إمرة أربعين ».

(٢) في الأسلين: « ودع يجرى ما يجرى ... الخ ». وما أئبناه عن عقد الجمان.

- قَرَأْتُكَ كِتَابًا وَتُرْقَى لَهُ فِي الْكَلَامِ ، وَأُرْسِلَ إِلَيْهِ تَقْلِيدًا بِنْيَابَةِ حَلَبَ وَبِلَادِهَا ، وَأَنَّهُ لَا يُجَمَّلُ مِنْهُ الدَّرْهُمُ الْفَرْدُ ، وَكَذَا لَقَبَجَقُ بَحْمَاةَ ، وَلَا سَنْدَمُرُ بَطْرَابُلُسَ وَالسَّوَاهِلَ ، فَقَالَ بَيْرُسُ : إِذَا فَرَّقْتُ الْبِلَادَ عَلَيْهِمْ مَا يُسَاوِي مُلْكِي شَيْئًا ! فَقَالَ لَهُ سَلَارُ : وَكَمْ [مِنْ] يَدٍ تُقْبَلُ عَنْ ضَرُورَةٍ وَهِيَ تَسْتَحِقُّ الْقَطْعَ ! فَاسْمَعْ مِنِّي وَأَرْضِيهِمْ فِي هَذَا الْوَقْتِ ، فَإِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ إِنْ فَعَلَ بِهِمْ مَا شِئْتُ ؛ قَالَ الْمَظْفَرُ إِلَى كَلَامِهِ وَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ بِمَا قَالَه سَلَارُ لِكُلِّ وَاحِدٍ عَلَى حِدَتِهِ . فَكُتِبَ ذَلِكَ وَأُرْسِلَهُ مَعَ بَعْضِ خَوَاصِهِ .
- وَأَمَّا أَمْرُ الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدِ بْنِ قِلَاوُونَ فَإِنَّ الْمَلِكَ الْمَظْفَرَ لَمَّا تَسَلَّطَنَ وَتَمَّ أَمْرُهُ كَتَبَ لَهُ تَقْلِيدًا بِالْكَرْكِ ، وَسَيَّرَهُ لَهُ عَلَى يَدِ الْأَمِيرِ آلِ مَلِكِ ، وَمَنْشُورًا بِمَا عَيْنَ لَهُ مِنَ الْإِقْطَاعَاتِ . وَأَمَّا أَمْرُ قَرَأْتُكَ فَإِنَّهُ جَهَّزَ وَلَدَهُ مُحَمَّدًا إِلَى الْمَلِكِ النَّاصِرِ مُحَمَّدٍ بِالْكَرْكِ ، وَعَلَى يَدِهِ كَتَبَهُ وَكَتَبَ قَبَجَقُ نَائِبَ حَمَاةَ وَكَتَبَ أَسَنْدَمُرُ نَائِبَ طَرَابُلُسَ . وَمُضْمُونُ كِتَابِ قَرَأْتُكَ : أَنَّهُ يُلَوِّمُ الْمَلِكَ النَّاصِرَ عَنْ نَزُولِهِ عَنِ الْمَلِكِ ، وَكَيْفَ وَقَعَ لَهُ ذَلِكَ وَلَمْ يَشَاوِرْهُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ ، ثُمَّ وَعَدَهُ بِرَجُوعِ مُلْكِهِ إِلَيْهِ عَنْ قَرِيبٍ ، وَأَنَّهُ هُوَ وَقَبَجَقُ وَأَسَنْدَمُرُ مَا حَلَفُوا لِلْمَظْفَرِ ، وَأَنَّهُمْ مَقِيمُونَ عَلَى أَيْمَانِهِمْ لَهُ . وَكَذَلِكَ كِتَابُ قَبَجَقُ وَكِتَابُ أَسَنْدَمُرِ ، فَأَخَذَ الْأَمِيرُ نَاصِرُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ قَرَأْتُكَ كُتِبَ الثَّلَاثَةُ وَمِائَتًا مَسِيرًا وَمَعَهُ نَجَابٌ خَيْرٌ بِتِلْكَ الْأَرْضِ ، فَلَمْ يَزَالَا سَائِرِينَ فِي الْبَرِّيَّةِ وَالْمَفَاوِزِ إِلَى أَنْ وَصَلَا إِلَى الْكَرْكِ ، وَأَبْنُ قَرَأْتُكَ عَلَيْهِ زَيُّْ الْعَرَبِ ، فَلَمَّا وَقَفَا عَلَى بَابِ الْكَرْكِ سَأَلُوهُمَا مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا ؟ فَقَالَا : مِنْ مِصْرَ ، فَدَخَلُوا وَأَعْلَمُوا الْمَلِكَ النَّاصِرَ مُحَمَّدًا بِهِمَا وَأَسْتَأْذَنُوهُ فِي إِحْضَارِهِمَا ، فَأَذِنَ لَهُمَا بِالْدُخُولِ ؛ فَلَمَّا مَثَلَا بَيْنَ يَدَيْهِ كَشَفَ أَبْنُ قَرَأْتُكَ لِنَامَتِهِ عَنْ وَجْهِهِ فَعَرَفَهُ السُّلْطَانُ ، وَقَالَ لَهُ : مُحَمَّدٌ ؟ فَقَالَ : لَبَّيْكَ يَا مَوْلَانَا السُّلْطَانُ ، وَقَبَّلَ الْأَرْضَ وَقَالَ : لَا بُدَّ مِنْ خَلْوَةٍ ، فَأَمَرَ السُّلْطَانُ لِمَنْ حَوْلَهُ بِالْأَنْصَرَفِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ حَدَّثَ

(١) فِي هَذَا الْجَمَانِ : « وَمَعَهُ نَجَابٌ يُسَمَّى مِنْ » وَيَصْرِحُ لِلتَّوَلُّفِ بِاسْمِهِ بَعْدَ قَلِيلٍ .

أَبْنُ قَرَأْسُقَرُ السُّلْطَانُ بِمَا جَرَى مِنْ أَبِيهِ وَقَبَّحَ وَأَسَدَّمْ، وَأَنَّهُمْ أَجْتَمَعُوا فِي حَلْبٍ وَتَحَالَفُوا بِأَنَّهُمْ مُقِيمُونَ عَلَى الْإِيمَانِ الَّتِي حَلَفُوا لِلْمَلِكِ النَّاصِرِ، ثُمَّ دَفَعَ لَهُ الْكُتُبُ الثَّلَاثَةَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا لَمْ قُدْرَةٌ عَلَى مَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ فِي مِصْرَ وَالشَّامِ قَدْ اتَّفَقُوا عَلَى سُلْطَانَةِ بَيْرُوسَ، فَلَمَّا سَمِعَ أَبْنُ قَرَأْسُقَرُ ذَلِكَ حَلَفَ بِأَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةِ كَفٌّ لَأَهْلِ مِصْرَ وَالشَّامِ، وَمَوْلَانَا السُّلْطَانُ أَخْبَرُ بِذَلِكَ مَنِي، فَتَبَسَّمَ السُّلْطَانُ وَقَالَ صَدَقْتَ يَا مُحَمَّدُ، وَلَكِنْ الْقَائِلُ يَقُولُ:

كُنْ جَرِيًّا إِذَا رَأَيْتَ جَبَانًا * وَجَبَانًا إِذَا رَأَيْتَ جَرِيًّا
لَا تُقَاتِلْ بِوَاحِدٍ أَهْلَ بَيْتٍ * فَضَعِيفَانِ يَغْلِبَانِ قَوِيًّا

وهذه البلاد كلها دارت مع بَيْرُوسَ وَلَا يَمُتُّ لَنَا الْحَالُ إِلَّا بِحُسْنِ التَّنْذِيرِ وَالْمُدَارَاةِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْأُمُورِ. ثُمَّ أَنَّهُ أَتَزَلَّهَ فِي مَوْضِعٍ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ، وَقَالَ لَهُ: اسْتَرحَ الْيَوْمَ وَغَدًا ثُمَّ سَافِرْ، فَأَقَامَ يَوْمَيْنِ ثُمَّ طَلَبَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ فِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ الثَّلَاثِ وَأَعْطَاهُ جَوَابَ الْكُتُبِ، وَقَالَ لَهُ: سَلِّمْ عَلَى أَبِي (يَعْنِي عَلَى قَرَأْسُقَرٍ) وَقُلْ لَهُ: اصْبِرْ، ثُمَّ خَلَعَ عَلَيْهِ خِطْمَةً سَنِيَّةً وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِينَارٍ مِصْرِيَّةٍ، وَخَلَعَ عَلَى مَعْنَى النَّجَابِ الَّذِي أَتَى بِهِ أَيْضًا وَأَعْطَاهُ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَخَرَجَ أَبْنُ قَرَأْسُقَرٍ وَالنَّجَابُ مَعَهُ، وَأَسْرَعَا فِي السَّيْرِ إِلَى أَنْ وَصَلَا إِلَى حَلْبٍ، فَدَخَلَ أَبْنُ قَرَأْسُقَرٍ إِلَى أَبِيهِ وَدَفَعَ لَهُ كِتَابَ الْمَلِكِ النَّاصِرِ فَفَتَحَهُ فَإِذَا فِيهِ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: حَرَسَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَةَ الْمُقَرَّرِ الْعَالِي الْأَبْوَى الشَّمْسِيِّ وَمَتَعْنَا بِطَوْلِ حَيَاتِهِ، فَقَدْ عَلِمْنَا مَا أَشَارَ بِهِ وَمَا عَوَّلَ عَلَيْهِ، وَقَدْ عَلِمْنَا قَدِيمًا وَحَدِيثًا أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ، وَأُرِيدُ مِنْكَ أَنْكَ تَطَوَّلَ رَوْحُكَ عَلَى، فَهَذَا الْأَمْرُ مَا يُنَالُ بِالْعَجَلَةِ لِأَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَ أَنْتَظَامَ أَمْرَاءِ مِصْرَ وَالشَّامِ فِي سَبِيلِ وَاحِدٍ وَلَا سِتِيًّا الْأَقْرَمَ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ اللَّثَامِ، فَهَذِهِ عُقْدَةٌ لَا تَحُلَّ إِلَّا بِالصَّبْرِ، وَإِنْ حَضَرَ إِلَيْكَ أَحَدٌ

من جهة المظفر وطلب منك اليمين له . فقدم النية أنك مجبور ومغضوب وأحلف .
ولا تقطع كُتُبَك عني في كل وقت ، وعرفني بجميع ما يجري من الأمور قليلها وكثيرها .
وكذلك كتب في كتاب قَبَجَقٍ وَأَسَدَمَر ، فعرف قَرَأَسُنْقَرُ مضمون كتابه وسكت .

ثم بعد قليل وصل إلى قَرَأَسُنْقَرُ من الملك المظفر بيبرس تقليدُ بِنَابَةِ حلب وبلادها
دَرَبَسَتْ على يد أمير من أمراء مصر . ومن مضمون الكتاب الذي من المظفر إلى
قَرَأَسُنْقَرَا : أنت خَشْدَاشِي ، ولو علمت أن هذا الأمر يصعب عليك ما علمت
شيئاً حتى أرسلت إليك وأعلمتُك به ، لأن ما في المنصورية أحد أكبر منك ، غير
أنه لما نزل ابنُ أستاذنا عن الملك آجتماع الأمراء والقضاة وكافة الناس ، وقالوا :
ما لنا سلطان إلا أنت ، وأنت تعلم أن البلاد لا تكون بلا سلطان ، فلوم أقدم
أنا كان غيري يتقدم [وقد وقع ذلك] ! فاجعلني واحداً منكم ودبرني برأيك . وهذه
حلب وبلادها دَرَبَسَتْ لك ، وكذا لَخَشْدَاشِيَتِكَ : الأمير قَبَجَقٍ والأمير أَسَدَمَر .
وسير الملك المظفر لكل من هؤلاء الثلاثة خَلْعَةً بَالْف دينار ، وفرنساً قماشه بَالْف
دينار ، وعشرة رؤوس من الخيل . فعند ذلك حلف قَرَأَسُنْقَرُ وقَبَجَقٍ وَأَسَدَمَر ،
ورجع الأمير المذكور إلى مصر بنسخة اليمين . فلما وقف عليها الملك المظفر فرح
غاية الفرح ، وقال : الآن تم لي الملك . ثم شرع من يومئذ في كشف أمور البلاد
وإزالة المظالم والنظر في أحوال الرعية .

ثم استهلّت سنة تسع وسبعمائة و سلّطان الديار المصرية الملك المظفر ركن الدين
بيبرس الجاشنكير المنصورى ، والخليفة المستكفى بالله أبو الربيع سليمان ، ونائب

(١) درست : النجوم والمحدود (من القاموس الفارسى الانجليزى لاسينجاس) .

(٢) في الأسلين : « على يد أميرين : وما أُنْشِءَ من عقد الجمان وما سيذكره المؤلف بعد قليل .

(٣) في زيادة عن عقد الجمان .

- السلطنة بديار مصر الأمير سَلَار، ونائب الشام الأمير آقوش الأفرم الصغير،
ونائب حلب الأمير شمس الدين قَرَأُسُقُر المنصوري، ونائب حماة الأمير سيف الدين
قَبْجَق المنصوري، ونائب طرابلس الأمير سيف الدين أَسَدْمُر المنصوري. ثم فُتِحَا
في الناس في السنة المذكورة أمراضٌ حادة، وعمَّ [الوباء] ^(١) الخلائق وعزَّ سائر ما يحتاج
إليه المرَضَى. ثم توقفت زيادة النيل إلى أن دخل شهر مسرى، وأرتفع سعر القمح
وسائر الغلال، ومنع الأمراء البيع من شئونهم إلا الأمير عز الدين أَيْدَمُر الخطيرى
الأستادار، فإنه تقدم إلى مباشريه ألا يتركوا عنده سوى مئونة سنة واحدة، وباع
ما عدها قليلاً قليلاً. والخطيرى هذا هو صاحب الجامع الذى بخط بولاق. انتهى.
وخاف الناس أن يقع نظير فلاء كَتَبَا، وتشاءم الناس بسلطنة الملك المظفر
ببرس المذكور. ثم إن الخطيب نور الدين على بن محمد بن الحسن بن على القسطلاني ^(٢)
خرج بالناس وأسْتَسْقَى، وكان يوماً مشهوداً، فنُودِيَ من القِد بثلاث أصابع،
ثم توقفت الزيادة مدة، ثم زاد وأتته زيادة النيل فيه إلى خمس عشرة ذراعاً وسبع
عشرة أصبعا في سبع عشرين نوت، ثم نقص في أيام النسيء وجاء التوروز ولم يوف ^(٣)
النيل ست عشرة ذراعاً ففتّح خليج السد في يوم الجمعة ثامن نوت وهو ثامن عشرين ^(٤)
شهر ربيع الأول. وذكر بعضهم أنه لم يوف إلى تاسع عشر بابه، وهو يوم الخميس ^(٥)

(١) زيادة عن السلك. (٢) راجع الحاشية رقم ٢ من ٢٢٣ من هذا الجزء.

(٣) كذا في أصل السلك وللقرى. وفي الأصل الآخر: «السفلى».

(٤) كذا في الأصلين. ولم يخف ما فيها من اضطراب. (٥) لعل المؤلف يقصد:

- «وضع سد الخليج» وعلى كل حال فالخليج المتاد سده وضعه سنوباً هو خليج القاهرة المعروف بالخليج
المصرى. ومكانه اليوم شارع الخليج المصرى وسبق التعليل عليه في الجزء الرابع (الحاشية رقم ٤ ص ٤٣)
من هذه الطبعة، وفي الاستدراكات بالجزء السابع (ص ٣٨٧) منها. وأما السد الذى كان يقام سنوباً في هذا
الخليج ويضع وقت فيضان النيل فكان قريباً من هذا الخليج. ومكانه يقع اليوم في نهاية شارع الخليج
المصرى من الجهة الغربية في نقطة واقعة جنوبي البقعة المعروفة بعشش الساقية. (٦) في الأصلين:
«وهو ثامن عشر شهر ربيع الأول». وما أثبتناه عن السلوك وهو الموافق لما في التوقيعات الإلهامية

حادى عشر جُمادى الأولى، وذلك بعد اليأس منه ، وهذا القول هو الأشهر .
قال : وأخط مع ذلك بعد الوفاء السَّعْرُ وتشاءم الناس بطلعة الملك المظفر بيبرس .
وغنت العاقبة فى المعنى :

سلطاننا رُكِن * ونائبنا دُفِن *
يحيى الماء ويُدْرَج^(١)

ومن يومئذ وقعت الوحشة بين المظفر وبين عاتمة مصر، وأخذت دولة الملك
المظفر بيبرس فى اضطراب، وذلك أنه كثر توهُّمه من الملك الناصر محمد بن قلاوون،
وقصد فى أيامه كل واحد من خشداشيته أن يترقى إلى أعلى منزلة، وأنهموا الأمير
سلار بمباطنة الملك الناصر محمد وحذروا الملك المظفر منه، وحسنوا له القبض على
سلار المذكور، فجبن بيبرس عن ذلك . ثم ما زالوا حتى بعث الأمير مُغلطاي
إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون بالكرك ليأخذ منه الخيل والمالِك التى عنده،
وتغلظ فى القول، فغضب الملك الناصر من ذلك غضباً شديداً وقال له : أنا خَلَيْتُ^(٢)،
مُلك مصر والشام لبيبرس، ما يكفيه حتى ضاقت عينه على فرس عندي ومملوك لى
ويكرّر الطلب ! إرجع إليه وقل له : والله لئن لم يتركنى، وإلا دخلت بلاد التار
وأعلمهم أنّى تركتُ مُلك أبى وأخى ومُلكى المملوك، وهو يتابعنى ويطلب منى ما أخذته،
بخافاه مُغلطاي وخشن له فى القول بحيث أشتد غضبُ الملك الناصر، وصاح به :
ويلك وصلت إلى هنا ! وأمر أن يُجرَّ ويُرْمى من سور القلعة، فنار به الممالك،
يسبونه ويلعنونه وأخرجوه إلى السور، فلم يزل به أرغون الدوادار والأمير طغاي

(١) ورد فى ابن إياس (ج ١ ص ١٥٠) بعد هذا الكلام : « وكان الأمير سلار أجود فى حنكه
بعض شعرات لأنه كان من التار فسماه العوام دفين »، وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون به بعض عرج
فسماه العوام الأهرج، وكان السلطان بيبرس الجاشنكير لقبه ركن الدين فسماه العوام ركين » .

(٢) فى الأصلين : « يا جلي » .

- إلى أن عفا عنه وحبسه ثم أخرجه ماشياً، وعظم ذلك على الملك الناصر وكتب
مُطَفَّات إلى نَوَّاب البلاد الشامية بحلب وحمّاء وطرابلس وصفد، ثم إلى مصر ممن
يُتَّقِ به، وذكر ما كان به من ضيق اليد وقلة الحرمة، وأنه لأجل هذا ترك ملك مصر
وقنع بالإقامة بالكرك، وأن السلطان الملك المظفر في كل وقت يرسل يطالبه بالممالك
والخيل التي عنده . ثم ذكر لهم في ضمن الكتاب : أتم ممالك أبي ور يتموني فإما
أب تردوه عني وإلا سرتُ إلى بلاد التار، وتلطف في مخاطبتهم غاية التلطف،
وسير لهم بالكتب على يد العُربان فأوصلوها إلى أربابها . وكان قد أرسل الملك
المظفر قبل ذلك يطلب منه المال الذي كان بالكرك والخيل والممالك التي عنده .
حسب ما يأتي ذكره في ترجمة الملك الناصر محمد . فبعث إليه الملك الناصر بالمبلغ
الذي أخذه من الكرك فلم يقنع المظفر بذلك وأرسل ثانياً، وكان الملك الناصر
لما أقام بالكرك صار يُحطَّب بها لملك المظفر بيبرس بحضرة الملك الناصر والملك
الناصر يتأذب معه، ويسكت بحضرة ممالكه وحواشيه . وصار الملك الناصر
إذا كاتب الملك المظفر يكتب إليه : « المَلِكِي المظفَرِي » وقصد بذلك سكون
الأحوال وإعتماد الفتن، والمظفر يلحُّ عليه لأمرٍ يريد الله تعالى حتى كان من أمره
ما سنذكره إن شاء الله تعالى .

١٥

- وأما النَوَّاب بالبلاد الشامية فإن قراستقر نائب حلب كتب إلى الملك الناصر
الجواب : بأن ملوك السلطان في كل ما يرثم به ، وسأل أن يبعث إليه بعض
الممالك السلطانية ، وكذلك نائب حمّاء ونائب طرابلس وغيرها ما خلا بكتمر
الجوگندار، فإنه طرد قاصد الملك الناصر ولم يجتمع به . ثم أرسل الملك الناصر
مملوكه أَيْمَنُشُ الحمّدي إلى الشام وكتب معه مُطَفَّات إلى الأمير قُطْلُوبَك المنصوري
وبكتمر الحُسامي الحاجب بدمشق ولغيرهما ، ووصل أَيْمَنُشُ إلى دمشق خفية

٢٠

ونزل عند بعض ممالك قُطْلُوْبِكَ المذكور، ودفع إليه المُلْطَف؛ فلما أوصله إلى قُطْلُوْبِكَ أنكر عليه وأمره بالاحتفاظ على أَيْتَمُش المذكور ليوصله إلى الأفرم نائب الشام ويتقرب إليه بذلك؛ فبلغ أَيْتَمُش الخبر فترك راحلته التي قَدِمَ عليها ومضى إلى دار الأمير بهادر آص في الليل، فأستأذن عليه فأذن له فدخل إليه أَيْتَمُش وعرفه ما كان من قُطْلُوْبِكَ في حقّه، فطيب بهادر آص خاطره وأنزله عنده وأركبه من الغد معه إلى الموكب، وقد سبق قُطْلُوْبِكَ إلى الأفرم نائب الشام وعزفه قدوم مملوك الملك الناصر إليه وهروبه من عنده ليلاً، فقلق الأفرم من ذلك وألزم والى المدينة بتحصيل المملوك المذكور، فقال بهادر آص : هذا المملوك عندي وأشار إليه، فنزل عن فرسه وسلم على الأفرم وسار معه في الموكب إلى دار السعادة، وقال له بحضرة الأمراء :

السلطان الملك الناصر يُسَلِّمُ عليك ويقول : ما منكم أحدٌ إلّا وأكل خبز الملك الشهيد قلاوون، وما منكم إلّا من إلامه عليه، وأنتم تربية الشهيد والده، وأنه قاصد الدخول إلى دِمَشْق والإقامة بها، فإن كان فيكم من يُقاتله ويمنعه العبور فعرّفوه، فلم يَمَّ هذا القول حتى صاح الكوكبندى الزقاق أحدُ أكابر أمراء دمشق وآبَنُ أستاذاه ! وبكى، فنضب الأفرم نائب الشام عليه وأخرجه، ثم قال الأفرم :

لَأَيْتَمُشُ قل له (يعنى الملك الناصر) : كيف يحى، إلى الشام أو إلى غير الشام ! كأن الشام ومصر الآن تحت حكمك . أنا لما أرسل إلى السلطان الملك المظفر أن أحلف له ما حلفت حتى سرتُ أقول له : كيف يكون ذلك وآبَنُ أستاذنا باق ! فأرسل يقول : أنا ما تقدّمت عليه حتى خلع آبَنُ أستاذنا نفسه، وكتب خطه وأشهد عليه بنزوله عن الملك فعند ذلك حلفتُ له، ثم في هذا الوقت تقول : من يردنى عن الشام ! ثم أمر به الأفرم فُسِّمَ إلى أستاذاره . فلما كان الليل استدعاه ودفع له

نحسين ديناراً وقال قل له : لا تذكر الخروج من الكرك، وأنا أكتب إلى المظفر وأرجعه عن الطلب^(١)، ثم أطلقه فعاد أَيْتَشُ إلى الكرك وأعلم الملك الناصر بما وقع . فأعاده الملك الناصر على البريد ومعه أَرْكَتُر^(٢) وعثمان الهجان ليجتمع بالأمير قَرَأُسْتَقُر نائب حلب ويُوَاعِدَه على المسير إلى دِمَشق، ثم خرج الملك الناصر من الكرك وسار إلى بركة زِيَاءَ فقتل بها^(٣) .

- وأما الملك المظفر بَيْرَس صاحب الترجمة فإنه لما بلغه أن الملك الناصر حبس قاصده مُغَلَطَايَ المقدم ذكره قَبْلَ من ذلك وأستدعى الأمير سَلَّار وعرفه ذلك، وكانت البُرْجِيَّة قد أغرُوا المظفر بَيْرَس سَلَّار واتهموه أنه باطن الملك الناصر وحسنوا له القبض عليه، حسب ما ذكرناه، فحبس الملك المظفر من القبض عليه . وبلغ ذلك سَلَّار فخاف من البُرْجِيَّة لكثرتهم وقوتهم وأخذ في مُداراتهم ؛ وكان أشدهم عليه .
 ١٠ الأمير بِيكُور وقد شِرق إقطاعه ، فبعث إليه سَلَّار بستة آلاف إردب غلة وألف دينار فكف عنه ، ثم هادى خواص المظفر وأنعم عليهم . فلما حضر سَلَّار عند المظفر وتكلما فيما هم فيه فآقتضى الرأي إرسال قاصد إلى الملك الناصر بهديده ليُفرج عن مُغَلَطَايَ . وبينما هم في ذلك قَدِمَ البَريد من دِمَشق بأن الملك الناصر سار من الكرك إلى البرج الأبيض^(٤) ولم يعرف أحد مقصده، فكتب الجواب في الحال بحفظ
 ١٥

(١) يريد طلب الخيل والمساكن كما في السلوك، وما ذكره المؤلف قبل ذلك بقليل .

(٢) في أحد الأصول والسلوك : « فأعاده الملك الناصر على البرية » . (٣) في الأصلين :

« بركة ريزة » . وتصحيحها عن تقويم البلدان لأبي الفداء ومعجم البلدان لياقوت . وراجع الحاشية رقم ١ ص ٥٣ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٤) في الأصل الآخر : « بَكُور » بالنون بدل الباء .

(٥) البرج الأبيض ، من عمل البقاء التي هي إحدى كور الشراة . وقاعدتها حسان ، وهي بلدة صغيرة لها واد به أشجار وبساتين وزروع ، ويتصل هذا الوادي بغور زغر . والبقاء على مرحلة من أرميا التي هي في الغرب منها . (عن صبح الأعشى رابع ١٠٦ ، وتاريخ سلاطين المسالك وتقويم البلدان لأبي الفداء . إسماعيل) .

الطُّرُقَات عليه . وأشتهر بالديار المصرية حركة الملك الناصر محمد وخروجه من الكرك فاجت الناس ؛ وتحرك الأمير نُوغاي القَبْجَاقِيّ ، وكان مُجَاعاً مِقْدَاماً حَادَ المِزَاح قَوِيّ النفس ، وكان من أَلَزَامِ الأمير سَلَارِ النَّائِبِ ، وتواعد مع جماعة من المماليك السلطانية أن يهجم بهم على السلطان الملك المظفر إذا ركب ويقتله . فلما ركب المظفر ونزل إلى بركة الحبّ استجمع نُوغاي بمن وافقه يريدون الفتك بالمظفر ٥ في عَوْدِهِ من البركة ، وتقرب نُوغاي من السلطان قليلاً قليلاً وقد تغيّر وجهه وظهر فيه أمارات الشرّ ، ففطن به خواص المظفر وتحلقوا حول المظفر ، فلم يجد نُوغاي سبيلاً إلى ما عزم عليه ، وعاد الملك المظفر إلى القلعة فعزّفه أَلَزَامُهُ ما فهموه من نُوغاي وحسنوا له القبض عليه وتقريره على من معه ، فاستدعى السلطانُ الأمير سَلَارَ وعزّفه الخبر ، وكان نُوغاي قد باطن سَلَارَ بذلك ، فحدّث سَلَارَ الملك المظفر وخوفه ١٠ عاقبة القبض على نُوغاي وأن فيه فسادَ قلوب جميع الأمراء ، وليس الرأي إلا الإغضاء فقط . وقام سَلَارَ عنه فأخذ البرجيّة بالإغراء بسَلَارَ وأنه باطن نُوغاي ، ومتى لم يقبض عليه فسَدَ الحال . وبلغ نُوغاي الحديث فواعد أصحابه على الحاق بالملك الناصر ، ونحرج هو والأمير مُغلطاي القازاني وتقطّاي الساقى ونحو ستين مملوكاً وقت المغرب ١٥ عند غلق باب القلعة في ليلة الخميس خامس عشر جمادى الآخرة من سنة تسع وسبعائة المذكورة . وقيل في أمر نُوغاي وهروبه وجه آخر :

قال الأمير بيبرس الدّوّادار في تاريخه : تسحب من الديار المصرية إلى الكرك المحروس سيف الدين نُوغاي القَبْجَاقِيّ أحدُ المماليك السلطانية وسيف الدين تُقَطّاي الساقى وعلاء الدين مُغلطاي القازاني ، وتوجه معهم من المماليك السلطانية بالقلعة

٢٠ (١) في الأصلين : « بعد غلق باب القلعة » . وما أثبتناه عن السلوك (لوحه ٣٢١)

قسم رابع أوّل) .

مائة وستة وثلاثون نفرًا، وخرجوا طُلُبًا واحدًا بخيلهم ومُجِهم وغلمانهم وتركوا بيوتهم وأولادهم . انتهى .

- (١) وقال غيره : لما ولي الملك المظفر بيبرس السلطنة بقي سَلَار هو الملك الظاهر بين الناس والملك المظفر بيبرس من وراء حِجَاب ، فلما كان في بعض الأيام دخل على الملك المظفر أميران : أحدهما يُسمى نُوغَاي والآخر مُغَلَطَاي فباسا الأرض بين يديه وشكَّوْا له ضعف أخبازهما ، فقال لهما المظفر : أشكَّوْا إلى سَلَار فهو أعلم بحالكما مني ، فقالا : خَلَدَ اللهُ مُلْكَ مولانا السلطان ، أهو مالك البلاد أم مولانا السلطان ! فقال : اذهبا إلى سَلَار ، ولم يَزِدْهما على ذلك ، فخرجا من عنده وجاءا إلى سَلَار وأعلماه بقول الملك المظفر ، فقال سَلَار : والله يا أصحابي أبعْدُكمُ بهذا الكلام ، وأنتما تعلمان أن النائب ما له كلامٌ مثل السلطان . وكان نُوغَاي مُتَجَاعًا وصنَّده قُوَّةُ بَأْسٍ ، فأقسم بالله ١٠ لئن لم يُغَيِّرُوا خُبْرَهُ لَيَقِيَنَّ شَرًّا تهرق فيه الدماء ، ثم خرجا من عند سَلَار . وفي الحال ركب سَلَار وطلَّع إلى عند الملك المظفر وحَدَّثه بما جرى من أمر نُوغَاي ومُغَلَطَاي ، وقال : هذا نُوغَاي يصدِّق فيما يقول ، لأنَّه قادر على إثارة الفتنة ، فالمصلحة قبضه وحبس في الحبس ، فاتَّفَقوا على قبضه . وكان في ذلك الوقت أميرٌ يُقال له أنس (٢) فسمِعَ الحديث ، فلما خرج أعلم نُوغَاي بذلك ، فلما سَمِعَ نُوغَاي الكلام طلب ١٥ مُغَلَطَاي وجماعةً من ممالك الملك الناصر ، وقال لهم : يا جماعة ، هذا الرجل قد عَوَّل على قبضتنا ، وأما أنا فلا أُسَلِّمُ نفسي إلَّا بعد حرب تُضْرِبُ فيه الرِّقَاب ، فقالوا له : على ماذا عَوَّلْتَ ؟ فقال : عَوَّلْتُ على أنِّي أُسِيرُ إلى الكَرْك إلى الملك الناصر أَسَانِدًا ، فقالوا له : ونحن معك لخَلَفَ كُلُّ منهم على ذلك ، فقال نُوغَاي ، وكان بيته خارج

(١) يريد به صاحب زهرة الناظر كما صرح بذلك في عقد الجمان . .

(٢) في عقد الجمان : « أمير يُقال له أبر » .

باب النصر : كونوا عندى وقت الفجر الأول راكبين وأتم لابسون وتفترقا، فجهز
نوغاى حاله فى تلك الليلة وركب بعد الثلث الأخير مع ممالكه وحاشيته، ثم جاءه
مُغلطائى القازانى بممالكه ومعه جماعة من ممالك السلطان الملك الناصر والكُلُّ
ملبسون^(١) [على ظهر الخيل] . ثم إن نوغاى حرك الطبلخانة حربيًا^(٢) وشق من الحسينية^(٣)
فماجت الناس وركبوا من الحسينية وأعلموا الأمير سَلار، فركب سَلار وطلع إلى
القلعة وأعلم السلطان بذلك .

قال ابن كثير : وكان ذلك بمباطنة سَلار مع نوغاى . فلما بلغ المظفر ذلك قال
على إيش توجها ! فقال سَلار : على نباح الجراء فى بطون الكلاب ، والله ما ينظر
فى عواقب الأمور ولا يخاف آثار المقدور؛ فقال المظفر: إيش المصلحة ؟ فآتفقوا على
تجريد عسكر خلف المتسحين فخرذ فى أثرهم جماعة من الأمراء صحبة الأمير علاء الدين
مُغلطائى المسعودى^(٥) ، والأمير سيف الدين قُلَى فى جماعة من الممالك، فساروا سيرا
خفيا قصدا فى عدم إدراكهم وحفظا لسلطانهم وأبن سلطانهم الملك الناصر محمد
أبن قلاوون فلم يدركوهم، وأقاموا على غزاة أياما وعادوا إلى القاهرة .

وقال صاحب تزيمة الألباب^(٦) : وجرّد السلطان الملك المظفر وراءهم خمسة
آلاف فارس صحبة الأمير أحمى سَلار، وقال له المظفر : لا ترجع إلّا بهم ولو غاصوا

(١) زيادة عقد الجمان . (٢) حرك الطبلخانة حربيا — يقصد بذلك أنه أمر بقرع الطبول
لتنبيه الجنود وحثهم على الاستعداد للحرب . (٣) الحسينية — هذا الاسم كان يطلق قديما على
حارة كبيرة من حارات القاهرة أى على خط كبير من أخطاطها خارج باب الفرح وقد سبق التعليق عليها
فى الجزء الرابع (الحاشية رقم ٢ ص ٤٥) من هذه الطبعة . وأما الآن فيطلق هذا الاسم على الطريق الموصلة
من باب الفتوح إلى ميدان الأمير فاروق وتشمل شارعى الحسينية واليوسى . (٤) فى أحد الأصلين :
« على نباح الذئاب فى بطون الكلاب » . وفى الأصل الآخر : « على نباح الذئاب فى بطون الكلاب » .
وما أثبتناه عن عقد الجمان . (٥) فى الأصلين : « مغلطائى المنصورى » . وما أثبتناه عن عقد الجمان
وتاريخ سلاطين المالك وابن إياس . (٦) فى عقد الجمان : « وقال صاحب تزيمة الناظر » .

- في البحر ! وكان فيهم الأمير شمس الدين دَبَاكُوز^(١) وسيف الدين بجاس وجنكلى^(٢) ابن البابا وكهر دَاش وأبيك البغدادى وبلاط وصاروجا والقَرَمَانِى وأمير آخر، وهؤلاء الأمراء هم خيارَ عسكر مصر فساروا . وكان نُوغِيَه قد وصَلَ إلى بلبيس وطلبَ إليها وقال له : إن لم تُحْضِرْ لى فى هذه الساعة خمسة آلاف دينار من مال السلطان وإلا سلختُ جِندك من كعبك [إلى أذنك]^(٤) ، ففى الساعة أحضر الذهب ، وكان نُوغِيَه قد أُرصد أناسا يَكشِفون له الأخبار ، فجاءوا له وذكروا أن عسكرا عظيماً قد وصل من القاهرة وهم سائقون ؛ فلما سَمِعَ نُوغِيَه ذلك ركب هو وأصحابه وقالوا لوالى بلبيس قل للأمراء الجاثين خلفى أنا رائج على مهل حتى تلحقونى ، وأنا أقسم بالله العظيم لئن وقعت عيني عليهم لأجعلنَ عليهم يوماً يُذَكَّر إلى يوم القيامة ! ولم يبعد نُوغِيَه حتى وصل أخو سَلار وهو الأمير سُمك ومعه العساكر ، فلاقاهم والى بلبيس وأخبرهم بما جرى له مع نُوغِيَه وقال لهم : ما ركب إلا من ساعة ، فلما سَمِعوا بذلك ساقوا إلى أن وصلوا إلى مكان بين الخطارة^(٥)

- (١) فى تاريخ سلاطين الممالك : «دباكز» بغير واو . (٢) هو جنكلى بن محمد بن البابا ابن جنكلى بن خليل بن عبد الله المصلح بدر الدين . سيذكره المؤلف فى حوادث سنة ٨٧٤٦ .
(٣) فى الأصلين : «ساروجا» بالسين . وما أثبتناه من الدرر الكامنة والمنهل الصافي وتاريخ سلاطين الممالك . (٤) تكله عن عقد الجمان . (٥) الخطارة ، من القرى المصرية التى أنشأها العرب بمصر ، وردت فى جداول أسماء البلاد ، وفى صبح الأعشى (ص ٣٧٧ ج ١٤) : ضمن مراكز البريد بين السعيدية والصالحية . وفى العهد العثمانى قسمت الخطارة إلى ناحيتين : وهما الخطارة الكبرى والخطارة الصغرى . وفى سنة ١٢٧٥ هـ ألغيت ناحية الخطارة الكبرى وأضيف زمامها إلى ناحية الجباجية بمركز فاقوس بمديرية الشرقية ، فأصبحت من تواجها . وأما الخطارة الصغرى فلا تزال قرية قائمة بذاتها ضمن قرى مركز فاقوس باسم الخطارة الصغرى فى جداول وزارة المالية ، وباسم الخطارة فى جداول وزارة الداخلية .

والمكان الذى يشير اليه المؤلف لا بد أن يكون بأراضى ناحية القرن إحدى قرى مركز الزقازيق لأنها هى التى تقع بين ناحيتي الخطارة والسعيدية .

والسعيدية، فإذا بُنُوغَايَ واقفٌ وقد صَفَّ رجاله ميمنةً وميسرةً وهو واقفٌ في القلب
 قُدام الكل، فلما رآهم سُمِّك أرسل إليه فارساً من كبار الحلقة، وسار إليه الفارس وأجتمع
 بُنُوغَايَ وقال له : أرسَلَنِي سُمِّك إليك وهو يقول : السلطان الملك المظفر يُسَلِّمُ
 عليك ويقول لك : سبحان الله ! أنت كنت أكبر أصحابه، فما الذي غيرك عليه ؟
 ٥ فإن كان لأجل الخُبْرِ فما يأكل الخُبْرَ أحدٌ أحقُّ منك ، فإن عُدْتُ إليه فكلَّ
 ما تشتهي يفعله لك . فلما سمع بُنُوغَايَ هذا الكلام ضحك وقال : إيش هذا الكلام
 الكذب ! لمَّا أمِس سألته أن يُصَلِّح خُبْرِي بقَرِيَّة واحدة ما أعطاني، وأنا تحت
 أمره ، فكيف يسمح لي اليوم بما أشتي وأنا صرْتُ عدوه ! فخلَّ عنك هذا
 الهدْيَان، وما لك عندى إلا السيف، فرجع الرسول وأعلم سُمِّك بمقاتلته، ثم إن
 بُنُوغَايَ دَكَّسُ فُرسه وتقدَّم إلى سُمِّك وأصحابه وقال له : إن هؤلاء الذين معي أنا الذي
 ١٠ أخرجتهم من بيوتهم وأنا المطلوب ، فمن كان يريدني يبرز لي وهذا الميدان !
 فنظرتُ الأمراء بعضهم إلى بعض ، ثم قال : يا أمراء، ما أنا عاص على أحد،
 وما خرجتُ من بيتي إلا غُبْنًا، وأتم أغبُنُ مني، ولكن ما تُظهرون ذلك، وهاتم سمعتم
 مني الكلام فمن أراد الخروج إلى فليخرج وإلا أحملوا عليّ بأجمعكم، وكان آخر النهار،
 فلم يخرج إليه أحد فرجع إلى أصحابه ونزل سُمِّك في ذلك المكان . فلما أمسى الليل

(١) السعيدية ، لما تكلم المقرئ في خطبه على ترجمة الملك الظاهر بيبرس البندقداري التي ذكرها
 في كلامه على جامع الظاهر (ص ٣٠٠ ج ٢) قال : إن هذا الملك عمر بركة السعيدية من الشرقية، وورد
 أيضا اسمها في صبح الأُمى ضمن مراكز البريد (ص ٣٧٧ ج ١٤) بين بليس والخطارة بأرض مصر .
 وقد تبين لي من البحث أن الملك الظاهر لما أنشأ هذه القرية سماها السعيدية تيمنا باسم ولده السعيد محمد
 ٢٠ بركة خان . وقد آندثرت هذه البلدة . ومكانها اليوم عزبة الشيخ مطر حنفي وآخرين الواقعة على فم ترعة السعيدية
 بأراضي ناحية العباسية بمركز الزقازيق بمديرية الشرقية . وإلى هذه القرية تنسب ترعة السعيدية الممتدة
 بأراضي مركزي الزقازيق وقاقوس ، وينسب إليها أيضا حوض السعيدية أحد أحواض أراضي ناحية
 العباسية المذكورة . (٢) لعلها كلمة عامة يراد بها معنى ركس بالراء أي غزوه برجله ليستحله على الجرى .

رحل نُوعِيَّهَ بأصحابه وسار مجداً ليله ونهاره حتى وصل قَطِيًّا^(١) ، فوجد واليهاً قد جمع
العُربان لقتاله ، لأنَّ البطاقة وردت عليه من مصر بذلك ، والعُربان الذين جمعهم
الوالي نحو ثلاثة آلاف فارس ؛ فلما رأهم نُوغاي قال لأصحابه : احمِلوا عليهم
وبادروهم حتى لا يأخذهم الطَّمَع فيكم (يعني لِقَلَّتْهم) وثاقى الخيل التي وراءكم ،
فحملوا عليهم وكان مقدم العرب نُوْقَل [بن حابس]^(٢) البياضى ، وفيهم نحو الخمسمائة
قَرَّ بلبوس ، فحملت الأتراك أصحابُ نُوغاي عليهم وتقاتلا قتالاً عظيماً حتى ولَّت
العرب ، وأنتصر نُوعِيَّهَ عليهم هو وأصحابه ، ولَّت العرب الأدبار طالين البرية ،
ولحق نُوعِيَّهَ والى قَطِيًّا فطعمته وألقاه عن فرسه وأخذه أسيراً . ثم رجعت الترك
من خلف العرب وقد كَسَبُوا منهم شيئاً كثيراً .

- وأما سُئِمُك فإنه لم يزل يَتَّبِعُهُم بعساكر مصر منزلةً بعد منزلة حتى وصلوا إلى قَطِيًّا ١٠
فوجدوها خراباً ، وسمعوا ما جرى من نُوعِيَّهَ على العرب ، فقال الأمراء : الرأى أننا نسير
إلى غَزَّة ونشاور نائب غَزَّة في عمل المصلحة ، فساروا إلى غَزَّة فلاقاهم نائب غَزَّة
وأزلمهم على ظاهر غَزَّة وخدمهم ، فقال له سُئِمُك : نحن ما جئنا إلا لأجل نُوغاي ،
وأنه من العريش سار يطلب الكَرَك ، فما رأيك ؟ نسير إلى الكَرَك أو نرجع إلى مصر ؟
فقال لهم نائب غَزَّة : رواحكم إلى الكَرَك ما هو مصلحة ، وأتم من حين خرجتم من ١٥
مصر سائرون وراءهم ورأيتموهم في الطريق فما قدرتم عليهم ، وقد وصلوا إلى الكَرَك
وأنضمُّوا إلى الملك الناصر ، والرأى عندى أنكم ترجعون إلى مصر وتقولون للسلطان
ما وقع وتعتذرون له ، فرجعوا وأخبروا الملك المظفر بالحال فكاد يموت غَيْظاً ، وكتب

(١) قطيا قرية مصرية كانت بين القنطرة والعريش اندثرت . وسبق التعليق عليها في الجزء السابع

(الحاشية رقم ٢ ص ٧٧) من هذه الطبعة . (٢) زيادة من عقد الجان . (٣) العريش ،

بلدة مصرية بقرب حدود فلسطين . وراجع الحاشية (رقم ٤ ص ١٥٧) من الجزء الخامس من هذه الطبعة .

(٤) في الأصلين : « والذي عندى » . وما أتيته عن عقد الجان .

من وقته كتاباً لللك الناصر فيه : إن ساعة وقوفك على هذا الكتاب وقبل وضعه من يدك تُرسل لنا نُوغاى ومُغلطاي وماليكهما ، وتبعث الممالك الذين عندك ولا تُحَلَّ منهم عندك سوى خمسين مملوكاً ، فإنك أشرت الكُلَّ من بيت المال ، وإن لم تسيرهم سرَّت إليك وأخذتُك وأنفُك راغم ! وسير الكتاب مع بدوى^(١) إلى الملك الناصر .

وأما نُوغاى فإنه لما وصل إلى الكرك وجد الملك الناصر في الصيد ، فقال نُوغاى لمُغلطاي : إنزل أنت ها هنا وأسير أنا للسلطان ، وركب هجيناً وأخذ معه ثلاثة ممالك ومار إلى ناحية عقبة أيلة^(٢) ، وإذا بالسلطان نازل في موضع وعنده خلق كثير من العرب والترك ، فلما رأوا نُوغاى وقد أقبل من صدر البرية ، أرسلوا إليه خيلاً فكشفوا خبره ، فلما قربوا منه عرّفه ممالك السلطان فرجعوا وأعلموا السلطان أنه نُوغاى ، فقال السلطان : الله أكبر ! ما جاء هذا إلّا عن أمر عظيم ، فلما حضر نزل وباس الأرض بين يدي الملك الناصر ودعا له ، فقال له الملك الناصر : أراك ما جئت لى في مثل هذا الوقت إلى هذا المكان إلا لأمرٍ ؟ فحدثني حقيقة أمرك ، فأنشأ نُوغاى يقول :

أنت المليك وهذه أعناقنا * خضعت لِعِزِّ عَلاك يا سُلطانى

أنت المُرَجى يا مليكُ فن لَنَا * أَسْدُ سِواك وما لكُ البُلدانِ

في أبيات أخر ، ثم حكى له ما وقع له منذ خرج الملك الناصر من مصر إلى يوم تاريخه ، فركب الملك الناصر وركب معه نُوغاى وعادوا إلى الكرك ، وخَلَعَ عليه وعلى رفقته وأنزله عنده وودعهم بكل خير .

(١) في عقد الجمان : « وسير الكتاب مع برىدى » . (٢) عقبة أيلة ، هي التي تعرف

اليوم باسم العقبة ، وهي بلدة تابعة لحكومة شرق الأردن في الحدود الشرقية لمصر ، وراجع الحاشية رقم ٢٠

(٨ ص ٢٠٦) من الجزء السادس من هذه الطبعة .

- ثم إن الملك الناصر جمع أمراءه ومماليكه وشاورهم في أمره ، فقال نُوعْمَةُ :
 من ذا الذي يُعاندك أو يقف قُدَّامَكَ والجميع مماليكك ! والذي خَلَقَ الخلق إذا
 كنتَ أنتَ معي وحدي ألتقي بك كلَّ مَنْ خرج من مصر والشام ! فقال السلطان :
 صدقتَ فيما قلتَ ، ولكن من لم ينظر في العواقب ، ما الدهر له بصاحب . انتهى .
- وقال ابن كثير في تاريخه : وصل المتوجهون إلى الكرك إلى الملك الناصر
 في الحادى والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة فقبلهم الناصر أحسن قبول ،
 وكان حين وصلوا إلى قَطَا أخذوا ما بها من المال ، ووجدوا أيضا في طريقهم تَقْدِمةً
 لسيف الدين طوغان^(١) نائب البيرة فأخذوها بكاملها وأحضرها الجميع بين يدي الملك
 الناصر محمد ، ولما وصلت إليه الأمراء المذكورون أمر الملك الناصر بالحطبة لنفسه ،
 ثم كاتب التواب فأجتمعوا وأجابوه بالسمع والطاعة . ولما عاد الأمراء من غزوة
 إلى مصر أشدَّ خوفُ السلطان الملك المظفر وكثر خياله من أكثر عسكر مصر ،
 فقبض على جماعة تريد على ثلثائة مملوك ، وأخرج أخبارهم وأخبار المتوجهين مع نُوعْمَةَ
 إلى الكرك لمماليكه ، وتحلقوا عليه البرجية وشوشوا فكره بكثرة تخيله بخامرة العسكر
 المصرى عليه ، وما زالوا به حتى أخرج الأمير يَنْتجار والأمير صارم الدين الحرَمِيكى
 في عدة من الأمراء مجزدين ، وأخرج الأمير آقوش الرومى بجماعته إلى طريق السُّويس
 لينمى من عسائه يتوجه من الأمراء والمماليك إلى الملك الناصر . ثم قبض الملك
 المظفر على أحد عشر مملوكا وقصد أن يقبض على آخرين فاستوحش الأمير بطرا^(٢)
 فهرب ، فأدركه الأمير بحر كُثْمَر بن بهادر رأس نوبة فأحضره فحبس ، وعند إحضاره

(١) طوغان ، كان من ممالك المنصور فلاورون وتغل في خدمته إلى أن قرره في نيابة البيرة إلى سنة ٨٧١٠
 ثم نقل إلى شد دواوين دمشق ثم قبض عليه وسجن بالكرك إلى أن مات سنة نيف وعشرين وسبعمائة (من
 الدرر الكامنة) . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٦ من الجزء السادس من هذه الطبعة .
 (٣) في السلوك : « الأمير سيف الدين أبطر » .

طلّع الأمير الدبّكر السّلاح دار بملطف من عند الملك الناصر محمد ، وهو جواب الكتاب الذى كان أرسله الملك المظفر للملك الناصر يطلب نُوعِيَه وأصحابه . وقد ذكرنا معناه وما أغلظ فيه وأغش في الخطاب للملك الناصر، وكان في وقت وصول كتاب المظفر حضر إلى الملك الناصر الأمير أسندمر نائب طرابلس كأنهما كان على ميعاد ، فآخذ الناصر الكتاب وأسندمر إلى جانبه ، وعليه لبس العُربان ، وقد ضرب اللّثام فقرأ الناصر الكتاب ، ثم ناوله إلى أسندمر فقرأه وفهم معناه ، ثم أمر الملك الناصر الناس بالانصراف وبقي هو وأسندمر ، وقال لأسندمر : ما يكون الجواب ؟ فقال له أسندمر : المصلحة أن تُخادعه في الكلام وترقق له في الخطاب حتى نجهز أمرنا ونستظهر ، فقال له السلطان : أكتب له الجواب مثل ما تختاره ، فكتب أسندمر :

«المملوك محمد بن قلاوون يُقبل اليد العالية المولوية السلطانية المظفرية أسبغ الله ظلّها ، ورفع قدرها ومحلّها ، ويُنبئ بعد رفع دعائه ، وخالص عبوديته وولائه أنه وصل إلى المملوك نُوعِيَه ومُغلطاي وجماعة من الممالك ، فلما علم المملوك بوصولهم أغلق باب القلعة ولم يُمكن أحداً منهم عبور إليه ، وسيرت إليهم ألومهم على ما فعلوه ، وقد دخلوا على المملوك بأن يبعث ويشفع فيهم ، فأخذ المملوك في تجهيز مقدمة مولانا السلطان ويشفع فيهم ، والذي يُحيط به علم مولانا السلطان أنّ هؤلاء من ممالك السلطان ، خلد الله ملكه ، وأنّ الذى قيل فيهم غير صحيح ، وإعما هربوا خوفاً على أنفسهم ، وقد استجاروا بالمملوك ، والمملوك يستجير بظُل الدولة المظفرية ، والمأمول^(١) ألا يُجيب سؤاله ولا يَكسر قلبه ، ولا يرده فيما قصده . وفي هذه الأيام يجهز المملوك

(١) في أحد الأصلين : «السؤال» وفي الأصل الآخر : «المستول» وسياق الكلام يقتضى ما أثبتناه .

(٢) عبارة عقد الجمان : « ولا يرده ما قصده ، بل يسير لهم أماناً وناشيراً لقطاعهم بزيادة عليا ،

و يكون ذلك من جملة صدقات الدولة المظفرية ، والمراحم الأعظمية ، وفي هذه الأيام ... الخ » .

تَقْدِمَةٌ مَعَ المَـمَالِكِ الَّذِينَ طَلَبَهُم مَوْلَانَا السُّلْطَانُ ، وَأَنَا مَالِي حَاجَةٌ بِالمَـمَالِكِ
 فِي هَذَا المَكَانِ ، وَإِنْ رَسَمَ مَوْلَانَا مَا لَكَ الرِّقُّ أَنْ يُسَيِّرَ نَائِبًا لَهُ يَنْزِلُ ^(١) المَمْلُوكَ
 بِمِصْرَ وَيَلْتَجِئَ بِالدَّوْلَةِ المَظْفَرِيَّةَ وَيَخْلُقَ رَأْسَهُ وَيَقْعُدَ فِي تَرْبَةِ المَلِكِ المَنْصُورِ .
 وَالمَمْلُوكُ قَدْ وَطَّنَ نَفْسَهُ عَلَى مِثْلِ هَذَا ؛ وَقَدْ قَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
 كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ : « مَا أَقْرَبَ الرَّاخَةَ مِنَ التَّعَبِ وَالبُؤْسَ مِنَ النِّعَمِ وَالمَسْوتَ مِنَ
 الحَيَاةِ » . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لِمَاكَ وَمَا يُسَخِّطُ سُلْطَانَكَ ، وَيُوحِشُ إِخْوَانَكَ ؛ فَمَنْ
 اسْتَحْطَ سُلْطَانَهُ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلنِّبَةِ ، وَمَنْ أَوْحَشَ إِخْوَانَهُ فَقَدْ تَبَرَّأَ ^(٢) عَنِ الحَرِيَّةِ .
 وَالمَمْلُوكُ يَسْأَلُ كَرِيمَ العَفْوِ وَالصَّفْحِ الجَمِيلِ ! وَاللهُ تَعَالَى قَالَ فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ وَهُوَ
 أَصْدَقُ القَائِلِينَ : ﴿ وَالْكَاطِمِينَ أَعْيَظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ .
 وَالمَمْلُوكُ يَنْتَظِرُ الأَمَانَ وَالجَوَابَ . أَنهِيَ المَمْلُوكَ ذَلِكَ » .

١٠

فَلَمَّا قَرَأَ المَلِكُ المَظْفَرَ الكِتَابَ خَفَّ مَا كَانَ عَنْدهُ ، وَكَانَ سَلَّارٌ حَاضِرًا فَقَالَ لَهُ
 سَلَّارُ : مَا قُلْتَ لَكَ إِنَّ المَلِكَ النَّاصِرَ مَا بَقِيَتْ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَى المَعَانِدَةِ ! وَقَدْ أَصْبَحَ
 مُلْكُ الشَّامِ وَمِصْرُ طَوْعَ يَدِكَ ، وَلَكِنْ عِنْدِي رَأْيٌ : وَهُوَ أَنْ تُسَيِّرَ إِلَى الأَفْرَمِ بَأْنَ
 يَجْعَلُ بَالَهُ مِنَ الأَمْرَاءِ ، فَإِنَّهُمْ رَجَاءُ يَهْرُبُونَ إِلَى بِلَادِ التَّتَارِ فَاسْتَصِيبَ المَظْفَرَ ذَلِكَ ،
 وَكَتَبَ إِلَى الأَفْرَمِ فِي الحَالِ بِالْغَرَضِ ، فَلَمَّا وَصَلَ الكِتَابَ إِلَى الأَفْرَمِ أَجْتَهَدَ فِي ذَلِكَ
 غَايَةَ الاجْتِهَادِ .

١٥

وَأَخَذَ المَلِكُ النَّاصِرُ فِي تَدْيِيرِ أَمْرِهِ ، وَبَيْنَمَا المَظْفَرُ فِي ذَلِكَ وَرَدَ عَلَيْهِ الخَبَرُ
 مِنَ الأَفْرَمِ بِخُرُوجِ المَلِكِ النَّاصِرِ مِنَ الكَرْكِ ، فَقَلِقَ المَظْفَرُ مِنْ ذَلِكَ وَزَادَ تَوَهُّمَهُ
 وَتَفَرَّتْ قُلُوبُ جَمَاعَةِ مِنَ الأَمْرَاءِ وَالمَـمَالِكِ مِنْهُ وَخَشَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَاجْتَمَعَ كَثِيرٌ

(١) فِي الأَصْلَيْنِ : « وَيَنْزِلُ » .

(٢) فِي الأَصْلَيْنِ : « فَقَدْ تَبَرَّأَ عَنِ الجَرِيْمَةِ » . وَمَا أَثْبَتَاهُ عَنْ عَقْدِ الجَمَانِ .

٢٠

من المنصورية والأشرفية والأورانية^(١) وتواعدوا على الحرب ، وخرج منهم مائة وعشرون فارساً بالسلاح ، وساروا على حية إلى الملك الناصر ، فخرج في أثرهم الأمير بينجار والصارم الجرمي^(٢) بن منهم ، وقالوا للمالك وجرح الجرمي بسيف في خذه سقط منه إلى الأرض ، ومضى المالك إلى الكرك ولم يستجري أحد أن يتعرض إليهم ؛ فمظم بذلك الخطب على الملك المظفر ، واجتمع عنده البرجية وقالوا : هذا الفساد كله من الأمير سَلار ، ومتى لم تقيض عليه نرج الأمر من يدك ، فلم يوافق على ذلك وجب من القبض على سَلار لشوكته ولاضطراب دولته ، ثم طلب الملك المظفر الأمير سَلار وغيره من الأمراء واستشارهم في أمر الملك الناصر ، فأتق الرأي على خروج تجريدة لقتال الملك الناصر .

وأما الملك الناصر فإنه أرسل الأمير أَيْتَشُ المحمدي الناصري إلى الأمير قُبُجق نائب حماة ، فأحال الأمير قُبُجق الأمر على الأمير قَرَأُسْتَقْر نائب حلب ، فاجتمع أَيْتَشُ بقَرَأُسْتَقْر فآكرمه ووافق على القيام مع الملك الناصر ، ودخل في طاعته وأعلن بذلك . وهو أكبر المالك المنصورية ، وواعد الملك الناصر على المسير إلى دمشق ، أَوَّل شعبان . ثم كتب قَرَأُسْتَقْر إلى الأفرم نائب الشام يحثه على طاعة الملك الناصر ويرغبه في ذلك ويحذره مخالفته ؛ وأشار قَرَأُسْتَقْر على الملك الناصر أنه يكتب الأمير بَكْتَمُر الجوكندار نائب صفد ، والأمير كَرَاي المنصوري نائب القدس . ثم عاد أَيْتَشُ إلى أستاذة الملك الناصر وأخبره بكل ما وقع ، فسر الملك الناصر بذلك هو وكل من عنده

(١) في الأملين والسلوك : «الأورانية» . وفي تاريخ سلاطين المالك : «الغورية» . وهم طائفة من التتار فروا حين من ظلم الملك غازان عظيم التتار وأتوا إلى مصر سنة ٦٩٥ هـ طالبين الدخول في الإسلام ، وكان المقدم عليهم الأمير طرغاي زوج بنت هولكو . وكانت عدتهم نحو من عشرة آلاف بيت من التتار ، فأمر الملك العادل كتبها الأمير علم الدين سنجر الدواداري أن يقابلهم بجيهم إلى دمشق فأنزلهم بالقصر الأبلق من الميدان . (راجع ترجمة العادل كتبها ص ٦٠ من هذا الجزء) .

(٢) في السيرة (نوعة ٣٢٢ قسم رابع أول) : « بسيف في نخذه » .

غاية السرور، وتحقق كل أحد من حواشي الملك الناصر بإتمام أمره . وكان نُوغِيَه منذ قديم على الملك الناصر بالكرك لا يبرح يُحَرِّضُه على المسير إلى دِمَشْق حتى إنه نُقِلَ على الملك الناصر من مخاضته في المخاطبة بسبب توجهه إلى دِمَشْق ، وغَضِبَ منه وقال له : ليس لي بك حاجة ، إرجع حيث جئت ، فترك نُوغاي الخدمة وأنقطع وحقق له الملك الناصر ذلك حتى قتله بعد عودته إلى الملك بمدة حسب ما يأتي ذكره من كثرة ما ونجّه نُوغِيَه المذكور، وأسمعه من الكلام الحِشِن .

ولما قَدِمَ أَيُّمُشُّ بالأجوبة على الملك الناصر قَوِي عزمُ الملك الناصر على الحركة؛ ثم إن الملك الناصر أيضا أرسل مملوكه أَيُّمُشُّ المحمدي المذكور إلى الأمير بَكْتَمُر الجُوكَنْدَار نائب صَفَد حسب ما أشار به قرأ سُنْقُر، فسار أَيُّمُشُّ إليه واجتمع بالأمير محمد بن بَكْتَمُر الجُوكَنْدَار، فجمع محمد المذكور بين أَيُّمُشُّ وبين أبيه ليلاً في مقابر صَفَد ، فعنقه أَيُّمُشُّ على رده أولاً قاصداً السلطان الملك الناصر فأعذره له بَكْتَمُر بالخوف من بِيَتْرَس وسلار كما كان وقع له مع الناصر أولاً بالديار المصرية حين اتفقا على قبض بِيَتْرَس وسلار ولم يتم لهم ذلك ، وأُخْرِجَ بَكْتَمُر بسبب ذلك من الديار المصرية ، وقد تقدّم ذكر ذلك كله . انتهى . ثم قال له بَكْتَمُر: ولولا نِقَى بك ما اجتمعتُ عليك ، فلما عرفه أَيُّمُشُّ طاعة الأمير قرأ سُنْقُر والأمير قَبْجَق والأمير أَسَدْمُر أجاب بالسمع والطاعة ، وأنه على ميعاد النّواب إلى المضى إلى الشام ، وعاد أَيُّمُشُّ إلى الملك الناصر يجواب بَكْتَمُر فسرّبه غاية السرور .

وأما السلطان الملك المظفر بِيَتْرَس هذا فإنه أخذ في تجهيز العساكر إلى قتال الملك الناصر محمد حتى تم أمرهم وخرجوا من الديار المصرية في يوم السبت تاسع شهر رجب وعليهم خمسة أمراء من مقدّمى الأتولف ، وهم : الأمير بُرْلُغِي الأشرقي ، والأمير جمال الدين آقوش الأشرقي نائب الكرك كان ، والأمير عز الدين أَيْلَك

البغدادى ، والأمير سيف الدين طغرل الإيفانى ، والأمير سيف الدين ^(١) المذكور السلاح دار ، ومعهم نحو ثلاثين أميراً من أمراء الطبلخانا بعد ما أنفق فيهم الملك المظفر ، فأعطى بُرلنى عشرة آلاف دينار ، وأعطى لكل مقدم التنى دينار ، ولكل من الطبلخانا ألف دينار ، ولكل واحد من مقدمى الحلقة ألف درهم ، ولكل واحد من أجناد الحلقة خمسمائة درهم ، ونزلوا بمسجد التبن خارج القاهرة . ولم يتقدموا ، ثم عادوا بعد أربعة أيام إلى القاهرة . وكان الباعث على عودهم أن كتب آقوش الأفرم نائب الشام وردت على الملك المظفر : تتضمن وصول الملك الناصر إلى البرج الأبيض ، ثم عاد إلى الكرك فأطمأن الملك المظفر وأرسل إلى بُرلنى ومن معه من المجردين بالعود فعادوا بعد أربعة أيام . فلم يكن إلا أيام وورد الخبر ثانياً بمسير الملك الناصر محمد من الكرك إلى نحو دمشق ، فتجهز العسكر المذكور فى أربعة آلاف فارس وخرجوا من القاهرة فى العشرين من شعبان إلى العباسية . فورد البريد من دمشق بقى أَيْتَشُ الحمذى من قبل الملك الناصر بمشاهدة إلى الأفرم ذكرها للمظفر . ثم إن الأفرم بعد قدوم أَيْتَشُ بهت الأمير علاء الدين أَيْدُفدى شقيق الحسامى ، والأمير جوبان لكشف خبر الملك الناصر ، وأنهما توجهتا من الشام إلى جهة الكرك ، فوجدا الملك الناصر يتصيد وأنه عوق أَيْتَشُ عنده ، فسّر المظفر بذلك ، وكان الأمر بخلاف ذلك ، وهو أن أمرهما : أنه لما سيرهما الأفرم لكشف خبر الملك الناصر قدما على الملك الناصر ، ودخلا تحت طاعته ، وعرفاه أنهما جاءا لكشف خبره وحلفا له على القيام بنصرته سراً ، وعادا إلى الأفرم بالجواب المذكور . وكان الناصر هو الذى أمرهما بهذا القول ، فظن

(١) ورد فى السلوك هذا الاسم هكذا : «ساکر» . (٢) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٣١

من هذا الجزء . (٣) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٢٤٧ من هذا الجزء .

الأفرم أن أخبارهما على الصدق، فكتب به إلى المظفر. ثم إن الأفرم خاف أن يطرق الملك الناصر دمشق على غفلة فجزد إليه ثمانية أمراء من أمراء دمشق، وهم : الأمير سيف الدين قُطْلُوبَك المنصوري، والأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبي الحاجب، والأمير جوبان، والأمير بُحْكُن، والأمير علم الدين سَنَجَر الجاولي وغيرهم لِيُقِيمُوا على الطُّرُقَات لِحَفَظِهَا على من يخرج من الشام وغيره إلى الملك الناصر. وكتب إلى الملك المظفر يستحثه على إخراج عساكر مصر لتجتمع عنده مع عساكر دمشق على قتال الملك الناصر، وأنه قد جدد اليمين للمظفر وحلف أسراء دمشق ألا يخونوه ولا ينصروا الملك الناصر. فلما قرأ المظفر كتاب الأفرم اضطرب وزاد قلقه . ثم ورد عليه كتاب الأمير بُرْنِي من العبّاسة بأن ممالك الأمير أقوش الرومي تجتمعوا عليه وقتلوه وساروا ومعهم خزائنه إلى الملك الناصر، وأنه لحق بهم بعض أمراء الطبلخاناه في جماعة من ممالك الأمراء وقد فسّد الحال، والرأي أن يخرج السلطان بنفسه .

فلما سمع الملك المظفر ذلك أخرج تجريدة أخرى فيها عدّة أمراء أكابر، وهم : الأمير بجاس وبكثوت وكثير من البرجية^(١)، ثم بعث إلى بُرْنِي بالني دينار ووعدّه بأنه عازم على التوجه إليه بنفسه .

فلما ورد كتاب الملك المظفر بذلك وبقدوم التجريدة إليه عزّم على الرحيل إلى جهة الكرك، فلما كان الليل رحل كثير ممن كان معه يريدون الملك الناصر، ففنى عزّمه عن الرحيل نانياً، وكتب إلى المظفر يقول : بأن نصف العسكر سار إلى الملك الناصر وخرج عن طاعة الملك المظفر، ثم حرض الملك المظفر على الخروج

(١) في السلوك وتاريخ سلاطين الممالك : « بشاس » . وفي ابن إياس : « بجاس » .

بنفسه . وقبل أن يطلع الفجر من اليوم المذكور وصل إلى القاهرة الأمير بهادر جُك^(١) بكتاب الأمير بُرْلُغَى المذكور وطلع إلى السلطان ، فلما قضى الملك المظفر صلاة الصبح تقدم إليه بهادر جُك وعرفه بوصول أكثر العسكر إلى الملك الناصر وناولته الكتاب ، فلما قرأه يبترس تبسم وقال : سلم على الأمير بُرْلُغَى ، وقل له لا تخش من شيء ، فإن الخليفة أمير المؤمنين قد عقد لنا بيعة ثانية وجدد لنا عهداً ، وقد قرئ على المنابر ، وجددنا اليمين على الأمراء ، وما بقى أحد يحسُر أن يخالف ما كتب به أمير المؤمنين ! ثم دفع إليه العهد الخلفي وقال : امض به إليه حتى يقرأه على الأمراء والجند ثم يرسله إلى ، فإذا فرغ من قراءته يرحل بالعساكر إلى الشام وجهز له بالنقود دينار أخرى ، وكتب جوابه بنظير المشافهة ، فعاد بهادر جُك إلى بُرْلُغَى . فلما قرأ عليه الكتاب وأنهى إلى قوله : وأن أمير المؤمنين ولأني تولية جديدة وكتب لي عهداً وجدد لي بيعة ثانية ، وفتح العهد فإذا أوله : ﴿ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ فقال بُرْلُغَى : ولسليمان الرجح ! ثم آلتفت إلى بهادر جُك وقال له ، قل له : يا بارد الذقن ، والله ما بقى أحد يلتفت إلى الخليفة ، ثم قام وهو مغضب . وكان سبب تجديد العهد للملك المظفر هذا أن الأفرم نائب الشام لما ورد كتابه على المظفر أنه حلف الأمراء بدمشق ثانياً ، وبعث بالشيخ صدر الدين محمد ابن عمر [بن مكي بن عبد الصمد الشهير بأبن^(٢)] المرحل إلى الملك المظفر في الرسالة ، صار صدر الدين يجتمع به هو وأبن عدلان وصار الملك المظفر يشغل وقته بهما ، فأشاراً عليه بتجديد العهد والبيعة وتحليف الأمراء ، وأن ذلك يثبت به قواعد ملكه

(١) في السلوك : « بهادر جُك » . (٢) تكملة عما سيذكره المؤلف في وفاته سنة ٧١٦ هـ ،

والدرر الكامنة والنبل الصافي . (٣) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان بن محمود ابن لاحق بن داود الكافى المصرى الفقيه الشافعى شمس الدين . توفي سنة ٧٤٩ هـ (عن الدرر الكامنة وشذرات الذهب) .

٥

١٥

٢٠

ففعل الملك المظفر ذلك، وحلف الأمراء بحضور الخليفة، وكتب له عهداً جديداً عن الخليفة أبي الربيع سليمان العباسي . ونسخة العهد :

- « (إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) من عبد الله وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي الربيع سليمان بن أحمد العباسي لأمرء المسلمين وجيوشها، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ) وإني رضيْتُ لكم بعبد الله تعالى الملك المظفر ركن الدين نائباً عنى الملك الديار المصرية والبلاد الشامية، وأقمتُه مقام نفسه لدينه وكفائه وأهليته ورضيَّته للمؤمنين، وعزلتُ من كان قبله بعد علمى بزيوله عن الملك، ورأيتُ ذلك متعيناً على، وحكمتُ بذلك الحُكَّام الأربعة، وأعلموا، رحمكم الله، أن الملك عقيم ليس بالوراثة لأحدٍ خالف عن سالف ولا كابر عن كابر، وقد استخرتُ الله تعالى ووليتُ عليكم الملك المظفر، ١٠ فن أطاعه فقد أطاعنى، ومن عصاه فقد عصانى، ومن عصانى فقد عصى أبا القاسم ابن عمى صلى الله عليه وسلم . وبلغنى أن الملك الناصر ابن السلطان الملك المنصور شقَّ العصاة على المسلمين وفرَّق كلمتهم وشتت شملهم وأطمع عدوهم فيهم، وعرض البلاد الشامية والمصرية إلى سبي الحريرم والأولاد وسفك الدماء، فلك دماء قد صانها الله تعالى من ذلك . وأنا خارج إليه ومحاربه إن استمرَّ على ذلك، وأدافع عن حريرم المسلمين وأنفسهم وأولادهم لهذا الأمر العظيم، وأقاتله حتى يبنى إلى أمر الله تعالى، وقد أوجبتُ عليكم يا معاشر المسلمين كافةً الخروجَ تحت لوائى اللوائ الشريف، فقد أجمعت الحُكَّام على وجوب دفعه وقتاله إن استمرَّ على ذلك، وأنا مستصحب معى الملك المظفر فجّهزوا أرواحكم والسلام » .

وَقُرِئَ هَذَا الْمَهْدُ عَلَى مَنَابِرِ الْجَوَامِعِ بِالْقَاهِرَةِ ، فَلَمَّا بَلَغَ الْقَارِئُ إِلَى ذِكْرِ الْمَلِكِ
الْناصِرِ صَاحَتِ الْعَوَاتِمُ : نَصَرَهُ اللَّهُ نَصْرَهُ ! وَكَرَّرَتْ ذَلِكَ . وَقَرَأَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى ذِكْرِ
الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ صَاحُوا : لَا ، مَا نَزِيدُهُ ! وَوَقَعَ فِي الْقَاهِرَةِ ضَجَّةٌ وَحَرَكَةٌ بِسَبَبِ ذَلِكَ .
إِنْتَهَى .

٥ ثم قَدِمَ عَلَى الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ مِنَ الشَّامِ عَلَى الْبَرِيدِ الْأَمِيرُ بَهَادُرُ أَصْ يَحْتُمُّ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ
عَلَى الْخُرُوجِ إِلَى الشَّامِ بِنَفْسِهِ ، فَإِنَّ التَّوَابَ قَدْ مَالُوا كُلُّهُمْ إِلَى الْمَلِكِ الْناصِرِ ، فَأَجَابَ
أَنَّهُ لَا يَخْرُجُ ، وَأَحْتَجُّ بِكَرَاهِيَتِهِ لِلْفِتْنَةِ وَسَفْكَ الدِّمَاءِ ، وَأَنَّ الْخَلِيفَةَ قَدْ كَتَبَ بُولَايَتَهُ
وَعَزَلَ الْمَلِكُ الْناصِرُ فَإِنَّ قَبِلُوا وَإِلَّا تَرَكَ الْمُلْكَ . ثم قَدِمَ أَيْضًا الْأَمِيرُ بِبَلَاطٍ بِكُتَابِ
الْأَمِيرِ بُرْنِيِّ ، وَفِيهِ أَنَّ جَمِيعَ مَنْ خَرَجَ مَعَهُ مِنْ أَمْرَاءِ الطَّبَلَخَانَةِ لِحُقُوقِهِ بِالْمَلِكِ الْناصِرِ
وَتَبِعَهُمْ خَلَقٌ كَثِيرٌ ، وَلَمْ يَتَأَخَّرْ غَيْرُ بُرْنِيِّ وَأَقْوَشِ نَائِبِ الْكَرْكِ وَأَيَّكَ الْبَغْدَادِيِّ ،
وَالدِّكْرُ وَالْفَتَّاحُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ خَوَّصَ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ .

وَأَمَّا الْمَلِكُ الْناصِرُ فَلَمَّا سَارَ مِنَ الْكَرْكِ بِمَنْ مَعَهُ فِي أَوَّلِ شَعْبَانَ يَرِيدُ دِمَشْقَ بَعْدَ
أُمُورٍ وَقَعَتْ لَهُ ؛ نَذَرَهَا فِي أَوَائِلِ تَرْجُمَتِهِ الثَّالِثَةِ . فَلَمَّا سَارَ دَخَلَ فِي طَاعَتِهِ الْأَمِيرُ
قُطْلُوبُكُ الْمَنْصُورِيُّ وَالْحَاجُّ بَهَادُرُ وَبَكْتُمُرُ الْحُسَامِيِّ حَاجِبُ مُجَابِ دِمَشْقَ وَعَلَّمَ الدِّينَ
سَنَجَرَ الْجَاوِلِي . وَصَارَ الْمَلِكُ الْناصِرُ يَتَأَنَّى فِي مَسِيرِهِ مِنْ غَيْرِ سُرْعَةٍ حَتَّى يَتَبَيَّنَ مَا عِنْدَ
أَمْرَاءِ دِمَشْقَ الَّذِينَ أَنْزَحَهُمُ الْأَفْرَمُ لِحِفْظِ الطَّرِيقَاتِ قَبْلَ ذَلِكَ ، فَكَتَبُوا أَمْرَاءَ
دِمَشْقَ الْمَذْكُورِينَ إِلَى الْأَفْرَمِ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَى عِمَارَةِ الْمَلِكِ الْناصِرِ ، وَأَرَادُوا
بِذَلِكَ إِمَّا أَنْ يَخْرُجَ بِنَفْسِهِ فَيَقْبِضُوهُ أَوْ يَسِيرَ عَنْ دِمَشْقَ إِلَى جِهَةِ أُخْرَى فَيَأْتِيَهُمْ بَقِيَّةُ
الْجَيْشِ وَكَانَ كَذَلِكَ . فَإِنَّهُ لَمَّا قَدِمَ كَتَبَهُمْ عَلَيْهِ بِدِمَشْقَ شَارِعَ بَيْنِ النَّاسِ مَجِئُ الْمَلِكِ

(١) فِي الْأَصْلِينَ : « فَلَمَّا قَرَأَ الْقَارِئُ إِلَى ذِكْرِ ... الخ » . وَتَصَحِيحُهُ عَنِ السُّلُوكِ .

(٢) فِي الْأَصْلِينَ : « بِكَرَاهِيَتِهِ نَفْسَهُ » . وَتَصَحِيحُهُ عَنِ السُّلُوكِ .

الناصر من الكرك فنارت العوام وصاحوا . نصر الله الملك الناصر ! وتسَلَّ عسكره من دمشق طائفةً بعد طائفة إلى الملك الناصر ، وأنفرط الأمر من الأفرم وأنفق الأمير بيبرس العلّائي^(١) والأمير بيبرس المجنون بمن معهما على الوثوب على الأفرم والقبض عليه ، فلم يثبت عند ما بلغه ذلك ، وأستدعى علاء الدين [على^(٢)] بن صبيح ، وكان من خواصه وخرج ليلاً وتوجّه إلى جهة الشقيف^(٣) ، فركب قُطْلُو بَك والحاج بهادر عند ما سمعا خبر الأفرم ، وتوجّها إلى الملك الناصر ، وكانا كاتباه بالدخول في طاعته قبل ذلك ، فسرّ بهما وأنعم على كل واحد منهما بعشرة آلاف درهم ، وقَدِم على الناصر أيضا الجاولي وجوبان وسائر من كان معهم ، فسار بهم الملك الناصر حتى نزل الكُسوة ، وخرج إليه بقية الأمراء والأجناد . وقد عُمل له سائر شعار السلطنة من السناجق الخليفية والسلطانية والعصائب والجُحُور والفاشية ، وحلّف^(٤) العساكر وسار يوم الثلاثاء ثاني عشر شعبان يريد مدينة دِمَشق ، فدخلها من غير مدافع بعد ما زُيِّت له زينة عظيمة ، وخرج جميع الناس إلى لقائه على اختلاف طبقاتهم حتى صفار الكُتّاب ، وبلغ كراء البيت من البيوت التي بميدان الحصى إلى قلعة دِمَشق للفتوح على السلطان من خمسمائة درهم إلى مائة درهم ، وقُورِشت الأرض بشقاق الحرير الملونة ، وحمل الأمير قُطْلُو بَك المنصوريّ الفاشية ، وحمل الأمير الحاج بهادر الجُحُور ، وترجل الأمراء والعساكر بأجمعهم ومشوا بين يديه حتى نزل بالقصر [الأُبلق^(٥)] ؛ وفي وقت نزوله قَدِم مملوك الأمير قرأستقر نائب حلب لكشف الخبر

(١) توفي سنة ٥٧١٢ (عن الدرر الكامنة) . (٢) توفي سنة ٥٧١٥ عن المصدر المتقدم .

(٣) زيادة عن السلوك ، وفيه وفي عقد الجان . «على بن صبح» . (٤) يريد شقيف

أرنون ، وراجع الحاشية رقم ٢ ص ١٤٢ من الجزء السابع من هذه الطبعة . (٥) راجع الحاشية

رقم ١ ص ٦٠ من هذا الجزء . (٦) راجع الحاشية رقم ٣ ص ٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٧) في التوقيفات الإلهامية أن أول شعبان هذه السنة يوافق يوم الأحد . (٨) زيادة عن السلوك .

وَأَنْ قَرَأُسُقْرُ نَرْجٍ مِنْ حَلْبٍ وَقَبِجَقٍ نَرْجٍ مِنْ حَمَاةٍ نَفْلَعُ عَلَيْهِ وَكُتِبَ لَهَا بِسْرَمَةِ
 الْحَضُورِ إِلَيْهِ . ثُمَّ كَتَبَ إِلَى الْأَفْرَمِ أَمَانًا وَتَوَجَّهَ بِهِ عِلْمُ الدِّينِ سَنَجَرُ الْجَاوِلَى ، فَلَمْ
 يَثِقْ بِذَلِكَ لِمَا كَانَ وَقَعَ مِنْهُ فِي حَقِّ النَّاصِرِ لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ تَنَكَّرَ^(١) ، وَطَلَبَ يَمِينُ السُّلْطَانِ
 خَازِنْدَارَهُ وَتَنَكَّرَ مَمْلُوكُهُ إِلَى الْأَفْرَمِ هَذَا صَحْبَةً عُثْمَانَ الرِّكَابِ يَسْتَدْعِيهِ إِلَى طَاعَتِهِ بِكُلِّ
 مَا يُمْكِنُ ، ثُمَّ أَمَرَهُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ إِنْ لَمْ يُطِيعْ يُحْتَشَنَ لَهُ فِي الْقُصُولِ ، وَكَذَلِكَ كَتَبَ
 فِي الْمَطَالَعَةِ الَّتِي عَلَى يَدِ تَنَكَّرَ : أَوَّلَهَا وَعْدٌ وَآخِرُهَا وَعِيدٌ ، فَلَمَّا قَرَأَ الْأَفْرَمُ الْكُتَابَ الْمَذْكُورَ
 أَسْوَدَ وَجْهُهُ مِنَ الْغَضَبِ ، ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى تَنَكَّرَ وَقَالَ : أَنْتَ وَأَمْثَالُكَ الَّذِينَ حَقَّقُوا هَذَا
 الصَّبِيَّ حَتَّى كَتَبَ لِي هَذَا الْكُتَابَ ، وَيْلَكَ ! مَنْ هُوَ الَّذِي وَافَقَهُ مِنْ أَمْرَاءِ دِمَشْقَ
 عَلَى ذَلِكَ ! وَكَانَ النَّاصِرُ قَدْ كَتَبَ لَهُ فِي جُمْلَةِ الْكَلَامِ أَنَّ غَالِبَ أَمْرَاءِ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ
 أَطَاعُونِي ، وَكَانَ الْأَفْرَمُ لَمَّا حَضَرَ إِلَيْهِ تَنَكَّرَ قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ الْكُتَابَ جَمَعَ أَمْرَاءَ دِمَشْقَ
 ثُمَّ قَرَأَ الْكُتَابَ ، فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى ذَلِكَ ، قَالَ الْأَفْرَمُ ، قُلْ لِي : مَنْ هُوَ الَّذِي أَطَاعَهُ
 حَتَّى أَقْبِضَ عَلَيْهِ وَأُرْسِلَهُ إِلَى مِصْرَ ؟ فَنَظَرَ أَمْرَاءُ دِمَشْقَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَمْعَنَ
 الْأَفْرَمُ فِي الْكَلَامِ ، فَقَامَ الْأَمِيرُ سَيِّدُ الْمَجْنُونِ وَقَالَ : مَا هَذَا الْكَلَامُ مُصْلَحَةٌ ، تَجَاوِبَ
 أَبْنِ أَسْتَازِكَ بِهَذَا الْجَوَابِ ! وَلَكِنْ لَا طُفْهَ وَقُلْ لَهُ : أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّنا مُتَّبِعُونَ مِصْرَ
 وَمَا يَرْزُ مِنْهَا ، فَإِنْ أَرَدْتَ الْمَلِكَ فَاطْلُبْهُ مِنْ مِصْرَ ، وَلَا تَبْتَلِشْ بِنَا وَأَرْجِعْ عَنَّا ، وَذَكَرَ
 لَهُ أَشْيَاءَ مِنْ هَذَا الْخَطِّ ، فَقَالَ الْأَفْرَمُ : أَنَا مَا أَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ ، وَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي
 إِلَّا السِّيفُ إِنْ جَاءَنَا ! ثُمَّ طَلَبَ الْأَفْرَمُ تَنَكَّرَ فِي خَلْوَةٍ وَقَالَ لَهُ : سِرْ إِلَى أَسْتَازِكَ
 وَقُلْ لَهُ : يَرْجِعْ ، وَإِلَّا يَسْمَعُ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ فَيَمْسُكُكَ وَيَحْبِسُكَ ، فَتَقْبِي تَمَنِّي أَنْ تُشْعِيعَ

(١) هُوَ تَنَكَّرَ بَعْدَ اللَّهِ الْحَسَامِي . تَوَفَّى سَنَةَ ٧٤١ هـ (عَنِ الدَّرَرِ الْكَاتِمَةِ وَالْمُهَلِّ الصَّاقِ) .

(٢) فِي الْأَصْلِ الْآخِرُ : « حَتَّى كَتَبَ فِي جُمْلَةِ الْكُتَابِ » . (٣) لَا تَبْتَلِشْ بِنَا :

لَا تَفَكِّرْ فِينَا (عَنْ دَوْزِي) .

- الخبز! ولا يتفعله حينئذ أحد، فإن كان لك رأى فاقبض على نُوعِيهِ ومن معه وسيّرهم
للك المظفر، فإن فعلت ذلك يصلح حالك، ولا تفعل غير هذا تهلك . وكتب
له كتاباً بمعنى هذا ودفعه إلى تَنِيكَر، فلم يخرج تَنِيكَر من دمشق إلى أثناء الطريق حتى
نحرج في أثره جماعة من أمراء دمشق إلى طاعة الناصر . وكان كلام الأفرم لتَنِيكَر أكبر
الأسباب لخروج الملك الناصر من الكرك إلى دِمَشق ، فلما قَدِم الناصر دمشق
وكتب الأملن للأفرم فتخوف الأفرم مما كان وقع منه من القول لما قَدِم عليه تَنِيكَر
وطلب الحلف . انتهى .

- وقال بِيَرَس في تاريخه : وأرسل السلطان إلى الأفرم رسلاً بالأمان والأيمان^(١) ،
وهما الأميران عز الدين أيَّدَمُ الزردكاش والأمير سيف الدين جُوبان . وقال
غيره : بعث إليه السلطان نسخة الحلف مع الأمير الحاج أَرْقَطَاي الجمدار، فما زال به
حتى قَدِم معه هو وأبن صبيح ، فركب السلطان إلى لقائه حتى قرب منه نزل كل منهما^(٢)
عن فرسه ، فاعظم الأفرم نزول السلطان له وقبل الأرض ، وكان الأفرم قد لبس
كاملية وشد وسطه وتوشح بنصفيه (يعني أنه حضر بهيئة البطالين من الأمراء) وكفَّته
تحت إبطه ، وعند ما شاهدته الناس على هذه الحالة صرخوا بصوت واحد : يامولانا
السلطان ، بتربة والدك الملك الشهيد قلاوون لا تُؤذِه ولا تُغَيِّر عليه ! فبكى سائر من
حضره ، وبالغ السلطان في إكرامه وخلع عليه وأركبه وأقره على نيابة دِمَشق ، فكثُر
الدعاء له وسار إلى القصر . فلما كان من الغد أحضر الأفرم خيلاً وجمالاً وثياباً
بمائتي ألف درهم تقدمة إلى السلطان الملك الناصر . وفي يوم الجمعة ثاني عشرين^(٣)

- (١) عبارة الأصلين : « وأرسل السلطان إلى الأفرم بالأمان والأيمان وكان رسله إليه مع الأمير
عز الدين أيَّدَمُ الزردكاش والأمير حزمان » . وما أثبتناه عن عقد الجمان . (٢) في السلوك
وعقد الجمان : « ابن صبح » . وراجع الحاشية رقم ٣ ص ٢٦٥ من هذا الجزء . (٣) في عقد الجمان :
« في اليوم الثامن والعشرين من شعبان ... الخ » .

شعبان خُطِبَ لملك الناصر بدمشق وأُتْقَطِعَ منها أَسْمُ المظفر، وصُلبت الجمعة بالميدان فكان يوماً مشهوداً؛ وفي ذلك اليوم قَدِمَ الأمير قَرَّاسْتَقُرُّ نائِبَ حلب، والأمير قَبَّجَقُ نائِبَ حَمَّاءَ، والأمير أَسْنَدَمُرُّ كُرْجِي نائِبَ طرابُلُسَ، وتَمَرُ السَّاقِي نائِبَ حِمَصَ، فركب السلطان إلى لقائهم وترجَّلَ إلى قَرَّاسْتَقُرِّ وعانقه وشَكَرَ الأمراءَ وأَمْنَى عليهم؛ ثم قَدِمَ الأمير كَرَّاي المنصوري نائِبَ القدس والأمير بَكْتَمُرُ الجوكندار نائِبَ صَفَدَ، ثم قَدِمَ كُلُّ من الأمراء والتَّوَابَ تَقْدِمْته بِقَدَرِ حاله ما بين ثياب أطلَسَ وحوائِصَ ذهب وكُلْفَتَاءَ زَرَكُش^(١) وخيول مُسَرَّجَةٍ، في عُنُقِ كُلِّ فرس كَيْسٌ فيه ألف دينار وعليه مملوك، وعدَّةُ بغال وجمال بِحَاجَتِي وغير ذلك. وشرَعَ الملك الناصر في النفقة على الأمراء والعساكر الواردة عليه مع التَّوَاب. فلما أَتَهَتْ النفقة قدم بين يديه الأمير كَرَّاي المنصوري على عسكره إلى غَزَاةِ فِساد إليها، وصار كَرَّاي يَمُدُّ في كُلِّ يوم سِمَاطاً عظيماً للمقيمين والواردين عليه، فأَنْفَقَ في ذلك أموالاً جَزِيلَةً من حاصله، وأَجْتَمَعَ عليه بَغْزَةٌ عَالَمٌ كثير وهو يقوم بِكُلْفَتِهِمْ وَيَعِدُّهُمْ عن السلطان بما يُرْضِيهِمْ.

وأما الملك المظفر فإنه قَدِمَ عليه الخبر في خامس عشرين شعبان باستيلاء الملك الناصر على دِمَشق بغِيرِ قتال، فعَظُمَ ذلك على الملك المظفر وأَظْهَرَ الذَّلَّةَ، وخرجت عساكر مصر شيئاً بعد شيء تريد الملك الناصر حتى لم يبق عنده بالديار المصرية سوى خواصه من الأمراء والأجناد.

وأما الأمير بُرْلُني ومن معه من الأمراء صار عساكرهم تتسلَّلُ واحداً بعد واحد حتى بقى بُرْلُني في مَمَالِيكِهِ وجماعة من خواص الملك المظفر بِيَرْسَ، فتشاور بُرْلُني مع جماعته حتى أَقْتَضَى رأيه ورأى أَفْوَشَ نائِبِ الكَرَكِ اللَّحَاقَ بالملك الناصر أيضاً،

(١) كلفَتَاءَ، جمعها كلفَتَات ومعناها الكلوثة التي تَقَدَّمُ شرحها في الحاشية رقم ١ ص ٣٣٠ من الجزء السابع من هذه الطبعة.

- فلم يوافق على ذلك البرجية ، وعاد أيك البغدادي وبكتوت الفتح وبقتار ببقية
البرجية إلى القاهرة ، وصاروا مع الملك المظفر ببرس ، وسار برلني وآقوش
إلى الملك الناصر فيمن بقي من الأمراء والعساكر ، فاضطربت القاهرة لذلك .
وكان الملك المظفر قد أمّر في مستهل شهر رمضان سبعة وعشرين أميراً ما بين
طبلخاناه وعشرات ، منهم من مماليكه : صديق وصنيجي وطوغان وقرمان^(٢)
وإغزلو وبهادر ، ومن المماليك السلطانية سبعة وهم : قرأجا الحسامي وطرنطاي
الحمدى وبكتمر الساق وبهادر قبقاق وانكار وطشتمر أخو بتخاص ولاجين ، ومن
عدهم بركتمر بن بهادر وحسن بن ازدادي ، ونزلوا الجميع إلى المدرسة المنصورية^(٣)
ليلبسوا الخلع على جاري العادة ، واجتمع لهم النقاء والحجاب والعامّة بالأسواق
ينتظرون طلوعهم القلعة ، وكلّ منهم بقي لابس الخلعة ، فاتفق أن شخصاً من المنجمين^(٤)
كان بين يدي النائب سلاّر ، فرأى الطالع غير موافق ، فقال : هذا الوقت ركوبهم
غير لائق ، فلم يلتفت بعضهم وليس وركب في طلبه ، فاستبدوهم العوام وقالوا :
ليس له حلاوة ، ولا عليه طلاوة ، وصار بعضهم يصيح ويقول : يا فرحة لاتمت .
ثم أخرج الملك المظفر عدة من المماليك السلطانية إلى بلاد الصعيد وأخذ
أخبارهم ، وظن الملك المظفر أنه ينشئ له دولة ، فلما بلغه سير برلني وآقوش^(٥)
نائب الكرك إلى الملك الناصر سقط في يده وعلم زوال ملكه ، فإن برلني كان زوج
أبنته وأحد خواصه وأعيان دولته ، بحيث إنه أنعم عليه في هذه الحركة بنيف وأربعين

(١) في السلوك : « وقار » . (٢) في أحد الأصلين : « صبيح » . وفي السلوك :

« صنيجي » . (٣) في السلوك : « إكار » . (٤) في الأصلين : « جرمك ونمر وبهادر » .

وتصححه عن السلوك والدرر الكامة . (٥) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٣٢٥ من الجزء السابع .

من هذه الطبعة .

ألف دينار مصرية، وقيل : سبعين ألف دينار . وظهر عليه اختلال الحال ، وأخذ خواصه في تعنيفه على إبقاء سَلَّار النائب وأن جميع هذا الفساد منه ، وكان كذلك . فإنه لما فانتته السلطنة وقام ببيرس فيها حسده على ذلك ودبر عليه ، وبيرس في غفلة عنه ، فإنه كان سليم الباطن لا يظن أن سَلَّار يخونه . ثم قبض الملك المظفر ليلة الجمعة على جماعة من العوام ، وضربوا وشهروا لإعلانهم بسبب الملك المظفر ببيرس ؛ فما زادهم ذلك إلا طغيانا ! وفي كل ذلك تنسب البرجية فساد الأمور لسَلَّار ، فلما أكثر البرجية الإغراء بسَلَّار قال لهم الملك المظفر : إن كان في خاطركم شيء فدونكم وإياه إذا جاء سَلَّار للخدمة ؛ وأما أنا فلا أتعرض له بسوء قط ، فأجتمعت البرجية على قبض سَلَّار إذا حضر الخدمة في يوم الاثنين خامس عشره ، فبلغ سَلَّار ذلك ، فتأخر عن حضور الخدمة وأحترس على نفسه ، وأظهر أنه قد توقع ، فبعث الملك المظفر يُسَلِّم عليه ويستدعيه لياخذ رأيَه ، فأعذر بأنه لا يطيق الحركة لمعجزه عنها .

فلما كان يوم الثلاثاء سادس عشر رمضان استدعى الملك المظفر الأمراء كلهم واستشارهم فيما يفعل ، فأشار الأمير بيبرس الدوادار المؤرخ والأمير بهادر آص بتزوله عن الملك والإشهاد عليه بذلك كما فعله الملك الناصر ، ونُسِر إلى الملك الناصر بذلك وتستعطفه وتخرج إلى إطفح بمن تيق به وتقيم هناك حتى يرد جواب الملك الناصر عليك ، فاعجبه ذلك وقام ليجهز أمره ، وبعث بالأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المذكور إلى الملك الناصر محمد يعزفه بما وقع . وقيل : إنه كتب إلى الملك الناصر يقول مع غير بيبرس الدوادار : والذي أعرَّفك به أتى قد رجعت أفلدك بغيك ، فإن حبستني عددتُ ذلك خلوة ، وإن نفيتني عددتُ ذلك سياحة ، وإن قتلتني

كان ذلك لى شهادة ؛ فلما سَمِعَ الملك الناصر ذلك ، عَيَّنَ لَهُ صِهْيَوْنَ عَلَى مَا نَذَرَهُ .

وَأَمَّا مَا كَتَبَهُ الْمُظْفَرُ عَلَى يَدِ بِيَتْرُسَ الدَّوَادَارِ بِسَأَلِهِ فِي إِحْدَى ثَلَاثَ : إِنَّمَا الْكَرْكُ وَأَعْمَالُهَا ، أَوْ حِمَاةَ وَبِلَادِهَا ، أَوْ صِهْيَوْنَ وَمُضَافَاتِهَا .

- ثم أَضْطَرَبَتْ أَحْوَالُ الْمُظْفَرِ وَتَحَيَّرَ وَقَامَ وَدَخَلَ الْخَزَائِنَ وَأَخَذَ مِنَ الْمَالِ وَالْخَلِيلِ مَا أَحَبَّ ، وَخَرَجَ مِنْ يَوْمِهِ مِنْ بَابِ الْإِسْطِيلِ فِي مَمَالِيكَهِ وَعِدَّتُهُمْ سَبْعَانَةَ ثَمَلُوكَ ، وَمَعَهُ مِنَ الْأَمْوَاءِ : الْأَمِيرُ عَزَّ الدِّينَ أَبَدْمُرَ الْخَطِيرِيَّ الْأُسْتَادَارَ ، وَالْأَمِيرُ بَكْتُوتُ الْفَتْاحِ وَالْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بَقَاسَ وَالْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ تَاكُرُ فِي بَقِيَةِ الْأَزَامَةِ مِنَ الْبُرْجِيَّةِ ، فَكَأَنَّمَا نُودِيَ فِي النَّاسِ بِأَنَّهُ خَرَجَ هَارِبًا ، فَأَجْتَمَعَ الْعَوَامُ ، وَعِنْدَ مَا بَرَزَ مِنْ بَابِ الْإِسْطِيلِ صَاحَبُوا بِهِ وَتَبَعُوهُ وَهُمْ يَصِيحُونَ عَلَيْهِ بِأَنْوَاعِ الْكَلَامِ ، وَزَادُوا فِي الصَّبَاحِ حَتَّى خَرَجُوا عَنْ الْحَدِّ ، وَرَمَاهُ بَعْضُهُمْ بِالْحِجَارَةِ : فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى مَمَالِيكَهِ وَهَمُّوا بِالرُّجُوعِ إِلَيْهِمْ وَوَضَعَ السَّيْفُ فِيهِمْ فَنَمَهُمُ الْمَلِكُ الْمُظْفَرُ مِنْ ذَلِكَ ، وَأَمَرَ بِثَرِ الْمَالِ عَلَيْهِمْ لِيَسْتَغْلَوْا بِجَمْعِهِ عَنْهُ ، فَأَخْرَجَ كُلَّ مِنَ الْمَمَالِيكِ حَفَنَةً مِنَ الذَّهَبِ وَنَثَرَهَا ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ الْعَامَّةُ لِذَلِكَ وَتَرَكُوهُ وَأَخَذُوا فِي الْعَدُوِّ خَلْفَهُ وَهُمْ يَسُبُّونَ وَيَصِيحُونَ ، فَشَهَرَ الْمَمَالِيكُ حِينَئِذٍ سِيوفَهُمْ وَرَجَعُوا إِلَى الْعَوَامِ فَأَنْهَزَمُوا مِنْهُمْ . وَأَصْبَحَ الْخَزَائِنُ بِقَلْعَةِ الْجَبَلِ ١٥ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَاءِ سَابِعِ عَشْرِ شَهْرِ رَمَضَانَ يَصِيحُونَ بِأَسْمِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ، وَأُسْقِطَ أَسْمُ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ بِإِشَارَةِ الْأَمِيرِ سَلَّارٍ بِذَلِكَ ، لِأَنَّهُ أَقَامَ بِالْقَلْعَةِ وَمَهَّدَ أُمُورَهَا بَعْدَ خُرُوجِ الْمُظْفَرِ إِلَى إِطْفِئِح . وَفِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ تَاسِعِ عَشْرِهِ خُطِبَ عَلَى مَنَابِرِ الْقَاهِرَةِ وَمِصْرَ بِأَسْمِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ ، وَأُسْقِطَ أَسْمُ الْمَلِكِ الْمُظْفَرِ بِبِيرْسِ هَذَا وَزَالَ مُلْكُهُ .

(١) عبارة عند الجمان : « فاشتغلوا بالتقاطها عن تأليهم عليه وتطرنهم اليه » .

وأما الملك المظفر فإنه لما فارق القلعة أقام بإطفيح يومين ثم آتفق رأيه ورأى أيدم الخطيرى وبكتوت الفتاح إلى المسير إلى برقة وقيل بل إلى أسوان^(٢) ، فأصبح حاله كقول القائل :

موكل بفساح الأرض يذرعها * من خفة الرّوع لا من خفة الطرب

ولما بلغ ممالك الملك المظفر هذا رأى عزمو على مفارقتة . فلما رحل^(٣) من أطفيح رجع الممالك عنه شيئا بعد شيء إلى القاهرة ، فما وصل المظفر إلى إجم^(٤) حتى فارقه أكثر من كان معه ، فعند ذلك آتت عزمته عن التوجه إلى برقة ، وترك الخطيرى والفتاح وعادا نحو القاهرة . وبينما هو سائر قدم عليه الأميران : بيبرس الدؤادار و بهادر آص من عند الملك الناصر ليتوجه إلى صهيون بعد أن يدفع ما أخذه من الخزان ، فدفع المظفر المال بأجمعه إلى بيبرس الدؤادار ، فأخذ بيبرس المال وصار به في النيل إلى الملك الناصر وهو بقلعة الجبل ، وقدم بهادر آص في البر بالملك المظفر ومعه كاتبه كريم الدين أكرم^(٥) ، وسأل المظفر في يمين السلطان مع من يتيق به ، فخلف له الملك الناصر بحضرة الأمراء وبعث إليه بذلك مع أئتمش المحمدي ؛ فلما قدم عليه أئتمش بالغ المظفر في إكرامه وكتب الجواب بالطاعة وأنه يتوجه إلى ناحية

(١) برقة : اسم إقليم كانت تنهى إليه حدود مصر الغربية ، وكان يعرف عند الرومان بإقليم سربيه وقاعدته مدينة سيرين التي سماها العرب قبرين أو غرنا ، ويسميه الروم يثابوليس أي الخمس مدن ، ومنه اشتق الاسم العربي بنطابلس أو انطابلس ثم عرف هذا الإقليم في عهد العرب بإقليم برقة ولا يزال معروفا بهذا الاسم ضمن أقسام بلاد طرابلس الغرب الواقعة في شمال أفريقيا من الجهة الغربية للأراضي المصرية ، وطرابلس اليوم من مستعمرات دولة إيطاليا . وراجع الحاشية رقم ١ ص ٢٤١ من الجزء السابع من هذه الطبعة .

(٢) راجع الحاشية رقم ٢ ص ٢٩٢ في الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٣) إجم : بلدة مصرية قديمة واقعة على الشاطئ الشرقي للنيل تجاه مدينة سوهاج . وراجع الحاشية رقم ٢ ص ٣١٣ من الجزء الخامس من هذه الطبعة . (٤) في الأصلين : « وترك الخطيرى... الخ » . وما أثبتناه عن السلوك .

(٥) هو أكرم بن هبة الله القبلى كريم الدين الرئيس ناظر الدولة بالديار المصرية . كانت وفاته سنة ٧٢٤ هـ كما في الدرر الكامنة أو في سنة ٧٢٦ هـ كما في المنهل المنصاف .

السُّوَيْس^(١) ، وأنت كريم الدين يحضر بالخزانة والحواصل التي أخذها ، فلم يُعجب السلطان ذلك ، وعزم على إخراج تجريدة إلى غزاة ليردوه ، وأطلع على ذلك بكتُمُر الجوكندار النائب وقراسنقر نائب دمشق^(٢) والحاج بهادر وأسندمر نائب طرابلس .

فلما كان يوم الخميس الذي قبض فيه الملك الناصر على الأمراء — على ماسياقي

ذكره مفصلاً في أول ترجمة الملك الناصر الثالثة إن شاء الله تعالى — جلس بعض

المالِك الأشرفيّة خارج القلعة ، فلما خرج الأمراء من الخدمة قال : وأى ذنب لهؤلاء الأمراء الذين قبض عليهم ! وهذا الذي قتل أستاذنا الملك الأشرف ، ودمه

الآن على سيفه ، قد صار اليوم حاكم المملكة (يعني عن قراسنقر) ، قليل هذا لقراسنقر ، يخاف على نفسه وأخذ في عمل الخلاص من مصر ، فالتزم للسلطان أنه

يتوجه ويحصل الملك المظفر بيبرس هو والحاج بهادر نائب طرابلس من غير إخراج

تجريدة فإن في بعث الأمراء لذلك شاعة ، فمضى ذلك على السلطان ورسم بسفرهما ، فخرج قراسنقر ومعه سائر النواب إلى ممالكهم ، وعوّق السلطان عنده أسندمر كرجي

وقد استقر به في نيابة حماة ، وسار البقية . ثم جهز السلطان أسندمر كرجي لإحضار المظفر مُقْبِداً . وأتفق دخول قراسنقر والأمراء إلى غزاة قبل وصول المظفر إليها ،

فلما بلغهم قُربُه ركب قراسنقر وسائر النواب والأمراء ولقّوه شرق غزاة وقد بقى

معه عِدَّة من مماليكه وقد تاهبوا للحرب ، فليس الأمراء السلاح ليقاتلوه ،

(١) السوَيْس : بلدة مصرية وتغر من تغورها على البحر الأحمر . وراجع الحاشية رقم ٤ ص ١٥١

من هذا الجزء . (٢) تقدّم في غير موضع من هذه الترجمة أن قراسنقر هذا كان نائب حلب ،

ولكن الملك الناصر حين قدم مصر في هذه المرة قد الأمير قراسنقر المنصوري نيابة دمشق عوضا عن

الأمير جمال الدين آقوش الأفرم . وولى آقوش الأفرم صرخند والأمير سيف الدين قبجق نيابة حلب عوضا

عن قراسنقر . وولى الأمير سيف الدين بهادر طرابلس عوضا عن الأمير أسندمر . والأمير أسندمر حماة

عوضا عن قبجق ، كما في عقد الجمان وتاريخ سلاطين الممالك وماسيذكره المؤلف في أول ترجمة الناصر الثالثة .

فأنكر المظفر على مماليكه تأهبهم للقتال وقال : أنا كنت مَلِكًا ، وحولى أضعافكم
 ولى عَصْبَة كَبِيرَةٌ من الأُمراء ، وما أَخْتَرْتُ سَفْكَ الدِّمَاءِ ! وما زال بهم حتى كَفُّوا
 عن القتال ، وساق هو بنفسه حتى بقي مع الأُمراء وسَلَّمَ نفسه إليهم ؛ فسلموا عليه
 وساروا به إلى معسكرهم وأنزلوه بِحَيْمَةٍ ، وأخذوا سلاح مماليكه ووكّلوا بهم من
 يحفظهم ؛ وأصبحوا من الغد عائدين بهم معهم إلى مصر ، فأدركهم أَسَدْمَرُ كُرْجِي
 بِالخَطِّارَةِ فَأَنْزَلَ فِي الْحَالِ الْمَظْفَرَ عَنْ فَرَسِهِ وَقَيْدَهُ بِقَيْدٍ أَحْضَرَهُ مَعَهُ ، فَبَكَى وَتَحَدَّرَتْ
 دُمُوعُهُ عَلَى شَيْبَتِهِ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى قَرَأْسُتُقْرَ وَأَلْقَى الْكُفَّةَاةَ عَنْ رَأْسِهِ إِلَى الْأَرْضِ
 وقال : لعن الله الدنيا ، فياليتنا متنا ولا رأينا هذا اليوم ! فترجّلت الأُمراء وأخذوا
 كُفَّةَاتِهِ وَوَضَعُوهَا عَلَى رَأْسِهِ . هَذَا مَعَ أَنَّ قَرَأْسُتُقْرَ كَانَ أَكْبَرَ الْأَسْبَابِ فِي زَوَالِ
 دَوْلَةِ الْمَظْفَرِ الْمَذْكُورِ ! وَهُوَ الَّذِي جَسَرَ الْمَلِكَ النَّاصِرَ حَتَّى كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ .
 ١٠ ثم عاد قراستقر والحاج بهادر إلى محل كفالتهما ، وأخذ بهادر يلوم قراستقر كيف
 خالف رأيه ! فإنه كان أشار على قراستقر في الليل بعد القبض على المظفر بأن يُحَلَّى
 عن المظفر حتى يصل إلى صَهِبُونَ ، ويتوجه كلّ منهما إلى محل ولايته ، ويُخِيفَا
 الملك الناصر بأنه متى تغير عما كان وافق الأُمراء عليه يَدِمَشْقَ قَامُوا بِنُصْرَةِ الْمَظْفَرِ
 ١٥ وإعادته إلى المُلْكِ ، فلم يُوافق قَرَأْسُتُقْرَ ، وَظَنَّ أَنَّ الْمَلِكَ النَّاصِرَ لَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ
 وَلَا عَلَى الْمَظْفَرِ . فَلَمَّا رَأَى مَا حَلَّ بِالْمَظْفَرِ نَدِمَ عَلَى مَخَالَفَةِ بَهَادُرَ . وَبَيْنَمَا هُمَا فِي ذَلِكَ
 بَعَثَ أَسَدْمَرُ كُرْجِي إِلَى قَرَأْسُتُقْرَ مَرْسُومَ السُّلْطَانِ أَنَّ يَحْضُرُ صَحْبَةَ الْمَظْفَرِ إِلَى الْقَلْعَةِ ،
 وَكَانَ عَزَمَ النَّاصِرُ أَنْ يَقْبِضَ عَلَيْهِ : فَفُطِنَ قَرَأْسُتُقْرَ بِذَلِكَ وَأَمْتَنَعَ مِنَ التَّوَجُّهِ إِلَى
 مصر ، وَأَعْتَذَرَ بِأَنَّ الْعَشِيرَ قَدْ تَجَمَّعُوا وَيَخَافُ عَلَى دِمَشْقَ مِنْهُمْ ، وَجَدَّ فِي السَّيْرِ
 ٢٠ وَعَرَفَ أَنَّهُ تَرَكَ الرَّأْيَ فِي مَخَالَفَةِ بَهَادُرَ ! فَقَدِمَ أَسَدْمَرُ بِالْمَظْفَرِ إِلَى الْقَلْعَةِ فِي لَيْلَةٍ

(١) راجع الحاشية رقم ٥ ص ٢٥١ من هذا الجزء . (٢) يريد بالعشير هنا عرب البادية .

- (١) الأربعاء الرابع عشر من ذى القعدة ، فلما مثل المظفر بين يدي السلطان قبل الأرض ، فأجلسه وعُتِفَ بِمَا فَعَلَ بِهِ وَذَكَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ إِلَيْهِ ، وَعَدَّدَ ذُنُوبَهُ ، وَفَالَ لَهُ : تَذَكَّرْ وَقَدْ صَحَّتْ عَلَى يَوْمِ كَذَا بِسَبَبِ فُلَانٍ ! وَرَدَدْتَ شِفَاعَتِي فِي حَقِّ فُلَانٍ ! وَأَسْتَدْعَيْتُ بِنَفَقَةٍ فِي يَوْمِ كَذَا مِنَ الْخِزَانَةِ فَمَنَعْتَهَا ! وَطَلَبْتُ فِي وَقْتِ حَلْوَى بَلَوَزٍ وَسَكَّرَ فَمَنَعْتَنِي ، وَيْلَكَ ! وَزِدْتَ فِي أَمْرِي حَتَّى مَنَعْتَنِي شَهْوَةَ نَفْسِي ، وَالْمَظْفَرُ سَاكِتٌ . فَلَمَّا فَرَّغَ كَلَامُ السُّلْطَانِ قَالَ لَهُ الْمَظْفَرُ : يَا مَوْلَانَا السُّلْطَانُ ، كُلِّ مَا قُلْتَ فَعَلْتُهُ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا مَرَامِحُ السُّلْطَانِ ، وَإِيشَ يَقُولُ الْمَمْلُوكُ لِأَسْتَاذِهِ ! فَقَالَ لَهُ : يَا رَكْنُ ، أَنَا الْيَوْمَ أَسْتَازُكَ ! وَأَمْسِ تَقُولُ لِمَا طَلَبْتُ إِرْزًا مَشُوبًا : إِيشَ يَعْمَلُ بِالْإِرْزِ ! الْأَكْلُ هُوَ عَشْرُونَ مَرَّةً فِي النَّهَارِ ! ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَى مَكَانٍ وَكَانَ لَيْلَةُ الْخَمِيسِ ، فَاسْتَدْعَى الْمَظْفَرُ بَوْضُوهُ وَقَدْ صَلَّى الْعِشَاءَ . ثُمَّ جَاءَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ نَفِيقُ بَيْنَ يَدَيْهِ بَوَّارَ حَتَّى كَادَ يَتَلَفُ ، ثُمَّ سَبَّهَ حَتَّى أَفَاقَ وَعُتِفَهُ وَزَادَ فِي شَقَمِهِ ، ثُمَّ خَنَقَهُ ثَانِيًا حَتَّى مَاتَ وَأُنْزِلَ عَلَى جَنُوبِةٍ إِلَى الْإِسْطِيبِلِ السُّلْطَانِيِّ فُغْسِلَ وَدُفِنَ خَلْفَ قَلْعَةِ الْجَبَلِ ، وَذَلِكَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ خَامِسَ عَشْرَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ تِسْعٍ وَسَبْعِمِائَةٍ . وَكَانَتْ أَيَّامُ الْمَظْفَرِ هَذَا فِي سُلْطَنَةِ مِصْرَ عَشْرَةَ أَشْهُرَ وَأَرْبَعَةَ وَعِشْرِينَ يَوْمًا لَمْ يَتَهَنَّ فِيهَا مِنَ الْفِتَنِ وَالْحَرَكَةِ .
- (٢) وَكَانَ الْمَظْفَرُ لَمَّا تَخَرَّجَ مِنْ مِصْرَ هَارِبًا قَبْلَ دُخُولِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ . قَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ :

تَقَى عِطْفُ مِصْرَ حِينَ وَاقَى * قُدُومُ النَّاصِرِ الْمَلِكِ الْخَبِيرِ
فَذَلَّ الْجَحْشَ نَكِيرُ بِلَا لِقَاءِ * وَأَمْسَى وَهُدُو جَاشِ نَكِيرِ
إِذَا لَمْ تَعْصِدِ الْأَفْدَارُ شَخْصًا * فَأَقُولُ مَا يُرَاعِ مِنَ النَّصِيرِ

- (١) فِي الْأَصْلَيْنِ : « الرَّابِعُ عَشَرَ مِنْ شَوَّالٍ » . وَمَا أُتْبِئَهُ عَنْ عَقْدِ الْجَمَانِ وَالسُّلُوكِ .
- (٢) فِي قَامُوسِ دَوَّزِي : مَعْنَاهَا ، تَعْرِيشُهُ مِنْ خَشَبٍ أَوْ سِيَاجٍ أَوْ دَرَابِزِينَ (Palissade) .
- (٣) فِي الْأَصْلَيْنِ هُنَا : « خَامِسَ عَشَرَ مِنْ شَوَّالٍ » . وَرَاجِعُ الْحَاشِيَةِ رَقْمُ ١ مِنْ هَذِهِ الصَّفْحَةِ .
- (٤) يَلَاظُ أَنَّ الْمُؤَلِّفَ قَدَّمَ فِي أَوَّلِ تَرْجُمَةِ الْمَظْفَرِ هَذَا أَنَّهُ جَلَسَ عَلَى تَحْتِ الْمَلِكِ يَوْمَ السَّبْتِ الثَّلَاثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَوَّالٍ مِنْ سَنَةِ ثَمَانٍ وَسَبْعِمِائَةٍ .

وقال التَّوَيَّرِيُّ في تاريخه : ولَمَّا وصلوا بالمظفر بيبرس إلى السلطان الناصر أوقفه بين يديه وأمر بدخوله الحمام ، وَخُتِقَ في بَقِيَّة من يومه ودُفِنَ بالقرافة وَعَفِيَ أثر قبره مَدَّةً ، ثم أَمَرَ بِانتقاله إلى تربته بالخانقاه التي أنشأها فَنُقِلَ إليها . وكان بيبرس هذا أبتداً بعمارة الخانقاه والتربة داخل باب النصر موضع دار الوزارة في سنة (٢) ست وسبعائة ، وأوقف عليها أوقافاً جلييلة ، ولكنه مات قبل تمامها ، فأغلقها الملك الناصر مدة ثم فتحها . انتهى كلام التَّوَيَّرِيِّ .

وكان الملك المظفر ملكاً ثابتاً كثير السكون والوقار ، جميل الصفات ، نَدِبَ إلى المهمات مراراً عديدة ، وتكلم في أمر الدولة مدة سنتين ، وحسنت سيرته ، وكان يرجع إلى دين وخير ومعروف ، تولى السلطنة على كره منه ، وله أوقاف على وجوه البر والصدقة ، وعمّر ما هدم من الجامع الحاكبي داخل باب النصر ، بعد ما شعثته الزلازل . وكان من أعيان الأمراء في الدولة المنصورية فلاقوه استاذة ، ثم في الدولة الأشرفية خليل ، والدولة الناصرية محمد بن قلاوون . وكان أبيض اللون أشقر مستدير القبة ، وهو جاركيئي الجنس على ما قيل . ولم ينسلطن أحد من الجراكسة قبله ولا بعده إلى الملك الظاهر برقوق ، وقيل إنه كان تركياً ، والأقوى عندى أنه كان جاركيسياً ، لأنه كان بينه وبين آقوش الأفرم نائب الشام مودة ومحبة زائدة ، وقيل قرابة ، وكان الأفرم جاركيئي الجنس . انتهى .

وآستولى السلطان الملك الناصر على جميع تعلقاته ، وآستقدم كاتبه كريم الدين أكرم بن المعلم بن السديد ، فقَدِمَ على الملك الناصر بأموال المظفر بيبرس وحواسله ،

(١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ١٧٤ من هذا الجزء . (٢) راجع الحاشية رقم ٦ ص ٥٠

والحاشية رقم ٥ ص ٩٢ من الجزء الرابع من هذه الطبعة والحاشية رقم ٤ ص ١٧٤ من هذا الجزء .

(٣) في الأصلين : « في سنة سبع وسبعائة » وهو خطأ . وتصحيحه عن عقد الجمان والحاشية رقم ٤

ص ١٧٤ من هذا الجزء . (٤) راجع الحاشية رقم ١ ص ١٤٠ من هذا الجزء .

- فقرّبه السلطان وأثنى عليه ووعدّه بكلّ جميل إن أظهره على ذخائر المظفر بيبرس .
 فنزل كريم الدين إلى داره وتتبع أموال بيبرس وبذل جهده في ذلك ، ثم انتهى كريم
 الدين إلى طغاي وكنتاي وأرغون الدوّادار الناصرية ، وبذل لهم مالاً كثيراً حتى
 صاروا أكبر أعوانه ، وحمّوه من أستاذهم الملك الناصر . ثم قَدِمَ من كان مع المظفر
 بيبرس من الممالك ومعهم المُعجَن والخليل والسلاح ، ومبلغ مائتي ألف درهم وعشرين
 ألف دينار ، وستون بقجة من أنواع الثياب ، فأخذ السلطان جميع ذلك ، وفزق
 الممالك على الأمراء ما خلا بكتُمُر الساقى لجمال صورته وطوغان الساقى وقرّأ تمر .
 ثم استدعى الملك الناصر القضاة وأقام عندهم البينة بأن جميع ممالك المظفر بيبرس
 وسلّار ، وجميع ماوقفاه من الضياع والأُملاك اشترى من بيت المال . فلما ثبت
 ذلك ندب السلطان جمال الدين آقوش الأشرف نائب الكرك ، وكريم الدين أكرم ليّيع
 تركة المظفر بيبرس وإحضار نصف ما يتحصل ، ودفع النصف الآخر لابنة المظفر
 زوجة الأمير بُرلّنى الأشرف ، فإن المظفر لم يترك من الأولاد سواها ، فشدد كريم الدين
 الطلب على زوجة المظفر وأبنته حتى أخذ منهما جواهر عظيمة القدر ، وذخائر
 نفيسة ، ثم تابع موجود المظفر فوجد له شيئاً كثيراً .

١٥



السنة التي حكم في أولها الملك المظفر بيبرس الجاشنكير على مصر إلى شهر
 رمضان ، ثم حكم في باقيها الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وهي سنة تسع وسبعائة ،
 على أن الملك المظفر بيبرس حكم من السنة الماضية أياما .

(١) في أحد الأصلين : « ومبلغ مائتي ألف وعشرين ألف ديب » .

(٢) راجع الحاشية رقم ١ و ٣ من ٢٧٥ من هذا الجزء .

فيها (أعنى سنة تسع وسبعائة) كانت الفتنة بين السلطان الملك الناصر محمد ابن قلاوون وبين الملك المظفر بيبرس . حسب ما تقدم ذكره مفصلاً حتى خلع المظفر وأعيد الناصر .

وفيها كانت الفتنة أيضاً بالمدينة النبوية بين الشريف مُقْبِل بن جَمَاز بن شَيْخة وبين [كَيْش ^(١) أبْن] أخيه منصور بن جَمَاز ، وكان مُقْبِل قَدِم القاهرة فولاه المظفر نصف إمرة المدينة شريكاً لأخيه منصور ، فتوجه إليها فوجد منصوراً يتجعد وقد ترك أبنه كَيْشَة ^(٢) بالمدينة ، فأخرجه مُقْبِل فحشد كَيْشَة وقا تل مُقْبِل حتى قتله ، وأنفرد منصور بإمارة المدينة .

وفيها كتب السلطان الملك الناصر لقراسنقر نائب الشام بقتال العشير .

وفيها أظهر خربنداً ملك التتار الرنق في بلاده وأمر الخطباء ألا يذكروا في خطبهم إلا على بن أبي طالب وولديه وأهل البيت .

وفيها حج بالناس من القاهرة الأمير شمس الدين الدكر السلاخ دار ولم يحج أحد من الشام لأضطراب الدولة .

وفيها توفى الأمير الوزير شمس الدين سنقر الأعسر المنصوري بالقاهرة في شهر ربيع الأول وذو قعدة خارج باب النصر بعد ما استعفى ولزم داره مدة .

وفيها توفى قاضي القضاة شرف الدين أبو محمد عبد الغنى بن يحيى [بن محمد بن أبي بكر ^(٤)] بن عبد الله بن نصر [بن محمد] بن أبي بكر الحنبلاني الحنبلي في ليلة

(١) التكملة عن المنهل الصافي وعقد الجمان والدرر الكامنة . (٢) في الأصلين : « وكان منصور » . وما أثبتناه عن السلوك وما يفهم من سياق كلام المؤلف وعادة عقد الجمان والدرر الكامنة والمنهل الصافي . (٣) كذا الأصلين : « كيشة » وجاء في بعض المصادر التي تحت يدينا : « كيشة وكيش » . (٤) زيادة عن المنهل الصافي والدرر الكامنة . (٥) زيادة عن الدرر الكامنة . وفي المنهل الصافي : « ابن عبد الله بن نصر بن أبي بكر بن محمد » .

- الجمعة الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول ودُفن بالقرافة . ومولده بجزان في سنة خمس وأربعين وستمائة ، وسمع الحديث وتفقه وقدم مصر فباشر نظار الخزانة وتدرّس الصالحية ثم أضيف إليه قضاء الحنابلة ، فباشره ومحدث سيرته .
- وفيها توفى الشيخ نجم الدين محمد بن إدريس بن محمد القمولى الشافعى بقوص في جمادى الأولى ، وكان صالحاً عالماً بالتفسير والفقه والحديث .
- وفيها توفى الأمير سيف الدين طغرل بن عبد الله الإيفانى بالقاهرة في عاشر شهر رمضان ، وكان من كبار الأمراء وأعيان الديار المصرية .
- وفيها توفى الأمير عز الدين أيبك الخازندار في سابع شهر رمضان بالقاهرة ، وكان من أعيان أمراء مصر .
- وفيها توفى مُتَمَلِّك تُوس من بلاد الغرب الأمير أبو عبد الله محمد المعروف بأبى عَصيدة بن يحيى الوائق ابن محمد المستنصر بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص في عاشر شهر ربيع الآخر . وكانت مدة ملكه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر ، وتوفى بعده الأمير أبو بكر بن أبى يزيد عبد الرحمن بن أبى بكر بن يحيى بن عبد الواحد المدعو بالشهيد ، لأنه قُتل ظُلماً بعد ستة عشر يوماً من ملكه ، وبُويع بعده أيضاً أبو البقاء خالد بن يحيى بن إبراهيم .
- وفيها توفى الوزير التاج أبو الفرج بن سعيد الدولة في يوم السبت ثانى شهر رجب ، وكان عند الملك المظفر بيبرس بمكانة عظيمة ، ولما تسلطن بيبرس قوزه
- (١) راجع الحاشية رقم ٤ ص ٢٨٠ من الجزء السادس من هذه الطبعة . (٢) القمولى : نسبة إلى قوله وتسمى غرب قوله ، اسم كان يطلق قديماً على عدة قرى وكفور واقعة على الشاطئ الغربى لليل بديرية فنا بمصر ، وفي سنة ١٢٥٩ هـ قسمت ناحية غرب قوله إلى ثلاث نواح وهى البحرى قولاً والأوسط قولاً والقبلى قولاً والناحيتان الأوليان تاهمتان لمركز قوص والناحية الثالثة تابعة لمركز الأقصر .
- (٣) فى أحد الأصلين : «أبو بكر بن أبى يزيد بن عبد الرحمن» وفى السلوك : «أبو بكر بن أبى زيد عبد الرحمن» .

مُشِيرًا ، فكانت تُحْمَلُ إليه فُوطَةُ الْعَلَامَةِ فَيُضَيُّ مِنْهَا مَا يَخْتَارُهُ ، وَيَكُتُبُ عَلَيْهِ «عَرِضُ» فَإِذَا رَأَى الْمَظْفَرُ خَطَّهُ عِلْمٌ وَالْأَفْلَا ، وَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِ الْأَمِيرُ أَقْوَشُ الْأَفْرَمِ نَائِبَ الشَّامِ يُهْدِيهِ بِقَطْعِ رَأْسِهِ فَأَمْتَنَعَ . وَكَانَ الْأَفْرَمُ صَارَ يُدَبِّرُ غَالِبَ أُمُورِ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَهُوَ بِدِمَشْقَ ، لِأَنَّهُ كَانَ خُشْدَاشَ الْمَظْفَرِ بِيَرْسَ وَخَصِيصًا بِهِ وَالْقَائِمَ بِدَوْلَتِهِ ، وَالْمَعَانِدَ لِلنَّاصِرِ وَغَيْرِهِ مِنْ تُوَابِ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي تَرْجُمَةِ الْمَلِكِ الْمَظْفَرِ بِيَرْسَ .

وَفِيهَا تُوفِّيَ الشَّيْخُ الْقُدْوَةُ الْعَارِفُ بِاللَّهِ تَعَالَى تَاجُ الدِّينِ أَبُو الْفَضْلِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ عَطَاءِ اللَّهِ السَّكَنْدَرِيُّ الْمَالِكِيُّ الصُّوفِي الْوَاعِظُ الْمَذْكُورُ الْمُسَلِّكُ بِالْقَاهِرَةِ فِي بُحْدَى الْآخِرَةِ وَدُفِنَ بِالْقَرَافَةِ ، وَقَبْرُهُ مَعْرُوفٌ بِهَا ، يُقْصَدُ لِلزَّيَارَةِ . وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا عَالِمًا يَتَكَلَّمُ عَلَى كُرْسِيِّ وَيَحْضُرُ مِيعَادَهُ خَلْقٌ كَثِيرٌ ، وَكَانَ لَوْعْظُهُ تَأْتِيرٌ فِي الْقُلُوبِ ، وَكَانَ لَهُ مَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِكَلَامِ أَهْلِ الْحَقَائِقِ وَأَرْبَابِ الطَّرِيقِ ، وَكَانَ لَهُ نَظْمٌ حَسَنٌ عَلَى طَرِيقِ الْقَوْمِ ، وَكَانَتْ جَنَازَتُهُ مَشْهُودَةً حَفْلَةً إِلَى الْغَايَةِ . وَمِنْ شِعْرِهِ قَصِيدَةٌ أَوَّلُهَا :

يَا صَاحِبَ إِمَامِ الرِّكَبِ قَدْ سَارَ مُسْرِعًا * وَنَحْنُ فَمُودُ مَا الَّذِي أَنْتَ صَانِعُ
أَتَرْضَى بِأَنْ تَتَّبَعَ الْمُخَلَّفَ بَعْدَهُمْ * صَرِيحَ الْأَمَانِيِّ وَالْفَرَامِ يُنَازِعُ
وَهَذَا لِسَانُ الْكَوْنِ يَنْطِقُ جَهْرَةً * بِأَنْ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ قَوَاطِعُ

وَفِيهَا تُوفِّيَ الْقَاضِي عِزُّ الدِّينِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ الْقَاضِي شَرَفِ الدِّينِ مُحَمَّدٍ [بْنِ فَتْحِ الدِّينِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ] بْنِ الْقَيْسَرِيَّ أَحَدُ كُتَّابِ الدَّرَجِ (٢)

(١) قبر ابن عطاء الله السكندري ، لا يزال موجودا بجبانة سيدي على أبي الوفاء الكائنة تحت جبل المقطم من الجهة الشرقية لجبانة الإمام الليث . وهذا القبر يقع على بعد ٣٠٠ متر في الجنوب الشرقى لجامع سيدي على أبي الوفاء . وبجوار القبر من الغرب قبعة تحتها قبر كمال الدين محمد بن عبد الواحد المعروف بابن الهمام ، وبالقرب منها في الشمال الغربي قبر محمد بن سيد الناس ، وقبة تحتها قبر عبد الله بن أبي حمزة .

(٢) زيادة عن عقد الجمان والدور الكائنة .

ومدرس الفخريّة في ثامن صفر بالقاهرة، ودُفِن عند والده بالقرافة، وكان من أعيان الموقعين هو ووالده وجدّه ، ومات وله دون الأربعين سنة ، وكان له فضيلة ونظم وثر . ومن شعره في ردّ جواب :

جاء الكتابُ ومن سوادِ يدّاه * مسكٌ ومن قِرطاسه الأنوارُ

تتشرف الوادى به وتعطرت * أرجأؤه وأنارت الأقطارُ

قلت وأين هذا من قول البارع جمال الدين محمد بن نباتة المصري ، حيث يقول في هذا المعنى :

أفديه من ملك يكاتب عبده * بأحرفه اللاتي حكّتها الكواكبُ

ملكته بها ريقٌ وأنحلى الأسى * فهأنذا عبدٌ رقيقٌ مكاتبٌ

والشيخ علاء الدين علي بن محمد [بن عبد الرحمن] العيني رحمه الله :

أهلّنتي لجواب * ما كان ظني أجاب

لكنني عبدٌ رقيقٌ * مدبرٌ ومكاتبٌ

وفيها تُوقى القاضي بهاء الدين عبد الله ابن نجم الدين أحمد بن علي ابن المظفر المعروف بابن الحلّي ناظر ديوان الجيش المنصور، وأستقرّ عوضه القاضي نحر الدين صاحب ديوان الجيش .

وفيها تُوقى الأديب إبراهيم بن علي بن خليل الحرّاني المعروف بعين بصل . كان شيخاً حائكاً أناف على الثمانين ، وكان عامياً مطبوعاً ، وقصده ابن خلكان وأستنشد من شعره فقال : أما القديم فلا يليق لإنشاده ، وأما نظم الوقت الحاضر فنعم ، وأنشد بديها :

(١) راجع الحاشية رقم ٢٠ ص ٢١١ من هذا الجزء . (٢) زيادة من الدرر الكامنة والمثل الصافي . والحيي : نسبة إلى من يبيع الحي . وقد ضبطه صاحب الدرر الكامنة بالباءة والمنشبه للذهبي .

وما كُلُّ وقتٍ فيه يسمَحُ خاطِرِي * بنَقَمِ قَرِيضِ رائِقِ اللفظِ والمعْنَى
 وهل يقتضى الشَّرْعُ الشريفَ تَيَمُّماً * بُتْرَبَ وهذا البحرُ يا صاحبي معنَا
 فقال له ابنُ خَلْكان . أنت عين بَصْر، لا عين بَصَل . انتهى .

§ أمر النيل في هذه السنة — الماء القديم تأخروا تأخرت الزيادة إلى أن دخل
 شهر مِثْرَى ووقع الغلاء وأسئسقى الناس ، فتوَدَى بزيادة ثلاث أصابع ، ثم توقفت
 الزيادة ونقص في أيام النَّسَى ، ثم زاد حتى بلغ في سابع عشرين توت خمس عشرة
 ذراعا وست عشرة إصبعا ، وفُتِحَ خليج السدِّ ، بعد ما كان الوفاء في تاسع عشر بابه ،
 بعد التَّورُوز بتسعة وأربعين يوما . وكان مبلغ الزيادة في هذه السنة ست عشرة ذراعا
 وإصبعين . وكان ذلك في أوائل سلطنة المظفر بِيَهْرش الجاشنكير . فتشاءم الناسُ
 بكعبه وأبغضته العامة . ١٠



انتهى الجزء الثامن من النجوم الزاهرة ، ويليه الجزء التاسع ، وأوله :
 ذَكَرُ عَوْدَ الملكِ الناصر محمد بن فُلاوونَ إلى مُلكِ مصر ثالثَ مرَّةٍ



تنبيهه : التعليقات الخاصة بالأماكن الأثرية على اختلاف أنواعها ، والمدن
 والقرى القديمة وغيرها مع تعيين وتحديد مواضعها هي من وضع حضرة الأستاذ
 محمد رمزي بك المفتش بوزارة المالية سابقا وعضو المجلس الأعلى لإدارة حفظ
 الآثار العربية . كالتعليقات السابقة في الأجزاء الماضية . ففسدى إليه جزيل الشكر
 ونسأل الله جلَّت قدرته أن يجزيه خير الجزاء عن خدمته للعلم وأهله . ١٥

استدراكات

على بعض تعليقات وردت في الجزء السابع من هذا الكتاب
لحضرة الأستاذ محمد رمزي بك

زاوية الشيخ أبي السعود بن أبي العشار

- بما أن الشرح الخاص بوصف هذه الزاوية الوارد في صفحة ٣٨٤ من الجزء السابع من هذه الطبعة جاء غير واف فأضيف إليه ما يأتي :
- ذكرت في التعليق السابق لهذه الزاوية أنها أندثرت ، والصواب أنها خربت لأنه لا يزال يوجد من مبانيها بقايا بابها والحائط الشمالى الشرقى والحائط الذى فيه المحراب . ومكانها اليوم أرض مشغولة بالمقابر . وعلاوة على ما سبق ذكره في التعليق السابق فإن هذه الزاوية واقعة في الشمال الغربى لجامع السادات الوفائية على بعد مائتى متر منه ويجاورها قاعة بها ضريح الشيخ أبي السعود بن أبي العشار . رحمه الله .



الحد الذى كان ينتهى عنده النيل على شاطئه الشرقى تجاه

مدينتى مصر القديمة والقاهرة وقت فتح العرب لمصر

- ١٥ بيّنت في الاستدراك الخاص بقنطرة عبد العزيز بن مروان الوارد في صفحة ٣٨٧ من الجزء السابع من هذه الطبعة موقع فم الخليج المصرى ، والنقطة التى كان يأخذ منها مياهه من النيل وقت فتح العرب لمصر . وقد فاتنى أن أتين لقراء النجوم الزاهرة الحد الذى كان ينتهى عنده النيل على شاطئه الشرقى تجاه مدينتى مصر القديمة والقاهرة في ذاك الوقت ، ولهذا أستدرك ما فاتنى إتماما للفائدة المطلوبة من التعليقات فأقول :

يُستفاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على ساحل النيل بمدينة مصر (ص ٣٤٣ ج ١) وعلى المنشأة (ص ٣٤٥ ج ١) وعلى أبواب مدينة مصر (ص ٣٤٧ ج ١) وعلى منظرة المقس (ص ٣٨٠ ج ١) وعلى ظواهر القاهرة المعزية (ص ١٠٨ ج ٢) وعلى بز الخليج الغربي (ص ١١٣ ج ٢) وعلى اللوق (ص ١١٧ ج ٢) وعلى المقس (ص ١٢١ ج ٢) وعلى بولاق (ص ١٣٠ ج ٢) وعلى قنطرة السد (ص ١٤٦ ج ٢) وعلى قنطرة باب البحر (ص ١٥١ ج ٢) وعلى جزيرة القيل (ص ١٨٥ ج ٢)، وعلى صناعة مصر (ص ١٩٧ ج ٢) وعلى الميدان الناصري (ص ٢٠٠ ج ٢)، ويُستفاد أيضا مما ورد في حوادث سنة ٦٨٠ هـ المذكورة في كتاب النجوم الزاهرة لأبن تغري بردي (ص ٣٠٧ ج ٧) ومما هو مبين على خريطة الحملة الفرنسية الموضوعة سنة ١٨٠٠؛ يُستفاد من كل ما سبق ذكره، ومن المباحث التي أجريتها أن شاطئ النيل الشرقي الأصلي القديم تجاه مدينة مصر والقاهرة كان وقت فتح العرب لمصر واقعا في الأمكنة التي تعرف اليوم بالأسماء الآتية :

كان النيل بعد أن يمر على سكن ناحية أثر النبي جنوبي مصر القديمة يسير إلى الشمال بجوار شارع أثر النبي إلى أن يتلاقى بسكة حديد حلوان عند محطة المدافع، فيسير النيل بجوار هذه السكة إلى أن يتقابل بشارع ماري جرجس فيسير محاذيا له من الجهة الغربية ما را تحت قصر الشمع (الكنيسة المعلقة بمصر القديمة) وجامع عمرو، ثم يسير محاذيا لشارع سيدي حسن الأنور إلى نهايته ثم يسير شمالا إلى النقطة التي يتقابل فيها شارع السد البراني بسكة المذبح، ثم يسير بعد ذلك متجها في طريقه إلى الشمال فيمر في حارة المغربي بمحينة قاميش فشارع بنى الأزرق بمحينة لاظ فشارع جنان الزهرى فشارع الشيخ عبد الله لحارة البيرقدار فشارع البلاقة

فشارع عماد الدين إلى نهايته البحرية ، ثم ينعطف النيل مائلا إلى الشرق ويسير بجوار شارع الملكة نازلى حتى يصل إلى ميدان باب الحديد ، ومن هناك ينعطف إلى الشمال الشرقى مارا بميدان محطة مصر ، ثم يمر بجوار محطة كوبرى الليمون من الجهة البحرية الغربية ، ثم يسير فى شارع غمرة بطول مائتى متر ، ثم يسير إلى الشمال محاذيا لمخازن بضائع محطة مصر من الجهة الشرقية ، ثم يسير محاذيا لشارع مهمشة من الجهة الغربية ، ثم يسير بعد ذلك محاذيا لجسر السكة الحديدية الذاهبة إلى الإسكندرية من الجهة الشرقية . وعند وصول النيل إلى نقطة واقعة على هذه السكة تجاه عزبة الخماسة يميل إلى الغرب حتى يصل إلى سكن ناحية منية السيرج ، وهناك يسير غربى سكن هذه الناحية ، ثم يسير إلى الشمال بدوران خفيف إلى الغرب حتى يتقابل مع مجراه الحالى عند فم الترعة الإسماعيلية .

١٠

هذا هو خط سير الشاطئ الأصيل القديم للنيل تجاه مدينتى مصر والقاهرة فى سنة ٥٢٠ = ٦٤١ م أى وقت فتح العرب لمصر . وبعد ذلك طرح البحر عدة مرّات ولذلك أنتقل الشاطئ الأصيل المذكور من مكانه القديم السابق ذكره إلى مكانه الحالى من مصر القديمة إلى زوض الفرج .

مطابع کوستا سماس و شرکاء

د شارع وقف الخروب، بطل بالقدھر - ۱۱۸ - ۹
القاهرة